

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

دراسة عقدية



التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

دراسة عقدية

التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

دراسة عقدية

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

تصميم الغلاف: مركز التأصيل

الحجم: ١٧ × ٢٤ سم

التجليد: كرتوناج

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار جسر التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٠١٢ ٩٦٦ +   ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٠١٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.com

بريد إلكتروني: info@taseel.com

التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

دراسة عقدية

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

مركز التأصيل للدراسات والبحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم د. عبدالله بن محمد البداح

لا يخفى على القارئ الكريم مدى الاهتمام الذي حظي به الطب البديل والتكميلي في العهد القريب. بل وأصبحت هنالك حاجة ملحّة تستدعي الوقوف على هذه الظاهرة ومحاولة الدخول في ثناياها والبحث عن مكنونات ممارساتها التي ظهرت حديثًا أو تجدَّدت من تراث الأمم والشعوب ومعتقداتها.

ولقد كان للعولمة وما تبعها من حركة انفتاح عالمي على ثقافات الشعوب المختلفة، وارتفاع وتيرته مؤخرًا بتعليمات من منظمة التجارة العالمية، والدور التسويقي والإعلامي العابر للحدود الذي صاحب الطفرة الإعلامية ووسائلها المختلفة المعروفة بالإعلام الجديد دور مهم في اجتياح ممارسات الطب البديل والتكميلي للعالم. فوفدت إلينا العديد من تلك الممارسات من الشرق ومن الغرب، وتسارع العديد من الناس مرضى وأصحاء في البلاد العربية والإسلامية إما لتعلمها أو تجربتها ويتم ذلك بقناعة أو بدون قناعة دون النظر إلى فوائدها ومآلاتها الصحية، وحتى دون التحقق من النظرة الشرعية حيالها... مما يتطلب التريث في نصح أو توجيه طالب الاستشفاء حول أي من هذه الممارسات قبل النظر في أصلها ومنشئها وحقيقتها وحكمها الشرعي. ونجد أنّ معظم هذه الممارسات، خاصة التي وردت من دول شرق وجنوب آسيا، لا تخلو من جانب عقدي في منشئها أو حتى في ممارستها بعد تزايد الطلب على الطب البديل

والتكميلي.. كما أنها قد تكون معدومة أو محدودة الأثر الصحي أو الطبي.. وبالتأكيد فلدى الأمة الإسلامية غُنية عنها في جميع جوانب الصحة والاستشفاء التي وردت في الكتاب والسنة..

ويشرُف المركز أن يضع بين يدي القارئ هذا الكتاب **"التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية"** بنظرة وصفية وتحليلية مع التأصيل الشرعي لممارستها أو طلب الاستشفاء بها للباحثة هيفاء بنت ناصر الرشيد. وقد بذلت الكاتبة جهدًا أكاديميًا متميزًا ودقيقًا واضحًا تجلت فيه روح المبادرة والإبداع لعمل لم يسبقها أحد إليه، ويعتبر أحد النوازل الفقهية التي تتطلب تأصيلًا شرعيًا. وبحمد الله فقد كفت في هذا المجال وأوفت. ونسأل الله أن يعظم لها الأجر وينفع به العباد والبلاد.

والمركز الوطني للطب البديل والتكميلي بالمملكة العربية السعودية، يقدِّم هذا العمل للقارئ الكريم مشاركة في نشر الوعي العلمي والمعرفي تجاه الطب البديل والتكميلي ماله وماعليه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. عبد الله بن محمد البداح

المدير التنفيذي

للمركز الوطني للطب البديل والتكميلي

تقديم أ.د. يوسف بن محمد السعيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد يسر الله تعالى لي الإشراف على الأخت المحاضرة بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة/ هيفاء بنت ناصر بن عبد الله الرشيد لإعداد رسالتها: (التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية - دراسة عقدية) التي نالت بها درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطباعتها.

وهذه الرسالة بحث استوى على سوقه، سيفيد منه - بإذن الله تعالى - المطلع عليه والناظر فيه، وذلك لأمور:

- أن هذا البحث ليس بحثًا مكرورًا، وإنما بحث أضاف إلى التخصص إضافة بل إضافات جديدة، كيف لا وهو يعالج مسائل يحتاج إليها طلاب العلم والمعرفة لمعرفة أمور لم تطرق من قبل على هذا المنوال.

- أن البحث بحث رصين متين، فلم يكتب على عجل، ولم يكتب بمجرد متابعة للآخرين في أطروحاتهم، وإنما كتب كتابة مبنية على أصول علمية شرعية وحقائق واقعية، سلكت فيه الباحثة لغة علمية رصينة، ومنهجًا بحثيا فائقًا، مع فهم دقيق، مع رجوع إلى مصادر كثيرة، بلغات مختلفة، فتشت فيها الباحثة، واستخرجت منها مادة بحثها.

- أن هذا البحث تم بحثه على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا من أعظم ميزاته، فالباحثون الذين تناولوا الفلسفات الشرقية كثر، ولكن أكثرهم لم يعرفوا العقيدة الصحيحة، فجاءت نتائج أبحاثهم ضعيفة؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يجيبوا على الشبهات التي بنيت عليها تلك الفلسفات، بل قد يوافقونهم.

والبحث مع الطوائف والمذاهب والأديان الأخرى إذا لم يكن الباحث يعتقد ما يعتقده السلف، فقد يقع في أخطاء كثيرة، فهذا الجهم بن صفوان حين ناظر (السمنية) وأوردوا عليه بعض المسائل، قام بالرد عليهم بحجج واهية كان من نتائجها: مذهب التعطيل الذي سرى في كثير من فرق هذه الأمة.

وهذه الفلسفات الشرقية يدور بحثها كثيرًا على(بحث الأسباب وآثارها) وهذا البحث تفطن لهذا الأمر.

- إن هذا البحث من الأبحاث الرصينة التي يحق لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن تفاخر بها الجامعات؛ ولذا رأت اللجنة الفاحصة لهذا العمل التوصية بطباعة هذا البحث وتداوله بين الجامعات.

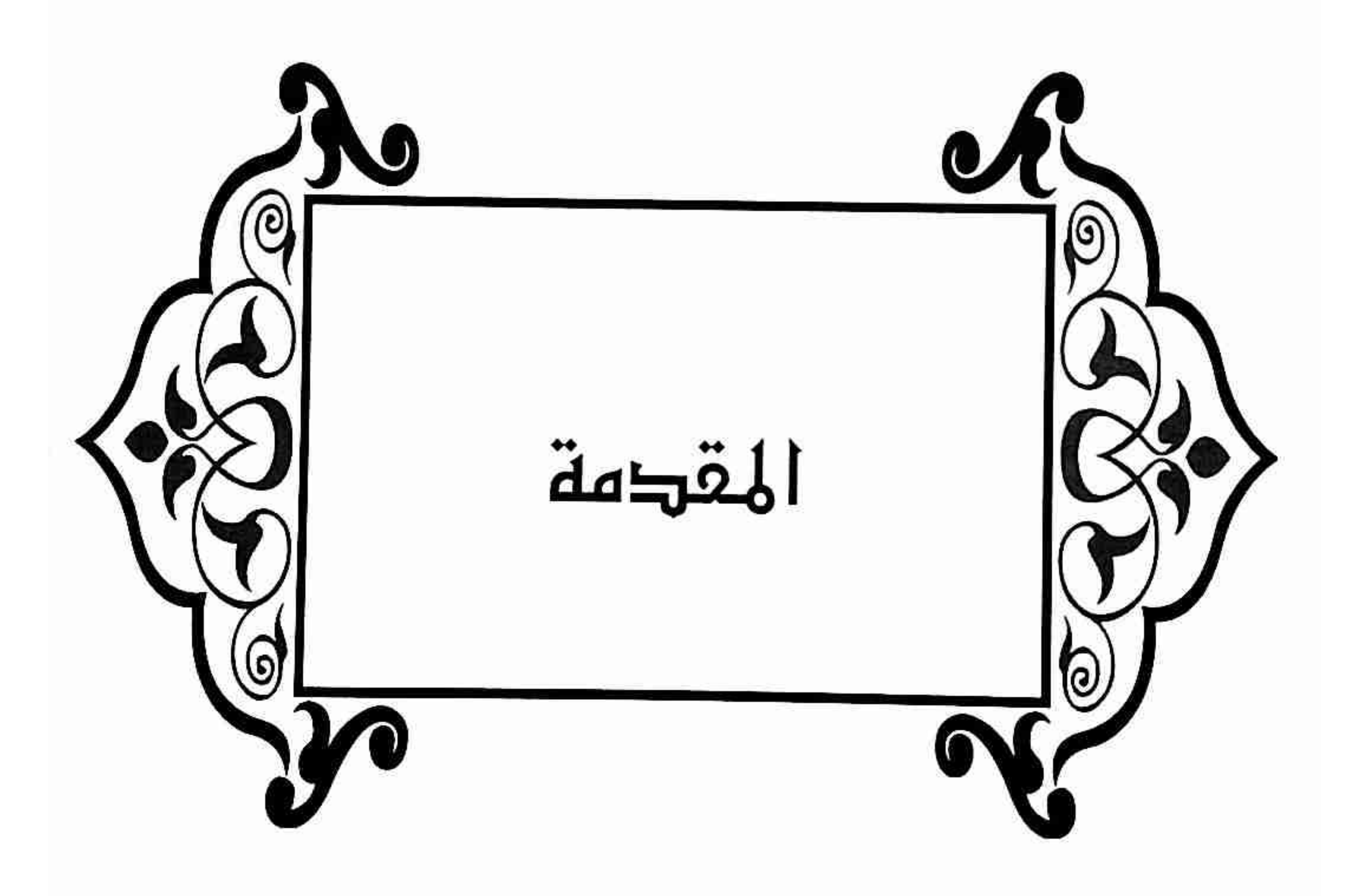
والباحثة قمت بتدريسها في السنة التمهيدية لمرحلة الماجستير، وأشرفت عليها في بحثها هذا، ثم قمت بتدريسها في مرحلة الدكتوراه، وعرفتها جادة في بحثها ودراستها.

وإني أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقها لما فيه خير في دينها ودنياها، كما أسأله تعالى أن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

أ.د. يوسف بن محمد بن عبد العزيز بن سعيد
أستاذ كرسي الأميرة العنود لدراسات العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لقد بعث الله محمدًا ﷺ في أُمة أُمية، عبثت بها أيدي الجهل وتاهت في ضلالات الشرك والوثنية، فسطعت بدعوته شمس التوحيد من أرض مكة لتبدد دياجير الكفر، وتُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. فصنع الله من تلك الشعوب الجاهلية المتناحرة أُمة رائدة ساست الدنيا بالدين، ورفعت راية التوحيد معلنة العبودية الخالصة لرب العالمين. وخَلَفه ﷺ في أمته الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، ومضت القرون تلو القرون، وكلما ضلَّ فئام من الأمة عن الصراط المستقيم واندرس شيء من معالم الدين بعث الله من يجدد لها أمر دينها، فكُتبت سير أئمة الإسلام بماء الذهب على صفحات التاريخ الإسلامي المديد.

وقد كان الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من أواخر أولئك المجددين الذين أحيا الله بهم السنة، وقضى على مظاهر الشرك والبدع الخرافية، فأقام بدعوته حُكمًا سلفيًا على أرض الجزيرة العربية، أصبحت أنموذجا معاصرًا للتوحيد الخالص من الشوائب الشركية، وامتدت آثار الدعوة السلفية إلى كثير من بلاد الإسلام. وبقي الحال كذلك إلى عصرنا الحاضر - ولله الحمد والمنة -، إلا أن الحصون باتت اليوم مهددة، مع ثورة التقنية والاتصالات وانفتاح العالم الإسلامي لوسائل الإعلام الغربية.

كان الغرب قبل مدة من الزمان غارقًا في الشهوات والانحلال الأخلاقي، فكان ذلك من أبرز سماته الظاهرة في وسائله الإعلامية[1] ذات الأثر الكبير على العالم العربي والإسلامي. وحينئذ لم يأل العلماء والمربون جُهدًا في التحذير من أخطار التأثر السلبي بالعالم الغربي وأنماطه المعيشية. إلا أن الغرب قد عايش - في السنوات الأخيرة - نقلة نوعية، تزامنت مع انتشار الفكر الباطني الذي روجت له حركة «العصر الجديد»[2].

إن هذه الحركة - وإن لم يكن لها أثر كبير على الصعيد الرسمي - اجتاحت المؤسسات الشعبية بكل قوة واندفاع، فظهرت آثارها على كل من وسائل الإعلام، ووسائل الترفيه، وكثير من تطبيقات الطب التكميلي أو «البديل». ولعل من أهم سمات هذه الحركة هو ما تدعو إليه من إحياء العقائد الباطنية للديانات البائدة - وخاصة الشرقية منها - وتقديمها في ثوب عصري جديد. وبعد أن كان خطر التأثير الغربي محصورًا - في الجملة - في ما يدعو إليه من الانحراف السلوكي والانحلال الأخلاقي، أصبح اليوم متمثلًا في الفكر الباطني القديم وكثير من الفلسفات الشرقية الملحدة، وأصبح الغزو غزوًا للعقائد والأفكار إلى جانب السلوك والأخلاق، فكان الفرق بين خطر اليوم والأمس كالفرق بين الشرك والمعصية.

---

(١) لا شك أن الوسائل الإعلامية والترفيهية لم تكن مقتصرة على هذا الجانب فحسب، بل كان يعرض من خلالها ما له تعلق بالاعتقاد كالخرافات والسحر والخوارق وغيرها، إلا أنها لم تكن تحمل البعد العميق الذي تحمله اليوم، ولم تكن مبنية على فلسفة موحدة تغزو المرء من جوانب متعددة وفي مراحل مختلفة من حياته، وهو مما يزيد من قوة التأثير كمًا وكيفًا. فالطفل يطالع الرسوم المتحركة المتأثرة بفكر «العصر الجديد»، والمراهق يقضي وقته في الألعاب الإلكترونية، والفتاة مع المجلات، والكبار مع الأفلام والمسلسلات. ولذلك نجد المصطلحات الشرقية كالـ (تشي) والـ (شاكرات) وغيرها معلومة عند كثير من هؤلاء.. ومن لم يتعرض لجميع ذلك أثناء حياته غزته الحركة من خلال دورات تنمية الذات وتطبيقات علاجية متنوعة تصنف ضمن تطبيقات الطب البديل.

(٢) **العصر الجديد هي**: حركة باطنية نشأت في الغرب، كان لها الدور الأبرز في نشر التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية. يأتي مزيد تفصيل لها في صـ٢٨١ من هذا البحث.

إن وسائل الإعلام والترفيه ليست من الوسائل الجديدة للتأثير، ولا يخفى خطرها على عوام الناس فضلًا عن خواصهم، فالجميع متأهب لدفع ما يعرض فيها مما يخالف الأخلاق القويمة والاعتقاد الصحيح، أما الدورات التنموية والطرق العلاجية فهي في معزل عن تلك الحيطة، إلا من عدد قليل من العلماء وطلبة العلم الذين تنبهوا لهذا الخطر الجسيم، وراحوا يحذرون منه بجهود فردية متفرقة. ومن هنا تأتي أهمية تناول هذا الموضوع في دراسة علمية متخصصة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تنبع أهمية اختيار هذا الموضوع من الحاجة إلى تقديم دراسات متخصصة تتجلى من خلالها الحقائق الباطنية المستترة خلف مظاهر التطبيقات الجذابة، وهي ما يحتاجه أهل العلم والاجتهاد لتكوين تصوُّر مؤصل للواقع الذي يعيشه الناس، وما يستجد فيه من أحداث. ينبني على هذا التصور قيامهم بواجبهم الشرعي في صد التيارات المنحرفة والفلسفات الملحدة التي تقدح في الاعتقاد، وذلك بالتحذير منها، وإصدار الفتاوى التي تزيل اللبس عن عوام الناس وتدفع الشر عن عموم البلاد.

ويمكن إيجاز الأسباب الداعية إلى اختيار الموضوع في النقاط الآتية:

١- القيام بواجب الدعوة إلى الله، والإسهام - بحسب الوسع - في حماية جناب التوحيد والتحذير من العقائد الباطلة والطقوس الوثنية في صورها المعاصرة.

٢- محاولة الحد من الانتشار الواسع للفلسفات الشرقية في البلدان الإسلامية، والتي تتخذ صورًا قد لا يتنبه لها عموم المسلمين مع خطرها الشديد على أصول الإيمان.

٣- وجوب الكشف عن الأصول الاعتقادية المنحرفة لبعض التطبيقات الاستشفائية الشرقية.

٤- بيان خطر الخلط بين التأصيل الشرعي المقبول والمنهج الباطني المرفوض.

٥- انخداع بعض طلبة العلم بتطبيقات الفلسفة الشرقية حيث اعتقدوها من العلوم التجريبية النافعة التي لا تتعلق بالدين.

٦- ضرورة إبراز الضوابط الشرعية في التعامل مع مثل هذه المذاهب والفلسفات.

٧- الحاجة إلى البحث في حكم ممارسة التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية من الناحية الشرعية.

٨- عدم وجود دراسة موسعة متخصصة عنيت بتحليل هذه الفلسفات الوافدة ونقدها على ضوء العقيدة الإسلامية.

منهج البحث:

١- اتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي الوصفي الاستقرائي.

٢- اعتمدت المراجع الأصلية والبحوث العلمية المعتمدة لدراسة الفلسفات الشرقية وتطبيقاتها ما أمكن.

٣- عند تكرر المعلومة في مراجع متعددة[1] فإني اكتفيت بذكر بعضها؛ تفاديًا للإطالة والتكرار.

٤- قمت بعزو الآيات القرآنية أو أجزائها إلى سورها مع ذكر رقم الآية، وأثبت ذلك في الحواشي.

---

(١) خاصة عند الحديث عن التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، فالكتب تعرض التطبيق بطريقة متشابهة ومتكررة.

٥- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية:

- فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به.
- وما لم أجده فيهما خرجته من الكتب الستة.
- فإن لم أجده في أي منها خرجته من مصدر أو مصدرين من كتب السنة.
- أذكر - عند الأحاديث التي ليست في الصحيحين - شيئًا من أقوال أهل العلم المتقدمين أو المتأخرين في درجة الحديث.
- اكتفيت بذكر طرف عناوين الأبواب المطولة[1].

٦- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث عند أول موضع يرد ذكرهم فيه، باستثناء الأنبياء والرسل والأعلام الذين تم التعريف بهم في أصل البحث، كما اقتصرت على ما رأيت الحاجة إلى ترجمته من الآلهة الشرقية.

٧- قمت بالتعريف الموجز بالفرق والمذاهب والحركات والأديان غير السماوية الواردة في البحث، واستثنيت منها ما عُرِّف في أصله.

٨- قمت بالتعريف ببعض المصطلحات والألفاظ الغريبة.

٩- أدرجت بعض الرسومات والأشكال التوضيحية عند الحاجة إلى ذلك دون الإحالة إليها في المتن اكتفاء بموضعها والتعليق المكتوب في أسفلها.

١٠- اقتصرت - عند التوثيق - على المعلومات الأساسية للمراجع (الكتاب: الجزء والصفحة - المؤلف)، وأثبت المعلومات التفصيلية عن بيانات النشر في فهرس المراجع والمصادر.

---

(١) مثلا: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

١١- رتبت الفهارس وفقا لحروف المعجم عدا فهرس الآيات فإني رتبته على ترتيب السور، وفهرس الرسومات والأشكال التوضيحية فإني رتبته بحسب ورودها في البحث.

١٢- ألحقت الآلهة الشرقية بفهرس الأعلام، كما ألحقت المعاهد والمعابد بفهرس الأديان.

١٣- منهجي في التعريب والترجمة:

- أثبت المراجع الأجنبية بنفس الطريقة التي استخدمتها في المراجع العربية فأذكر: (الكتاب: الجزء والصفحة - المؤلف).
- ما قمت بترجمته حرفيًا وضعت نصه بين معكوفتين، وما ترجمته بالمعنى أحلت إلى أصله وقلت: «انظر».
- أثبت الألفاظ الصينية بالرسم الصيني التقليدي (Traditional Chinese) واعتمدت صيغة ال پن ين (Pin-Yin) في تحويل الألفاظ الصينية إلى الحروف اللاتينية لتوحيد صيغة التعريب.
- أثبت الألفاظ الهندية/السَنسكريتية بالرسم الـ ديڤاناغاري (Devanagari)، واعتمدت صيغة (IAST)[1] في تحويلها إلى الحروف اللاتينية لتوحيد صيغة التعريب.
- أثبت ما يقابل اللفظ المعرَّب برسم اللغة الأصلية ما أمكن، لئلا يضيع المصطلح عند نقله من لغة إلى لغة.
- عندما أنقل نصًا عن أحد الكتاب ممن عرب اللفظ الأجنبي بغير

---

(1) International Alphabet Sanskrit Transliteration

النظام العالمي لنقل الكلمات السنسكريتية إلى اللغات الأخرى.

الصيغة التي اعتمدتها، أثبتُ التي اعتمدت ووضعت بجانب اللفظ علامة (*)؛ للتنبيه على اختلاف التعريب في النص الأصلي.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، كالتالي:

التمهيد، ويشمل التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، وهي:

أولًا: الفلسفة.

ثانيًا: الاستشفاء.

ثالثًا: الشرق.

الباب الأول: فلسفة الاستشفاء الشرقية أصولها وأبرز عقائدها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بأبرز الديانات والفلسفات التي تفرعت عنها فلسفة الاستشفاء الشرقية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الهندوسية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مؤسس الهندوسية.

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات الهندوسية.

المطلب الثالث: الكتب الهندوسية المقدسة.

المطلب الرابع: العبادات الهندوسية.

المطلب الخامس: المراحل التي مرت بها الهندوسية.

المطلب السادس: الأتباع ومواطن الانتشار.

المبحث الثاني: الطاوية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مؤسس الطاوية.

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات الطاوية.

المطلب الثالث: الديانة الطاوية.

المطلب الرابع: أبرز الكتب المقدسة.

المطلب الخامس: المراحل التي مرت بها الطاوية.

المطلب السادس: الأتباع ومواطن الانتشار.

المبحث الثالث: البوذية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مؤسس البوذية.

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات البوذية.

المطلب الثالث: الكتب البوذية المقدسة.

المطلب الرابع: المراحل التي مرت بها البوذية.

المطلب الخامس: الأتباع ومواطن الانتشار.

الفصل الثاني: العقائد الرئيسة التي تبنى عليها الفلسفة الاستشفائية الشرقية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصل الكون ووجوده، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فلسفة الـ (يِنْ يَانْغ).

المطلب الثاني: فلسفة العناصر الخمسة.

المبحث الثاني: فلسفة الطاقة الكونية وآثارها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الطاقة الكونية.

المطلب الثاني: فلسفة الأجسام السبعة.

المطلب الثالث: فلسفة الـ (شَاكْرَات) وخصائصها.

المبحث الثالث: وحدة الوجود.

الباب الثاني: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: تاريخ ظهور تطبيقات الفلسفة الاستشفائية في العصر الحديث.

الفصل الثاني: أبرز التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الـ (رَيْكِي).

المبحث الثاني: العلاج بالضغط على الطريقة الصينية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوخز بالإبر على الطريقة الصينية.

المطلب الثاني: الـ (شِيَاتْسُو).

المبحث الثالث: نظام الـ (مَاكْرُوبَايوتِك).

المبحث الرابع: الـ (يَوْغَا).

المبحث الخامس: الفنون القتالية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الـ (طَايْجِي شُوَان).

المطلب الثاني: (تشي كُونْغ).

المبحث السادس: الـ (فُونْغ شُوَي).

المبحث السابع: التأمل التجاوزي (الارتقائي).

المبحث الثامن: الـ (أَيُورْفِيدَا).

الفصل الثاني: الأحكام المتعلقة بالفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية الحادثة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الضوابط الشرعية للتعامل مع الفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية الحادثة.

المبحث الثاني: الأحكام المتعلقة بتطبيقات الفلسفة الاستشفائية.

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث.

الفهارس، وتشمل: فهرس الآيات، فهرس الأحاديث، فهرس الأعلام، فهرس الديانات والفرق والمذاهب والحركات، فهرس الألفاظ الغريبة والمصطلحات، فهرس الرسومات والأشكال التوضيحية، فهرس المراجع والمصادر، وفهرس المواضيع.

وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث لكشف الحقائق الخطيرة لتطبيقات الفلسفة الشرقية، ولفت أنظار العلماء وطلبة العلم إلى ضرورة دفع هذا الخطر الداهم والشر القادم. وإن كنت أعلم - يقينًا - أن هذا الجهد لن يوفي الموضوع حقه، ولكن حسبي أن أكون رسمت بعض الخطوط العامة، وخطوت خطوة في طريق البحث المتعمق، فما كان من خير وصواب فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العلي العظيم.

الباحثة،

هيفاء بنت ناصر الرشيد.

شكر وتقدير

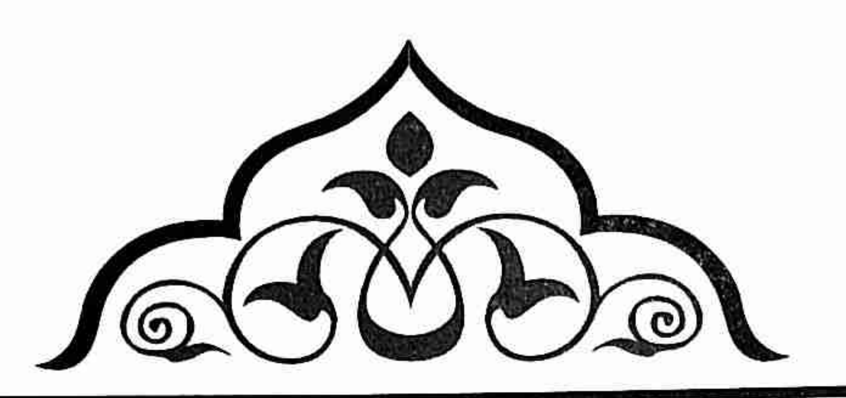
أحمد الله أولًا وآخرًا فهو - سبحانه - للحمد أهل، وأُثني عليه الخير كله فله المنة والفضل، ابتدأني برحمته، وأسبغ علي نعمه، وغمرني جَلَّ إحسانه، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأسأله تبارك وتعالى أن يجزل مثوبة من ربياني صغيرة، ويرفع درجتهما في عليين، ويجزيهما عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة التي أتاحت الفرصة لإتمام دراستي.

وأثني بالشكر لمن أولاني رعايته العلمية، وبذل لي من جهده ووقته، وأتحفني بتوجيهه ونصحه، المشرف الفاضل فضيلة الشيخ: أ.د يوسف بن محمد السعيد، فما رأيت منه إلا حسن الخلق ووافر البذل والعطاء. فله مني جزيل الشكر والثناء، بارك الله له في علمه ووفقه لما يحبه ويرضاه.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر أستاذتي الفاضلة د. فوز بنت عبداللطيف كردي على متابعتها لموضوعي بكل حرص واهتمام منذ أن كان فكرة وإلى أن تم بفضل الله، وأخريات فاضلات يعلمهن الله، لهن مني دعوة في ظهر الغيب، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات..



تمهيد

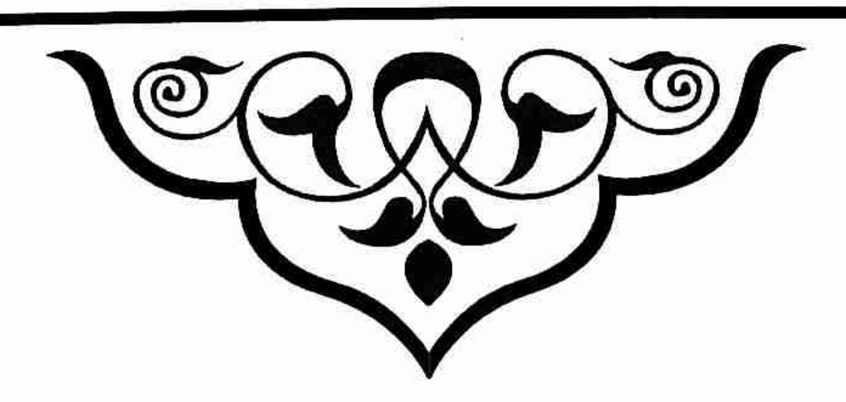
التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث

ويشمل:

أولًا: تعريف الفلسفة .

ثانيًا: تعريف الاستشفاء .

ثالثًا: تعريف الشرق .



أولًا: الفلسفة

الفلسفة في اللغة:

"لفظ فلسفة مشتق من اليونانية. وأصله: (فيلا - صوفيا)، ومعناه: محبة الحكمة"[1] و"الفلسفة: أعجمي، وهو: **الفيلسوف** وقد **تفلسف**"[2]. "والاسم: الفلسفة، مركبة، كالحوقلة."[3]

الفلسفة في الاصطلاح:

من الصعب تحديد معنى اصطلاحي مُوَّحد لكلمة "الفلسفة"، نظرًا لتعدد استخداماتها في المجالات الفكرية والثقافية المختلفة، ولاختلاف مفهومها باختلاف العصور. إلا أنه يمكن إجمال أبرز تلك المعاني والمفاهيم في التعاريف التالية[4]:

١- الدراسة المتأنية التي تهدف إلى تحصيل المعرفة بالأشياء ومسبباتها سواء كانت الدراسة نظرية أو عملية. وهذا المعنى هو أشمل معاني الفلسفة وأعمها.

٢- العلم المخصوص المشهور في العصور الوسطى، ويتكون من ثلاثة فروع:

---

(١) المعجم الفلسفي: ٢/ ١٦٠ - د. جميل صليبا، وانظر: القاموس المحيط: ١٠٦٢ - الفيروز آبادي.

(٢) لسان العرب: ١٠/ ٣١٩ - ابن منظور.

(٣) القاموس المحيط: ١٠٦٢ - الفيروز آبادي.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي: ٢/ (١٦١ - ١٦٢) - د. جميل صليبا، ومحاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: (٧ - ٨) - د. داواد علي الفاضل،

The Oxford English dictionary: 7/(781 - 782).

- **الفلسفة الطبيعية**: تُعنى بدراسة الطبيعة والظواهر الطبيعية، وهو ما يطلق عليه اليوم "العلم"[١].
- **فلسفة الأخلاق**: وهي علم ودراسة مبادئ الفعل أو السلوك الإنساني.
- **فلسفة ما وراء الطبيعة**: وهي علم الإلهيات والمبادئ الأساسية للموجودات[٢]، "ومحاولة الكشف عن ماهية الأشياء وأصولها وعللها وعلاقة بعضها ببعض"[٣].

٣- العلم المستمد من المنطق العقلي في مقابل العلم المستمد من الوحي. فتكون الفلسفة في مقابل الدين.

٤- دراسة المبادئ العامة لفرع معين من العلم. فيقال مثلًا: فلسفة العلوم الرياضية.

٥- تطلق الفلسفة "على مذهب بعينه، كفلسفة ديكارت[٤]، أو جملة المذاهب في بلد أو عصر معين، كالفلسفة الفرنسية المعاصرة"[٥]. ويكثر استخدام هذا المعنى في العصور الحديثة.

وعلى كل حال، فإن الفلسفة المقصودة في هذه الدراسة هي: العلم الذي يهدف إلى تحليل الموجودات والظواهر الطبيعية من حيث ماهيتها وأسبابها

---

(١) إذا أطلق "العلم" في الاصطلاح الغربي المعاصر فإنه يراد به: العلوم الطبيعية. وهذا الاصطلاح رغم رواجه على الألسنة إلا أنه لا يصح. فالعلم إذا أطلق في الاصطلاح الإسلامي دل على العلم الشرعي، وكذلك العالم. وإنما ينتقل المعنى عند التقييد، فيقال علم الفلك أو علم الأحياء.. الخ.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٧/ (٤٤١ - ٤٤٣).

(٣) موسوعة المورد العربية: ٢/ ٨٥٧ - منير بعلبكي.

(٤) ديكارت: اسمه رينيه ديكارت، ولد في لاهاي سنة ١٥٩٦ م. حصل على البكلريوس وإجازة الحقوق دفعة واحدة عام ١٦١٦ م. عكف بعدها على التأليف، فكتب (مبادئ الفلسفة) في عام ١٦٤١. ثم كتب بعض الرسائل إلى الأميرة إليزابث متضمنة نظريته في الأخلاق. توفي في ١١ شباط ١٦٤٨ م بعد مرض دام تسعة أيام.

(٥) المعجم الفلسفي: ١٣٨ - مجمع اللغة العربية.

وعلاقاتها ببعض، وتقديم الرؤى العقلية للإلهيات وقضايا النشأة الكونية دون الاعتماد على الوحي.

الفلسفة والدين:

يحصل - في بعض الأحيان - خلط بين مفهومي الدين والفلسفة، نظرًا للاشتراك بينهما في الموضوع والمادة، حيث يُعنى كل منهما بالإلهيات وماهية الوجود ونشأته. إلا أن بينهما فروقًا جوهرية، تجعل بينهما حدًا فاصلًا وتميز كل منهما عن الآخر. أبدأها بالإشارة إلى مفهوم الدين:

الدين في اللغة: هو" الطاعة، يقال دان له يدين دينًا: إذا أصحب وانقاد وطاع"[1].

والدين في الاصطلاح العام هو: "الاعتقاد بوجود ذات - أو ذوات - غيبية، علوية، لها... اختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقادٌ من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد. وبعبارةٍ موجزة، هو: الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة"[2]. وهذا على اعتبار أن الدين بمعنى التدين. أما الدين من حيث هو حقيقة خارجة، فيمكن تعريفه بأنه: "جملة من النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها"[3].

فلكي تصح التسمية بـ "دين" لا بد من توفر عنصرين اثنين، هما: الاعتقاد والعمل.

---

(١) مقاييس اللغة: ٢/ ٣١٩ - ابن فارس، وانظر: مختار الصحاح: ٩١ - الرازي، والقاموس المحيط: ١٥٤٦ - الفيروز آبادي.

(٢) الدين: ٥٢ - د. محمد دراز، وانظر :

Dictionary of Philosophy and Psychology: 452 - editor: James Mark

(٣) الدين: ٥٢ - د. محمد دراز.

- ويكون الاعتقاد بأمور غيبية وقوى خارقة لها تأثير في مجريات حياة الإنسان.
- أما العمل، فيكمن في أداء العبادات والشعائر والطقوس المبنية على الاعتقاد، والتي تهدف إلى إرضاء تلك الآلهة، والأمن من عقابها.

ومن ثم يمكن تلخيص الفروقات الأساسية بين الفلسفة والدين فيما يلي:

١- الفلسفة لا تبدأ بمسلمات، مهما كان مصدرها، فهي تعتمد على التفكير المنطقي والتحليلي اعتمادًا كليًا. بينما الدين ينبني على المسلمات، كوجود الإله وصدق الرسل. وبخلاف الدين، فإن الفلسفة لا تجعل الإيمان مستَنَدا لما يوصف بأنه حق[1].

الديانة مبنية على الطاعة والتقوى، وهي بطبيعتها ملزمة. أما الفلسفة فلا تخضع لقانون محدد.

٢- الدين هو بحث عن الحقيقة، أما الفلسفة فهي محاولة لفهم الواقع. ولذا فالدين يهتم بالكليات بينما الفلسفة تغرق في التفاصيل.

٣- للدين طقوس وشعائر ومراسم تمُارس من أجل إرضاء الإله - أو الآلهة - والأمن من عقابه. أما الفلسفة، فهي تأملات فكرية تشمل على بعض التطبيقات السلوكية غير التعبدية، وهي في جملتها نظرية وليست عملية.

٤- الدين يستهدف الميدان الاجتماعي بكافة شرائحه، أما الفلسفة فهي لا تسعى لهذا النوع من التوسع، ولا يهمها أن تكون في متناول الجمهور.

٥- الدين يعطي إجابات قاطعة عن الأسئلة الغيبية، بينما تنبني الفلسفة على الظن. وعليه، فإن الاعتقاد يصعب تغيره بينما الأمر أيسر في الفلسفة[2].

---

(١) انظر: الموسوعة العربية الميسرة: ١٣١٠.

(٢) انظر: الدين: (٥٩ - ٧٣) - د. محمد دراز.

ثانيًا: الاستشفاء

الاستشفاء في اللغة:

أصلها: من شفى، و"الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء؛ يقال **أشفى** على الشيء إذا أشرف عليه. وسمي **الشفاء** شفاء لغلبته للمرض وإشفائه عليه. ويقال **استشفى** فلان، إذا طلب الشِّفاء"[١].

"**وشفاه** الله من مرضه يشفيه. **وأشفى** على الشيء: أشرف عليه. وأشفى المريض على الموت. **واستشفى**: طلب الشفاء"[٢].

و"**الشفاء**: دواء معروف، وهو يبرئ من السقم. والجمع **أشفيه**، **وأشاف** جمع الجمع[٣]. والفعل **شفاه** الله من مرضه شفاءً، ممدود. **واستشفى** فلان: طلب الشفاء. **وأشفيت** فلانًا إذا وهبت له **شفاء** من الدواء... **واستشفى**: نال الشِّفاء... ولما أمر النبي ﷺ **حسان**[٤] ﷺ بهجاء كفار قريش ففعل، قال: [**شفى واشتفى**][٥]، أراد أنه شفى المؤمنين واشتفى بنفسه، أي: اختص بالشفاء. وهو من الشفاء: البرء من المرض، يقال **شفاه** الله يشفيه، **واشتفى**: افتعل منه. فنقله من شفاء الأجسام

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ١٩٩ - ابن فارس.

(٢) مختار الصحاح: ١٤٤ - الرازي.

(٣) انظر: القاموس المحيط: ١٦٨٨ - الفيروز آبادي.

(٤) **حسان**: هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري، صحابي جليل وشاعر رسول الله ﷺ. وكان يوضع له منبر في المسجد يقوم عليه فيهجو الذين كانوا يهجون النبي ﷺ، وهو القائل:
فإنَّ أَبِي وَوَالِدَه وعِرضِي لِعِرضِ مُحَمَّد مِنكُم وِقَاءُ
روى عنه سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وآخرون. توفي قبل الأربعين في خلافة علي ﷺ وقد جاوز المائة عام رضي الله عنه وأرضاه. انظر:
الإصابة: ٢/ ٨ برقم: ١٦٩٩ - ابن حجر، وأسد الغابة: ٢/ ٧ برقم: ١١٥٣ - ابن الأثير.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ٤/ ١٩٣٦ برقم: ٢٤٩٠، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضائل حسان بن ثابت ﷺ ولفظه: [**هجاهم حسان فشفى واشتفى**].

إلى شفاء القلوب والنفوس. **واشتفيت** بكذا، **وتشفيت** من غيضي"[1].

وبناء على ما سبق، **فالشفاء**: هو البرء من المرض، ويكون للبدن أو للقلب والنفس. **والاستشفاء**: هو طلب الشفاء.

وقد دل على أن الشفاء يكون للأبدان:

- قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2]

أي: "إذا سقم جسمي واعتل فهو يبرئه ويعافيه"[3].

- وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾[4].

ففي العسل شفاء للأبدان من الأمراض والأسقام، وهذا ظاهر الدلالة على القول بأن الضمير عائد عليه، وإن قيل: أن الضمير عائد على القرآن، فلا شك أن القرآن شفاء للأبدان والأرواح معًا[5].

كما دل على أن الشفاء يكون للأنفس والقلوب:

- قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[6].

"يقول: ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم وإذلالكم وقهركم إياهم، وذلك الداء هو ما كان في

---

(١) لسان العرب: ٧/ (١٥٧ - ١٥٨) - ابن منظور.

(٢) الشعراء: ٨٠.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ٩/ ٤٥٢ - ابن جرير الطبري، وانظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣١٧ - ابن كثير.

(٤) النحل: ٦٩.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٧/ ٦١٤ - ابن جرير الطبري.

(٦) التوبة: ١٤.

قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه"[١]، فعبر عن إذهاب الغل والحزن من قلوب المؤمنين بالشفاء، وهو - بلا شك - ليس مرضًا عضويًا يستدعي المعالجة بالدواء.

- وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٢].

قال **ابن حرير الطبري**[٣] رحمه الله: "ودواء لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهل الجهال، فيبرئ به داءهم"[٤].

وقيل: شفاء الصدور من الشبه والشكوك والنفاق والخلاف والشقاق وإزالة ما فيها من رجس ودنس[٥]. فالجهل والشك والشقاق هي أدواء نفسية تنجلي وتزول بالقرآن الكريم.

- وأما قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[٧] فتصِّح للمعنيين.

والمقصود: هو أن الاستشفاء الوارد في عنوان البحث ليس مقصورًا على وسائل الشفاء الجسدي، بل تدخل فيه تبعًا التطبيقات التي تهدف إلى شفاء النفس والروح بالتخلص من الخوف والحزن والقلق وتحقيق السعادة والطمأنينة.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠/ ٩٠ - ابن جرير الطبري.

(٢) يونس: ٥٧.

(٣) **ابن جرير الطبري**: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام المجتهد. ولد عام ٢٢٤ هـ. حرص على العلم وارتحل في طلبه حتى صار من أفراد الدهر علمًا. له تصانيف كثيرة، منها: جامع البيان في تأويل القرآن، والتبصير في معالم الدين، والآداب النفيسة والأخلاق الحميدة. توفي ابن جرير رحمه الله في عام ٣١٠ هـ ودفن في ببغداد بعد أن صلى عليه خلق كثير.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ٦/ ٥٦٨ - ابن جرير الطبري.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٨٢ - ابن كثير، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٢٢٦ - محمد بن أحمد القرطبي.

(٦) الإسراء: ٨٢.

(٧) فصلت: ٤٤.

ثالثًا: الشرق

الشرق في اللغة:

"الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءةٍ وفتحٍ. من ذلك: **شرقت** الشمس، إذا طلعت. **وأشرقت**، إذا أضاءت. **والشروق**: طلوعها... **والشَرق**: المشرق"[١].

و"**الشَّرْق**: الشمس، ويحرَّك، وإسفارها، وحيث تشرق الشمس."[٢]

وقد ورد ذكر مشتقات الشرق في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[٣].
- وقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾[٤].
- وقوله: ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾[٥].
- وقوله: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴾[٦].
- وفي المواضع التي ذكر فيها ﴿ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﴾[٧] و﴿ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾[٨] و﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾[٩].

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٤ - ابن فارس.

(٢) القاموس المحيط: ١١٥٨ - الفيروز آبادي، وانظر: لسان العرب: ٧/ ٩٥ - ابن منظور.

(٣) الزمر: ٦٩.

(٤) مريم: ١٦.

(٥) النور: ٣٥.

(٦) الشعراء: ٦٠.

(٧) البقرة: ١١٥، ١٤٢، ١٧٧، والشعراء: ٢٨، والمزمل: ٩.

(٨) الزخرف: ٣٨، والرحمن: ١٧.

(٩) الصافات: ٥، والمعارج: ٤٠.

الشرق في الاصطلاح:

إن الشرق والغرب مصطلحان نسبيان مبنيان على أسس جغرافية أو حضارية، وكلاهما لا ينضبط. فمصطلح الشرق من الوجهة الجغرافية، مصطلح مبهم ومضطرب. ونظرًا لكروية الأرض، لا يمكن تحديده بمكان معين، أو حتى جهة معينة، ففي كل بلد شرق. وما يعد شرقًا في بلد فإنه يعد غربًا في بلد آخر، وهكذا.

وهو كذلك من الوجهة الحضارية، متغير بتغير الأزمنة والأمم: فاليوناني، قبل **الإسكندر**[١]، كان يُطلق على بلاد فارس اسم الشرق. وبعد الغزو المقدوني[٢] اتسعت تلك الرقعة حتى طالت بلاد الصين. وفي التاريخ الوسيطي الأوروبي، كان ذلك المفهوم يشمل الديار الإسلامية[٣].

أما في عصرنا الحاضر، فإن التقسيم إلى شرق وغرب مبني على أساس حضاري سياسي. فالدول التي تتبنى الديمقراطية اللبرالية[٤] الغربية، وفي الوقت نفسه، تحمل الطابع الثقافي الأمريكي والغرب أوروبي تعد دولًا غربية، وإن وجدت في أقصى الشرق. أستراليا هي أحد النماذج. أما الدول التي يختل فيها أحد الشرطين السابقين، فإنها تصنف في الدول الشرقية، بغض النظر عن موقعها

(١) **الإسكندر**: هو ابن الملك فيليب الثاني ملك مقدونيا، كان من أعظم القادة العسكريين في تاريخ العالم حيث امتد نفوذه إلى فارس والهند بالإضافة إلى مناطق من مصر والشام. كان من تلاميذ أرسطو. توفي سنة ٣٢٣ ق.م وعمره ٣٣ عامًا تقريبًا بعد أن ثمل من الخمر، وقيل بل قتل مسمومًا. انظر:
Alexander the Great - Richard Stoneman.

(٢) المقدوني: نسبة إلى مقدونيا في شمال اليونان

(٣) الفلسفة في الهند (قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصين): ١٥ - د. علي زيعور.

(٤) **الديمقراطية اللبرالية**: هي نوع من الديمقراطية التمثيلية التي ينتخب فيها الشعب من يمثله في الحكومة، إلا أن سلطة الممثل تكون محدودة بالقانون، مع إمكانية محاكمته وخلعه. انظر:
What Is Democracy ?: (28 - 29) - Alain Touraine.

الجغرافي. ولذلك، فإن مصطلحي الشرق والغرب ليس لهما تعريفًا دوليًا محددًا، وغالبًا لا يُستخدمان في التشريعات أو المعاهدات الدولية، بل يقتصر استخدامهما على الجوانب الثقافية.

الفلسفة الشرقية:

للفلسفة "عصور مصطلح عليها: الفلسفة الشرقية القديمة، ثم الفلسفة اليونانية التي تهتم بالأخلاق الإنسانية، فالفلسفة الوسيطة التي تؤيد الدين بالعقل، فالفلسفة الحديثة التي تساير العلوم وتحللها"[1].

ومصطلح الفلسفة الشرقية مأخوذ من التراث الفلسفي الغربي، حيث تقصد به سائر الفلسفات التي لا تنتمي إلى هذا التراث. وهي بهذا المفهوم العام تضم الفلسفات الهندية والصينية واليابانية بالإضافة إلى الفارسية والعربية وفلسفة مصر القديمة[2].

إلا أن ثمة إطلاق أخص من هذا المصطلح العام، وهو الذي يختص بالفلسفة الشرقية بفرعيها الرئيسيين: الصيني والهندي[3]. ويقصد بها الفلسفات النابعة من بلاد الهند والصين[4] من حيث المبدأ، وإلا فإنها قد انتشرت في غيرها من البلدان المجاورة، وفي عصورنا المتأخرة، في بلدان تبعد عنها بعدًا كبيرًا.

وهذا المعنى الأخير هو المقصود في هذه الدراسة، حيث اقتصرت على التطبيقات ذات الأصول الهندية أو الصينية. وإن كنت أشرت إلى غيرها إشارة عابرة.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة: ١٣١٠ - بإشراف محمد شفيق غربال.

(٢) انظر: الفلسفة في الهند: ١٦ - د. علي زيعور.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٧/ ٤٤٤، و
The Encyclopedia of Religion: 2/294.

(٤) ويقصد بها بشكل أساسي: الهندوسية والبوذية في الهند، والطاوية والكنفشيوسية في الصين.



الباب الأول

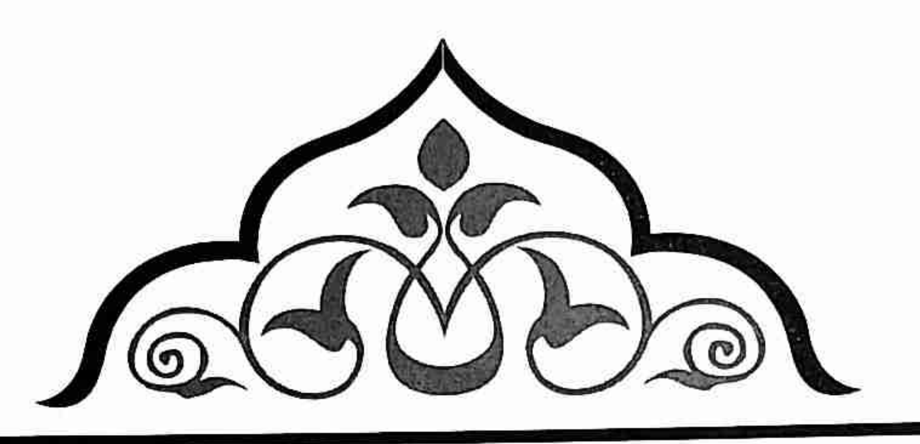
فلسفة الاستشفاء الشرقية

أصولها وأبرز عقائدها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بأبرز الديانات والفلسفات التي تفرعت عنها فلسفة الاستشفاء الشرقية.

الفصل الثاني: العقائد الرئيسة التي تُبنى عليها فلسفة الاستشفاء الشرقية.



الفصل الأول

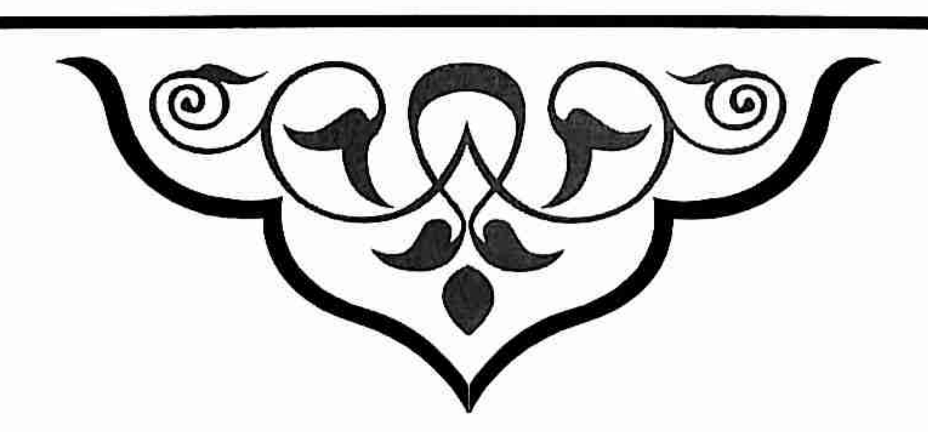
التعريف بأبرز الديانات والفلسفات التي تفرعت عنها فلسفة الاستشفاء الشرقية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الهندوسية.

المبحث الثاني: الطاوية.

المبحث الثالث: البوذية.



المبحث الأول

الهندوسية

الهندوسية هي ديانة الغالبية العظمى من سكان بلاد الهند، وتعد من أقدم الديانات الموجودة اليوم[1]. يُطلق عليها الهندوسية أو الهندوكية، وكذلك البراهمانية؛ نظرًا لبعض الاعتبارات الزمنية والمراحل التطورية[2]. بينما يطلق عليها أتباعها «سَانَاتَانَا دهارْمَا» (Sanatana Dharma - सनातन् धर्म) بمعنى: الطريق الأبدي.

تشتق «الهندوسية» من كلمة: «هندو»، التي تعني - ببساطة: هندي أو من الهند. وقد استمدت كلمة «الهند» من كلمة (السند) أو (sindhu) السَنْسْكريتية، لغة الغزاة الآريين[3]، والتي تعني: النهر، حيث أطلقها الغزاة على أرضهم الجديدة إشارة إلى نهرها. ومن ثم تحولت عبر الأزمنة من (السند) إلى (الهند)؛ نظرًا

---

(١) يخطئ بعض الباحثين بإطلاق القول بأن الهندوسية هي أقدم الديانات الموجودة اليوم، نظرًا لامتداد جذورها آلاف السنين. بينما الصواب - الذي لا ريب فيه - أن أول دين ظهر في البشرية هو الإسلام (أقصد بمفهومه العام)، فالتوحيد الخالص موجود مذ أُنزل آدم عليه السلام إلى الأرض، وهو مستمر إلى يومنا الحاضر. أما إن كان المقصود بالعبارة الدين المنظم الذي يشمل العقائد والشرائع الثابتة فإنه مع احتمالية صحة العبارة، إلا أنها تبقى موهمة ينبغي للباحث المسلم تلافيها.

(٢) وإن كانت البراهمانية هي مرحلة متقدمة من الهندوسية، ظهرت بين الفترة الفيدية وظهور الفرق إلا أنها تحمل الطابع الهندوسي العام. انظر:

Religions of Ancient India: 48 - Luis Renou

(٣) **القبائل الآرية**: هم شعب ذوو جلود بيضاء، وشعور سود يتكلمون اللغة السنسكريتية. وكلمة آري بالسنسكريتية تعني "النبيل". يرى بعض الباحثين أنهم من أصول أوروبية هاجروا إلى آسيا، ويرى آخرون أنهم آسيويون في الأصل جاؤوا من تركستان وهاجر بعضهم إلى أوروبا، وقيل إنهم سكان إيران الأصليين. وعلى أية حال فهم شعب غريب عن أرض الهند قام بغزوها واستيطانها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريبًا.

انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية والإسلام: (٥٢١ - ٥٢٣) - د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

للمنطق الفارسي القديم الذي يستبدل السين بالهاء[١]. ولذا فالهندوسية مصطلح متأخر نسبيًا كثر استخدامه من قِبَل الدارسين الغربيين للتعبير عن الديانة الهندية[٢]، وهو مع ذلك مصطلح فضفاض يضم أكثر من مذهب فلسفي ومدرسة فكرية، كما تندرج تحته العديد من الممارسات الدينية والطقوس التعبدية المتباينة.

تستمد الهندوسية جذورها من الديانة الڤيدية القديمة، بل يعدها بعض الباحثين امتدادًا لها. ومع ذلك، فلا يمكن إغفال الآثار التي تركتها الحضارة المحلية على كل من الڤيدية القديمة وعلى الهندوسية من بعدها، حيث اختلط التراث الثقافي الذي حمله الآريون معهم بتقاليد الشعوب التي التقوا بها وعاداتهم فنتج عن ذلك التفاعل حضارة جديدة وديانة مشتركة، وبدأت الهندوسية - كما نعرفها اليوم - بالتشكل[٣].

ومن أجل التوصل لرؤية واضحة عن الهندوسية لا بد من الرجوع إلى الأصول الدينية والثقافية التي أسهمت في تكوين السمات العامة لها. ونحن إذ نُرجع أصول الديانة الهندوسية إلى الثقافة المحلية والديانة الڤيدية، فإن ذلك لا يعني أنهما العاملان الوحيدان في تشكيلها، كما لا يدل على اكتمال الجوانب الاعتقادية والتعبدية الهندوسية في ذلك الزمن المبكر. بل إن الهندوسية، كغيرها من الديانات الوضعية، مرت بتغيرات وتحولات فكرية هامة ساهم في تكوينها عدد كبير من المفكرين الهندوس، بالإضافة إلى الآثار الفكرية التي خلفها الغزو الخارجي المتتالي على بلاد الهند على مدى ٤٠٠٠ سنة.

---

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: معتقدات فلسفات ونصوص: ٩ - ريما صعب، جورج حلو، روبير كفوري - حلقة الدراسات الهندية، وHinduism: 1 - R. C. Zaehner

(٢) انظر: Hinduism: 14 - Cybelle Shattuck

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: ٢٠٩ - د. جمال المرزوقي، والفلسفة في الهند: ١٠٣ - د. علي زيعور، وA Brief Introduction to Hinduism: (37 - 38) - A. L. Herman

• الديانة الهندية المحلية (حضارة وادي السند):

كانت الهند قبل الغزو الآري عبارة عن قبائل متفرقة تخضع لقوانين وعقائد متعددة، وقد كَوَّنت تلك القبائل حضارةً يعتقد الدارسون أنها كانت بالغة التطور والرقي. تُعرف تلك الحضارة القديمة التي امتدت من عام ٢٥٠٠ إلى ١٨٠٠ ق.م تقريبًا بحضارة وادي السند(١). وبالرغم من عدم وجود وصف واضح ودقيق للحالة الدينية لأبناء تلك الحضارة إلا أن بعض الدراسات تشير إلى أن أهلها كانوا يعبدون آلهة إناثًا. وقد كشفت البحوث الاستكشافية عن تماثيل ترجع إلى تلك العصور لآلهة شبيهة ببعض آلهة الهندوس، وأختام رُسم عليها أشخاص بأوضاع الـ (يوغا)(٢)، مما يشير إلى تأثر العقائد والعبادات الهندوسية بالديانات الشعبية القديمة.

وعلى الرغم من أن حضارة وادي السند كانت - فيما يبدو - تغطي غالبية الأراضي الهندية، إلا أن أبناءها نزحوا إلى المناطق الجنوبية، واستوطنوها بعد أن تحقق نفوذ الغزو الآري(٣).

• الديانة الڤيدية

الڤيدية هي الديانة التي جاء بها الآريون النازحون إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وهي ديانة متعددة الآلهة، استمدت تسميتها من نصوص الڤيدات المقدسة (Vedas - वेद)(٤). تتصف الڤيدية بالطابع الكهنوتي الذي يرتكز

---

(١) قع وادي السند اليوم شرقي باكستان.

(٢) يأتي التفصيل فيها بإذن الله في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث.

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية: ٩١ - محمد غلاب، والحكمة الهندوسية: (١٦- ١٨، ٢٠- ٢١) - حلقة الدراسات الهندية، والفلسفة في الهند: ١٠٢ - د. علي زيعور، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: (١٢٨ - ١٢٩) - د. أحمد علي عجيبة، والفكر الشرقي القديم: (٤٥ - ٤٦) - جون كولر، وانظر: Hinduism: 20 - Cybelle Shattuck

(٤) سيأتي التفصيل فيها عند الحديث عن النصوص الهندوسية المقدسة في صـ: ٧٢ من هذا البحث.

على إرضاء الآلهة عن طريق تقديم القرابين والطقوس المتعلقة بها، حيث كانت هي مقياس الصلاح.

ومع هذا الاهتمام الكبير بالجوانب الطقوسية في تقديم القرابين لم تكن لدى الڤيدية رؤية واضحة للمستقبل الغيبي أو قضايا ما وراء الطبيعة، كما لم تظهر فيها مبادئ التناسخ والتجسيد التي طغت على الهندوسية فيما بعد، وإن كانت الڤيدية قدمت للهندوسية كثيرًا من معالمها في صورتها البدائية[1].

ومن الممكن أن يقال بأن الڤيدية هي أبرز العوامل المؤثرة في تشكيل الهندوسية - إن لم يصح القول بأنها امتدادًا لها - بدليل اعتماد الهندوس في تقرير معتقداتهم على أقدس الكتب الڤيدية: الڤيدات.

الآلهة:

لقد كانت الڤيدية أنموذجًا واضحًا للديانة الوثنية متعددة الآلهة، حيث كان أتباعها يعبدون إلهًا لكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية. وقد احتفظت بعض هذه الآلهة بقدسيتها في دين الهندوس رغم التفاوت الملحوظ في مراتب المعبودات المشتركة بين الديانتين أحيانًا. ويمكن استعراض أبرز المؤلهات الڤيدية وبعض خواصها فيما يلي[2]:

- **إندرا (Indra - इन्द्र)**: يُعتقد أنه كبير الآلهة، وإله السماء والظواهر المناخية. يُجري السحاب ويُنزل المطر، كما يحارب الشياطين الذين يمنعون نزوله.

---

(١) انظر: Hinduism: (21 - 24) - Luis Renou

(٢) انظر: الفلسفة في الهند: (١٠٧ - ١١٠) - د. علي زيعور، والفلسفة الشرقية: ٩٤ - محمد غلاب، والفكر الشرقي، مقدمة في فكر آسيا الفلسفي والديني: (٢٨ - ٢٩) - د. يونج شوون كيم، والفكر الشرقي القديم: (٤٧ - ٤٨) - جون كولر.

- **آغني** (Agni - अग्नि): وهو إله النار وأفضل الآلهة عندهم، كما أنه الواسطة بين الآلهة والبشر، حيث لا يمكن أن تصل القرابين إلى الآلهة إلا بعد إحراقها وتصاعد أدخنتها نحو السماء.
- **ڤارونا** (Varuna - वरुण): حافظ النظام الكوني والأخلاقي والناموس الطبيعي المسمى (رِتا) (Rta - ऋत)، وهو إله العلم والسحر، وهو المتحكم بالكون المسير له، وواهب المبادئ الأخلاقية.
- **سوما** (Soma - सोम): هو الشراب المقدس(١) الذي يشربه الكهنة عند تقديم القرابين، ويعتقدون أن شربه هو سبب خلود الآلهة. وهذا الشراب المقدس يعد إلهًا في نفسه.
- **رودرا** (Rudra - रुद्र): هو أجمل الآلهة، يُعتقد أنه يحرس القطعان، ويعلم أدوية جميع الأسقام

كانت الآلهة المذكورة آنفًا - وغيرها كثير - تُشكِّل منظومة المعبودات الڤيدية التي يُدْعَى كل منها مفردًا عند الحاجةِ إليه، ومن ثم تتضاءل مكانة الآلهة الأخرى في خضم تعظيم الإله المقصود فيوصف برب الأرباب وسيد الآلهة.

وعلى أية حال، فإن السمة التعددية الشركية والوثنية واضحة في الهيكلية التعبدية الڤيدية.

انتهت المرحلة الڤيدية بانصراف الكهنة عن الطقوس البدائية إلى المعرفة والتأملات الفلسفية، وتحول فناء الآلهة في الإله المقصود من أحوال مؤقتة إلى وضع

(١) سوما: هو شراب مؤله يصنع من عصارة نباتية، ثم يصفى بواسطة منخل من صوف النعاج، ثم يترك ليخمر في دن. بعد ذلك يصفى، ثم يمزج بالماء أو الحليب. (الفلسفة في الهند: ١١١ - د. علي زيعور - حاشية المؤلف).

دائم فظهرت بدايات معالم وحدة الوجود تتشكل من خلال التعاليم الأوپانيشادية[١]، وبدأت التعددية البدائية تتلاشى تدريجيًا لتحل محلها الواحدية المحضة[٢].

بدء الخلق في الڤيدية:

تحتل قضية النشأة الكونية مكانًا هامًا في الاعتقادات الدينية، حيث تشكل الركيزة الأولى التي تُبنى عليها كثير من قضايا الاعتقاد. ولذا، كانت النظرة الڤيدية لبدء الخلق طريقًا ممهدًا للقول بوحدة الوجود؛ حيث لا فرق بين الخالق والمخلوق؛ إذ إن الخلق منه تكون. وتتلخص الأسطورة الڤيدية في أن الإله **پراجاپاتي**[٣] (Prajapati - प्रजापति) اشتاق إلى التكثر بعد أن كان واحدًا في بداية الأمر، فقطعته بقية الآلهة إلى قطع ووزعوا أجزاءه، ومن هذه الأجزاء تكونت جميع المخلوقات.

وعلى هذا، فالعالم - باعتقادهم - لم يُنشأ من العدم بل هو من أبعاض وأجزاء الإله[٤].

المطلب الأول: مؤسس الهندوسية

لا يمكن للباحث أن يحدد زمنًا دقيقًا لنشأة الهندوسية، فضلًا عن محاولة إرجاعها إلى فرد أو أفراد أحدثوها أو قاموا بكتابة نصوصها المقدسة. فالهندوسية هي مزيج من الثقافات والعقائد المتعددة التي تطورت مع مرور الزمان[٥].

---

(١) المراد التعاليم الواردة في نصوص الأوپانيشاد، سيأتي ذكرها بإذن الله عند الحديث عن الكتب الهندوسية في صـ: ٧٥ من هذا البحث.

(٢) انظر: الأديان الحية: ٣٢ - أديب صعب، وHinuism: 24 - Luis Renou
الواحدية: والمراد بها هنا - وفي سائر هذا البحث - وحدة الوجود.

(٣) وهو مرادف لبراهما في الهندوسية (وليس براهمان، انظر الفرق بينهما صـ ٥٤ من هذا البحث).

(٤) انظر: الفلسفة الشرقية: (٩٤ - ٩٦) - محمد غلاب، والدين في الهند والصين وإيران: ٢٧ - أبكار السقاف.

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى: (٤٣ - ٤٤) - د. أحمد شلبي، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (٥٢٨ - ٥٢٩) - د. محمد ضياء الدين الأعظمي.

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات الهندوسية

تفتقر الديانة الهندوسية إلى المرجعية الموحدة وإلى ما يمكن تسميته بالعقيدة المركزية، رغم اتفاق كافة الاتجاهات على قدسية الڤيدات. ولكن هذا الاتفاق على القدسية لا يعنى الاتفاق في التأويل، ولا على ما يصح اعتماده من النصوص الأخرى. ولهذه الأسباب مجتمعة، ولتعدد مؤلفي النصوص المقدسة، وجد في داخل إطار الديانة الواحدة نظرات متباينة - وأحيانًا متناقضة - لقضايا اعتقادية هامة، مما يجعله من الصعوبة بمكان تحديد مفهوم موحد للعقائد الهندوسية دون التطرق للمدارس المتعددة والفلسفات المتشعبة. ولذا، فلن أتطرق في هذا العرض إلا للقضايا الأساسية والعقائد التي تحظى باتفاق التوجهات الهندوسية بشكل عام، وبإيجاز يتناسب مع المقام. ومن هذه العقائد البارزة:

أولًا: مبدأ الـ براهمان (Brahman - ब्रह्मन) والألوهية

يلحظ الباحث تكرار ذكر الـ (براهمان) كمبدأ أساسي في التفسيرات الهندوسية للوجود، مما يتطلب تقديم تفسير لهذا المفهوم يوضحه ويجلي جوانبه. ولكن - في الواقع - يصعب إيجاد تعريف محدد لـ (براهمان)؛ نظرًا لما فيه من الإبهام والغموض، بل إن كثيرًا من «حكماء» الهندوس لا يعطونه أي نوع من التعريف وإنما يحيلون تلاميذهم إلى بعض الممارسات العملية؛ ليتعرفوا عليه من خلالها ويتوصلوا إليه بالتجربة. ولما أدركوا استحالة وصف الـ (براهمان) حاولوا تحديده بالسلب، فقالوا: لا سبيل إلى رؤيته أو سماعه أو إدراكه بأي من الحواس فهو خال من الصفات. ولذا، فطبيعة الـ (براهمان) تظل مبهمة وغامضة[1].

بدأت فكرة الـ (براهمان) بالتشكل في نهاية المرحلة الڤيدية، حيث طرح «الحكماء» فكرة المطلق الفرد الذي يرتكز عليه الوجود كله. وقد تعددت الأفكار

---

(١) انظر الفكر الشرقي القديم: ٥٥ - جون كولر.

حول ماهية هذا المطلق، فمن قائل بأنه النَّفَس إلى قائل بأنه الإله الخالق **پراجاپاتي**. ولكن مع مرور الزمن، حل الـ (براهمان) محل هذه الأفكار جميعًا، وبدأ تعريفه بأنه المبدأ الكوني المطلق الذي يظهر لنا بشكل الكون الذي نراه من حولنا[١].

يوصف الـ (براهمان) في الـ أوپانيشادات بأنه المطلق الأعلى المرادف للجوهر المطلق: الـ (أتمان) (Atman - योगवशिष्ट)[٢]، وهذا الجوهر موجود في كل الكائنات. وقد نجم عن هذه الفكرة أن لا يكون في الوجود حقيقة أخرى غير هذا المطلق، وأن مظاهر الطبيعة ليست إلا زيفًا حائلًا. والفرد مكون من كائنين أحدهما حقيقي والآخر زائف[٣].

ولعل أبسط تعريف يمكن إعطاؤه للـ (براهمان) هو أنه الوجود المطلق الذي يتجلى من خلال تجسيداته.

---

(١) انظر: Hinduism: 27 - Cybelle Shattuck

لا بد من التنبيه هنا إلى أن لفظة (براهمان) قد تُحدث شيئًا من اللبس عند القارئ في الهندوسية؛ لوجود الشبه بينها وبين ألفاظ أخرى ذات معان مختلفة، وقد أدى هذا اللبس عند بعض المترجمين إلى الخلط بين الألفاظ عند تعريب الكلمات، مما أدى بدوره إلى اختلال المعنى وزيادة عناء البحث من أجل إزالة الإشكال الحاصل. لذا أجده من الضروري أن أنبه إلى الكلمات المتشابهة ومعانيها تفاديًا لأي لبس:

١- **براهما**: هو الإله الخالق في الهندوسية، وهو أحد أوجه التثليث.

٢- **براهمان**: المبدأ المطلق الذي تولَّد منه الكون والآلهة.

٣- **براهمِن** (برهمي): وهو الكاهن الهندوسي، ويطلق أيضًا على أفراد طبقة البراهمة أعلى الطبقات الهندوسية.

٤- **براهماناس**: هي جزء من أسفار الڤيدات المقدسة.

(٢) **أتمان**: هو الذات أو الأنا أو النفس الإنسانية، وهو جوهر الفرد، في مقابل جوهر الوجود براهمان. والـ (أتمان) هو مبدأ تجاوزي مقيم في داخل النفس، كما أنه مبدأ فوق طبيعي وطاقة كونية. يقيم في العقل أو هو العقل والعقل لا يعرفه. (الفلسفة في الهند: ١٢٨ - د. علي زيعور).

(٣) الفلسفة الشرقية: (١٠٣ - ١٠٤) بتصرف.

مسألة: هل (براهمان) هو الله؟

عند الحديث عن المبدأ السامي أو القوة العليا يتبادر إلى أذهان أتباع الديانات السماوية أنها هي الله. ولذلك لزم تقديم إجابة شافية للسؤال الذي يطرح نفسه: هل (براهمان) هو الله؟

وكما هو الحال في كثير من العقائد الهندوسية، لا يمكن التوصل إلى إجابة موحدة تحدد تصورًا متفقًا عليه. ولكن بالإجمال، هناك تصوران رئيسيان تعرضت لهما النصوص الهندوسية فيما يخص طبيعة الـ (براهمان):

- الأول: أنه الإله الأسمى.
- والثاني: أنه مطلق[1] لا شخصي[2] لا يحمل صفات إلهية، وهو الرأي الأشهر عند المدارس الهندوسية المتأخرة.

ولكن المتأمل في القولين يرى أن بينهما تقاربا، فإنه عندما يطلب وصف لهذا الإله الأسمى نجد تشابهًا كبيرًا بينه وبين المطلق في القول الثاني. والفرق بينهما شبيه بالفرق بين الحلول والاتحاد.

وعلى كلا القولين، فالـ (براهمان) لا يمكن أن يكون هو الله من المنظور الإسلامي، فهو إما حالًا في المخلوقات، وإما متحدًا بها، وإما هو إياها. وقد وُصف الـ (براهمان) بأنه مطلق منزه عن الصفات، وهو واحدية مطلقة حيث لا وجود سواه، لا خالق ولا خليقة، كما أنه ليس فاعلًا ولا مفعولًا ولا فعلًا، لا

---

(١) المطلق: هو ما يدل على واحد غير معين، وهو المتعري عن الصفة والشرط والاستثناء. (انظر: كتاب التعريفات: ٢١٨ - الجرجاني، والكليات: ٨٤٨ - أبو البقاء الكفوي).

(٢) انظر: Hinduism: 28 - Cybelle Shattuck شخصي: أو مشخص، وهي كلمة تقابل كلمة personal، ويقصد بها الإله العالم المُدرك والمباين. أما في حال فقدانه لأحد الصفتين أو كلاهما فلا يعود إلهًا مشخصًا أو شخصيًا.

انظر: An Encyclopedia of Religion: 302.

ثنائية، ولا ازدواجية، ولا كثرة، بل واحدية تتجاوز الآحاد. ولاكتشافه لا بد أن يتخطى الإنسان وظائفه الفكرية وذاتيته ويفنى فيه»[١]. أين هذا من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٢]؟

وفي الحقيقة، فإن الهندوسية لا تعتمد بشكل رئيس على عقيدة «الإله»، أو على الاعتقاد بوجوده من عدمه، واحدًا أو عدة. فمن الممكن أن يكون المرء هندوسيًا «صالحًا» بغض النظر عن اعتقاده في الإله، سواء آمن بإله واحد أو عدة آلهة، وسواء كانت نظرته واحدية توحُّدية أو كانت إلحادية. وإنما ينصب الاهتمام بشكل رئيسي على السلوك، وليس على الاعتقاد[٣].

هذا، وقد مر مفهوم الإله في الهندوسية بعدة مراحل زمنية وفكرية، منذ بداية الفترة الڤيدية وإلى أن تشكلت الهندوسية المعاصرة يمكن تلخيصها بما يلي[٤]:

- **النزعة التعددية:** كانت النزعة الطبيعية التعددية تمثل المراحل الأولى من التصورات الفكرية الهندية حول الإله، حيث كان يُعبد إلهًا لكل ظاهرة طبيعية. ولقد حظيت البقرة بمكانة خاصة في الديانة الهندية، ولا تزال كذلك حتى يومنا الحاضر[٥]. ولا شك أن اعتبار أحد الآلهة هو أعظمها

---

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: ٥٥ - حلقة الدراسات الهندية.

(٢) الإخلاص: ١ - ٤.

(٣) انظر: Hinduism: (1 - 2) - R. C. Zaehner.

(٤) انظر: الفكر الشرقي: (٢٩ - ٣١، ٣٩ - ٤٠) - د. يونج شوون كيم، والفلسفة في الهند: ١١١ - د. علي زيعور.

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى: (٣٣ - ٣٦) - د. أحمد شلبي.

ويعود السبب في تقديس البقرة إلى منافعها التي تقدمها للبشر، فهي تسقيه وتطعمه وتعينه في مزرعته، بل إنه يستفيد من روثها، فهي رمز للعطاء الذي لا ينضب. لكن المتأمل يرى أن بهيمة الأنعام تشترك معها في هذه الصفات، ولكنها لا تحظى بنفس التقديس، وربما يعود ذلك إلى انتشار البقر في بلاد الهند وعدم توفر الإبل أو الأغنام.

وأن بقية الآلهة تابعة له داخل في الشرك التعددي وإن سماه بعض الباحثين[١] بالنزعة التوحيدية.

- **النزعة الواحدية والقول بوحدة الوجود**: وهي ظاهرة في نصوص الأوپانيشاد، حيث فُسرت النصوص القديمة المبنية على التعددية بناء على هذا التصور. فاعتبرت الكثرة صورًا للواحد المطلق، والآلهة ليست إلا مظاهر وتجسيدات لـ (براهمان)[٢].
- **النزعة الحلولية**: فهناك تصور عن إله مشخص في ملحمة الـ (مهابهارتا)[٣]، وخاصة في الـ (بهاغاڤاد غيتا)[٤]، وهو حال في الموجودات وليس متحدًا بها، ولا هي مظاهر له.
- **التثليث**: وهي النظرة الأكثر انتشارًا بين الهندوس في الأزمنة المتأخرة، ولكنها - في الواقع - صورة من صور وحدة الوجود. فـ **براهما** الخالق و**ڤيشنو** الحافظ وسيفا المدمر ليسوا إلا مظاهر للواحد المطلق (براهمان)، وهي تختلف في المنشأ عن التثليث النصراني، وإن اتفقت معه في الصورة. علمًا أن هذا القول لم يظهر إلا في القرن التاسع قبل الميلاد، ولذا ليس له ذكر في الـ ڤيدات[٥].

قد تكون الاختلافات السابقة الذكر مرحلية، بحيث يغلب كل واحد منها على فترة زمنية، ثم تتطور النظرة مع مضي الوقت لتحل محلها الأخرى. لكن الذي يظهر، أن ثمة عقيدتين، عقيدة العامة، وعقيدة الخاصة. فالتعددية البدائية

---

(١) انظر: Hinduism: 23 - Cybelle Shattuck

(٢) انظر: Hinduism: (24 - 25 27) - Cybelle Shattuck

(٣) كتاب هندوسي مقدس، يأتي بإذن الله التفصيل فيه في صـ: ٧٦ من هذا البحث.

(٤) كسابقه، يأتي بإذن الله التفصيل فيه في صـ: ٧٧ من هذا البحث.

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى: ٥٢ - د. أحمد شلبي، والفكر الشرقي: ٢٩ - د. يونج شوون كيم

هي عقيدة العوام، أما الكهنة والخواص فلديهم تصور واحدي للوجود قد لا يتمكن العامة من استيعابه، فيبقون على الوثنية الساذجة(١).

وعلى أية حال، فـ «الهندوسية طريقة تفكير وحياة واسعة جدًا، نجد فيها مكانًا للتعددية والأحدية(٢) والازدواجية، وكذلك لممارسات طقسية متنافرة»(٣)

ثانيًا: وحدة الوجود

إن فكرة خالق منفصل عن الكون هي فكرة غريبة عن الهندوسية «فكل من العقل ومادة الكون ينظر إليهما على أنهما متضَّمَنان في الوجود ذاته، ولا سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر. ولأن الوجود كان يُنظر إليه على أنه عاقل، بحكم ما في مضمونه، فإن الكون قد نُظِر إليه باعتباره كلا مُنَظَّما»(٤). وقد سبقت الإشارة إلى أن بدايات هذا المذهب كانت في نصوص الأوپانيشاد حيث سطر الحكماء ما عدوه اكتشافًا مثيرًا، وهو أن الـ (أتمان) ليس إلا (براهمان)(٥)! وقد تأثر صوفية الإسلام(٦) بالاتجاه الهندوسي القائل بوحدة الوجود(١).

---

(١) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة: ٨٤ - أبو الريحان البيروني، وHinduism: 36 - Luis Renou

(٢) أي: وحدة الوجود.

(٣) الأديان الحية: ٢٩ - أديب صعب.

(٤) الفكر الشرقي القديم: ١١٦ - د. جمال المرزوقي.

(٥) انظر المرجع السابق: ٢٢٢.

(٦) **الصوفية**: هي فرقة إسلامية ظهرت بداياتها كردة فعل مضادة للترف والانغماس في الشهوات الذي نتج عن اتساع الفتوحات الإسلامية. كانت بداية انحرافها عن الزهد المشروع تكمن في المخالفات السلوكية كالمبالغة في التعبد والرهبنة، ثم تطور الأمر إلى مخالفات عقدية وصلت إلى القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد عند غلاتهم. يكثر عند الصوفية المعاصرين الجهل والبدع العملية والاعتقادية، ولهم طرق تنتشر في مناحي العالم الإسلامي، من أشهرها: الرفاعية، والشاذلية. اختُلف في سبب تسميتهم بالصوفية على عدة أقوال، والأرجح أنها بسبب لبسهم الثياب المنسوجة من الصوف. انظر:

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١/ ٥ وما بعدها، والتصوف منشؤه ومصطلحاته: ١٥ وما بعدها.

هذا بالإجمال، وإذا أردنا أن نتعرض لهذه العقيدة بشيء من التفصيل فإننا نجد أن هناك مذهبين رئيسين في الهندوسية تجاه العالم الموجود:

- فالهندوسية الثنائية (الازدواجية) ترى أن العالم الموجود حقيقي كالإله، وهي بذلك تعتقد بالحلول أو بالتعددية.
- أما الهندوسية غير الثنائية (الواحدية) فيرون أن العالم الذي يظهر لنا هو وهم مزيّف، وأن الوجود حقيقة واحدة هي براهمان[٢].

وقد وُجد من قال بتصور ثنائي له نظرة مختلفة في الخلاص لا تتمثل في الاتحاد، غير أن هذا التوجه لم يجذب سوى عدد ضئيل من الهندوس؛ لتأثره بالنصرانية[٣]، كما وجدت بعض الفرق التي تعتقد بإله واحد أعظم تتبعه بقية الآلهة، فهي ليست من مظاهره ولا هو حالٌ فيها، وقد بقيت هذه الفرق على التعددية البدائية المشابهة لجاهلية العرب قبل الإسلام.

ومع هذا وذاك، فإنه يمكن إدراج معظم التيارات الهندية تحت الاتجاهين الرئيسيين الذين تمت الإشارة إليهما. أما الاتجاه المهيمن على النظرة الغربية للهندوسية - وهو الذي يهمنا هنا - فهو القائل بوحدة الوجود الخالصة والذي يجعل الآلهة كلها صورًا ومظاهر لحقيقة موحدة هي: الـ (براهمان). وقد كان

---

(١) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة: (٦٠ - ٦٧) - البيروني، وتاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية: (٣٥ - ٤٠) - د. عبدالرحمن بدوي.

(٢) انظر: الفكر الشرقي: ٣٥ - د. يونج شوون كيم، وانظر:

Hinduism: (80 - 81) - R. C. Zaehner

ذلك أن غالبية المذاهب الهندوسية السابق ذكرها ترى أن الطريق إلى النجاة والخلاص الأبدي هو من خلال الاتحاد بـ "الكلي" وبالوجود المطلق (براهمان).

(٣) انظر: Hinduism: 101 - R. C. Zaehner

لأتباعها البارزين أمثال سوامي ڤيڤيكانادا (Swami Vivekananda)[١] الأثر الكبير في إيصال هذه الأفكار للعالم الغربي[٢].

ثالثًا: قانون الجزاء[٣] الـ (كارما) (Karma - कर्म)، وتناسخ الأرواح الـ (سمسارا) (Samsara – संसार):

تعد الـ (كارما) والـ (سمسارا) من أبرز العقائد الهندوسية، ورغم سذاجة الفكرة التي ترتكز عليها هذه العقيدة إلا أنها كانت سائدة في غالبية الفلسفات الهندية، وهي محل جذب لهواة فلسفات الشرق من أبناء الغرب.

- تُعرَّف الـ (كارما) بأنها حصيلة ما يقوم به الإنسان من أعمال وما يحدثه من سلوكيات وتأثيرات في المجتمعات، ثم ما يترتب على هذه الأعمال من آثار على مجرى حياته الحالية والمستقبلية، ومن ثم يصبح الإنسان مسؤولا مسؤولية مباشرة عن كل ما يصيبه، فلا يوجد شيء بلا سبب. ولما كان الواقع مناقضًا لهذه الفلسفة، حيث قد يوجد من هو سيئ السلوك ظاهر الفساد ولا يظهر أثر ذلك على حياته، كان لا بد من تمديد فترة الثواب والعقاب إلى مرحلة حياتية أخرى من خلال الـ (سمسارا). وهي التي لا يمكن فهمها إلا بمعرفة الـ (كارما)،

---

(١) سوامي فيفكانندا: هو أبرز تلاميذ راما كريشنان مؤسس المدرسة الـ (سمارتية)، ولد عام ١٨٦٢ م، وكان خطيبًا مفوهًا ومدافعًا عنيدًا عن الڤيدات. خلف راما كريشنان ونشر حركته حول العالم حيث أسس لها فروعا داخل الهند وخارجها. وكان الناطق باسم الهندوسية في برلمان الأديان الذي عقد في شيكاغو عام ١٨٩٣ فأحدث أثرًا في المشاركين. توفي عام ١٩٠٢ م. انظر: الأديان الحية: ٤١ - أديب صعب.

(٢) انظر: الأديان الحية: (٤٠ - ٤١) - أديب صعب، وinduism: 45 - Luis Renou.

(٣) يطلق عليه أحيانًا مبدأ السَبَب والمُسَبَّب أو العلة والمعلول. وحيث إن العلاقة بين الفعل الأصلي وبين نتيجته في الحياة الأخرى هي علاقة جزائية مبنية على الثواب والعقاب، رأيت التعبير به أدق من التعبير بالسببية العامة.

فالعلاقة بين الاثنتين هي كالعلاقة بين الغاية والوسيلة، حيث أن الثواب والعقاب يُنفَّذ عن طريق الـ (سمسارا)[1].

- أما الـ (سمسارا) فهي تناسخ الأرواح، و«التناسخ هو أن تعود النفس إلى جسم آخر لأنها لم تشبع في الأول سائر أعمالها ولأنها لم تؤد واجباتها، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها في الحيوات[2] الأوائل. متى أُشبعت كل الرغبات، وأدَّت النفس كل ما عليها بلا آثام تسقط ضرورة التناسخ، وعندها تنجو النفس»[3]، وتتحرر من التناسخ لتحقق الانعتاق الكامل أو ما يسمى بالـ (موكشا)[4]. ومما يروى في أحد الكتب الهندوسية المقدسة قول أحد الآلهة مقررًا لهذا الاعتقاد:

«وكما أن الروح تمر في هذا الجسد الفاني في مراحل الطفولة والشباب والهرم، فإنها ستتابع سيرها في جسد آخر غيره. من آمن بهذا الرأي فإنه لن يحزن لما يقع (٢: ١٣)»[5].

ولعل استحداث هذه الأفكار كان من أجل تفسير التفاوت الملحوظ بين الناس في الرزق والصحة والسعادة، حيث انعدم النور الإلهي والبصيرة التي تنير لهم الدرب. أو أنها أوجدت من أجل إحداث نوع من الرقابة الذاتية تكف المرء عن إيذاء الآخرين، حيث غاب عن الفكر الهندوسي مفهوم الرقابة الإلهية ومفهوم الثواب والعقاب الأخروي.

---

(١) انظر: الفلسفة في الهند: ١٣٢ - د. علي زيعور، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: (٣٨ - ٣٩) - البيروني.

(٢) حيوات جمع حياة. انظر: لسان العرب: ١٤/ ٢١١ - ابن منظور.

(٣) الفلسفة في الهند: (١٣٣ - ١٣٤) - د. علي زيعور.

(٤) وهي الهدف الهندوسي الأسمى، يأتي بإذن الله تفصيلها في صـ: ٦٧ من هذا البحث.

(٥) الكيتا: كتاب الهندوسية المقدس: ٣٦ - ترجمة: د. ماكن لال راي شودري، وانظر: الكتاب الهندي المقدس: الجافادجيتا: ٣٩ - ترجمة: رعد جواد.

وقد قال بالتناسخ بعض الفلاسفة المتسبين إلى الإسلام، واستدلوا على ذلك بشبهات عقلية وتأويلات لبعض النصوص الشرعية، وهي متهافتة لا تقوم عند أدنى معارضة[١].

المجتمع الطبقي الهندوسي:

كان لمبدأي الـ (كارما) والـ (سمسارا) آثار سلبية تعدت النواحي العقدية إلى الأوضاع الاجتماعية، ففكرة الـ (كارما) «هي أساس النظام الطبقي في المجتمع الهندوسي»[٢]، وإن لم تكن هي السبب في تكوينه[٣]. فولادة الإنسان في طبقة من الطبقات دليل على استحقاقه لها كنتيجة مباشرة لما قدمه في حياته السابقة من خير أو شر، وقد كان لقوانين مانو[٤] دور بارز في تنظيم هذه الطبقية وتأصيلها. ومهما يكن، فإنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الهندوسي.

يتكون المجتمع الهندوسي من أربع طبقات:

- **البراهمة (الكهنة): (Brahmins - ब्राह्मण)** ويُعتقد أنهم خلقوا من فم براهما، فهم أفضل الناس ولهم كافة الامتيازات. كما لهم الحق في كل شيء، حتى أموال الطبقات الدنيا. والبرهمي لا يُحاسب أو يُعاقب مهما فعل.

---

(١) انظر: النفس البشرية ونظرية التناسخ: ٧٤ وما بعدها – أحمد زكي تفاحة.

(٢) الفكر الشرقي: ٣٦ – د. يونج شوون كيم.

(٣) كانت بداية النظام الطبقي بسبب خوف الآريين "النبلاء" من اختلاط الأعراق (الدين في الهند والصين وإيران: ٣١ – أبكار السقاف).

(٤) مانو: هو شخصية شبه أسطورية، يعتبره كثير من الهندوس الأب الإلهي للجنس البشري. لا يعرف الكثير عن حياة مانو، غير أنه واضع الدستور الهندوسي المعروف بـ قوانين مانو والذي يُعتقد أن براهما أوحى بها إليه. انظر: تيارات الفلسفة الشرقية: ١٥١ – محمد حسن.
وسيأتي تفصيل الكتاب في صـ: ٨١ من هذا البحث إن شاء الله.

- الكشاتريا (الجنود) (Kishatriya - संसार): ويعتقد أنهم خُلقوا من ذراع براهما، ويقومون بمهام القتال وحمل السلاح. ويبقى الواحد منهم جنديًا طيلة حياته.
- الـ ڤيشيا (التجار والصناع) (Vaishyas – वैश्य): ويعتقد أن هؤلاء خُلقوا من فخذ براهما، وهم من يربي المواشي، وعليهم القيام بمهام البيع والشراء وما يتعلق بالتجارة.
- الـ شودرا (الخدم والعبيد) (Shudras – शुद्र): وهم أذلة مستضعفون حيث يُعتقد أنهم خلقوا من قدم الإله، تفرض عليهم عقوبات وحشية في حال تجاوزوا حدودهم الطبقية أو آذوا من هو أعلى منهم طبقة[1].

بالإضافة إلى ذلك، يوجد أناس يُطلق عليهم: المنبوذين، وهؤلاء هم خارج النظام الطبقي أصلًا.

الجنة والنار:

ظهر معنا أن عقيدتي الـ (كارما) والـ (سمسارا) تجعلان جزاء العمل مرتبطًا بالحياة، ولذلك كان مبدأ الجنة (Svarga - स्वर्ग) والنار (Naraka - नरक) في الهندوسية مختلفًا تمامًا عنه في الديانات ذوات الأصول السماوية، لا سيما الإسلام؛ حيث تعد الجنة والنار في الهندوسية مراحل انتقالية مؤقتة.

ويعد أصحاب الجنة في الهندوسية هم الذين عملوا أعمالا «صالحة» لكنها لا تؤهلهم للتوصل للـ (موكشا)، فالجنة مرحلة انتقالية يمر بها المرء قبل الانتقال إلى حياته الأخرى عن طريق التناسخ. وأما النار: فهي – كذلك – مرحلة انتقالية، بحيث يُطَهر الشخص من «الذنوب»؛ لينتقل بعد التعذيب إلى جسد جديد[2].

---

(١) انظر: الفلسفة في الهند: (١١٣ – ١١٥) – د. علي زيعور، والفكر الشرقي القديم: (٧٨ – ٨٠) – جون كولر.

(٢) انظر: Hinduism: 62 - R. C. Zaehner

رابعًا: أهداف الحياة الأربعة:

للحياة البشرية عند الهندوس أربعة أهداف، ينزع الإنسان إلى تحقيقها في حيواته المتتالية. وهذه الأهداف هي:

١- المتعة أو اللذة (Kama - काम)، وهو أدنى هذه الأهداف حيث يشترك في ابتغائها الإنسان والحيوان.

٢- التملك (Artha - अर्थ)، ويقصد به السعي لتحصيل الرخاء المادي، من مال ومنصب وجاه. ويعد هدفًا نبيلًا ما دام ضمن أطر الأخلاقيات القيدية.

٣- اتباع النظام العام: دهارما (Dharma- धर्म)، بمعنى «التقوى» أو «الصلاح».

٤- التحرر والانطلاق (Moksha - मोक्ष)[1].

يعد الهدفان الأولان تجسيدًا للرغبات الدنيوية التي لا بد من تحقيقها لئلا تكون عالقة في نفس الإنسان، فيعود لتحقيقها في حياة أخرى. والذي يضبط هذين الهدفين هو اتباع النظام العام، أما الهدف الأسمى والغاية القصوى لدى السالك الهندوسي فهو التحرر والانطلاق. والذي يهمنا من هذه المبادئ هما المبدآن الأخيران وفيما يلي مزيد توضيح لهما:

- **مبدأ النظام العام (دهارما) (Dharma- धर्म):**

يُقصد بمبدأ النظام العام (دهارما) الأخلاق والواجبات والالتزامات الفردية أو الفضيلة بشكل عام. وهو مفهوم عقدي مشترك بين الهندوس وكثير من الفلسفات الهندية[2]. إن الذين يعيشون في انسجام مع (دهارما) يحققون

---

(١) انظر: الأديان الحية: ٣٥ - أديب صعب، والفكر الشرقي القديم: (٧٢ - ٧٧) - جون كولر.

(٢) كالبوذية والسيخية والجينية.

الانطلاق ومن ثم التوحد بشكل أسرع. وفي الفلسفة الهندوسية تندرج كل المبادئ التي تحكم العالم والإنسان تحت هذا النظام العام[١].

- **الانطلاق والاتحاد (موكشا) (Moksha - मोक्ष)**

الـ (موكشا) هي الغاية الأساسية من جميع أشكال البحث الديني والفلسفي في الهند. تشتق كلمة (موكشا) من الجذر: (muc) الذي يعني: يعتق أو يحرر أو يطلق[٢]، فهي تعني: «التحرر الروحاني، وهي هدف كل الموجودات التي يمكنها الوصول إلى التحرر الروحاني الأخير من استرقاق عالم الـ (سمسارا)»[٣] وتكرر الولادات مع ما يصاحبها من منغصات وأكدار كالمرض والفقر والهرم والألم والموت.

ويفسر هذا التحرر بأنه الذوبان التام للذاتي (أتمان) بالكلي (براهمان)، حيث يفنى الأول في الثاني، ويندمج فيه كما تندمج قطرة ماء بالمحيط العظيم[٤].

إن الـ (موكشا) حالة «روحية» وليست مكانًا تنتهي إليه الروح، فهي ليست مقابلًا للجنة في الديانات ذات الأصول السماوية، خاصة أنها ليست مقيدة بالموت، بل تتحقق أثناء حياة الإنسان. كما أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه عن طريق الأعمال الصالحة لأن هذه الأعمال يكون جزاؤها في حياة أخرى، فهي لا تخرجه من دوامة التناسخ، تمامًا كالأعمال السيئة، وإنما يتحقق عن طريق السلوكيات التصوفية والعزلة والتزهد، حتى لا يبقى في نفس الإنسان أي رغبة[٥]. ولذا نجد أن في

---

(١) انظر: الفكر الشرقي: ٣١ - د. يونج شوون كيم، والفلسفة في الهند: ١٣٤ - د. علي زيعور

(٢) الفكر الشرقي القديم: ٧٦ - جون كولر.

(٣) الفكر الشرقي: (٣٧ - ٣٩) - د. يونج شوون كيم.

(٤) انظر: الأديان الحية: ٣٤ - أديب صعب، وتحقيق ما للهند من مقولة: ٥١ - البيروني، والفكر الشرقي: (٣٧ - ٣٩) - د. يونج شوون كيم.

(٥) انظر: الفلسفة في الهند: ١٣١ - د. علي زيعور.

الهندوسية دعوة إلى ترك العمل والانكفاء على الذات من أجل التوصل إلى الاتحاد، إلا أن هذه الدعوة ليست عامة، بل تأتي بعد مراحل من الانخراط الاجتماعي[1].
ومما ورد في الكتاب الهندوسي المقدس:

«لقد تحرر الحكماء الذين لا يأبهون لنتائج الأعمال من قيود الولادة (٢: ٥١)»[2]

تُقدم الهندوسية أربعة سبل يتحقق من خلالها الإدراك الموصل إلى الـ (موكشا)، وقد ورد وصفها في نصوص الـ (بهاغافا غيتا) والـ (يوغا سوترا)[3]:

- **يوغا كارما (Karma Yoga - कर्मयोग)**: أي يوغا العمل، وقد جعلت إنجاز الواجبات الأخلاقية والأعمال الخيرة سببًا لفوز المرء بالإدراك الذاتي.
- **يوغا بهاكتي (Bhakti Yoga – भक्तियोग)**: وتعني سبيل الحب، وقد خُصِّصت لأولئك الذين يعتقدون أن الحب هو المرشد والمقرب من الإله، وهو السبيل إلى تحقيق الخلاص.
- **يوغا نيانا (Jnana Yoga – ज्ञानयोग)**: أي طريق المعرفة، ويخص بها ذوي الميول العقلية حيث يتم إدراك الاتحاد بين الـ (أتمان) والـ (براهمان) من خلال المعرفة المتحققة بدراسة الـ (ڤيدانتا)[4] والمعرفة الكشفية بالإضافة إلى السيطرة على البدن والحواس والعقل.
- **يوغا راجا (Raja Yoga – रजयोग)**: وهي السبيل الميسر أو النظام

(١) انظر: المرجع السابق: ١٣١، والفكر الشرقي القديم: (٨٠ – ٨٣) – جون كولر.
(٢) الكيتا: كتاب الهندوسية المقدس: ٤٢.
(٣) يأتي تفصيلها عند الحديث عن المؤلفات الهندوسية.
(٤) **الـ (ڤيدانتا)**: هي أحد الفلسفات الهندوسية المعتمدة على نصوص الأوپانيشاد، وتعتبر أن حقيقة الوجود واحدة، وأن العالم المادي هو زيف ووهم. وظنوا أن ما توصلت إليه المدارس الأخرى من التصورات الثنائية هي معارضة للنصوص. انظر: الفكر الشرقي القديم: ١٢٧ – جون كولر.

الروحاني. فهي نظام أو أسلوب للسيطرة على العقل وتهدئته. وهي سبيل للوصول إلى التحرر العقلي والصفاء الذهني من خلال ممارسة التأمل والتركيز"[١]. وهذه اليوغا هي التي تمارس اليوم في مختلف أنحاء الأرض بهدف التوصل إلى الصحة النفسية والبدنية. وسيأتي التفصيل فيها في الباب الثاني من هذا البحث بإذن الله تعالى.

خامسًا: بدء الخلق في الهندوسية:

لقد سبق أن أشرنا إلى أهمية قضية النشأة الكونية في تحديد معالم الديانات وما تتركه من أثر على مفاهيمها العقدية. إلا أن الهندوسية لم تصل إلى نظرة موحدة لهذه القضية الهامة، بل كان لها - كما هو الحال في كثير من القضايا - عدة آراء متباينة، نذكر منها ثلاثة أفكار رئيسة:

- أولاها عبارة عن امتداد للفكرة الڤيدية الساذجة[٢]، حيث أضيفت إلى الأسطورة التقليدية قضية عشق الإله پراجاپاتي (براهما في الهندوسية) لابنته إلهة الفجر، ولكنها كانت تنفر منه. وكلما تشكلت بأنثى تشكل هو بالذكر المقابل، إلى أن تمكن منها فحملت بأول أفراد هذا العالم الموجود[٣].
- والأخرى تتحدث عن فداء الإله، حيث ضحى بنفسه ليوجد الوجود، فتجزأ ليكون هذا الكون، وعلى هذه الأسطورة اعتمد البراهمة في تقسيمهم الطبقي، كل طبقة تمثل جزءًا من أجزاء الإله[٤].

---

(١) الفكر الشرقي: (٤٥ - ٤٩) - د. يونج شوون كيم مختصرًا، وانظر الفكر الشرقي القديم: (١٠٠ - ١٠٧) - جون كولر، والدين في الهند والصين وإيران: ٥٣ - أبكار السقاف، والأديان الحية: (٣٥ - ٣٦)، وتحقيق ما للهند من مقولة: (٥٨ - ٦١) - البيروني.

(٢) راجع صـ: ٥٣ من هذا البحث.

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية: ١٠٣ - محمد غلاب، والدين في الهند والصين وإيران: ٣٢ - أبكار السقاف.

(٤) انظر: الدين في الهند والصين وإيران: ٣٣ - أبكار السقاف، و
Hinduism: 22 - Louis Renou

- بينما تركز الـ أوپانيشادات على أن أصل الكون راجع إلى (براهمان) منبثق عنه، وهو العلة الكبرى الذي لا علة له، الجوهر المطلق لكل موجود.[١]

وربما يعود سبب الاختلاف إلى كون النصوص الهندوسية المقدسة قد أُلِّفت على مدى فترات طويلة وشارك في تأليفها العديد من الكتاب من أجيال متعددة، مما أفقدها الترابط والانسجام الذي نجده نسبيًا فيما يكتبه مؤلف واحد.

المطلب الثالث: الكتب الهندوسية المقدسة

يتبنى الهندوس عددا كبيرًا من الكتب والنصوص التي تتفاوت في مدى قبولها وتقديسها بشكل ظاهر، وإن كانت جميعها تتمحور حول نصوص الڤيدات بدرجات متباينة. ذلك أن الڤيدات التاريخية كانت قد كتبت بالسنْسْكريتية، وهي لغة أثرية قديمة أصبح فَهمُها - مع مرور الزمن - مستعصيًا على عموم سكان الهند، كما أن الاطلاع عليها كان حكرًا على الكهنة وأبناء الطبقة العليا، محرمًا على غيرهم، مما كان سببًا في انتشار الشروح التي عملت على تقريب المفاهيم الڤيدية بأساليب أكثر بساطة وسهولة. ثم إن تلك الشروح أصبحت مطولة يصعب تداولها فظهرت لها بعض المختصرات. وعندئذ عُدَّت الڤيدات وشروحها ومختصراتها كتبًا مقدسة في الهندوسية بدرجات متفاوتة، وتختلف باختلاف التوجهات والفرق[٢].

يمكن تقسيم هذه الكتب إلى قسمين رئيسين، هما: النصوص الملهمة والنصوص المؤلفة[٣].

---

(١) انظر: الفكر الشرقي: ٣٤ - د. يونج شوون كيم، وتحقيق ما للهند من مقولة: ١٨٠ - البيروني.

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى: ٨٠ - د. أحمد شلبي.

(٣) كثيرًا ما يترجم القسمان إلى: النصوص الموحى بها والنصوص المتذكرة (عبر الأجيال)، والذي أُثبته هو ما أراه أقرب للمعنى المراد من الكلمات الدارجة عند المترجمين.

أولًا: النصوص الملهمة أو الـ شروتي (श्रुति - Shruti)

هي عبارة عن النصوص المسموعة التي يُعتقد أن **الريشيون**(١) سمعوها من الكائن الأسمى (براهمان). وهي تشمل المتون الأصلية للڤيدات بالإضافة إلى الملحقات التي أُلحقت بها.

تعني كلمة «ڤيدا»: المعرفة، في إشارة إلى معرفة الوجود(٢)، وتُعدُّ الـ ڤيدات أقدم المصادر العلمية التي يُعتمد عليها في تاريخ الديانات الهندية، ومع ذلك فهي ليست من النصوص الهندية الأصيلة، بل إنها من تراث الآريين الغزاة، وهي سجل لكل ما يتعلق بهم من عادات وطقوس وأخلاق وقوانين.

لقد بقي الناس يرددونها مشافهة، ويتناقلونها من جيل إلى جيل، يتعبدون بتراتيلها في صلواتهم، كما يلجئون إليها للعلاج والسحر، بيد أنه لم يتم تدوينها إلا في الفترة ما بين (١٨٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) كما يرجح الباحثون.

وتحوي كتب الـ ڤيدا مزيجًا من السحر والتجارب البشرية والعقائد الدينية والتراتيل والحكم الشعبية(٣).

تتكون نصوص الـ شروتي من أربع ڤيدات، هي:

(١) **ريغ ڤيدا (ऋग्वेद - Rig-Veda)**: وهو أقدم نصوص الڤيدا وأهمها على الإطلاق. تعني كلمة «ريغ»: الحكمة النابضة، ويحتوي الكتاب على وصف

---

(١) **الريشيون (Rishis)**: أو البصَّارون، هم الحكماء الذين يُعتقد أنهم تميزوا بجهاز عصبي أثيري مكنهم من سماع تراتيل الڤيدات من الكائن المطلق (براهمان) بينما هم في تأمل عميق. انظر: الحكمة الهندوسية: ٧٠ - حلقة الدراسات الهندية، و

A Dictionary of World Mythology: 83 - edited by: Arthur Flagg Cotterell

(٢) انظر: الحكمة الهندوسية: ٧٠ - حلقة الدراسات الهندية

(٣) انظر الفلسفة الشرقية: (٩٢ - ٩٣) - محمد غلاب، والفكر الشرقي القديم: ٢١٦ - د.جمال المرزوقي، والفلسفة في الهند: ١٠٤ - د. علي زيعور، و

Hinduism: 21 - Cybelle Shattuck

للعبادات وكيفية تقديم القرابين وتنظيم الطقوس. كما يشمل ما يزيد على ألف أنشودة دينية يُتَضَرَّعُ بها إلى الآلهة، ولا يزال الهنود المعاصرون يتغنون بها. من ذلك قولهم:

«هبنا الوفرة، أيها الـ سوما الألهاني النقي، وانتصر لنا. امنحنا السعادة [١]
أعطنا النور أيها السوما، والشفافية، وجملة الثروات. امنحنا السعادة [٢]
هبنا القوة والقدرة يا أيها السوما، انتصر على أعدائك. امنحنا السعادة [٣]»[1]

(٢) **ياجور ڤيدا (Yajur veda - यजुर्वेद)**: تُستمد كلمة «ياجور» من فعل بمعنى التكريم. تتكون الـ ياجور ڤيدا من الأدعية والترانيم المختلفة التي تُتلى وفق منازل القمر وبحسب المعبود الذي تقدم له القرابين. وهي أصغر الأسفار الهندوسية المقدسة.

(٣) **أتهارڤا ڤيدا (Atharva veda - अथर्ववेद)**: تعني «أتهارڤا»: ما ليس له نبض، فهي تخص ما يتعلق بمعرفة الساكن المطلق. تختلط في هذا السفر الترانيم بالشعوذة والسحر المستخدم لطرد الأرواح الشريرة، كما يوجد فيه وصف لممارسات غامضة يراد بها حماية النفس من الأعداء.

(٤) **ساما ڤيدا (Sama veda - सामवेद)**: تعني «ساما»: ما هو متساو، وفيه تكرار للأناشيد المذكورة في الـ ريغ ڤيدا مع الاختلاف في طرق الترتيل[2].

ثم إن كل واحدة من هذه الڤيدات الأربع تتكون من أربعة أقسام[3]، هي:

---

(١) ريك ڤيدا: دراسة، ترجمة لحلقة الـ سوما وتعليقات: ٢٠٧ (النشيد الثالث) – د. لويس صليبا.

(٢) انظر: الفلسفة في الهند: (١٠٥ – ١٠٧) – د. علي زيعور، وأديان الهند الكبرى: ٤٦ – د.أحمد شلبي، وتحقيق ما للهند من مقولة: ٩٩ – البيروني، والحكمة الهندوسية: (٧٤ – ٧٧).

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية: ١٠٢ – محمد غلاب، والفلسفة في الهند: ١٠٥ – د. علي زيعور، وأديان الهند الكبرى: (٤٧ – ٤٨) – د. أحمد شلبي، والفكر الشرقي القديم: ٢١٥ – د.جمال المرزوقي، والفكر الشرقي: ٢٦ – د. يونج شوون كيم، و.Hinduism: (20 - 21) - Cybelle Shattuck

أ - الـ **سامهيتا** (Samhita - संहिता)

أو المتون الأصلية، وهي عبارة عن قصائد شعرية موجهة لآلهة مختلفة. أُلحقت بهذه المتون ملحقات هامة، وهي التي تمثل باقي أقسام الڤيدات.

ب- الـ **براهمانات** (Brahmanas - ब्राह्मण):

وهي نصوص نثرية تصف تفاصيل الطقوس والشعائر وقواعد تقديم القرابين ومواسمها كما تنطوي على إشارات إلى العقائد. وأصلها محاضرات كانت تُلقى على المرشحين للكهنوت في المعاهد الخاصة. وفي هذه الكتابات نجد توجهًا إلى الاعتقاد بإله أسمى يفوق سائر الآلهة.

جـ- الـ **أرانْياكات** (Aranyakas - आरण्यक):

وتحتوي على التعليمات العملية التي يجب أن يسير عليها الكهنة بعد اعتزال أهليهم، كما تشمل توجيهات في التنسك والعزلة وتشجيع لسكان الغابات على التأمل. وقد مهدت الـ أرانياكات الطريق لظهور التعاليم الباطنية الاستسرارية[1] التي كان لها شيوع فيما بعد[2].

د- **الأوپانيشادات**[3] (**Upanishads** – उपनिषद्):

وهي أهم هذه الملحقات، حيث تمثل الحصيلة الفلسفية التي أنتجها الفكر الهندي، وقد أُلحقت بنصوص الڤيدات كأجزاء ختامية. يعود تأريخها إلى ما بين (٨٠٠ – ٥٠٠) قبل الميلاد، وهي تُركِّز على المعرفة

---

(١) **الاستسراري** Esoteric)): هو ما يقتصر تعليمه على فئة معينة، حيث تنتقل العلوم من المعلم إلى التلميذ بشكل محاط بالسرية. (انظر: المورد: ٣٢٠ - د. منير وروحي بعلبكي).

(٢) انظر: Hinduism: 23 -Louis Renou

(٣) **الأوپانيشاد**: تتكون هذه الكلمة من مقطعين: (أوپا) ومعناها: بالقرب، و(نيشاد) ومعناها: يجلس، فيكون المعنى الحرفي هو: "الجلوس بالقرب من المعلم" ولكن هذا اللفظ أصبح يُطلق على المذهب الغامض الذي كان يُسِرُّه المعلم إلى خيرة تلاميذه وأقربهم إليه. انظر:
قصة الحضارة: ٣/ ٤٣ - ول ديورانت.

والأسرار التصوفية؛ بهدف اتحاد الذات الفردي بالذات الكوني، كما تُفسِّر الوجود بنظرة واحدية تعتمد على القول بوحدة الوجود، وأنه ليس ثمة إلا كيان وحيد يمكن أن يقال عنه أنه موجود حقًا، وهو ما يسمى بـ (براهمان). وما يلي نموذج من مقاطعها:

«أولئك الذين يتساءلون عن الـ (براهمان) يقولون:

ما الذي أحدث براهمان؟ ولماذا ولدنا؟ كيف نحيا؟ وعلى أي أساس؟

يا أيها العارفون لـ (براهمان)، بأمر من نعيش اللذة والعذاب، كل بصفته الخاصة؟[١]

هل نعتبره الزمان، أم الطبيعة المتأصلة، أم الضرورة، أم العناصر، أم الصدفة، أم مصدر الولادة، أم هو الشخص؟ أم هو مجموع هذه كلها؟ ولكن هذا يستحيل، لأن هناك النفس (أتمان)، وحتى النفس لا تملك السلطة، فهي كذلك تحس باللذة والألم.[٢]

أولئك الذين يتبعون نظام التأمل يرون الإله والنفس والقوة، كلها مخفية وراء خصائصهم. واحد فقط هو الذي يسيطر على جميع تلك الأسباب، من الزمان وحتى النفس.[٣]»[(١)]

ثانيًا: النصوص المؤلَّفة أو الـ سمرتي (स्मृति - Smriti)

لما كان للـ ڤيدات منزلة قدسية تمنع غير البراهمة من الاطلاع عليها، ولا سيما النساء والمنبوذين الذين لا ينتمون إلى النظام الطبقي أصلًا، كان من اللازم إيجاد نصوص بديلة تعمل على إشباع الرغبات الدينية لهؤلاء المحرومين تشترك مع الڤيدات في المبادئ والمفاهيم الأساسية وإن كانت لا تشترك معها في القداسة المطلقة. هذا بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من كون الڤيدات قد دونت باللغة السنسكريتية العسيرة على الأفهام مما حدًا بالمفكرين إلى تقريبها بالشرح

(١) Upanishads - Svetasvatara Upanishad/1: 253 - translated by: Patrick Olivelle

والاختصار. ومن هنا ظهرت نصوص الـ سمرتي لتسد الفراغ الديني الناتج عن هذه العوامل لدى عوام الهندوس.

لا تحظى نصوص الـ سمرتي بالسلطة التي تحظى بها نصوص الـ شروتي، كما أن مدى قبولها يتفاوت عند المذاهب الهندوسية المختلفة، بخلاف الڤيدات التي تنعم بمكانة مقدسة عند جميع الهندوس بكافة مشاربهم وتوجهاتهم وإن اختلفوا في تأويلها. ورغم التفاوت والاختلاف في مرجعيتها، إلا أنه يمكن تقسيم نصوص الـ سمرتي إلى أربعة أقسام رئيسية، هي: الملاحم، والـ سوترات، والـ بورانات، وأخيرًا كتب القوانين(١). وفيما يلي توضيح موجز لهذه الأقسام:

(١) **الملاحم**، ومن أشهرها:

أ- **ملحمة الـ مهابهارتا** (**Mahabaharta – महाभारत**): وهي ملحمة هندية كبرى وقعت في عام ٩٥٠ ق.م تقريبًا، وتصف حربًا بين أمراء أسرة واحدة. تحوي الـ مهابهارتا عددًا من القصص الأدبية، والخلاصات المعرفية، والتصورات عن الإنسان والكون بالإضافة إلى شيء من الأساطير التراثية(٢). ورغم أنه يمكن تتبع الجذور الهندوسية في نصوص الـ أوپانيشاد، إلا أن معالمها الدقيقة لم تتشكل إلا من خلال الكتابات الملحمية وخاصة الـ مهابهارتا(٣)، وبالأخص في الـ بهاغاڤاد غيتا.

- **الـ بهاغاڤاد غيتا** (**Bhagavad Gita - भागवद् गीता**): وهي جزء من ملحمة الـ مهابهارتا، وتعني: نشيد المولى. وهي أناشيد

---

(١) انظر: Hinduism: (10 - 12) - R. C. Zaehner

(٢) انظر الفلسفات الهندية: ١٦٦ – د. علي زيعور، وأديان الهند الكبرى: ٨١ – د. أحمد شلبي.

(٣) انظر: Hinuism: 27 - Luis Renou

وقصائد ذات طابع تعليمي، تروج لعقيدة ينادي بها الإله **كرشنا** (Krishna - कृष्ण)[١] من خلال نصائح يسدي بها للأمير **أرجونا** (Arjuna - अर्जुन)[٢] الذي يقود جيشًا يوشك أن يخوض حربًا مع أقربائه وأحبائه، حيث تمثل **كرشنا** بجسد مساعدٍ للأمير.

تمتزج في هذا الكتاب المبادئ الفكرية والنظرية بالتعاليم الدينية والأخلاق، وإن كان يغلب عليه الطابع الأسطوري. كما يظهر في كثير من الأحيان الميل إلى فكرة الإله الشخصي الحال في المخلوقات بدلًا من وحدة الوجود المشار إليها في الـ أوپانيشادات. ومن الملاحظ التوسع النسبي في سبل الخلاص، فنجد **كرشنا** «يتقبل جميع أنواع الإيمان والاعتقادات. لا يتعصب لشكل واحد معين من التعبد أو لبلوغ الإشراق»[٣]، فيجعل الخلاص عن طريق الـ (يوغا)، والتأمل والتركيز الداخلي، بالإضافة إلى التعبد التقليدي غير الباطني. يهتم هذا الكتاب بالجانب الفلسفي والاجتماعي وما كانت عليه النظرة العامة للحياة ولما بعد الممات.

---

(١) **كرشنا**: يعتقد أنه أحد تجسيدات الإله ڤيشنو، وحافظ البقر والترانيم المقدسة. يذكر أنه الابن الثامن للأميرة ديڤكي، نجا من قتل عمه الملك **كانس** بأعاجيب، حيث كان الملك قد رأى منامًا بأن الابن الثامن يقتله. تحف حياته الكثير من الخرافات والأساطير، وهو بطل الـ بهاغاڤاد غيتا. قتله أحد الصيادين خطأً بعد أن سحرته امرأة كان قد قتل ابنها. انظر:

Myths of the Hindus and Buddhists: (219 - 244) - Ananda K. Coomaraswamy Nivedita

(٢) **أرجونا**: تحكي الأساطير أنه الابن السادس للأميرة **كونتي** من الإله إندرا، التي سُحر زوجها الملك **پاندرا** ليموت عند احتضانه لمرأة، إلا أنها كانت تعلم "مانترا" تستدعي بها الآلهة ليرزقوها بالأبناء. يقال إن **أرجونا** استمد جماله من والده الإله **إندرا** وكذلك براعته في القتال مع دماثته وحسن خلقه. وهو بطل ملحمة الـ بهاغاڤاد غيتا في مواجهة أخوه لأمه **كارنا** بتوجيه من الإله كرشنا. انظر:

The Myth of the Birth of the Hero: (15 - 17) - Otto Rank

(٣) الفلسفات الهندية: ١٦٧ – د. علي زيعور.

والمقصود، أن تأثير الـ بهاغاڤاد غيتا كان قويًا في الفكر الهندي[1] بل إنه من أهم النصوص التي يعتني بها الهندوس المعاصرون حتى أطلق عليه: «كتاب الهندوسية المقدس» ورفع إلى مستوى نصوص الـ شروتي.

ب- **ملحمة الـ رامايانا (Ramayana – रामायण)**: وهي ملحمة لا يعرف مؤلفها، ولا تاريخ تأليفها، غير أنه يترجح أنها ألفت – كلها أو بعضها – قبل الـ (مهابهارتا)، وذلك لوجود إشارات فيها إليها. تُعنى الـ (رامايانا) بالأمور السياسية والدستورية وتنظيم المجتمع[2].

(٢) **الـ سوترات (Sutras – सूत्र)**: «سوترا» كلمة سنسكريتية تعني: الخيط أو الحبل الذي يضم الأشياء بعضها ببعض. والـ (سوترات) عبارة عن أقوال مأثورة مجموعة في كتيب إرشادي، تتناول القضايا الهندوسية الأساسية كالـ (موكشا) والـ (دهارما) والـ (كارما).. الخ. ومن أشهرها:

- **براهما سوترا (Brahma Sutra – ब्रह्मासूत्र)**: وتسمى الـ **(ڤيدانتا سوترا)** (Vedanta sutra - वेदान्त) التي تعني: غاية الڤيدا، وهي عبارة عن مؤلفات وشروح على الڤيدات قدمت المبادئ الفلسفية لنصوص الـ أوپانيشادات بشكل منظم ووفقت بين المتناقضات الواردة فيها. وقد ظهرت عدة مدارس فلسفية تعتمد على الـ (ڤيدانتا سوترا) كنص أساسي لها[3].
- **يوغا سوترا (Yoga Sutra - योगसूत्र)**: رسم هذا المؤلَّف الطريق لفلسفة الـ (يوغا) وتطبيقاتها كما نعرفها اليوم، وهو ينسب إلى **پاتنجالي**

---

(١) انظر: الفلسفة في الهند: (١٦٦ – ١٧٣) – د. علي زيعور، وأديان الهند الكبرى: ٨٥ – د. أحمد شلبي.
(٢) انظر: أديان الهند الكبرى: ٩٧ – د. أحمد شلبي.
(٣) انظر: الفلسفات الهندية: ٣٢٥ – د. علي زيعور، والفكر الشرقي القديم: ١٢٧ – جون كولر.

(patanjali - पतञ्जलि)[١]، غير أن بعض الباحثين يرى أنه قد اشترك فيه أكثر من مؤلِّف. يوجد في الـ (يوغا سوترا) مزيجج من الحكمة الهندية والخبرات التأملية بالإضافة إلى وصف للممارسات الاستسرارية القديمة للنساك الهنود. وهي مع ذلك تركز على مبدأ وحدة الوجود[٢].

- **يوغا ڤاسيشتا (Yoga Vasishta – योगवशिष्ट)**: هو كتاب لا يعرف مؤلفه ولا زمن تأليفه، ولكن يُرجح بعض الباحثين أنه أُلف في القرن السادس الميلادي، بينما يرجعه آخرون إلى قرون بعيدة. وينحصر موضوع الكتاب في الفلسفة واللاهوت وهو عبارة عن حوار بين تلميذ ومعلمه.[٣]

(٣) الـ پورانات (Puranas - पुराण): تعود هذه النصوص إلى فترات القرون الوسطى، وتتكون من مقاطع مطولة تُعنى بالطقوس الدينية والأساطير التاريخية بالإضافة إلى فلسفات في نشأة الكون ودماره وبعض العلوم التقليدية كالـ (أيورڤيدا)[٤]. تعدها بعض المدارس الهندوسية من نصوص الـ شروتي كالڤيدات، إلا أن أثرها كان أبلغ لإمكان تداولها بين كافة أفراد المجتمع الهندوسي بخلاف أسفار الـ ڤيدا[٥]. ثمة ١٨ (پورانا) أساسية وعدد كبير جدًا من الـ پورانات الفرعية[٦]

---

(١) **پاتانجالي**: لا يعرف الكثير عن حياة **پاتانجالي**، ولا الزمن الذي عاش فيه، وإن كان يقدر فيما بين القرن الخامس والثاني قبل الميلاد. يُنسب إليه تأليف سوترات الـ (يوغا)، إلا أن بعض الباحثين يرى أنها من المؤلفات المشتركة. انظر:

Fifty Eastern Thinkers: (81 - 82) - Diané Collinson Kathryn Plant Robert Wilkinson

Philosophers and Religious Leaders: 149 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٢) انظر: Philosophers and Religious Leaders: 149 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى: (٩٣ – ٩٤) – د. أحمد شلبي.

(٤) وهي من الطرق الاستشفائية التي سيأتي تفصيلها في الفصل الثاني من الباب الثاني بإذن الله.

(٥) انظر: Hinduism: 27 - Luis Renou

Hinduism: 42 - Cybelle Shattuck

(٦) انظر: Hinduism: 162 - Luis Renou

(٤) **كتب القوانين**: أشهر هذه الكتب وأكثرها تأثيرًا هو ما يعرف بـ **قوانين مانو** (Manu Smriti - मनुस्मृति) من تأليف **مانو**، وهو عبارة عن مجموعة تشريعات تنظم حياة المجتمع الهندوسي من خلال توضيح علاقة أفراد الطبقات بعضها ببعض من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية. يُعتقد أن الإله **براهما**[١] أوحى بها إلى **مانو**، بينما تولى ابن الأخير تدوينها ونشرها بين الناس. يقدر الباحثون أن تأليفه كان في الفترة ما بين (٢٠٠ ق.م - ٢٠٠ م) دون تحديد دقيق[٢]. وقد أثار هذا الكتاب جدلًا واسعًا بين مؤيد له ومنتقد، حيث رسخت قوانينه الفوارق الطبقية وجعلتها جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الهندوسية، مع ما فيها من التجبر والظلم وهضم لحقوق المنبوذين.

المطلب الرابع: العبادات الهندوسية:

لا يمكن حصر الطقوس والعبادات الهندوسية في مثل هذا المقام الذي يقتضي الاقتضاب، لذا سأكتفي بذكر ما قد يكون له تعلق أو ذكر في هذا البحث، ومن أبرزها[٣]:

- **التأمل وتقنيات التحكم في التنفس**: وهو من أهم العبادات، يهدف المتعبد من خلاله إلى تحصيل الهدف الأعلى في عموم الفكر الهندي الديني، وهو

---

(١) براهما: الإله الخالق، وهو أحد الثالوث الهندوسي.
انظر: الحكمة الهندوسية: ١٩٤ - حلقة الدراسات الهندية.

(٢) انظر: الفلسفة في الهند: ١١٦ - د. علي زيعور، وتيارات الفلسفة الشرقية: (١٥١ - ١٥٨) - محمد حسن.

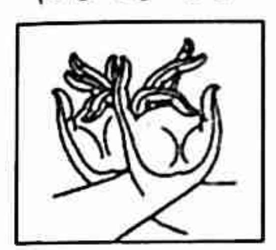
(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (٦٠٣ - ٦٠٤) - د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، و

Hinduism: (31 - 33) - Luis Reno

Hinduism: (75 - 76) - Cybelle Shattuck



شكل (٢)
أومكار:
الرمز الذي يمثل أوم



الاتحاد بالمطلق الكلي. كثيرًا ما يقترن التأمل بأوضاع جسدية مميزة، يبقى عليها العابد لفترات طويلة. من هذه الأوضاع ما هو خاص بالأصابع. ويسمى المودرا (mudra – मुद्रा). وهو سمة مميزة للهندوس

- **الصوم والأنظمة الغذائية**: يشمل المفهوم التعبدي الهندوسي بعض الأنظمة الغذائية تحدد ما يأكله الإنسان وما ينبغي له تجنبه، وقد يندب السالك إلى تجنب الطعام تمامًا في فترات معينة.

- **الصلاة**: وهي عبارة عن تلاوة صامتة للصيغ المقدسة التي تسمى: (مانترا) (mantra - मन्त्र)، تكرر هذه الصيغ بأعداد غير محددة. تتكون الـ (مانترا) من مقطع صوتي أو أكثر يصل إلى مائة مقطع، بعض هذه المقاطع بلا معنى ظاهر، وبعضها مجرد ترديد لأسماء الآلهة. ومن أشهر هذه الـ (مانترات) على الإطلاق هو: (أوم) (aum)، وهو الصوت البدائي الذي يعتقد أن الكون خلق بواسطته. تهدف هذه الصلاة إلى الإعانة على تحصيل تركيز أكبر، بالإضافة إلى تحقيق الحماية والنجاح.

المطلب الخامس: تاريخ الهندوسية

سبق أن تعرضنا للمراحل التي مرت بها الهندوسية في أماكن متفرقة من هذا المبحث، إلا أنه من أجل تكوين تصور مجمل عن تلك الأطوار التاريخية مع ما صاحبها من تطورات فكرية وتحولات عقدية، كان لا بد من عرض تاريخي موجز تتجلى من خلاله تلك التغيرات. وهو كالتالي[1]:

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: (٣٦ – ٤١) – جون كولر، والأديان الحية: (٣٠ – ٤٢) – أديب صعب.

المرحلة الڤيدية من نحو ١٥٠٠ ق.م إلى ما قبل ٨٠٠ ق.م

تمثل هذه الفترة فترة الغزو الآري وما نتج عنه من امتزاج ثقافتهم الوافدة بالفكر الشعبي المحلي، وقد سجلت خلاصة الفكر الفلسفي في تلك الفترة في الـ أوپانيشادات. كما ظهرت نصوص الـ (سامهيتا) والـ (براهمانا) والـ (أرانياكا) التي تتكون من مجموعها أسفار الـ ڤيدات. وفي نهاية هذه الفترة أصبح الاتحاد بالمطلق من أسمى الأهداف الـ ڤيدية.

الفترة الملحمية (٨٠٠ ق.م – ٢٠٠ م)

نما الأدب الشعبي في هذه الفترة ليعوض أعضاء المجتمع عن عدم توفر الڤيدات وصعوبة فهمها، وألفت الملاحم الكبرى كالـ (مهابهارتا)، التي من خلالها وجدت الأفكار الفلسفية السبيل للتعبير عن نفسها. كما نشأت في هذه الفترة كل من البوذية والجينية[1]، مما أضعف النفوذ الهندوسي لفترة مؤقتة، إلا أن الهندوسية سرعان ما استعادت شعبيتها بتأثير قوانين مانو، التي نظمتها وأكسبتها شيئًا من القوة[2]. وقد كانت الـ (بهاغاڤاد غيتا) التي هي جزء من الـ (مهابهارتا)، من أكثر الأدبيات أهمية وتأثيرًا في هذا العصر.

مرحلة السوترا (٤٠٠ ق.م – ٥٠٠ م)

نشأت في هذه الفترة البحوث المنظِمة للمذاهب المتعددة مثل الـ (سامكهيا) (Samkhya - सांख्य)[3] ذات النزعة الثنائية التطورية، وما يمكن أن يعتبر الجانب

---

(١) الجينية: هي ديانة منشقة عن الهندوسية وهي في الأصل ثورة على البراهمة. يعد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية. سميت بالحركة الإلحادية؛ لأنها لا تؤمن بآلهة الهندوس الثلاثة، كما لا يعترفون بالطبقات، وإن كانوا يشتركون معهم في عقائد تناسخ الأرواح والخلاص. انظر: أديان الهند الكبرى: ١١١ وما بعدها – د. أحمد شلبي.

(٢) انظر أديان الهند الكبرى: ١٠٠ – د. أحمد شلبي.

(٣) الـ (سامكهيا): هي أحد المدارس الفلسفية الهندوسية التي تعترف بمرجعية الڤيدات، وهي أقدمها. وترتكز هذه الفلسفة على أن الوجود مكون من حقيقتين اثنتين، الحقيقة المطلقة والحقيقة المادية. انظر: الفكر الشرقي القديم: (٨٥ – ٨٧) – جون كولر.

العملي لها في المدرسة اليوغية[١] في التأمل المنتظم حيث عرفت تطورًا هائلًا على يد **باتانجالي** في القرن الثاني للميلاد[٢]، وكذلك الـ (ڤيدانتا) (Vedanta - वेदान्त) ذات الفلسفة الواحدية، وقد كانت هي الأجزاء الرئيسية للـ (سوترات).

مرحلة شرح المتون (٤٠٠ م - ١٧٠٠ م)

سُجِّلت في هذه الفترة الشروح على الـ (سوترات)، ومن بين أهم الفلاسفة المشتهرين في هذه الفترة **شانكارا** (Shankara)[٣]، ورامانوجا **(Ramanuja)**[٤]، ومادهڤا **(Madhva)**[٥]. وأهمها شروح **شاناكرا** على (سوترا الـ ڤيدانتا)[٦].

---

(١) **المدرسة اليوغية**: هي مدرسة هندية ذات فلسفة ثنائية تأثرت بالـ (سامكهيا)، وتعد الطريقة العملية لها. تهدف للتوصل إلى إدراك أن النفس المجردة من المادة هي عين الحقيقة المطلقة.
انظر: الفكر الشرقي القديم: (٩٦ - ٩٨) - جون كولر.

(٢) انظر الأديان الحية: ٣٧ - أديب صعب.

(٣) **شانكارا**: هو المعلم الهندوسي الذي قام بوضع نظرية الـ أدڤيتا ڤيدانتا (Advaita Vedanta) ذات التفسير الواحدي (وحدة وجود) لنصوص الڤيدات والنصوص الهندوسية. ولد في الهند في أسرة برهمية في عام ٧٠٠ للميلاد تقريبًا. وتوفي بعدها بخمسين عامًا. انظر:
Philosophers and Religious Leaders: 175 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٤) **رامانوجا**: وهو مؤسس أحد أبرز مدارس الفلسفة الهندوسية المسماة: (Vishishtadvaita Vedanta). ولد في عام ١٠١٧م لأسرة برهمية في جنوب الهند. أنكر ما تعلمه من مبادئ وحدة الوجود وقرر مبدأ إمكانية اتحاد الفرد بالإله مع احتفاظ كل منهما بخصائصه، كاتحاد الروح بالجسد. ولذا دعا إلى عبادة إله شخصي (ڤيشنو) بدلًا من مطلق لا شخصي. ورأى أن (بهاكتي) هو الطريق للخلاص. توفي عام ١١٣٧ م. انظر:
Philosophers and Religious Leaders: 160 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٥) **مادهڤا**: مؤسس مدرسة دڤيتا ڤيدانتا (Dvaita Vedanta) الهندوسية. ولد في عام ١١٩٩ م تقريبًا لأسرة هندوسية في جنوب الهند. تتلمذ على أحد تلاميذ **شانكارا**، ولكنه لم يتقبل نظرته الواحدية للوجود، فعكف على دراسة الڤيدات خرج بعدها بمبدأ الثنائية مع اعتماد الموجودات - سوى ڤيشنو - على بعضها في الوجود. كما آمن أنه بطريق المعرفة والتأمل يمكن التخلص من التناسخ بخلاف **شانكارا** و**رامنوجا**. توفي عام ١٢٧٨ م. انظر:
Philosophers and Religious Leaders: 118 - edited by: Christian D. Von Dehsen

مرحلة النهضة: ١٨٠٠ م وحتى اليوم

بدأت الفلسفة الهندية بالتقهقر بدخول القوات الخارجية (الاستعمار البريطاني)، بيد أنه حصل انبعاث لهذه الفلسفة مع القرن التاسع عشر، فظهرت بعض الحركات الإصلاحية الداخلية تزعَّمها بعض المفكرين الهنود، أمثال[٢]:

- **حركة براهمو ساماج (Brahmo Samaj)**: وقد أسسها **راموهان روي (Rammohun Roy)**[٣] في عام ١٨٢٨م، حيث كانت حركته تميل إلى توحيد الأديان. فقام بالتخلي عن العقائد الهندوسية التي رأى أنها لا تتفق مع الجوهر الروحي الموحد في العقائد الأخرى، كما كان يدعو إلى دين شامل رغم ميله الواضح إلى النصرانية[٤].
- **حركة آريا ساماج (Arya Samaj)**: وهي حركة قام بتأسيسها **داياناندا ساراسڤاتي (Dayananda Sarasvati)**[٥]. دعت إلى العودة إلى الكتابات

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: (٣٧ – ٤١) – جون كولر، والفكر الشرقي: (٢٥ – ٢٧) – د. يونج شوون كيم، والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: ٢٠٩ – د. جمال المرزوقي

(٢) انظر: الأديان الحية: (٣٩ – ٤١) – أديب صعب، و

Hinduism: (90 - 94) - Cybelle Shattuck

(٣) **راموهان روي**: ولد عام ١٧٧٢ م في أسرة بنغالية برهمية، وتلقى دراسته الجامعية في جامعة إسلامية حيث دمج في حركته التصوف الإسلامي بالتعاليم الأوبانيشادية. كان يحارب بعض التقاليد الشعبية كتزويج الأطفال وحرق الأرامل. توفي عام ١٨٣٣ م. انظر:

Hinduism: 90 - Cybelle Shattuck

Philosophers and Religious Leaders: 164 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٤) انظر:

Toward Universal Religion: (1- 15) - Daniel Ross

(٥) **داياناندا ساراسڤاتي**: مؤسس حركة آريا ساماج، ولد عام ١٨٢٤ م. عمل جاهدًا لإحداث بعض الإصلاحات الاجتماعية كمنع تزويج الأطفال للتقليل من عدد الأرامل، وتشجيع التعليم للأولاد والبنات بهدف تحصيل الوحدة الوطنية. توفي عام ١٨٨٣ م. انظر:

Hinduism: (91 - 92) - Cybelle Shattuck

المقدسة الأولى (الڤيدات)، وركزت على القومية والتميز مع مقاومة التأثير الغربي النصراني، لذا فهي تعتبر معارضة لحركة (براهمو ساماج).

- **حركة راما كريشنان (Rama Krishnan)**[1]: وهي حركة سميت باسم مؤسسها، تدعو إلى التسامح الديني واحتواء الأفكار الأخرى، فكل الأديان طرق إلى الله وما الخلائق كلها إلا تجليات لذلك الإله. كان من أبرز تلاميذ **راما كريشنان** ودعاة الحركة: **سوامي فيفكاناندا (Swami Vivekananda)** الذي نقل تعاليمه إلى الغرب.

بالإضافة إلى ما سبق، راجت بين شباب الهندوس الأفكار العلمانية[2] والاشتراكية[3]؛ حيث رأوا أن الهند تحتاج إلى تلك الأفكار المادية لكي تلحق بالنهضة الغربية الحديثة، كما هو الحال في كثير من البلدان المتخلفة علميًا وتقنيًا.

---

(١) **راما كريشنان**: قديس هندوسي ولد في عام ١٨٣٤ م في أسرة براهمية في البنغال. أصبح كاهنًا لكنه لم يقنع بالممارسات الكهنوتية بل أراد تجربة فريدة فراح يمارس اليوغا، واستمر في ذلك ١٢ سنة خرج بعدها بالقول بأن الطرق كلها مؤدية إلى الله كما دعا إلى قبول جوهر التراث الديني الغربي واحتوائه في الهندوسية، وقد تحلقت حوله في آخر حياته جماعة منظمة من التلاميذ. توفي عام ١٨٨٦ م. انظر: الأديان الحية: ٤٠ - أديب صعب، و

Philosophers and Religious Leaders: 159 - edited by: Christian D. Von Dehsen

Hinduism: (92 - 93) - Cybelle Shattuck

(٢) **العلمانية**: وهي اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين وعزله عن مناحي الحياة. وتعني في الجانب السياسي اللادينية في الحكم. ظهرت في أوروبا في القرن السابع عشر للميلاد كردة فعل لطغيان الكنيسة. وانتقلت بعدها إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية منذ بداية القرن التاسع عشر. انظر:

The World Book Encyclopedia: 15/654

(٣) **الاشتراكية**: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات والعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا ١٩١٧ م. ينكرون الملكية الخاصة ويحاربون الأديان. انهارت الاشتراكية في معاقلها: الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وفي أوروبا الشرقية في العقد نفسه، حيث اعتبرت نظرية غير قابلة للتطبيق. انظر:

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 11231

المطلب السادس: الأتباع ومواطن الانتشار[1]:

يقدر عدد الهندوس بعدد يتراوح بين ٨٠٠ مليون إلى مليار هندوسي في العالم، يسكن أكثرهم شبه القارة الهندية، وإن كانت الدولة الوحيدة التي تتخذ الهندوسية كدين رسمي للدولة هي النيبال. وفي الجدول التالي عرض لتوزيع أعداد الهندوس في الدول بدءًا بالأكثر فالأقل:

الدولة	الأعداد المقدرة للهندوس	نسبتهم في السكان
الهند	٧٥١,٠٠٠,٠٠٠	٧٩٪
النيبال	١٧,٣٨٠,٠٠٠	٨٩٪
بنغلادش	١٢,٦٣٠,٠٠٠	١١٪
إندونيسيا	٤,٠٠٠,٠٠٠	٢,٥٪
سري لانكا	٢,٨٠٠,٠٠٠	١٥٪
باكستان	٢,٢١٠,٠٠٠	١,٥٪
ماليزيا	١,٤٠٠,٠٠٠	٦٪
الولايات المتحدة	٩١٠,٠٠٠	٠,٢٪
جزيرة ماوريتيوس	٥٧٠,٠٠٠	٥٢٪
جنوب إفريقية	٤٢٠,٠٠٠	١,٥٪
المملكة المتحدة	٤١٠,٠٠٠	١٪

(١) انظر: Hinduism: 15 - Cybelle Shattuck

The Top 10 of Everything: 160 - 161 - Russel Ash

The World Almanac 2007: 712

المبحث الثاني

الطاوية

ما هي الطاوية؟

يمكننا القول بأن الطاوية هي فلسفة وديانة صينية شعبية قديمة، ولكن من الصعب التوصل إلى مفهوم محدد لها، فقد أشكل هذا التحديد على كثير من الباحثين في الديانات الشرقية[1] - بل وعلى كثير من أتباعها وعلمائها[2]. ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى عوامل ثلاثة:

١- أن الطاوية - كما نراها اليوم - قد تشكلت عبر مراحل مطولة، وخضعت لعملية إدماج مستمر للعديد من التسلسلات الفكرية القديمة والعناصر الخارجية[3]. ولم تتوقف التطورات الفكرية في الطاوية الفلسفية والدينية عند حد أو زمن معين، ومن ثم يصعب تعريفه؛ نظرًا للتغيرات المعقدة التي مرت بها خلال تطورها عبر تاريخ الصين الطويل.

٢- كما أن اهتمام الطاوية بالجوانب الطبيعية واشتراكها مع الديانات المحلية في كثير من المبادئ الفلسفية، جعل دخول تلك الديانات ذات الصفات المشتركة تحت المسمى العام للطاوية أمرًا شائعًا. وعليه، فإن الطاوية

---

(١) أُلف كتاب بعنوان: «ما هي الطاوية؟» من قبل أحد الباحثين في الديانات الشرقية يصل إلى ٢٠٠ صفحة، توصل فيه إلى أنه من العبث محاولة التوصل إلى تعريف موحد للطاوية. راجع:

What is Taoism ? - Herlee Glessner Creel

(٢) ولا شك في وجود من وضع للطاوية تعريفًا سواء من أتباعها أو من الباحثين فيها، غير أن عدم الاتفاق على تعريف موحد أضفى شيئًا من الغموض على هذا المصطلح.

(٣) انظر: Taoism: the Growth of a Religion: 1 - Isabelle Robinete

مصطلح مرن، قد يطلق - تجوُّزًا - على ما لا يصح إطلاقه عليه[١]. بل إن بعض من يُنسب إلى الطاوية، ممن يتبنى فلسفتها العامة ويتّبع بعض تعاليمها لا يقر بأن الطاوية هي اسم لدينه.

٣- أضف إلى ذلك، أن كثيرًا من التعاليم الطاوية محاطة بالغموض. ويحرص أتباعها على السرية التامة، حيث لا تُفشى أسرارها إلا لخواص الأتباع[٢]، وذلك رغم قبولها كديانة رسمية، وحتى بعد الاعتراف بها في البلاط الإمبراطوري. هذه السرية تجعل من الصعب جدًا التوصل إلى مفهوم محدد لما يصح تسميته بـ الطاوية[٣].

وبالرغم مما سبق، إلا أن الطاوية تحمل بعض المعالم التي تميزها عن غيرها، وتجعلها فلسفة ودينًا مستقلًا. لعل ذلك يتضح من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: مؤسس الطاوية

رغم وجود جدل واسع حول بداية ظهور الطاوية، وحول شخصية مؤسسها، إلا أن جل الباحثين يرجعونها إلى الفيلسوف الصيني: **لاو تزي** **(Laozi - 老子)**، وإن كان بعضهم يرى أنه شخصية أسطورية خيالية ليس لها واقع في التاريخ.

وعلى أية حال، فإن وجود الرجل أو عدمه لا يؤثر على دراسة التعاليم المنسوبة إليه، فالمهم هو ما ينسب إليه من آثار بالإضافة إلى مكانته عند أتباع هذه النحلة. وبما أن كتاب الـ (طاو طي جنغ) **(Dao de jing - 道德經)** المنسوب إلى **لاوتزي**

---

(١) انظر: Chinese Religions: 85 - Julia Ching

(٢) كما هو الحال عند أصحاب العقائد الباطنية.

(٣) انظر:

Taoism: the growth of a religion: 4 - Isabelle Robinete

Chinese Religions: 85 - Julia Ching

- والذي تعتمد عليه الطاوية بشكل رئيس - ليس إلا رموزا غامضة لا يمكن أن تُفهم إلا على ضوء الشروح الموضِّحة، فقد عُدَّ **شوانغ تزي** (Zhuangzi - 莊子) المؤسس الثاني للطاوية نظرًا لما لكتابه - الذي يحمل اسمه - من الأثر الكبير في تشكل الفكر الطاوي، وإيصال الفلسفة الطاوية إلى مرحلة النضج. وفيما يلي نبذة مختصرة عن مؤسسي الطاوية:

المؤسس الأول: لاو تزي (Laozi - 老子)

يعتبر **لاو تزي** أول مفكر صيني كبير ذكرته الكتابات التاريخية الصينية، كما يعد المؤسس الأول للفلسفة الطاوية. ومما يجدر الإشارة إليه أن لفظة: «**لاو تزي**» ليست اسمًا لهذا الرجل، ولا هي اسم أسرته، وإنما هي كلمة تعني: الأستاذ أو العالم أو الحكيم القديم أو العجوز، أما اسمه الحقيقي فهو: **بي يانغ**، واسم أسرته لي[1].

ولد **لاو تزي** في عام ٦٠٤ ق.م، ونشأ في بيت فقير ببلدة في الصين الوسطى. اطلّع **لاو تزي** - من خلال عمله كأمين للمكتبة الملكية - على الظروف الصعبة التي مرت بها المجتمعات الصينية في الفترات العصيبة من تاريخ الصين، مما ساهم في تكوين رؤيته للخلاص. قرر **لاو تزي** أن الخلاص لا يمكن أن يتحقق بمحاولة إصلاح الأوضاع العامة وبالعمل الاجتماعي، وإنما يكون بالابتعاد عن الحياة الاجتماعية. هذا الخلاص هو خلاص فردي منبعث من داخل النفس الإنسانية المنصاعة لقيادة الـ (طاو) (道 - Dao)[2] الأبدي السرمدي، ويتم بتوحُّد الـ (طي) (德 - De)[3] الفردية مع الـ (طاو) الكلي المتحكم في الوجود.

---

(١) انظر: الفلسفة الشرقية: ٢٣٢ - محمد غلاب، والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: ٢٤٦ - د. جمال المرزوقي.

(٢) يأتي تفصيله بإذن الله في صـ: ١٠٠ من هذا البحث.

(٣) يأتي تفصيله بإذن الله في صـ: ١٠٣ من هذا البحث.

لقد كان فساد الأوضاع العامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية سببًا لأن يعيش **لاو تزي** حالة اغتراب وعزلة عن المجتمع العام. وتَذكُر الروايات الصينية، أنه لما بلغ السبعين من عمره قرر أن يهاجر عن بلاده حيث رأى أن مآلها إلى الفوضى والدمار. لكن اشتُرط عليه عند بلوغه حدود البلاد أن يترك شيئًا خلفه تنتفع بها بلاده، فألف كتاب (الطاو طي جنغ) ودوّن فيه أفكاره الفلسفية[١]. ولا يعلم بعد ذلك شيء يذكر عن حياته، إلا ما ذكر عن عيشه في العزلة إلى أن توفي وعمره تسعون عامًا في عام ٥١٧ ق.م.

ثم إن هناك حكايات - أشبه ما تكون بالأساطير - تحكي أن **لاوتزي** بلغ مائة وستون عامًا، وأنه لم يمت إلا بعد كنفوشيوس (**Confucious - 孔子**)[٢] بزمن طويل[٣].

اختلفت النظرة إلى **لاو تزي** بحسب اختلاف أتباعه، حيث تناسبت صورته مع توجهاتهم ومشاربهم.

- فصوّره ممارسي التخليد[٤] على أنه ساحر عظيم استطاع التوصل إلى الخلود بالحكمة وطرق إطالة العمر.

---

(١) وقيل: إن الذي طلب منه الكتاب هو أحد خاصة تلاميذه.

(٢) كنفُشيوس: هذه اللفظة هي تعريب لكلمة تم تحويلها إلى اللاتينية بأقرب ما تحتمله هذه اللغة، وأصلها: (كونغ - فو - تزي)، بمعنى: الأستاذ المبجل. ولد **كنفشيوس** عام ٥٥١ ق.م في أسرة مرموقة ونشأ يتيمًا، ثم تزوج في مرحلة مبكرة. تعين في عدة وظائف إلى أن عين مديرًا أعلى لمدينة (تشونغ تو) وعندها تمكن من تطبيق مبادئه عمليًا، ولكنه استقال في عام ٤٩٦ ق.م بسبب عدم توافقه مع الدوق، فأخذ بالتنقل بين البلدان. كرس آخر حياته لجمع ونَسْخ الكتب المقدسة القديمة. ويذكر أنه التقي بـ **لاو تزي** وأخذ عنه. توفي عام ٤٧٨ق.م.

انظر: موسوعة أعلام الفلسفة: (٢٦٧ - ٢٦٩) - محمد أحمد منصور، والفلسفة الشرقية: (٢٤٤ - ٢٤٨) - محمد غلاب، وذيل الملل والنحل: (١٩ - ٢١) - محمد الكيلاني، و

Encyclopedia of Religion: (147 - 148) - Vergilius Ferm

(٣) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (٦٩، ٧٢) - د. عمر عبدالحي، والفلسفة الشرقية: (٢٣٢ - ٢٣٥) - محمد غلاب، والأديان الحية: ٧٥ - أديب صعب.

(٤) وهم الذين يسعون إلى تحقيق الخلود البشري من خلال العقاقير أو الرياضات البدنية والروحية.

- أما النخبة والبلاط الإمبراطوري فقد جعلوه تجسيدًا لـ (طاو) وهو إمبراطور خارق للطبيعة يدير الكون ويجلب السلام للإمبراطورية الصينية.
- وفي القرن الثاني، جعله الثوار المثاليون مخلصًا للطبقات الدنيا من المجتمع واعتبروه المسيح الملهم، وزعموا أنه كان يتجلى لقادتهم أثناء حالات النشوة فيوحي لهم ما يشاء.
- وقد تطورت قصة **لاو تزي** مع انتشار البوذية، فادعوا أنه وُلد لعذراء وأُهبط ليؤيد العالم في مسيرة التطور بقيادة أبطال الصين، وزعموا أنه ظهر في الهند في صورة **بوذا**(١) لينشر تعاليم الحضارة الصينية بين الهنود الهمجيين(٢).

(١) تأتي ترجمته عند الحديث عن البوذية في المبحث القادم بإذن الله.

(٢) انظر: الدين في الهند والصين وإيران: ١٣٥ - أبكار السقاف، و

Laotze and the Tao Te Ching: 8 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

Taoism: the growth of a religion: 25 - Isabelle Robinet

والمتأمل في أسطورة **لاو تزي** يلحظ أنها تشكلت عبر العصور بحسب الأوضاع الاجتماعية والاحتياجات السياسية.

- ففي البداية، لم تذكر شخصيته إلا في الكتابات الكنفشيوسية ليظهر **كنفشيوس** على انه شخص محب للتعلم، ينهل من هذا الحكيم الذي يحرس أرشيفات الدولة.
- بعد ذلك، ومع ظهور رغبة الإمبراطور بالخلود، ظهرت فكرة إطالة عمر **لاو تزي** وتخليده ليكون سر الخلود بأيدي أتباعه. ولئلا يقال: أين **لاو تزي** الخالد ليُعلِّم الإمبراطور طرق إطالة العمر بنفسه؟ اختلقت قصة ذهابه إلى غرب البلاد واختفائه هناك، وكان من المناسب أيضًا أن يكون الاختفاء في الجبال صفة ملازمة لجميع الحكماء الخالدين لكي لا يبرز السؤال البدهي: أين هم الآن؟!
- وعند ظهور أسرة **هان** وجد الطاويون وسيلة التقرب إليهم من طريق النسب. فزعموا أن **لاو تزي** ولد في موطن الـ **هان** لتربط بينهم وبين مؤسس الطاوية صلة قرابة. وهكذا..

المؤسس الثاني: شوانغ تزي (Zhuangzi - 莊子)

يعد **شوانغ تزي** الرجل الثاني في الفلسفة الطاوية بعد **لاو تزي**، وقد اشتهر من خلال الكتاب الذي يحمل اسمه. ولد في ولاية **سونغ** عام ٣٦٩ ق.م. وتقلد منصبًا صغيرًا في مدينة «خيان» لفترة قصيرة، زار فيها القصور الملكية التي كان المفكرون ينتقلون فيما بينها في محاولات لإصلاح الأوضاع، غير أنه سرعان ما نبذ صخب العيش في المدينة، ولجأ إلى العزلة والتنسك والتأمل في أسرار الكون والوجود.

تذكر بعض الروايات أن **شوانغ تزي** تلقى عروضًا مغرية لتقلد بعض الوظائف المرموقة في البلاط الملكي، إلا أنه رفضها جميعًا؛ خوفًا من أن تكون تلك المناصب مما قد يجبره على الإذعان لتقاليد البلاط والتزاماته. كما رفض تملك شيئا من متاع الدنيا لمخالفتها البساطة التي يؤمن بها. وقد قامت فلسفة **شوانغ تزي** على أساس مبدأ وحدة الإنسان مع الـ (طاو)، حيث يرى فيها تحقيق الحرية الفردية المؤدية إلى التحرر الكامل من قيود الحياة المادية.

توفي المؤسس الثاني للفلسفة الطاوية عام ٢٨٦ ق.م[1].

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات الطاوية

قبل الحديث عن المعتقدات الطاوية، لا بد من التمييز بين تيارين متباينين يحملان الاسم ذاته، كلاهما انطلق من مبدأ الـ (طاو) الذي قرره **لاو تزي**، مؤسس الطاوية، في كتابه الـ (طاو طي جنغ). يتمثل التياران بالفلسفة الفكرية الصينية القديمة، وبالديانة الباطنية التي هي أحد الديانات الأربع الرسمية في

(١) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (١٢٠ - ١٢٦) - د. عمر عبدالحي، والفلسفة الشرقية: (٢٤١ - ٢٤٤) - محمد غلاب، والأديان الحية: ٧٧ - أديب صعب.

الصين، إلى جانب الكُنفُشيوسية[١]، البوذية، والديانة الشعبية[٢]. وقد اصطُلح على تسميتهما بالفلسفة الطاوية والديانة الطاوية[٣]. ولا يخفى على الباحث، أن الفلسفة الطاوية تتضمن جل المعتقدات الأساسية لكلا التيارين الآنف ذكرهما، بينما يكمن الفارق الأساسي بينهما في تبني الديانة الطاوية بعض الطقوس التعبدية وميلها إلى السحر والشعوذة.

---

(١) **الكنفشيوسية**: هي حركة إصلاحية صينية ظهرت في القرن الثالث ق.م تنسب إلى مؤسسها كنفشيوس. وهي عبارة عن مجموعة حكم ووصايا لإدارة مجتمع مثالي. تفاوت انتشار الكنفشيوسية من زمن إلى آخر، حيث كان ثمة تنافس بينها وبين التيارات الدينية المنتشرة في الصين، كالطاوية والبوذية، مما أدى إلى تراجعها في بعض الأزمنة. ولكنها عادت إلى الصدارة في دولتي **تانغ** و**سونغ**. وعند ظهور الكنفشيوسية المستحدثة (Neo-Confucianism) – التي دَمَجَت بعض التعاليم الطاوية والبوذية – أصبحت هي الفلسفة السائدة لدى مثقفي الصين. تفككت المؤسسات الكنفشيوسية بعد انهيار الحكم الملكي الراعي لها، وخاصة بعد الثورة الاشتراكية، إلا أنها بقيت بعض عناصر الكنفشيوسية في الديانات الصينية في تايوان وهونغ كونغ ومكاو. انظر:

The Columbia Encyclopedia: 11376

(٢) **الديانة الصينية الشعبية**: هي الديانة الصينية الشاملة للممارسات الدينية المنتشرة في كثير من أنحاء الصين منذ آلاف السنين. ومن السمات البارزة لهذه الديانة ما يلي: ١- تعدد الآلهة وعبادة الأرواح ٢- تقديس وعبادة الأسلاف ٣ – العناية بالسحر والكهانة ٤- تعظيم بعض الأخلاقيات إلى حد أنه نصبت لها آلهة تعبد (كالإخلاص، العدل، الشجاعة.. الخ). انظر:

Encyclopedia of Religion: (143 - 144) - edited by: Vergilius Ferm

(٣) ترى إيزابيل روبانيت (بروفسور الصينيات في جامعة إكسن الفرنسية) أن هذا التقسيم ليس له أهمية، وأن الاختلاف بين التيارين اختلاف ظاهري. فمثل هذا التقسيم يبرز – في رأيها – عند دراسة أية ديانة. انظر: Taoism: the growth of a religion: 3 - Isabelle Robinete

والذي يظهر هو أن مقومات الفلسفة الطاوية تعد عاملًا مشتركًا في التيارين، فالطاوية الدينية تتبنى المبادئ الفلسفية ذاتها، ولكنها أضافت إليها اعتقادات وممارسات محدثة. كما أن أثر الديانات والفلسفات الأخرى أكثر وضوحًا في الديانة الطاوية منه في الفلسفة. وبما أن لكل منهما ملامح مختلفة، ولأن ليس كل من يتبنى الفلسفة الطاوية يعتبر ما أدخل عليها في الديانة مقبولًا (أي أنها ليست متلازمة كالعقيدة والشريعة)، لهذه الأسباب وغيرها آثرت اتباع طريقة التقسيم الفلسفي- الديني الذي سار عليه كثير من الباحثين.

لذا كان من المناسب البدء بالمبادئ الرئيسة للفلسفة الطاوية التي تشكل القاعدة العقدية للطاوية عمومًا، ومن ثم الانتقال إلى الديانة الطاوية في المطلب الذي يليه:

الفلسفة الطاوية (Daojia)

هي أفكار ومبادئ ترتكز في الأساس على فكر **لاو تزي**، وتلميذه **شوانغ تزي**. وكذلك على من جاء من بعدهما من المفكرين الذين عكفوا على تعاليم **لاو تزي** خاصة، وتوسعوا في أطروحاته الفلسفية. أُطلِق عليها اسم الطاوية نسبة إلى الـ (طاو) المذكور في الـ (طاو طي جنغ) والذي هو المحور المركزي في هذه الفلسفة. وكثيرًا ما كانت تذكر الفلسفة الطاوية في مقابل الفلسفة الكُنفُشيوسية وتناهضها[1]، فالفلسفتان عبارة عن نتيجتين مختلفتين لمشكلة واحدة، وهما ردة فعل للأوضاع المنحطة السائدة في فترة الدول المتحاربة. لكن مع مرور الأزمنة وتوالي الأحداث، بدأت تتداخل بعض مبادئ الفلسفتين وتندمج شيئًا فشيئًا. وفيما يلي أهم مبادئ الفلسفة الطاوية، وأبرز معتقداتها:

أولًا: الـ طاو (Dao/Tao 道)[2]:

ترتكز الفلسفة الطاوية على مبدأ الـ (طاو) الأبدي، وإليه تنسب. وهو عامل مشترك في كثير من الفلسفات الصينية المحلية، فكلمة الـ (طاو) كلمة شائعة الاستعمال، وإن كان - في التراث الصيني - يختلف معناها من مفكر لآخر[3]،

---

(١) ومن الباحثين من يرى أن كلًا من الفلسفتين مكملة للأخرى. بل إن كثيرًا من الصينيين يتبنون الفلسفتين على حد سواء. فالكنفشيوسية تنظم للمرء حياته الاجتماعية والسياسية، بينما يلجأ إلى الطاوية في حياته الخاصة وللحصول على المواساة الروحية. انظر:
الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (٥٧ - ٥٩) - د. عمر عبدالحي.

(٢) ذكرت الكلمتين لأن (Dao) هي المعتمدة في البن ين ولكن (Tao) هي الأشهر واستخدامها هو الدارج.

(٣) انظر: Chinese Religions: 91 - Julia Ching

فـ «جميع المفكرين الصينيين بدءًا بـ **لاو تزي*** وكنفوشيوس حتى **ماو زي دونغ***[١] (مؤسس الصين الشيوعية سنة ١٩٤٩ م) قد أخذوا بفكرتي الـ (طاو) والـ (يانغ) والـ (ين)[٢] بأشكال مختلفة تتناسب ورؤيتهم الفلسفية للإنسان والمجتمع»[٣].

«ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن فكرة الـ (طاو*) كانت معروفة في الصين قبل **لاو تزي***، بيد أنها لم تكن تحوي ذاك البعد الفلسفي العميق الذي أضافه إليها»[٤].

الطاو في اللغة:

يعني الطريق أو الطريقة أو السبيل أو الصراط أو النهج[٥].

الطاو في الفلسفة الطاوية:

من الغريب أن يكون العنصر الرئيسي في الفلسفة الطاوية غير قابل للتوضيح أو الفهم، وهو مما يعزز القول بأن الطاوية فلسفة غامضة لا يمكن الإحاطة بكنهها أو تحديد مفهوم دقيق لها.

يفتتح **لاو تزي** كتاب الـ (طاو طي جنغ) بالعبارة التالية:

---

(١) ماو زي دونغ (Mao Zedong - 毛泽东): أحد رؤساء الصين في العصر الحديث. ولد في بلدة (هونان) الصينية عام ١٨٩٣ م. شارك في أول مؤتمر للحزب الشيوعي عام ١٩٢١ م ولعب دورًا هامًا في الحركة الثورية في العشرينيات. تولى قيادة الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٣٥ م وحتى وفاته عام ١٩٧٦ م. انظر:

Biographical Dictionary of Marxism: 211 - edited by: Robert A. Gorman

(٢) يأتي تفصيلها لاحقًا في صـ: ١٦٧ من هذا البحث بإذن الله تعالى.

(٣) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٥٩ - د. عمر عبدالحي.

(٤) المرجع السابق: ٦٧.

(٥) انظر: الفلسفة الشرقية: ٢٢٤ - محمد غلاب، وكتاب التاو: ١١ - ترجمة وتقديم: هادي العلوي، والفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٦٧ - د. عمر عبدالحي.

«الـ (طاو) الذي يمكن التعبير عنه

ليس هو الـ (طاو) الأبدي

الاسم الذي يمكن تسميته

ليس هو الاسم الأبدي

هذا الذي بلا اسم، كان مبدأ السماوات والأرض

والمسمى كان أُمًّا لآلاف المخلوقات»(١)

إن وصف الـ (طاو) بأنه «شيء» - في نظر الفكر الصيني - يعني تحديد مكان له في الكون، وهذا ليس بممكن مع الـ (طاو) فهو يتغلغل في كل شيء ويشمله، ولا يُخفي **لاو تزي** - وهو الأب الروحي لهذه الفلسفة - حيرته أمام هذا المطلق الغريب، فيصفه بأنه:

«غامض.. محير.. غير واضح.. مخفي.. مظلم»(٢)

ويقول في موضع آخر:

«الـ (طاو) لا سبيل إلى تعريفه قط!

وهو من الصغر في حالة الـ لا تشكل بحيث يتعذر الإمساك به»(٣)

ولكنه لا يستسلم لهذه الحيرة، فيعطي الـ (طاو) وصفًا عامًا لا يزيد المبدأ الغامض إلا غموضا، فيقول:

«كان هناك شيء غير واضح

ولد قبل السماوات والأرض

---

(١) The Tao Te Ching: A New Translation with Commentary: 51 - Ellen M. Chen

Tao Te Ching: 3 - translated by: David Hinton

(٢) Tao Te Ching: 24 - translated by: David Hinton

(٣) كتاب التاو: ٧١ - هادي العلوي.

صامت، فارغ

وحيد، لا يتغير

دائم الحركة، لا يُنهك

قد يكون أُمًا لما تحت السماء

أنا لا أعرف اسمه، ولكني أسميه الـ (طاو)»[١]

أما **شوانغ تزي**، معلم الطاوية الثاني، فقد قرر بأن الـ (طاو) في كل مكان، فلا يخلو منه مكان. وعندما طُلب منه التحديد أكثر، قال:

«إنه هنا في النمل.. في حشائش الأرض..

في الآجر والقرميد.. وفي البول والعذرة أيضًا!»[٢]

وعليه، فالـ (طاو) لا يمكن أن يكون مرادفًا لله، بل هو ليس إلهًا بحال. وهو لا يحمل بعدًا روحانيًا ولا صفات إلهية، فالطاوي لا يتعامل مع الإلوهية. ولم يكن المؤسس الأول ولا تلامذته المشهورون يقرون بخالق مُوجِدٍ للمخلوقات بعلم وإرادة، فالـ (طاو) عندهم فاعل بلا إرادة، بل إن **شوانغ تزي** يرفض إعطاءه صفة الفعل رغم اضطراره لاستخدام العبارة المشعرة بذلك.

يشبه الـ (طاو) - إلى حد كبير - العقل الأول عند فلاسفة اليونان وكذلك الـ (براهمان) عند الهندوس، كما أن فلسفة الطاوية في ابتداء الكون تشبه نظرية التسلسل الفيضي. فالـ (طاو) يولِّد واحدًا، ومن الواحد يتولد الاثنان ومن الاثنين الثلاثة ومنها كل الموجودات[٣].

إن الـ (طاو) في الفلسفة الطاوية «داخل الوجود لا خارجه، أي: لا مفارق

---

(١) The Tao Te Ching: 116 - Ellen M. Chen

(٢) The Complete Works of Chuang Tzu: 18 - translated by: Burton Watson

(٣) انظر كتاب التاو: (١١ - ٢٦) - هادي العلوي.

ميتافيزيقي[١] مطلق في الطاوية»[٢]، وقد أنكرت بصراحة أن يكون للعالم صانع من خارجه. فهي - باختصار - صورة جلية من صور وحدة الوجود، حيث الـ (طاو) حاضر في الكائنات لا يفصله عنها مسافة في الزمان أو المكان.

ويأتي الـ (طاو) في كتاب الـ (طاو طي جنغ) على ثلاثة معان إجمالية:

١- **الـ (طاو)** بمعنى: طريق الحقيقة المطلقة، وهو بهذا المعنى لا يمكن تعريفه أو رؤيته أو حتى تصوره بشكل واضح، فهو غير محدود، وبلا حدود أو شكل. هو مبدأ كل شيء، ولا شيء منها هو الـ (طاو). والـ (طاو) بهذا المعنى هو ما تحدثنا عنه سابقا، وهو المعنى الأساسي له الذي يفهم منه عند الإطلاق.

٢- **الـ (طاو)** بمعنى: طريق الكون، فهو المعيار والإيقاع وهو القوة وراء الطبيعة كلها والذي يسري بداخلها[٣]. هو روح وليس مادة. وهو طاقة لا تنفد، يزداد تدفقًا كلما استُمد منه. إنه خيّر ويهب الحياة للكل، إنه «أم العالم».

٣- **الـ (طاو)** هو طريق الحياة البشرية حال انسجامها بـ (طاو) الكون[٤].

إن المفاهيم التي اكتسبتها هذه اللفظة تجعلها قابلة لتفسيرات شتى، لكن الأساس يبقى أن الـ (طاو) هو مطلق الطاويين وهو مبدأ كل شيء ومآله، لكنه لا يخرج عن مقتضى الكون والطبيعة الكونية.

---

(١) **ميتافيزيقي**: من الميتافيزيقيا، ويراد بها ما وراء الطبيعة (انظر: المعجم الفلسفي: ١٧٩ - مجمع اللغة العربية).

(٢) تيارات الفلسفة الشرقية: ٥٨ - محمد حسن.

(٣) انظر قصة الحضارة: ٤/ ٣١ - ول ديورانت.

(٤) The Illustrated World's Religion's: A Guide to Our Wisdom Traditions: 126 - Huston Smith (بتصرف)

ثانيًا: الـ طي[1] (De/Te - 德)

وهي - كالـ (طاو) - مصطلح شائع في الثقافة الصينية يختلف مفهومه باختلاف المذاهب الفكرية والفلسفية. كثيرًا ما تترجم الـ (طي) إلى الفضيلة، غير أن هذه الترجمة لا تخلو من تساهل، فمفهوم الـ (طي) أقرب إلى كونه «القوة التركيبية الفاعلة في الأشياء»[2] منه إلى صفة الفضيلة. إن الـ (طي) في الفلسفة الطاوية هي النهج التطبيقي العملي الإنساني للـ (طاو)، فإن **لاو تزي** عندما دعا الإنسان إلى اتباع الـ (طاو) وصف الطريق الموصل إلى هذا الاتباع بـ (طي). وقد فسرها بعضهم بأنها: الإرادة القوية الواعية الكامنة في نفس الحكيم، وهي التي ترشده إلى الابتعاد عن الأنانية والانغماس في عالم الشهوات، كما تدله على العودة إلى أصالة الحياة الطبيعية الأولى التي يعيش فيها الإنسان في حالة توحد مع الطبيعة في كل موجوداتها وظواهرها المتحركة بفعل الـ (طاو) وقوانينه[3]. فالـ (طي) المنبثقة من الـ (طاو) تدعو الإنسان للعودة إلى البساطة الطبيعية الموصلة إلى الكمال، وإلى تمام العلم بالـ (طاو) الأبدي السرمدي، ومن ثم الانصهار به في وحدة كونية.

يقول **لاو تزي**:

«... هذا يدعى (طي) اللا جهد
يدعى قدرة التعاطي مع الناس
ولقد كان هذا معروفًا منذ القدم بأنه
الاتحاد التام مع السماء»[4]

---

(١) والاسم المتعارف عليه هو الـ (تي) (Te)، غير أنه لا يتوافق مع صيغة البن ين التي اعتمُدها في بحثي.

(٢) كتاب الطاو: ٥٨ (حاشية المترجم) - هادي العلوي.

(٣) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٨٧ - د. عمر عبدالحي (بتصرف).

(٤) كتاب الطاو: ٥٨ - هادي العلوي.

وعلى هذا فإن مبدأ الـ (طي) عند لاو تزي يختلف تمامًا عن مفهومه عند كنفوشيوس، وكذلك عن المعاني التي كانت سائدة في زمنه، حيث كانت الـ (طي) تُفسر بالالتزام والتقييد بمبادئ الآداب السلوكية والقواعد الأخلاقية للأباطرة الأسطوريين، ولاو تزي يعارض هذه الآراء، بل يرفض تعلم قواعد السلوك والآداب التي يراها طبيعة انسيابية لا تحتاج إلى تكلف وتعليم"[1].

ثالثًا: فلسفة الـ (ين يانغ) (Yin-Yang - 陰陽):

لقد مزج لاوتزي مبدأ الـ (ين يانغ) ذو الأصول القديمة في الثقافة الشرقية مع فلسفته للـ (طاو)، خرج من خلاله بتفسير كلي للوجود. فاعتبر أن الـ (طاو) هو الواحد الأزلي الذي تولدت منه الثنائية المتمثلة بالـ (ين يانغ)، ومن هذه الثنائية تولد كل ما في الوجود.

«الـ (طاو) تنسل الواحد

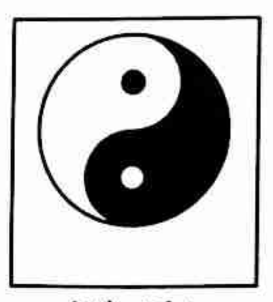
الواحد ينسل الاثنين

الاثنان تنسل الثلاثة

الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

العشرة آلاف شيء تحمل الـ (ين) وتحتضن الـ (يانغ)

وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»[2]



شكل (٣)
رمز الـ (ين يانغ)
في الطاوية

رابعًا: الاتحاد والتنوير (الإشراق)

يعد التوحد مع الـ (طاو) هو الهدف الرئيس في الفلسفة الطاوية، حيث لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة والاستقرار النفسي إلا عن طريق هذه الوحدة.

---

(١) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (٨٠ – ٨٨) – د. عمر عبدالحي.

(٢) كتاب التاو: ٧٧ – هادي العلوي.

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا المبدأ في الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله.

«وقوام الموقف الطاوي هو أن حيل البشر وأفاعيلهم تُفضي إلى الشر والتعاسة، ويتعين عليهم للعثور على السلام والرضا أن يتبعوا طريق الكون، أو (طاو) الكون، وأن يحققوا التوحد مع هذا الـ (طاو)»[١].

يقول لاوتزي:

«من يتبع الـ (طاو)،
يكن واحدًا مع الـ (طاو)...
متى ما تكون واحدًا مع الـ (طاو)
يرحب بك الطاو»[٢]

ومن أجل التوصل إلى هذا الهدف، يمر السالك بعدة مراحل:

- «تبدأ بمرحلة يخلو فيها الفرد إلى نفسه ويقطع كل صلة بينه وبين عالم الأشياء المحسوسة.
- وتتلو تلك مرحلة ثانية تقوم على الامتناع عن كل ما من شأنه تدنيس الروح والحيلولة بينها وبين الوصول إلى الحقائق المجردة. وفي هذه المرحلة يتجرد الإنسان من الماديات حتى يصير روحا خالصة.
- وبعد ذلك تأتي مرحلة الرؤيا أو الإشراق[٣]، حيث يدرك الفرد - بزعمهم - الحقائق المجردة إدراكًا مباشرًا لا وساطة فيه.
- وأخيرًا، تأتي المرحلة النهائية؛ وهي الاتصال التام أو الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم[٤]، وهي المرحلة التي يحصل فيها اندماج تام بين

(١) الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: ٢٥٣ - د. جمال المرزوقي.
(٢) كتاب التاو: ٦٥ - هادي العلوي.
(٣) وهو ما يعبر عنه أحيانًا بـ (التنوير) أو (التنور).
(٤) الـ (طاو).

المتصوف الطاوي والذات العليا، بحيث تفنى الشخصيتان بعضهما في بعض، وتصيران شخصية واحدة»[١].

خامسًا: التخلي عن الفعل (Wo-Wei - 卧位):

يتضمن مفهوم الـ (طاو) عند **لاو تزي** فكرة: التخلي عن الفعل وعدم العمل، وهي التي يُعَبَّر عنها بـ (وو وي). وتتمثل هذه الفكرة في عدم التدخل بالمجرى الأبدي للطبيعة فهي تقوم بكل ما يلزم، أما الإنسان فليس عليه إلا ترك العمل[٢]. ولهذا كان من أقواله:

«افعل الأقل فالأقل، حتى تستكمل الـ لا فعل

وإذ لا تفعل شيئًا، فلن يبقى شيء غير مفعول»[٣]

وسيأتي مزيد تفصيل لأبرز هذه المبادئ في الفصل القادم بإذن الله.

المطلب الثالث: الديانة الطاوية (Daojiao)

ابتدأت الطاوية كفلسفة بحتة ولم تتخذ الطابع الديني إلا في القرن الثاني للميلاد تقريبًا، في فترة حكم دولة **هان** الغربية، عندما حُوِّلت بعض الأفكار والفلسفات القديمة إلى ما يشبه المعتقدات الدينية. ويُذكر أنه لما يأس بعض تلاميذ **لاو تزي** «من إدراك العقل البشري لكنه الـ (طاو) لم يجدوا بدًا من أن يعلنوا أن ما لم يدرك بالعقل يدرك بواسطة السحر، ومن هنا نشأ مذهب الطاوية الديني، وهو مزيج من قواعد سحرية وتعاليم تصوفية»[٤].

---

(١) ذيل الملل والنحل: (٢٧ - ٢٨) - محمد الكيلاني (بتصرف يسير).

(٢) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٧٤ - د. عمر عبدالحي، والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: ٢٥٣ - د. جمال المرزوقي، وذيل الملل والنحل: ٢٨ - محمد سيد الكيلاني.

(٣) كتاب التاو: ٧٩ - ترجمة: هادي العلوي.

(٤) الفلسفة الشرقية: ٢٤٠ - محمد غلاب، وانظر: الأديان الحية: (٧٨ - ٧٩) - أديب صعب.

ويمكننا الحديث عن الديانة الطاوية من خلال ثلاثة فروع: مؤسسها، عوامل ظهورها، وأقسامها، كالتالي:

الفرع الأول: مؤسس الديانة الطاوية

كان **شانغ داو لنغ** (Zhang Dao Ling - 张道陵/張道陵)[1] من أبرز المفكرين الذين ساهموا في تحويل الفلسفة الطاوية إلى معتقدات دينية، ويعد المؤسس الحقيقي للديانة الطاوية. ففي عام ١٤٢ م ادعى **شانغ داو لنغ** أن **لاو تزي** ظهر له وأطلق عليه اسم المعلم المقدس وأمره بتأسيس فرقة: المعلمين القدسيين (**Tianshi Dao** - 天師道)، وهي أول حركة دينية طاوية[2]. قام هذا الرجل بممارسة الطب الروحي مقابل خمسة مكاييل من الأرز فأصبح هذا اسمًا آخر لفرقته[3]، كما لجأ إلى السحر والشعوذة لجذب الأتباع، بل إن ثمة من ترجم (**Daojiao**) إلى الطاوية السحرية[4]. وأصبح ذلك طابعًا عامًا للديانة الطاوية من بعده.

ظهر بعد **شانغ لنغ** بعض المفكرين الذين أدخلوا عناصر جديدة على الفلسفة الأصلية، كمبدأ (الثواب والعقاب) وأثر الأعمال في تقصير أو إطالة العمر. كما قالوا بإمكانية إطالة العمر وتحقيق الخلود عن طريق السحر والتوصل إلى إكسير

---

(١) **شانغ داو لنغ/ شانغ لنغ**: المؤسس التاريخي للطاوية الدينية، ولد ما بين (١٤٧ - ١٦٧ م)، جذب كثيرًا من الأتباع عن طريق كتاباته الطاوية وعن طريق المعالجة بالسحر. وكان يطلب من المرضى تقديم خمسة مكاييل من الأرز في مقابل العلاج مما أكسب الحركة اسم: حركة خمس مكاييل من الأرز. كان **شانغ** يسمى (المعلم المقدس)، والديانة التي نظمها كانت تسمى (طريق المعلمين المقدسين)، استمرت الحركة تحت قيادة ابن شانغ لنغ ومن ثم حفيده. انظر:

Encyclopedia of Religion: 143 - Vergilius Ferm

(٢) انظر:

Laotze and the Tao Te Ching: 5 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

(٣) انظر: Taoism: the growth of a religion: 55 - Isabelle Robinete

(٤) انظر: Religion without God: 79 - Ray Billington

الحياة، واستدلوا بتقرير **لاو تزي** لإمكانية ذلك شريطة الانتصار على الذات وتحقيق الوحدة الكاملة مع الـ (طاو)[1].

الفرع الثاني: العوامل المؤثرة في تشكيل الطاوية الدينية

يمكن تلخيص أبرز العوامل المؤثرة في تشكيل الطاوية الدينية بما يلي:

١- التيارات والفلسفات المحلية

أ- **الفلسفة الطاوية**: لقد كان للفلسفة الطاوية الأثر الأكبر في هذا التيار، بل يرى بعض الباحثين أن الطاوية الدينية ليست إلا صورة محرفة من الطاوية الفلسفية[2]. ولعل السبب في تقبل الشعب الصيني لهذه الفلسفة حتى اتخذها دينًا يدين به يعود إلى تناسبها مع طبيعته:

- فهو يسكن في مساحات زراعية واسعة يصعب معها ممارسة الطقوس الجماعية
- كما أن الرجل الصيني يتسم بالبساطة والقرب من الطبيعة[3].

فكان لهذين العاملين الأثر الكبير في تقبل الفلسفة الطاوية، حيث أن من مبادئها الأساسية اعتزال الحياة المدنية، واللجوء إلى التأملات الفردية، بالإضافة إلى ما تتضمنه من تعظيم للطبيعة يصل إلى حد التأليه.

ورغم أن كلًا من الطاوية الدينية والفلسفية ترجع جذورها إلى الديانات الصينية الأثرية، إلا أن بينهما فروقًا كبيرة. فالطاوية الفلسفية يمكن تمييزها بوضوح عن غيرها من التيارات الفكرية المنتشرة، كالكنفشيوسية أو

---

(١) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (١٤٤ - ١٤٧) - د. عمر عبدالحي.

(٢) انظر: Laotze and the Tao Te Ching: 3 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

(٣) انظر الفلسفة الفكر السياسي في الصين القديمة: ١٤٤ - د. عمر عبدالحي.

المدرسة القانونية[١]. بينما الطاوية الدينية يشوبها الغموض وعدم التحديد خلال تاريخها ومراحل تطورها. ويمكن اعتبارها نتيجة لمحاولات الطبقة الحاكمة في إدخال الإصلاحات على الطاوية الأصلية، وذلك عن طريق خلطها بالأفكار والممارسات الكنفشيوسية والبوذية.

ب- المدارس الفكرية المحلية:

- **مدرسة الـ (ين يانغ) ومدرسة العناصر الخمسة**: رغم أن الطاوية قد تعتبر الديانة الصينية المحلية الوحيدة إلا أنها امتزجت بكثير من التيارات الفكرية المحلية. ولم تكن الطاوية الفلسفية هي العامل الوحيد في تكوين الطاوية الدينية، بل اشترك في هذا التكوين عدة عوامل مختلفة كبعض الأفكار المستقاة من مدرسة الـ (ين يانغ) ومدرسة العناصر الخمسة[٢].
- **مدرسة هوانغ لاو**[٣]: حيث تُقَرِّر هذه المدرسة إمكانية توصل

---

(١) **المدرسة القانونية**: وتسمى المدرسة الواقعية. ظهرت في زمن دولة شاو الشرقية (Zhou) في القرن التاسع وحتى الثالث قبل الميلاد. وهي أقرب للفنون السياسية منها للفلسفة، فتعاليمها تدور حول أساليب استدامة الحكم وتقوية الدولة وإخضاع الشعوب. وهي لا أخلاقية مبنية على الاستسلام التام للحاكم، فهو من يحدد الخطأ والصواب ويسن القوانين، أما الشعب فيقاد بالترغيب والترهيب. وينظر أتباع المدرسة القانونية إلى الطاوية والكنفشيوسية على أنها خرافات. انظر:

The History of China: (34 - 36) - David Curtis Wright

(٢) انظر: Chinese Religions: 102 - Julia Ching

وسيأتي تفصيل هاتين المدرستين والعقائد المتعلقة بهما في الفصل الثاني إن شاء الله.

Religion Under Socialism in China: (17 - 18) - editor: Luo Zhufeng

(٣) **هوانغ لاو**: هي حركة دينية ازدهرت ما بين القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع للميلاد تحت اسم **هوانغ دي**، أو الإمبراطور الأصفر، و**لاو تزي**. كانت تهتم بالكهانة والخيمياء وتؤمن بالخالدين. قدمت هذه الحركة للطاوية بعض مبادئها الأساسية. وفي اسم الحركة إشارة إلى دمج الشخصين المقدسين عند الفرقة **هوانغ دي** و**لاو تزي**. انظر:

An Encyclopedia of Religion: 151 - edited by: Vergilius Ferm

الإنسان لحياة خالدة، وإلى أن يكون كائنا قدسيا عن طريق مزاولة بعض الأفعال والممارسات»[١]. وقد أصبح لأتباع الديانة الطاوية هدف مماثل حيث «نجد أن ثمة تركيز على إطالة العمر، بالإضافة إلى التقنيات والعقاقير المؤدية للخلود كالإكسيرات، والتأملات، والممارسات الصحية، والأنظمة الغذائية المخصصة»[٢].

- **الكنفشيوسية**: ويظهر أثر الأفكار الكنفشيوسية على الديانة الطاوية عند دراسة حركة التعليم الغامض **(Xuan-Xue)** أو ما يعرف بالطاوية المستحدثة **(Neo-Taoism)**[٣]، والتي أسسها **وانغ بي (Wang Bi)**[٤] في القرن الثالث للميلاد، حيث اتخذت موقفًا جديدًا وغير مناهض للكنفشيوسية خلافًا لما كان عليه الحال في السابق. فمُزجت الأخلاقيات الكنفشيوسية بالتصوف الطاوي. بل إن أبرز رجال الحركة اعتبروا **كنفشيوس** هو الحكيم المثالي، وليس **لاو تزي** أو **شوانغ تزي**[٥].

---

(١) انظر: Religion Under Socialism in China: 17

(٢) Striking a Balance: A Primer in Traditional Asian Values: 150 - Michael Brannigan

(٣) **حركة التعليم الغامض**: هي حركة طاوية تزامن ظهورها مع سقوط دولة هان، كانت تتبنى الاعتقادات والروحانيات الطاوية، غير أنها أرادت أن تحل محل الكنفشيوسية التقليدية التي كانت تسيطر على البلاد دون أن تتخذ موقفا معاديًا لها. فاقتبست كثيرًا من الأخلاقيات والتعاليم الكنفشيوسية لتظهر بثوب جديد يجمع بين الحاجات الروحية للفرد الصيني وتنظيم حياته الاجتماعية والسياسية. انظر:

Laotze and the Tao Te Ching: 100 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

(٤) **وانغ بي**: رجل عالم بالـ «يي جنغ» (Yi-Jing) عاش في القرن الثالث للميلاد، وقد سيطرت شروحه على الـ «يي جنغ» حتى القرن الحادي عشر. ركز على مبدأ ترك العمل والاتحاد مع الكون، غير أنه لم يرفض المبادئ الكنفشيوسية بل تبنى كثيرًا منها. توفي وعمره ثلاث وعشرون سنة فقط، عام ٢٤٩ م. انظر:

Fortune-Tellers and Philosophers: Divination in Traditional Chinese Society: 33 - Richard J. Smith

(٥) انظر: An Introduction to Confucianism: (89 - 90) - Xinzhong Yao

ج- **الشامانية**(١): من الممكن إرجاع جذور الطاوية الدينية إلى ممارسات الشامان القدامى والكهان(٢). «فكثير من الممارسات الطاوية تنحدر مباشرة من هذا التقليد، رغم أن الطاويين يُصرِّون على عدم وجود صلةٍ بينهما»(٣). وتظهر أبرز دلائل التأثير الشاماني في الديانة الطاوية فيما يلي:

- عند المقارنة بين قصائد الـ (تشوتشي) (Chuci)(٤) وبين كتابات الكهان الطاويين، يلاحظ على كتاباتهم تكرار بعض الأسماء المذكورة في القصائد، كما أن في القصائد إشارات كثيرة إلى ممارسات وطقوس أصبحت فيما بعد سمات للطاوية الدينية(٥).
- وقد كان لرجال (فانغ شي) (Fangshi)(٦) الشامان أثر في تكون

---

(١) الشامانية: هي جملة من الاعتقادات والممارسات المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم منذ أزمنة ما قبل التأريخ. وهي مقصورة على مجموعة من الرجال أو النساء الذين يسمون «شامان» يتصفون بصفات خارقة، يزعمون أن لديهم القدرة على تشخيص الأمراض وشفاء المرضى، وفي بعض الحالات التسبب بالأذى. كما يعتقد أنهم يتحكمون بالطقس ويتنبئون بالمستقبل، ويكثر عندهم تفسير الأحلام. وتكتسب هذه القدرات الخارقة عن طريق السيطرة على الأرواح. والشامان يشبه مفهوم «رجل الدين» في بعض الديانات ولكنه لا ينخرط في منظومة دينية أو كهنوتية. ولذا فلا يصح تسمية الشامانية دين. انظر:

An Encyclopedia of Religion: 707 - edited by: Vergilius Ferm

Shamanism: (1 - 2)

(٢) انظر: Striking a Balance: A Primer in Traditional Asian Values: 150

Religion Under Socialism in China: (17 - 18) - editor: Luo Zhufeng

(٣) انظر: Taoism: the growth of a religion: 36 - Isabelle Robinete

(٤) وكلمة الـ (تشو تشي) تعني: أغاني الـ (تشو)، وهي عبارة عن قصائد تعود إلى القرنين الثالث والثاني ق.م من إنتاج شامانية جنوب الصين أتباع جماعة (وو) (Wu)، وهي تختلف عن الاعتقادات السائدة في الشمال، حيث كانت تعتمد على السحر والشعوذة. انظر:

Taoism: the growth of a religion: 35 - Isabelle Robinete

(٥) انظر: Taoism: the growth of a religion: (35 - 36) - Isabelle Robinete

The Tao of the West: Western transformations of Taoist Thought: 30 - J.J Clarke

(٦) ويسمون (داو شي) (Daoshi).

الديانة الطاوية، حيث كانت اهتماماتهم تتركز على التنجيم والسحر والطب والعرافة، بالإضافة إلى البحث في سبل إطالة العمر. وكانت الأيديولوجية العامة لهم مقاربة لمدرسة الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة، أما «الحكمة» أو التعاليم السرية فقد كانت تنتقل من المعلم إلى التلميذ إما مشافهة أو عن طريق النصوص السرية[١]. وكل ما سبق يعد من السمات البارزة في الطاوية الدينية كما يمثل اهتمامات أتباعها.

ورغم وجود التشابه بين الطاوية والديانات الشعبية الصينية إلا أنها تظل ديانة مستقلة ومتميزة عن غيرها سواء في العبادات أو الاعتقادات. فلا تعد لونًا من ألوان الديانة الصينية الشعبية، وإن كانت قد تأثرت بها كثيرًا[٢].

٢- التيارات والفلسفات الوافدة (البوذية):

رغم ظهور البوذية في بلاد الصين في القرن الثالث قبل الميلاد، إلا أنه لم يظهر أثرها على الشعب الصيني إلا في القرن الثاني أو الثالث للميلاد. وقد قوبلت بمعارضة شديدة من قِبل الطاويين، ولم تستطع الديانتان التعايش إلا بعد ذلك بزمن طويل، بدأ بعده التأثير المتبادل بين الطاوية والديانة الهندية الدخيلة.

- فاقتبست الطاوية النظام الكهنوتي البوذي بكل ما فيه، وظهر الكهنة والراهبات في المعابد الطاوية.
- كما أقيمت شعائر وطقوس مشابهة للشعائر البوذية.

---

(١) انظر: Taoism: the growth of a religion: (37 - 39) - Isabelle Robinete
An Encyclopedia of Religion: 150 - edited by: Vergilius Ferm

(٢) انظر: Taoism: the growth of a religion: 5 - Isabelle Robinete

- وكانت عقيدة التثليث، المتأصلة في البوذية، من ضمن ما تبنته الطاوية، فاعتبر الطاويون **لاو تزي** و**بان كو** (Pa'n Ku)[1] وحاكم الكون أقطابًا في الثالوث المقدس.
- كما انتقلت إلى الطاوية عقيدة الـ (كارما) وما يُعتقد فيها بعد الموت، بالإضافة إلى الصلاة لأرواح الأموات.

وفي زمننا الحاضر، لا يمكن - إلا لذوي الخبرة - التمييز بين المعابد الطاوية وتلك التابعة لأتباع بوذا. والأمر كذلك بالنسبة لكهنة وراهبات الديانتين، بل إن العوام من سكان الصين يقومون باستدعاء رجل الدين البوذي والطاوي دون تمييز عند احتياجهم للموعظة، أو عند إقامة الاحتفالات الدينية[2].

الفرع الثالث: أقسام الطاوية الدينية

تنقسم الطاوية الدينية إلى فرقتين:

فرقة فولو **(Fulu)**: **واهتمامهم يتركز على عبادة الأرواح وتقديس الآلهة.**

١- **فرقة دان دنغ (Danding)**: ويركز أتباعها على إطالة العمر، وذلك بتحصيل:

---

(١) **بان كو**: هو إله أسطوري صيني قديم، اعتبر الإنسان الأول وله مواصفات غريبة.عمل جاهدًا لمدة ١٨ ألف سنة حتى فصل السماء عن الأرض وخلق النجوم والكواكب.. ثم وزع جسده على الأرض بعدما ازداد حجمه فتكونت من جسده جبال الصين، والرياح من أنفاسه، والرعد من صوته، والبشر من حشرات جسده!

انظر: الأديان الحية: (٧٢ - ٧٣) - أديب صعب، و

Alpha: The Myths of Creation: 128 - Charles H. Long

(٢) انظر: Religions of Ancient China: (63 - 64) - Herbert A. Giles

Religion Under Socialism in China: (15 - 17) - editor: Luo Zhufeng

Chinese Religions: 114 - Julia Ching

- الإكسير الخارجي (الخيمياء[1] الخارجية - **waidan**)، من خلال العقاقير الموصلة للخلود.
- بالإضافة إلى الإكسير الداخلي (الخيمياء الداخلية - **neidan**) أو العمل على تهذيب طاقة الحياة (تشي)[2]، في داخل الجسم البشري.

ومع ظهور العديد من الفرق لـ الطاوية، إلا أن التي ظهرت واستمرت هي تلك التي ركزت على الخيمياء الداخلية واعتزال الحياة اللادينية، بهدف التوصل إلى الحق[3]، واتبعت لذلك نظاما محددا. بينما تجمعت الفرق المهتمة بالخيمياء الخارجية ليكونوا طاوية (شينغ يي) (**Zhengyi**). ومن ثم أصبح للطاوية الدينية فرقتان رئيستان هما: (كوان شن) (**Quanzhen**)، و(شينغ يي)[4].

المطلب الرابع: أبرز الكتب المقدسة

ليس للطاوية كتاب مقدس بالمعنى الدارج عند أصحاب الديانات ذوات الأصول السماوية، حيث ترتبط النصوص بمصادر إلهية وتحمل طابع النزاهة والقدسية. فالكتب التي يعتمد عليها الطاويون هي نتاج للفكر البشري، وتدوين للآراء الفلسفية البحتة في عصر من العصور، وإن كانت أُلبست ثوب القداسة فيما بعد. ولعل أبرز النصوص الطاوية هو ذاك المنسوب إلى **لاو تزي** والذي يحمل اسم: الـ (طاو طي جنغ)، ثم يليه أهم شروحه: الـ (شوانغ تزي)، الذي أرسى قواعد الطاوية وفصل في مبادئها. ولا يمكن للباحث في الطاوية، وفي الفلسفة

---

(١) الخيمياء (alchemy) هي الكيمياء القديمة، وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، واكتشاف علاج كلي للمرض، ووسيلة لإطالة الحياة إلى ما لا نهاية. (المورد المزدوج: ٣٧ إنجليزي/ عربي - د. روحي بعلبكي، منير بعلبكي).

(٢) يأتي تفصيلها عند الحديث عن الطاقة الكونية في الفصل القادم بإذن الله.

(٣) أو الاتحاد مع الـ (طاو).

(٤) انظر: Religion Under Socialism in China: 18 - editor: Luo Zhufeng

الصينية بشكل عام، أن يغفل كتاب الـ (يي جنغ) أو كتاب التغيرات الذي كان له أثر واضح على كل منهما.

أولًا: الـ طاو طي جنغ (Dao de jing - 道德經):

وهو أهم الكتب الطاوية، ومنه استُمدت مبادئها الفلسفية والدينية. ينسب الـ (طاو طي جنغ) إلى الفيلسوف الصيني القديم **لاو تزي** ويسمى - أحيانًا - باسمه، وإن كان كثير من الباحثين يشكك في صحة هذه النسبة من جهتين:

١- أن شخصية **لاو تزي** شخصية أسطورية، فهي ليست شخصية تاريخية يمكن القطع بوجودها أصلًا، فضلًا عن نسبة هذا الكتاب إليها.

٢- أن الذي يترجح هو كون الكتاب ألف في فترات مختلفة، وعلى فرض صحة نسبته إلى **لاو تزي** فإنه يعد عملا مشتركًا ساهم في تأليفه أكثر من فيلسوف[1].

و«بالرغم من التشكيك بشخصية **لاو تزي** وحتى بمؤلَّفه الـ (طاو طي جنغ)،... إلا أن الباحثين اتفقوا على القول بأن هذا الكتاب هو أهم النصوص المتعلقة بالفلسفة الطاوية، وهو من أقصر المراجع الصينية على الإطلاق»[2].

تعود كتابات الـ (طاو طي جنغ) إلى فترة ما بين ٤٠٠ و٢٢٢ ق.م تقريبًا[3]. ويتألف الكتاب من واحد وثمانين فصلًا كتبت على شكل قصائد ذات عبارات مكثفة ومفاهيم رمزية في كثير من الأحيان، وهو ما أدى إلى تعدد الشروح

---

(١) انظر: التاو: ٩ - إعداد: رانيا مشلب، و
An Encyclopedia of Religion: 152 - edited by: Vergilius Ferm

(٢) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٧٢ - د. عمر عبدالحي، وانظر:
Taoism: the growth of a religion: 26 - Isabelle Robinete

(٣) انظر: The Tao Te Ching: 5 - Ellen M. Chen

واختلاف الشراح في أغراض الفيلسوف، وكذلك تعدد الترجمات التي أجريت له منذ القرن التاسع عشر إلى اللغات الأوروبية، وتفاوتها البالغ نظرًا للتعارض الناجم عن تفاوت فهم المترجمين، ومعظمهم من المتضلعين في الفلسفة الصينية[1].

ثانيًا: كتاب شوانغ تزي (Zhuangzi - 莊子):

يعد (شوانغ تزي) من النصوص التأسيسية للفلسفة الطاوية، وهو يحمل اسم الرجل الذي ينسب إليه تأليفه. ومع ذلك فإن **شوانغ تزي** لم يقم بتأليف الكتاب كله، بل يرجح كثير من الباحثين أنه لم يكتب سوى الفصول السبعة الأولى من الكتاب، وهي التي تسمى: الفصول الداخلية (Inner Chapters). بينما بقية الفصول هي من تأليف أتباعه خلال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. وعلى أية حال، فإنه يعد كتابا واحدًا في العرف الثقافي الصيني، لذا فهو يُدرس كوحدة متكاملة.

عمد **شوانغ تزي** إلى إكمال ما بدأه **لاو تزي** من حيث معاني الوحدة والصفاء ورفض العالم، مع التطوير والإيضاح. «ويحتفظ كتاب المعلم **شوانغ** بخاصيته مع أنه يدور في جزء منه حول تعاليم الـ (طاو طي جنغ) إذ أنه ينفرد في طريقة العرض. يقوم هذا الكتاب على الروايات الرمزية والنقاشات الفلسفية، بينما كتاب الـ (طاو طي جنغ) يعتمد على الحكم والأمثال»[2]. غير أن أهم إضافاته هي الصورة التي رسمها لـ «الحكيم»، فبينما كان «الحكيم» عند **لاو تزي** هو إنسان كامل ومثالي مع إشارات بسيطة إلى إمكانية تملكه لقدرات فوق طبيعية، عبَّر **شوانغ تزي** عن إمكانية وجود كائنات في أشكال بشرية تتصف بالخلود وعدم الفناء وتمتلك قدرات خارقة للعادة.

---

(١) كتاب التاو: ٥ - هادي العلوي (بتصرف).

(٢) التاو: ١٠ - رانيا مشلب.

كما قرر **شوانغ تزي** في كتابه أن الحياة قائمة على مبدأين، هما: النَفَس (**Qi**)[١]، وتعد المادة الأصلية للعالم والمحور الأساسي الذي يركز عليه الطاويون في سعيهم لتحقيق إطالة العمر، ومن الجوهر (**jing**)، الذي يعده **شوانغ تزي** أصلًا للجسد[٢].

وعلى أية حال، فكلا النصين قد تبنته الحركات الطاوية المتأخرة، حيث قدمت تفاسير مختلفة تبعًا لاختلاف آراء المفسرين لها، مع وجود جدل واسع حول مدى اعتبار تلك التفاسير مقبولة.

ثالثًا: كتاب الـ «يي جنغ» (**Yi Jing - 易经**):

يعتبر كتاب التغيير من أقدم الكتب الكلاسيكية وأكثرها عمقًا، «إنه جد الفلسفة الصينية والمنبع الأول للبراغماتية[٣] الطاوية لـ (طاو طي جنغ)»[٤]. تقول الرواية المأثورة إن مؤلف هذا الكتاب هو أحد أباطرة دولة شو، وإن كانت مبادئه البسيطة موجودة قبل ذلك بزمن طويل. وقد اخترع هذا الإمبراطور الأسطوري التثاليث الرمزية التي يرى الصينيون أنها تنطبق على قوانين الطبيعة وعناصرها[٥].



شكل (٤): الـ (طايجي) وخطوط الـ (يي جنغ)

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تصور الناحية العقلية للأمة الصينية. «وقد حوى كثيرًا من التطورات الفكرية المختلفة، وهو

---

(١) لها تعبيرات كثيرة كالطاقة الحيوية، طاقة الحياة... وسيأتي تفصيلها - بإذن الله - في الفصل القادم.

(٢) انظر: Taoism: the growth of a religion: (30 - 35) - Isabelle Robinete

(٣) **البرغماتية** (Pragmatism): أو الذرائعية، وهي مذهب فلسفي يقرر بأن الحقائق إنما تدرك بالتجربة ومن خلال نتائجها العملية وليس من خلال المنطق العقلي ولا الفكر النظري. انظر:

An Encyclopedia of Religion: 601 - edited by: Vergilius Ferm

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 38561

(٤) آي تشنغ: ٩ - إعداد: رانيا مشلب.

(٥) قصة الحضارة: ٤/ ٣١ - ول ديورانت (مختصرًا).

لهذا يدعى (كتاب التغيرات)»[١].

ترتكز فكرة الكتاب على مبدأ التغيير فلا يمكن لشيء في الكون أن يبقى ساكنًا، بل كل شيء خاضع للتغير الدائم. وهذه التغيرات تحدث ضمن دورات محددة تحكمها قوانين ثابتة، وإن كان ثمة مساحة تتسع لأن يتصرف الإنسان بما هو أفضل أو أسوأ. ولذا فإنه بإدراك هذه القوانين الكونية يتمكن الإنسان من التنبؤ بكيفية سير الأمور ومن ثم يستطيع التعامل مع المستقبل بتعقل. يقوم مستخدم الـ (بي جنغ) بالتكهن من خلال قراءة التثاليث الخاصة بالسؤال المطروح، وهي أشكال مكونة من ثلاثة خطوط يرمز أعلاها للعالم المخفي (العلوي) وأدناها يرمز للأرض (الدنيا) أما الأوسط فيمثل الإنسان، وهي تعبر عن أربع نتائج مستقبلية محتملة: مستقبل جيد، مقبول، ندم، أو انتكاسة شديدة. كل واحد من هذه التثاليث يتألف من ثلاثة خطوط بعضها متصل، ويمثل عنصر الذكورة أو الـ (يانغ)، وبعضها متقطع يمثل عنصر الأنوثة أو الـ (ين). وعن طريق تفاعل هاتين القوتين يُعتقد أن الـ (طاو) أنتج كل ما في الوجود، فهو الـ لا متشكل الذي تنبثق منه جميع الأشكال.

إن الغرض من هذه التكهنات هو تحقيق التوافق مع الـ (طاو)، فمخالفة طريقه سبب لكل ما يجده الإنسان من تعاسة وشقاء، ومن يتوافق معه يحصل على السعادة والطمأنينة وإن كان لا بد من وجود بعض المشاكل والمعوقات[٢].

ولا يمكن اعتبار هذا من قبيل معرفة السنن الكونية، فمعرفة «القوانين الكونية» لا تعتمد على المشاهدات الحسية أو الأدلة الشرعية، وإنما يتوصل إلى هذه النتائج عن طريق قذف العملات أو بطرق عشوائية أخرى.

---

(١) الفلسفة الشرقية: ٢١٥ – محمد غلاب.

(٢) انظر: آي تشنغ: (١١ – ١٦) – رانيا مشلب،

The Inner Structure of the I Ching the Book of Transformations: (xii - xvii) - Lama Anagarika Govinda & Al Chung-Liang Huang

المطلب الخامس: المراحل التي مرت بها الطاوية

لقد تشكلت الطاوية عبر مراحل زمنية متتابعة، تحولت خلالها من فلسفة بحتة إلى ما يمكن أن يعد اعتقادات وطقوس دينية. ولا يوجد تاريخ يمكن أن نحدد فيه اكتمال التعاليم الطاوية أو رسم حدودها، حيث استمرت بالتشكل والتحول تبعا للمؤثرات والعوامل المحيطة بها. ولكي تتضح لنا هذه التطورات الزمنية، ينبغي أن نستعرض المراحل التاريخية التي مرت بها الطاوية من خلال عرض تاريخي مختصر لبلاد الصين، المعقل الأول للطاوية على مر الأزمان.

ومن أجل عرض تاريخي دقيق، لا بد من تحديد البداية الزمنية للفلسفة الطاوية، وهي تختلف باختلاف المعتبر فيها:

- فمن نظر إلى مبادئها الفلسفية العامة أعاد نشأتها إلى آلاف السنين قبل الميلاد أو حتى إلى أزمنة ما قبل التاريخ المدون.
- ومن نظر إلى النص الرئيسي الذي تنبني عليه الطاوية، جعل نشأتها في الزمن الذي ثبت فيه تأليفه، أي ما بين ٤٠٠ - ٢٠٠ ق.م تقريبًا.
- ومنهم من يعيدها إلى تاريخ الاعتراف بها من قبل **تساو تساو (Cao Cao)**[1] في عام ٢١٥ م.
- ومنهم من يرى أن الطاوية كهوية دينية لم تظهر إلا في وقت متأخر في مقابل البوذية.

---

(١) **تساوتساو**: ولد عام ١٥٥ م، وتدرج في المناصب العسكرية للدولة حتى بلغ منصب وزير الإمبراطور لآخر حكام أسرة هان (الذي قد تفوق صلاحياته صلاحيات الإمبراطور). اشتهر بأنه شخصية غادرة قاسية ومشبوهة، ولكنه كان قائدًا متمكنًا وبارعًا في التخطيط العسكري كما كان يتقن الشعر توفي في عام ٢٢٠ م. انظر:

Mountain of Fame: Portraits in Chinese History: 103 - John E. Wills Jr.

- وبعض المختصين يرفض الحديث عن الطاوية كدين قبل تكوين تنظيم رسمي للديانة[١].

ولعل إرجاعها إلى تاريخ تأليف الـ (طاو طي جنغ) هو الاختيار الأسلم، فإن جميع المدارس الطاوية الفلسفية التي جاءت بعده تحيل عليه وتعتبره المصدر الأول لمبادئها، وإن كانت تعتمد على تفسيرات مختلفة له. وكذلك الحركات الطاوية الدينية، تعتبر الـ (طاو طي جنغ) كتابًا مقدسًا ونصًا يتبرك بعضهم بتلاوته، وهي - كما أسلفنا - مستمدة بشكل رئيس من الفلسفة الطاوية. أما من قرن نشأتها بنشأة المبادئ الفلسفية العامة لها فقد أغفل الطاوية كفلسفة متميزة عن غيرها من الفلسفات الشعبية والتيارات الفكرية المحلية ذات المبادئ المشتركة.

مرحلة الدول المتحاربة (٤٧٩ - ٢٢١ ق.م):

رغم أنه في هذه الفترة كان الحكم الملكي الرسمي لأسرة شو (Zhou)، غير أن قوتها المركزية كانت على شفا الانهيار، مع وجود عدة دول أخرى تتقاتل على السلطة والتوسع الإقليمي. يعود تأريخ نصي الـ (طاو طي جنغ) و(شوانغ تزي) إلى هذا العصر، ويعتبر ردة فعل للأوضاع الاجتماعية والسياسية الصعبة. فجاء كتاب **لاو تزي** ليدعو إلى البساطة والهدوء ويعالج مجتمعا منهكًا بالحروب وانتشار الفوضى[٢].

وقد تأثرت الطاوية ببعض العوامل في هذه الفترة: كقصائد تشو تشي

---

(١) انظر: Taoism: the growth of a religion: 2 - Isabelle Robinete

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: (٣٣٥ - ٣٣٦) - جون كولر، و Livia Kohn Laotze and the Tao Te Ching: 3 - edited by: Micheal Lafergue & Taoism: the growth of a religion: 25 - Isabelle Robinete

(Chuci)، ورجال الـ فانغ شي (Fangshi)، وكتاب كوان تزي (Guanzi)[(١)(٢)].

انتهت فترة الدول المتحاربة بغلبة دولة **تشن** (秦- Qin) الغربية التي لم تحظ بالقبول الشعبي، ورغم قصر فترة حكمها إلا أنها استطاعت توحيد الصين تحت أول حكم إمبراطوري موحد[(٣)]، تلتها في السيطرة عليه أسرة **هان**.

دولة هان (漢朝 - Han) (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ م):

بعد ظهور الحكم الإمبراطوري الموحد الذي أراد تثبيت دعائم ثقافية وبنية سياسية موحدة، تنافست التيارات الفكرية على التأثير على البلاط الملكي وكثيرًا ما كانت تتضافر وتتكاتف ليكون لها الأثر السياسي الأكبر. ومما نتج عن ذلك، دمج تعاليم الـ (طاو طي جنغ) المنسوبة لـ **لاو تزي** مع علوم الـ (ين يانغ) الكونية المستقاة من تعاليم **الإمبراطور الأصفر**[(٤)(٥)]. فظهرت في هذه الفترة مدرسة (هوانغ - لاو)، التي كان التزهد والسعي لإطالة العمر من أبرز ما تدعو إليه، بالإضافة

(١) وهو عمل فلسفي مشترك لا يعلم تاريخ تدوينه بالتحديد ولكنه قطعا قبل فترة حكم أسرة **هان**، وثمة تشابه بين هذا الكتاب وبين كتاب الـ (طاو طي جنغ) من حيث الأسلوب الإيقاعي في الكتابة، ومن حيث المبادئ المشابهة للـ (طاو) والـ (طي) في الـ (طاو طي جنغ). انظر:

Taoism: the growth of a religion: 39 - Isabelle Robinet

(٢) انظر: Taoism: the growth of a religion: (37 - 39) - Isabelle Robinete

An Encyclopedia of Religion: 150 - edited by: Vergilius Ferm

(٣) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ١٨ - د. عمر عبدالحي، وانظر:

Laotze and the Tao Te Ching: 4 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

(٤) **الإمبراطور الأصفر**: واسمه هوانغ دي، حاكم صيني أسطوري وبطل تراثي لدى الصينيين. يذكر أنه حكم في فترة (٢٦٩٨ - ٢٥٩٩ ق.م). يعد من أباطرة ما قبل التاريخ الأسطوريين، وإليه تنسب العناصر الأساسية للحضارة الصينية وأساسيات الطب الصيني. ويعد في العرف الصيني الشعبي أحد مؤسسي الطاوية. انظر:

The Columbia Encyclopedia: 51796

(٥) انظر:

Laotze and the Tao Te Ching: 4 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

إلى مبدأ التحكم من غير تدخل (أو التخلي عن الفعل).

وكان من أبرز آثار هذه الحركة نصوص الـ (هواينانزي) (**Huainanzi -淮南子**) المفسرة للنصوص الطاوية الأولى على ضوء أهدافها بتحقيق الخلود. ساد في هذه الفترة الاعتقاد بوجود بشر مخلدين يعيشون في الخفاء منسحبين إلى الجبال والكهوف، لهم صفات خارقة للطبيعة، مما يدل على قدرتهم في التحكم بالـ (ين يانغ)، وقد عُدَّ كل من **الإمبراطور الأصفر** و**لاو تزي** منهم. وفي منتصف القرن الثاني للميلاد ظهر تأليه **لاو تزي**، حيث عُدَّ تجسيدًا للـ (طاو) فحصل على اعتراف إمبراطوري بإلوهيتهفي عام ١٦٦م[١].

أما في عام ١٤٢ ق.م فقد ادعى **شانغ داولنغ** (**Zhang Daoling**) أن **لاو تزي** ظهر له وأوحى إليه بتأسيس فرقة (المعلمين المقدسين) التي سبقت الإشارة إليها. وقد كان يتنبأ بأن المنظومة العالمية كما يعرفها أتباعه على وشك الانتهاء، وأنه سيأتي بعدها عصر (السلام الأعظم) (**Taiping**). وبالفعل، أدت هذه الفرقة بالإضافة إلى فرقة العمائم الصفراء[٢] إلى التعجيل بسقوط أسرة **هان** من الحكم. وتَعُد فرقة **شينغ يي** (**Zhengyi**) نفسها امتدادًا معاصرًا لـ **شانغ داولنغ**[٣].

---

(١) انظر:

Laotze and the Tao Te Ching: 4 - edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn

Taoism: the growth of a religion: (xix 46 - 50) - Isabelle Robinete

(٢) **فرقة العمائم الصفراء**: وهي فرقة اكتسبت هذا الاسم بسبب العمائم الصفراء التي كانوا يلفونها على رؤوسهم. وهم مجموعة من الفقراء والفلاحين قاموا بثورة على **لينغ دي** (Ling Di) أحد حكام أسرة **هان** الصينية بقيادة **شانغ بياو** (Zhang Biao) وأخويه. وهي فرقة تقر بإلوهية هوان-لاو وتدعو إلى بث روح المساواة والعدل في توزيع الأراضي. وقد تزامنت هذه الثورة مع ضعف داخلي في حكم هان وتنازع على السلطة مما أدى - بعد سلسلة من الثورات - إلى سقوط الحكم في النهاية رغم إخماد الثائرين. انظر:

The History of China: 60 - David Curtis Wright

(٣) انظر: Taoism: the growth of a religion: 55 - Isabelle Robinete

مرحلة التفكك (٢٢٠ - ٥٨٩ م):

ازدادت شهرة الـ (طاو طي جنغ) بعد سقوط أسرة **هان**، وكثرت شروحه، غير أن أبرزها - في تلك الفترة - كان شرح **وانغ بي**، حيث أصبح فهمه لـ (طاو طي جنغ) معول عليه فيما بعد(١).

كما ظهرت في هذه الفترة بعض الانقسامات في الفكر الطاوي، خاصة في المناطق الجنوبية من الصين، حيث ظهرت مدرسة (شانغ تشنغ) **(Shang Ch'ing)** ومدرسة (لنغ باو) **(Ling Pao)** وقد دمجت الأخيرة كثيرًا من الأفكار والممارسات البوذية في الطاوية(٢). بل إن صاحب كتاب (تغيير دين الهمجيين) **(Hua hu jing)** زعم أن **لاو تزي** ذهب إلى الهند وقام بتعليم الهنود عقائد مبسطة تحت مسمى **بوذا**. وإن كان كثير من البوذيين ينكرون هذه المزاعم(٣).

وممن اشتهر في هذه الفترة، وبالأخص في القرنين الثالث والرابع للميلاد، الخيميائي الطاوي **كي هونغ** **(Ge Hong)**(٤)، وقد أثر ما تبقى من كتاباته على سير الطاوية فيما بعد(٥).

عقبت هذه المرحلة دولة **يانغ** **(Yang)** ولكنها لم تدم طويلًا حيث كانت فترة حكمها من (٥٨٩ - ٦١٨ م)(٦).

---

(١) انظر: Laotze and the Tao Te Ching: 5 - edited by: Lafergue &] Kohn

(٢) انظر: Laotze and the Tao Te Ching: (5 - 6) - edited by: Lafergue & Kohn

(٣) انظر: Taoism: the growth of a religion: 188 - Isabelle Robinete

(٤) كي هونغ: ولد في عام ٢٨٣ م لأسرة مرموقة لها علاقات وطيدة بالأسرة الحاكمة. بدأ كموظف صغير في الجنوب واشتهر باهتمامه بالطاوية، والخيمياء، وسبل إطالة العمر. فقدت كتاباته المبكرة، ولم يتبق منها إلا كتابين. توفي وعمره ٨١ عامًا. انظر:

To Live as Long as Heaven and Earth: A Translation and Study of Ge Hong's Traditions of Divine

Religion Under Socialism in China: (17 - 18) - editor: Luo Zhufeng

(٥) انظر: Taoism: the growth of a religion: (78 - 85) - Isabelle Robinete

(٦) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٢٢ - د. عمر عبدالحي.

دولة تانغ (Tang) (٦١٨ - ٩٠٦ م):

اكتسبت الطاوية في هذه الفترة قبولًا رسميًا، حيث أقر أباطرة أسرة **تانغ** أنها تربطهم صلة قرابة بـ **لاو تزي**، فأضيف كتاب الـ (طاو طي جنغ) إلى قائمة الكتب المطلوبة في الامتحانات الإمبراطورية[١]. كما استمر التأثير البوذي على الطاوية حيث ظهرت بعض الشروح الطاوية بسمات بوذية واضحة[٢].

دولة سونغ (Song) (٩٦٠ - ١٢٧٩ م):

دمجت في هذه الفترة عناصر من الطاوية والكنفشيوسية والبوذية بشكل متعمد في (المدرسة الكنفشيوسية المستحدثة) (**Neo-Confucianism**) والتي أصبحت الدين الإمبراطوري الرسمي فيما بعد[٣].

كما قام عدد من أباطرة **سونغ** بجمع النصوص الطاوية من أجل تصنيف قانون طاوي مكتمل وموحد وعملوا على نشره. ورغم أن هذا المصنف بلغ أجزاء مطولة، إلا أنه لم يتبق منه إلا أجزاء يسيرة حيث أتلف أكثره أثناء الاحتلال المغولي[٤]. وقد نالت الطاوية من الدعم والتأييد من حكام **سونغ** ما كان سببًا في ازدهارها وانتشار الكهان والنساك والطاويين في أنحاء الصين[٥].

دولة يوان (Yuan) (١٢٧٩-١٣٦٧م)، ودولة منغ (Ming) (١٣٦٨-١٦٤٤م)، ودولة تشنغ (Ch'ing) (١٦٤٤-١٩١١م):

استمر في هذه الفترة دمج الاعتقادات والممارسات الطاوية في الكنفشيوسية

(١) انظر: Taoism: the growth of a religion: (184 - 186) - Isabelle Robinete Religion Under Socialism in China: 17 - editor: Luo Zhufeng

(٢) انظر: Laotze and the Tao Te Ching: 6 - edited by: Lafergue & Kohn

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٤) انظر: Taoism: the growth of a religion: (212 - 213) - Isabelle Robinete

(٥) انظر: Religion Under Socialism in China: (17 - 18) - editor: Luo Zhufeng

المستحدثة[١]، فظهرت مدرسة (كوان شن) (Quanzhen)[٢] الطاوية التي اتخذ أتباعها نموذجًا صومعيًا مستوحى من البوذية ودمجوا معها أخلاقيات كنفشيوسية. وقد استُدعي كوي تشوجي (Qiu Chuji)[٣] التابع لهذه المدرسة إلى بلاط الملك جنكيز خان (Genghis Khan)[٤] ليتعلم الأخير منه أساليب إطالة الحياة[٥].

العهد القومي الجمهوري (١٩١٢ - ١٩٤٩ م):

لقد قام الحزب الجمهوري الصيني بتبني العلم التجريبي، التطور، والثقافة الغربية، وإلى حد ما النصرانية! ونظر إلى الدين الشعبي على أنه رجعي وعائق عن التقدم، لذا قاموا بمصادرة بعض الهياكل وحولوها إلى مبان حكومية، كما سعوا

---

(١) انظر: Laotze and the Tao Te Ching: 6 - edited by: Lafergue & Kohn

(٢) مدرسة كوان شن: يمكن ترجمة اسم هذه المدرسة إلى (طريق الحق والكمال) وتعرف أيضًا باسم (حركة الوردة الذهبية). تعد كوان شن من أكبر المدارس الطاوية، أسسها كاهن طاوي في القرن الثاني عشر ودعا إلى دمج التعاليم الثلاث (البوذية والطاوية والكنفشيوسية) في مدرسة موحدة. تركز هذه المدرسة على الخيمياء الداخلية والتي يطلق عليها (كي كونغ) (Qi Qong)*. وهذه الفرقة لا تزال موجودة اليوم. انظر:

Taoism: the growth of a religion: (222 - 225) - Isabelle Robinete

* يأتي الشرح المفصل لها في الباب الثاني بإذن الله.

(٣) كوي تشوجي: معلم طاوي عاش في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر للميلاد. استدعاه جنكيز خان مؤسس الإمبراطورية المنغولية ليتعلم منه سبل إطالة العمر عندما كان عمره ٧٢ عامًا، فلحق به طمعا بما ستحققه رحلته الشاقة من مكاسب للطاوية وحماية لبلده. توفي عام ١٢٢٧ م. انظر:

Mountain of Fame: Portraits in Chinese History: (181 - 183) - John E. Wills Jr.

(٤) جنكيز خان: واسمه الأصلي (تيموجن)، خلف أبيه في زعامة إحدى القبائل المنغولية. ثم قاتل ليصبح حاكمًا لمنغوليا المتحدة، وبعد أن أخضع القبائل المنغولية استطاع السيطرة على البلاد وتوحيدها في عام ١٢٠٨ م. هاجم الأجزاء الشمالية من الصين واستولى على كثير منها، كما استولى على تركستان وأفغانستان وغيرها من البلدان. قتل في إحدى معاركه عام ١٢٢٧ م. انظر:

The Columbia Encyclopedia: 24534

(٥) انظر: Taoism: the growth of a religion: (222 - 223 216) - Isabelle Robinete

إلى الحد من النشاطات الدينية التقليدية، فكانت الطاوية من ضمن الديانات التي تم التضييق عليها(١).

جمهورية الصين الشعبية (١٩٤٩ م - وإلى وقتنا الحاضر):

يعد الحزب الصيني الشيوعي حزبًا ملحدًا معلنًا إلحاده(٢). وقد قام بقمع الطاوية إلى جانب الديانات الأخرى، فدُمِّرت البنية التحتية للطاوية، وأرسل النسّاك والكهنة إلى معسكرات العمال. وقد ازدادت هذا القمع حدة أثناء (الثورة الثقافية)(٣) حيث كادت تباد كثير من المواقع الطاوية.

ثم استعاد دُنغ شِاو بينغ (Deng Xiaoping)(٤) بعض مظاهر التسامح الديني، وتبعه قادة الحزب الشيوعي. فاعترف بالطاوية كدين تقليدي هام للصين، وكوسيلة جذب سياحية، حيث تمت استعادة الهياكل ذات المظاهر الجذابة وأصلحت دير العبادة وأعيد افتتاحها. وتعد الطاوية، اليوم، إحدى الديانات المعترف بها من قبل الدولة.

---

(١) انظر: China: Its people Its Society Its culture: (126 - 129) - Chang-tu Hu
China through the Ages: History of a Civilization: 175 - Franz Michael

(٢) وهذا إشارة إلى نبذه للدين والاعتقادات الغيبية، أو أي ممارسات لها تعلق بها. وليس المراد إنكار وجود الإله، فإن كثيرًا من أديان الصين التقليدية تفضي إلى تأليه الطبيعة، وهو ما يعد في الشرع الإسلامي إلحادًا.

(٣) **الثورة الثقافية**: هي ثورة شبابية قامت في (١٩٦٦ - ١٩٧٦ م) بتحريض من ماو تزي دونغ مؤسس الصين الشعبية، تهدف إلى منع تشكل اشتراكية بيروقراطية كالتي في الاتحاد السوفيتي وتُألب الطلاب على المثقفين والثقافة السائدة. توفي خلق كثير في هذه الثورة العنيفة، كما أدت إلى تدهور في الاقتصاد الصيني. أنهيت الثورة بسجن قادتها بعد شهر من وفاة ماو عام (١٩٧٦ م). انظر: The Columbia Encyclopedia: 12413

(٤) **دنغ شاو بينغ**: هو أحد كبار الثوار في الحزب الشيوعي الصيني. تولى حكم جمهورية الصين الشعبية من أواخر السبعينات الميلادية وحتى بداية التسعينات. وقد أصبحت الصين من أكثر الدول نموًا اقتصاديًا في فترة حكمه. توفي في عام ١٩٩٧ م. انظر: The Columbia Encyclopedia: 13346

المطلب السادس: الأتباع ومواطن الانتشار

لا توجد إحصائية دقيقة بعدد أتباع الطاوية[1]، فمن الصعب تحديد عدد معين لهم نظرًا للاختلاف في تعريفها، فالذين يمارسون نوعًا من الأديان الصينية الشعبية يعدون بمئات الملايين والذين يعتنقون مبادئها الفلسفية العامة كذلك. كما أن الأطراف غير الرسمية تمنع من إجراء أي إحصائية في الصين.

ومع ذلك فأكثر المناطق التي تزدهر فيها الطاوية هي تلك التي يسكنها أناس من أصول صينية: كالصين، وتايوان، وسنغافورا، وإلى حد ما: كوريا، واليابان، وفيتنام. ورغم أن الديانات الشعبية لهذه الدول تتضمن عناصر مشتركة معها، إلا أن الطاوية -كدين منظم- لم تحظ بقبول غير الصينيين إلا في العصور المتأخرة يقدر بعض الباحثين عدد الطاويين في آسيا بـ ٢,٧٠٠,٠٠، وما يقارب ١٢,٠٠٠ في أمريكا الشمالية[2].

ومن المفارقات العجيبة، أنه في الوقت الذي يزداد تقبل العالم الخارجي للطاوية، فإنها ابتدأت تفقد أتباعها في الصين، خاصة من قبل الأفراد الأكثر تعليمًا وتحضرًا حيث توصم هذه الديانة بالشعوذة والخرافات![3]

(١) انظر: Religion Under Socialism in China: 36

(٢) انظر: World Almanac: 712

(٣) انظر: Chinese Religions: 118 - Julia Ching

المبحث الثالث

البوذية

البوذية هي إحدى الفلسفات الفكرية التي ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، وقد كانت بداية نشأتها في بلاد الهند حيث لم تخرج عن إطار الفكر الهندي بشكل عام. وبسبب نشوئها ضمن المحيط الديني والاجتماعي للهندوسية، فقد تبنت العديد من أفكارها ومعتقداتها، وفي نفس الوقت، رفضت البوذية بعض مظاهر الظلم في الهندوسية، كتجبر الكهنة والنظام الطبقي العنصري المقيت، فعُدَّت من الحركات المناهضة للهندوسية، بل عدها بعض الهندوس من الحركات الإلحادية، لتنكرها لآلهة الڤيدات. بقي الصراع بين الهندوسية والبوذية إلى أن تلاشت الأخيرة، وذابت ملامحها في الطقوس الهندوسية، ولم يبق لها أثر كبير في بلد منشأها. وإن كانت البوذية واصلت الانتشار في البلدان المجاورة خلال القرون المتعاقبة، وحققت فيها مكاسب كبيرة ونفوذًا واسعًا.

المطلب الأول: مؤسس البوذية

يُعَدُّ **بوذا** هو المؤسس الأول للبوذية وإليه تنسب هذه النحلة. وعلى الرغم من أن الباحثين يقطعون بكونه شخصية تاريخية عاشت في القرن السادس قبل الميلاد، إلا أن سيرة **بوذا** وتفاصيل حياته لم تدون في مصادر تاريخية موثوقة مما يجعل معرفة شيء منها على سبيل اليقين أمرًا مستحيلًا. ولكن لما كانت هذه السيرة التفصيلية جزءًا ضروريًا من الأدب الهندي والديانة البوذية، كان لا بد من الإشارة إليها ولو لم يمكن التحقق من صحتها بشكل علمي دقيق:

ولد مؤسس البوذية **سدهارتها غاوتاما** (Siddhartha Gautama - सिद्धार्थ गौतम) في القرن السادس قبل الميلاد لأسرة هندوسية من الطبقات الشريفة. وكان والده

أميرًا لأحد القبائل القاطنة في شمال الهند. عاش **سدهارتها** حياة النعيم والترف، وتزوج في مرحلة مبكرة من عمره. إلا أن رؤيته لمظاهر الألم الدنيوية - كالهرم والمرض والموت - كان لها أثر بالغ على مجرى حياته، حيث توجه للبحث عن طريق الخلاص من تلك الآلام المحتَّمة. اختار **سدهارتها** طريق التنسك والتقشف الذي كان عليه نساك زمانه ليحقق هدفه المنشود، فخرج يهيم في الغابات سالكًا مسلك التزهد المفرط حتى شارف على الهلاك. استمرت هذه المرحلة من حياة **سدهارتها** ما يقارب السبعة أعوام، اكتشف بعدها أن إماتة الجسد ليست هي السبيل لتحقيق الخلاص. وبعد فشله في تجربته الأولى واصل بحثه في عزلة تامة. وفي أحد الأيام جلس متربعًا في وضعية الـ لوتس[1] تحت شجرة ضخمة بجانب النهر - عرفت فيما بعد بشجرة **بوذا** - وعزم ألا يقوم من تحتها إلى أن يبلغ مراده أو يهلك دونه. بلغ **بوذا** ما أسماه «الإشراق» بعد مرور أربعة وعشرين ساعة على وضعيته، وزعم أنه تحقق مراده في الخلاص والتحرر من دائرة التناسخ[2]، وأصبح بعدها يسمى الـ **بوذا** (बुद्ध - **Buddha**) أو العارف المستنير.

---

(١) وهو تربع له صفة خاصة يظهر في تماثيل بوذا، ويكثر استخدامه في الرياضات الهندية كأوضاع الـ (يوغا). وهو يختلف عن التربع المعروف في البلاد العربية.

(٢) والذي يظهر أن حالة «الإشراق» التي توصل إليها بوذا لم تكن إلا كذبة اختلقها من أجل التخلص من الحيرة والضياع الذي كان يعيشه، فبعد سبعة أعوام من البحث المضني لم يحقق الغاية التي كان يرنو إليها مما عرضه للهزيمة والفشل. ومما يشكك في واقعية «الإشراق» إحجام بوذا عن وصفها بشكل واضح، ومن ثَمَّ لا يمكن له أن يقدم دليلًا ملموسًا على وجودها في الواقع، وكذلك كل من زعم بلوغها من بعده. ولو قُدِّر أن أحدًا ادعاها لنفسه كاذبًا لما أمكن لأحد أن ينفيها عنه لأنها أصلًا بلا دليل عقلي أو مادي. أضف إلى ذلك، أن بوذا نفسه أنكر - في غير موضع - إمكانية التعيين في مسألة الخلاص والنجاة من التناسخ، حيث رأى أنه لا يمكن الجزم بشيء من ذلك إلا في حال عودة الميت إلى الحياة، وهذا ما لم يكن. فكيف بمن لم يمت أصلًا، فلا يُعلم ما هو عامل؟ وعلى كل، فأقل ما يمكن أن يقال عن حالة "الإشراق" هذه هو إنها من تلبيس الشيطان الذي كان يحدثه كصوت داخلي ويبشره بالخلاص الدائم، ليضل بدعوته الباطلة ملايين البشر.

بدأ **بوذا** بنشر تعاليمه والحقائق التي زعم أنها تجلت له تحت تلك الشجرة إلى أن تشكل تحت رئاسته هيكل من الرهبان من مختلف الطبقات. ولما وصل عددهم إلى الستين، وجههم إلى التجوال في البلدان والتبشير برسالته ورؤيته للنجاة. توفي **بوذا** عن عمر يناهز الثمانين سنة، بعد رئاسته للرهبنة لمدة امتدت إلى خمسة وأربعين عاما[1].

المطلب الثاني: أبرز المعتقدات البوذية

قبل الشروع في الحديث عن المعتقدات البوذية، لا بد من الإشارة إلى أنها انقسمت إلى مدارس عدَّة، لم يبق منها على مر العصور إلا تلك التي يسميها البوذيون المركبات الثلاث[2]. تحمل كل واحدة من هذه المركبات نظرة مختلفة تجاه تعاليم بوذا وكيفية الوصول إلى مرحلة الخلاص، مع اشتراكها في بعض المعتقدات الأساسية.

وفيما يلي توضيح موجز للمركبات الثلاث:

١- **المركبة الصغرى**[3]، **الـ هنايانا** (**Hinayana - हीनयान**): ويسميها أتباعها: الـ ثيراڤادا (**Therevada - स्थविरवाद**) أو طريق الأقدمين، ويتميزون بالتقيد الحرفي بتعاليم **بوذا**، والحرص على الإبقاء على أصالة

---

(١) انظر: حياة الـ بوذا، سيرة مفسرة: ١٥ وما بعدها - دايسكاو إكيدا؛ والحكمة البوذية، حياة البدَه، تعاليمه، سبيل الحق: (٥- ١١) - جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري، وبوذا والفلسفة البوذية: (٧٦ - ٨٧) - كامل محمد عويضة؛ وقصة الحضارة: ٣/ (٦٤ - ٧٢) - ول ديورانت.

(٢) وفي هذا إشارة إلى العقائد الباطنية عند البوذية، حيث تُعدّ العقيدة والتعاليم مطيّة يصل بها المرء إلى الغاية، فإذا حقق هدفه تخلى عن المركبة ولم يعد بحاجة إليها. وهذا شبيه بحال غلاة الصوفية والفرق الباطنية المنتسبة للإسلام.

(٣) المركبة الصغرى هي تسمية أطلقها عليها أتباع المركبة الكبرى، أما التسمية المعترف بها عند أصحابها فهي الـ ثيرافادا. وقد أثبتُّ الأولى هنا نظرًا لشهرتها وكثرة استخدامها من قبل الباحثين وحيث توصف المدارس بالمركبات الثلاث.

الفلسفة دون تحويلها إلى ديانة تعبدية. ومن ثم فهم لا يعترفون بالاجتهادات التي نشأت عن النساك والرهبان من بعد **بوذا**. ويعتبرون الطريق الوسط الذي اتبعه **بوذا** في آخر حياته هو سبيل الخلاص.

٢- **المركبة الكبرى، الـ مهايانا** (**Mahayana – महायान**): نشأت هذه المدرسة كمحاولة للتصدي للفلسفات الهندوسية التي عجزت الـ هنايانا عن مواجهتها، وذلك من خلال توفير الشروح والتفاسير المطولة على العقائد البوذية الأساسية، والاعتماد على الآراء الاجتهادية الحادثة. ويرى أتباع المركبة الكبرى أن التزهد والتقشف هو الطريق إلى الخلاص، حيث كان هذا المسلك هو الذي مهد لـ **بوذا** طريق الوصول إلى حالة الإشراق.

٣- **المركبة الماسية، الـ ڤاجريانا** (**Vajrayana – वज्रयान**): تفرعت هذه الطريقة عن المركبة الكبرى، وتميزت بما أُدخل عليها من المعتقدات الدينية والممارسات التعبدية والـ (يوغية)[1].

احتَفَظَت البوذية - بمدارسها الثلاث - بكثير من العقائد الهندوسية الدارجة في الهند إبان نشأتها، ولم تُحدث فيها أية إضافة أو تغيير يذكر، من أهمها: عقيدتي الـ (كارما) والـ (سمسارا)، ولذا لن أتطرق إليها هنا؛ اكتفاء بما ذكر عنها سابقًا في مبحث الهندوسية[2]، وسأقتصر على ذكر العقائد المشتركة بين المركبات الثلاث مع الإشارة إلى ما بينها من خلاف عند وجوده.

---

(١) انظر: الحكمة البوذية: (١٧ - ١٨) - حلقة الدراسات الهندية، والأديان الحية: (٥٩ - ٦١) - أديب صعب، والفلسفة في الهند: (٢٦٦ - ٢٦٧) - د. علي زيعور، والفكر الشرقي: ٥٩ - د. يونج شوون كيم.
وقد سميت المركبة الصغرى بالمذهب الجنوبي والمركبة الكبرى بالمذهب الشمالي، وعرفت المركبة الماسية ببوذية التبت أو الـ تانترا. انظر:
الفكر الشرقي القديم: ٢٢٩ - د. جمال المرزوقي، والفلسفة في الهند: ٢٦٧ - د. علي زيعور.

(٢) راجع صـ: ٦٣ من هذا البحث.

أولًا: قضية الإلوهية

اختلفت النظرة للإله والإلوهية باختلاف المدارس البوذية، وبحسب تمسكها بتعاليم بوذا الأصلية. ويمكن تلخيص الآراء المختلفة في هذه المسألة الجوهرية، كالتالي:

(١) **مدرسة الـ هنايانا:** بقيت هذه المدرسة على التعاليم الأصلية للفلسفة البوذية والتي تتسم بالإلحاد - أو في أقل أحوالها التوقف في وجود الإله[١]. وهي لم تعر للقضايا الغيبية والإلهيات كبير اهتمام، ولم تتطرق لكثير منها بالنفي أو الإثبات. أما التعاليم التطبيقية والسلوكية المتعلقة بالفلسفة فلا يراد منها إرضاء قوة خارقة ولا طلب مغفرتها، فهي ليست طقوسًا ولا عبادات، وإنما يراد منها تحقيق الخلاص الفردي[٢]. ولذا فإن الخلاص - عندهم - مسؤولية شخصية، وليس متعلقًا بالرضا أو الغفران، ولا هو خاضع لإرادة خارجة عن الذات الإنسانية[٣]. إن «فكرة التأليه التي تقول إن كائنًا واحدًا مستقلًا على نحو مطلق - الإله - قد خلق بقية الموجودات... هي فكرة لا معنى لها

---

(١) يرجع بعض الباحثين السبب في إنكار الإله إلى فرار البوذيين من القول بالجبر، وتخلي الإنسان عن تحمل مسؤولية أعماله بحجة وجود إله مدبر. ولذا راقت لهم فكرة الـ (كارما) التي تحمل الإنسان المسؤولية التامة لمصيره ومستقبله. انظر:

The Vision of Buddhism: The Space Under the Tree: 116 - Roger J. Corless

(٢) انظر: الحكمة البوذية: ٢٥ - حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (٦٤٦ - ٦٤٨) - د. ضياء الدين الأعظمي، و

Buddhism: 65 - Bradley K. Hawkins

(٣) انظر: الحكمة البوذية: (١٢ - ١٣) - حلقة الدراسات الهندية، وأديان الهند الكبرى: ١٧١ - د. أحمد شلبي.

تنبيه: ربما نجد ذكرا لبعض الآلهة في النصوص البوذية القديمة مما قد يورث الحيرة، كـ براهما أحد آلهة الهندوس، ولكن لا بد أن يعلم أنها ليست آلهة بمعنى أنها خالقة مدبرة خالدة، بل هي كائنات فانية معرضة للموت والهلاك ومن ثم الولادة مرة أخرى في أجساد أدنى مستوى، فهي - كغيرها - خاضعة للـ (سمسارا).

من وجهة النظر البوذية الخاصة بالنشوء المعتمد على غيره، بل بالأحرى فإن كل ما هو مخلوق، يخلق كذلك، وتسير عمليات الخالق والمخلوق على نحو متزامن بلا بداية ولا نهاية»[١].

هكذا كانت التعاليم الأصيلة، وهكذا اعتقاد كل من بقي على تلك التعاليم إلى زمننا الحاضر. إلا أن أتباع الـ هنايانا لا يشكلون إلا أقلية صغرى في مقابل المدارس البوذية الأخرى.

(٢) **مدرسة الـ مهايانا:** تطورت البوذية خلال القرون التي تلت وفاة **بوذا**، وانحرفت عن تعاليم المعلم الأصلية. فظهرت ملامح جديدة لقضية الإلوهية غريبة على التعاليم الفلسفية البحتة. يمكن تلخيصها في ثلاث عقائد رئيسة:

١- **تأليه بوذا:** تحولت النظرة إلى **بوذا** في بعض مدارس الـ مهايانا من معلم بشري ومرشد إلى الخلاص في الـ هنايانا إلى كائن إلهي يحمل صفات خارقة للطبيعة البشرية. ومن ثم شيدت له التماثيل، وقدمت لها القرابين وظهرت العبادات والطقوس الدينية، إلى أن أصبحت البوذية صورة شبيهة بالوثنية الهندوسية البدائية[٢].

٢- **عقيدة المطلق المتجاوز:** هي عقيدة موجودة عند بوذية الـ تانترا المتفرعة عن المركبة الكبرى، وفيها يوصف **بوذا** بصفات تجاوزية تشبه إلى حد

---

(١) الفكر الشرقي القديم: ٢١٥ – جون كولر.

صياغة نظرية النشوء المعتمد على غيره كالتالي:

١- إذا كان هذا موجودًا، فإنه يصبح شيئًا ما.

٢- من نشأة هذا ينشأ ذاك.

٣- إذا لم يكن هذا كائنا، فإنه لا يصبح شيئًا ما.

٤- متى توقف هذا توقف ذاك. (انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.)

(٢) انظر الأديان الحية: (٥٧ – ٥٨، ٦١) – أديب صعب.

كبير صفات الـ (براهمان) في الهندوسية، والـ (طاو) في الطاوية. وهو قول مفضٍ إلى القول بالحلول أو وحدة الوجود.

٣- **عقيدة التثليث:** حيث يُعتقد أن بوذا التاريخي هو أحد مظاهر «المطلق» الثلاثة[١].

ولا شك أن المظاهر الوثنية هي الأكثر انتشارًا بين أتباع البوذية في بلدان الشرق. أما الإلحاد والقول بالمطلق المتجاوز، فمقتصرة على الخواص من الكهنة والرهبان، حيث تعد هذه العقائد مستعصية الفهم على العوام والبسطاء. بينما انتقلت تلك العقائد المعقدة إلى الغرب فكان لبوذية الـ تانترا الأثر الأكبر على المهتمين بالروحانيات الشرقية من أبنائه.

ثانيًا: الحقائق الأربع

بينما كان بوذا في تأمله الشهير، ادعى أنه انكشفت لإدراكه أربع حقائق يُعد الجهل بها هو السبب في تكرار الموالد والبقاء في دوامة التناسخ. هذه الحقائق الأربع هي الفكرة المركزية في البوذية، وتأملها هو المهمة الأساسية في حياة البوذي، وهي الموصلة إلى الإشراق والتنوير. تتمثل تلك الحقائق بالنقاط التالية[٢]:

(١) حقيقة العذاب:

يعني بها إدراك مظاهر العذاب وأشكاله. فالولادة عذاب، والمرض عذاب والهرم عذاب والموت عذاب. وقد لخص بوذا العذاب في مجموعات الوجود الخمس، وهي التي تكون الـ أنا الوهمية[٣]:

---

(١) انظر الفكر الشرقي: (٧٨ - ٨٠) - د. يونج شوون كيم.

(٢) انظر الفكر الشرقي القديم: (١٩١ - ١٩٧) - جون كولر، والفكر الشرقي القديم: (٢٣١ - ٢٣٣) - د. جمال المرزوقي، وإنجيل بوذا: (٤٨ - ٥٠) - ترجمة: سامي سليمان شيًّا.

(٣) ينكر الـ بوذا وجود شيء اسمه «أنا»، ويرى أن الـ أنا ما هي إلا وهم وزيف خادع. يأتي تفصيل المسألة في صـ: ١٤٩ من هذا البحث بإذن الله.

١- مجموعة الجسمانية، ويراد بها العناصر المكونة للجسم المادي.

٢- مجموعة الشعور، وهي المشاعر والأحاسيس بأنواعها.

٣- مجموعة الإدراك، كإدراك الأشكال والروائح والنكهات.

٤- مجموعة البنيات الفكرية، أو النشاط الفكري.

٥- مجموعة الوعي، وهي ما يلي الإدراك(١).

فإن الإنسان يحس بالألم والعذاب إذا أصيب شيء من مكونات الـ أنا، فإما أن يؤذى في جسده فيمرض، أو في مشاعره فيحزن أو في أي من مجموعات الوجود الخمس فيتعذب. هذه هي الحقيقة الأولى التي يجب على السالك إدراكها.

(٢) حقيقة أصل العذاب وأسبابه:

بعد أن يدرك المرء حقيقة العذاب، لا بد أن يدرك سببه. ويكمن سبب العذاب عند البوذيين في رغبة الإنسان بما لا يستطيع تحصيله، فتتولد المعاناة من حرمانه. هذا التوق والرغبة يكون على ثلاثة أنواع:

١- التوق الشهواني: وهو الرغبة في إشباع الحواس الخمس.

٢- التوق إلى الوجود: وهو الرغبة في استمرار الحياة وتحقيق الخلود والأبدية

٣- التوق إلى محق الذات (الـ لا وجود): وهو الرغبة بأن يكون الموت هو النهاية بحيث تنعدم أي علاقة سببية بين زمن ما قبل الموت وزمن ما بعده.

هذه هي أسباب العذاب في نظر بوذا، وهي الحقيقة الثانية التي لا بد من إدراكها للتقدم في سبيل الخلاص.

---

(١) انظر الحكمة البوذية: (٤٣ - ٤٦) - حلقة الدراسات الهندية.

(٣) حقيقة إبطال العذاب والقضاء عليه:

هذه الحقيقة هي عبارة عن إبطال التوق والرغبة والتحرر منها بشكل تام، حيث لا يبقى للإنسان رغبة. وبذلك تبطل عملية الصيرورة وتنقطع عملية التناسخ.

(٤) حقيقة السبيل المؤدي إلى إبطال العذاب:

لا شك أن هذه الحقيقة هي أهم الحقائق الأربع، وهي الطريق العملي لتحصيل ثمرة بقية الحقائق وإبطال العذاب. والسبيل المراد هو السبيل الوسط الذي اتخذه بوذا للوصول إلى مرحلة الإشراق، يتوسط بين الإماتات المتكررة للجسد وبين الاستسلام إلى الملذات الجسدية[1].

يتكون هذا السبيل من ثماني شعب ويعبر عنه أحيانًا بالسبيل الثُماني. وهذه الشعب هي كالتالي[2]:

١- **الفهم الصحيح**: أي فهم الحقائق الأربع.

٢- **التفكير الصحيح**: والمراد به خلو التفكير من الشهوة والبغض والقسوة.

٣- **القول الصحيح**، ويشمل:

١- الامتناع عن الكذب.

٢- الامتناع عن الغيبة والنميمة.

٣- الامتناع عن الكلام القاسي.

---

(١) انظر الفكر الشرقي القديم: (١٩١ - ١٩٧) - جون كولر، والفلسفة في الهند: ٢٦٩ - د. علي زيعور.

(٢) انظر الفكر الشرقي القديم: (١٩٧ - ٢٠١) - جون كولر، والحكمة البوذية: (٦٣ - ١١٠) - حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (٦٤٣ - ٦٤٤) - د. محمد ضياء الدين الأعظمي.

٤- الامتناع عن الكلام العابث.

٤- **العمل الصحيح**، ويشمل:

١- الامتناع عن القتل.

٢- الامتناع عن السرقة.

٣- الامتناع عن العلاقات الجنسية غير المشروعة.[1]

٥- **العيش الصحيح، وهو على نوعين:**

أ- **دنيوي**: يقصد به كسب العيش بالوسائل الصحيحة، وهو للعامة.

ب- **علوي**: يقصد به الانصراف عن الدنيا واتباع السبيل المقدس، وهو خاص بالنساك والرهبان.

٦- **الجهد الصحيح**، ويقصد به أربعة جهود رئيسة:

١- جهد التجنب: يتمثل في ضبط الحواس عن السوء.

٢- جهد التغلب: ويعني التغلب على ما قد يطرأ عليه من الشر.

٣- جهد التنمية: تنمية عناصر الإشراق من خلال العزلة والإبطال[2].

٤- جهد المحافظة: وهو أن يحافظ السالك على ما حصل عليه من تلك العناصر.

٧- **التيقظ أو الوعي الصحيح**، وهو أهم التعاليم البوذية التطبيقية، فهو درجة من الوعي يسعى السالك البوذي إلى بلوغها. وينبني هذا التيقظ على أسس أربع، هي:

---

(١) والمراد بها الزنا، العلاقات المثلية، زواج المحارم، إتيان البهائم، والاغتصاب.

(٢) المراد بالإبطال إبطال الرغبات والشهوات، فلا يبقى في نفس المرء ميل إلى شيء البتة.

١- التفكر في الجسد: ومن ذلك مراقبة التنفس (الشهيق والزفير)، وتأمل الجثث في المقابر.
٢- التفكر في المشاعر: فيتأمل مشاعره، من أين منشأها وما سبب زوالها.
٣- التفكر في الفكر: فيتعرف على الفكر وأنواعه، الضال والمشتت والمتفوق.. الخ
٤- التفكر في أغراض الفكر: فيتعرف التلميذ على مادة الفكر وموضوعه.

٨- **التركيز الصحيح**: ويراد به وحدانية التوجه الفكري، أو التركيز على غرض واحد.

ثالثًا: الـ نيرڤانا (Nirvana - निर्वाण)

الـ (نيرڤانا) هي كلمة سنسكريتية تعني الانطفاء، أو انقطاع التوق وانعدام الرغبة[١]. وهي الهدف الأسمى لجميع الممارسات البوذية. يُعبِّر عنها البوذيون بأنها «الغاية التي ينتهي إليها الإنسان بعد خلاصه من كل ألم، وفوزه بالنجاة الحقيقية»[٢]. ومع أهمية هذا المبدأ عند كافة المدارس البوذية، إلا أن الباحث يجد اضطرابا كبيرًا في تحديد مفهومه وتقديم تعريف واضح لحقيقته في النصوص البوذية، لا سيما المتقدمة منها. فقد تم وصف الـ (نيرڤانا) في النصوص البوذية المتقدمة على ثلاثة أساليب[٣]:

---

(١) انظر الحكمة البوذية: ٢٧ - حلقة الدراسات الهندية،
Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana): 133 - Francis H. Cook

(٢) بوذا والفلسفة البوذية: ١٥٤ - كامل محمد عويضة

(٣) انظر: Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana): 134 - Francis H. Cook

١- **وصف سلبي**: فوُصِفت بأنها الانطفاء، والانقطاع، وفناء العالم الحسي دون تحديد لماهيتها. كما وصفت برفع النقيضين، كقولهم: ليست دائمة ولا مؤقتة، ولا هي وجود ولا لاوجود (عدم).

وهذا هو الغالب في وصف الـ (نيرڤانا)، فهم يرون أنها تدرك بالتجربة والحس وليس بالمعرفة، ومن ثم لا يمكن وصفها يقول **بوذا**:

«أيها الرهبان، هناك حالة لا يوجد فيها لا أرض ولا ماء ولا حرارة ولا هواء ولا لا نهاية مكان ولا لا نهاية معرفة، ولا شيء ولا محسوس وعدم محسوس ولا شعور ولا عدم شعور ولا إدراك، ولا عدم إدراك، ولا هذا العالم، ولا عالم آخر...»(١)

٢- **وصف إيجابي**: وردت صفات إيجابية للـ (نيرڤانا) في مواضع قليلة نسبيًا، فوصفت بأنها الخلود والنقاء، وأنها الملاذ، التجاوز، السلام، وهي الخلو من الألم والحزن والأسى، وما إلى ذلك من الأوصاف العامة المبهمة التي لم تزد هذا المبدأ إلا غموضا. ومن ذلك قول **بوذا**:

«هذه الحالة هي استقرار وثبات وعدم تغيُّر، هي الخلود الذي ليس له بداية ولا نهاية. هذه هي نهاية الألم»(٢)

٣- **عدم الوصف**: بين الوصف السلبي والإيجابي كانت ثمة مواضع عديدة امتنع فيها **بوذا** عن وصف الـ (نيرڤانا) مطلقًا لاستحالة ذلك في رأيه، فهي مختلفة عن الوجود المعلوم إلى حد لا يمكن معه وصفها بلغات الدنيا وكلماتها المعتادة. وقد أضفى ذلك الامتناع المُتكرر شيئًا من عدم المصداقية على كل من الأوصاف السلبية والإيجابية والتي سبقت الإشارة إليها(٣).

---

(١) إنجيل بوذا: ٨٥ - ٨٦.

(٢) إنجيل بوذا: ٨٦.

(٣) انظر: الأديان الحية: ٥٧ - أديب صعب.

اختلف المتأخرون في تحديد مفهوم الـ (نيرڤانا) وتعريفها كما اختلف المتقدمون في وصفها. وقد نتج عن هذا الاختلاف تعاريف متباينة تتبناها المدارس البوذية المختلفة. من أبرزها:

- الـ (نيرڤانا): هي الاندماج في ذات الإله والفناء فيه.

وهذا القول لا تتبناه المدارس البوذية التي لا تعتقد بوجود الإله، بل هو خاص بمن يعتقد بتأليه بوذا أو أي من الآلهة الڤيدية أو الهندوسية.

- يمتد التعريف السابق ليتناول المدارس التي تعتقد بوجود مطلق متجاوز لا يحمل صفات الإلوهية، فتكون الـ (نيرڤانا) تعبيرًا عن إدراك للوحدة مع ذلك المطلق، وهي ضرب من ضروب وحدة الوجود. وهذا التعريف والذي قبله شبيهان بمفهوم الخلاص أو الـ (موكشا) في الهندوسية.

- وقيل: الـ (نيرڤانا) هي وضع فكري نفسي، وهي أعلى مراتب الصفاء الروحي التي يتوصل إليها السالك بإعدام رغباته المادية وأغراضه الشخصية، وتوقُّفه عن عمل الخير والشر[1]. وهي آخر الأطوار الأربعة التي يمر بها البوذي في سعيه لتحقيق الخلاص المزعوم[2].

وهذا هو المفهوم الذي تتبناه المدارس البوذية الأصولية كالـ هنايانا. وهو بعيد عن مفاهيم الوحدة والاتحاد الموجودة في فكر الـ مهايانا والتيارات التجديدية.

---

(١) انظر أديان الهند الكبرى: (١٦٣، ١٦٥) - د. أحمد شلبي، والفكر الشرقي: (٦٧ - ٦٨) - د. يونج شوون كيم.

(٢) انظر ذيل الملل والنحل للشهرستاني: (١٦ - ١٨) - محمد سيد كيلاني، والحكمة البوذية: (٢٧ - ٢٨) - حلقة الدراسات الهندية، وقصة الحضارة: ٣/ ٨٤ - ول ديورانت.

إن الـ (نيرڤانا) - على جميع التعاريف السابقة - ليست منوطة بالمات على الإطلاق، بل هي هدف يناله السالك خلال حياته وأثناء وجوده في الدنيا، وهي غاية ما يسعى إليه البوذي في كل ممارساته. أما الـ (نيرڤانا) الكبرى (Paranirvana - परिनिर्वाण) حيث يتحرر المرء من ربقة التناسخ وينفصل تمامًا عن الوجود والعدم، فهي لا تحصل إلا بعد الميتة الطبيعية والرحيل عن الدنيا المعهودة. هذه الـ (نيرڤانا) هي التي أرادها بوذا عندما قال في آخر لحظات حياته:

«أيها المريدون العزاء، هذه هي النهاية، وخلال لحظة سوف أنتقل إلى (نيرڤانا)..»[١]

مع أنه قال في موضع آخر:

«الأناس الذين لا يؤمنون أبدًا يدعونني غاوتاما سدهارتها، لكن أنتم أدعوني بوذا[٢]، بهاغاڤات (إله)، المعلم. وهذا هو الأصح، لأنني في هذا الوجود بالذات دخلت إلى الـ (نيرڤانا)، وقد انطفأت حياة غاوتاما سدهارتها»[٣]

مسألة: هل الـ (نيرڤانا) هي الجنة؟

لا شك أن الـ (نيرڤانا) في المفهوم البوذي لا يمكن تفسيرها بالجنة المعروفة في الديانات ذات الأصول السماوية كما قد يرد على بعض الأذهان. إن الاختلاف بينهما جلي وجوهري، يكمن في ثلاث نقاط أساسية[٤]:

١- أن الـ (نيرڤانا) ليست مكانًا أو زمانًا، بل هي حال يطرأ على السالك سواء كان صفاء ذهنيًا أو وحدة وجود.

---

(١) تعاليم بوذا: ٢٨ - بوكيو ديندو، وانظر إنجيل بوذا: ٢٢١.

(٢) يقصد بوذا بمعنى العارف المستنير، فإن الكلمة في أصلها صفة، ولكن لما غلب إطلاقها على **غاوتاما** أصبح علمًا عليه. (انظر: أديان الهند الكبرى: ١٤٨ - د. أحمد شلبي).

(٣) إنجيل بوذا: ١٤٨.

(٤) انظر الحكمة البوذية: ٢٩ - حلقة الدراسات الهندية.

٢- أن الـ (نيرڤانا) لا تخضع للسببية، وهي ليست نتيجة لعمل، أما الجنة فهي ثواب للمؤمن على إيمانه وعمله.

٣- كما أن الـ (نيرڤانا) غير مشروطة بالإيمان، بل هي في متناول الجميع على اختلاف مذاهبهم واعتقاداتهم. وهي غير متعلقة بأي قوة خارقة، بل هي إنجاز فردي بحت.

وبناء على ما سبق يتضح أن من قال بأن الـ (نيرڤانا) هي أحد أسماء الجنة بلغة مختلفة قد أخطأ القول أو تعمد التلبيس.

وعلى كل حال، فإن مبدأ الـ (نيرڤانا) مبدأ فلسفي إلحادي، سواء على القول بأنه الصفاء الروحي أو القول بأنه الاتحاد أو وحدة الوجود.

رابعًا: علامات الوجود الثلاث

لقد كان مما أدركه بوذا أثناء تأمله التاريخي أن كل ما في هذا الوجود المادي بما فيه من ظواهر طبيعية وعوارض إنسانية موسوم بعلامات ثلاث، ومعرفة هذه العلامات هو أمر جوهري في البوذية. تتلخص تلك المعرفة بطبيعة الكائنات - والإنسان خاصة - في الصيغة الثلاثية الشهيرة: المعاناة، الزوال، والـ لا ذات. وفيما يلي توضيح موجز لهذه العلامات[1]:

(١) **المعاناة، دوكها (Dukkha - दु:ख)**: يرى بوذا أن المعاناة هي من أبرز ظواهر عالم الـ (سمسارا). فكل الكائنات الحية معرضة للهرم والمرض والموت وما تحملها هذه العوارض من آلام.

(٢) **الزوال، آنيكا (Anicca - अनित्य)**: الفناء هو العلامة الثانية من

(١) انظر: الفكر الشرقي: (٦١ - ٦٤) - د. يونج شوون كيم،
Buddhist Philosophy: A Historical Analysis: (36 - 42) - David J. Kalupahana

علامات الوجود، ولا بد لكل موجود في عالم الـ (سمسارا) أن يفنى، وكل حي مصيره إلى الزوال والموت.

(٣) **الـ لا ذات، أناتا (Anatta – अनात्मन्)**: تعني «الـ لا ذات» عدم وجود جوهر ثابت في الإنسان، كما لا توجد ذات منزهة عن التغيير. إن البوذية تنفي الذات أو ما يعبر عنه بالـ أنا، حيث ترى أن الذات هي عبارة عن أبعاض تُكوِّن كُلًّا وهميًا، وإذا تفرقت هذه الأبعاض لم يبق من الذات شيء[1]، أما التسمية بالذات أو بالـ أنا فما هي إلا وسيلة للتعداد والتمييز. هذه هي العلامة الأخيرة من علامات الوجود عند بوذا.

لقد نتج عن قول بوذا بالـ لا ذات اعتقاد مدارس الـ مهايانا البوذية بمبدأ الـ (تاثاتا) (Tathata - तथाता) أو الـ (سونيتا) (Sunita - सुनीत) وهو مبدأ مفضٍ إلى القول بوحدة الوجود.

تعني الـ (تاثاتا) حرفيا: الـ (كما – هو)، ويراد بها الحقيقة المطلقة أو الكلية. وهذه الحقيقة غير قابلة للوصف لأنها تتجاوز الحواس والأفكار والتعريفات وبها تذوب الفوارق بين الأشياء في إشارة إلى وحدة الكل. أما الـ (سونيتا) – وهي اسم ثان للـ (تاثاتا) – فتعني الفراغ أو العدم، إلا أن البوذيين ينكرون كونها عدما، فهي – عندهم – معنى إيجابي مطلق يتجاوز الأوصاف، به يدرك البوذي حقائق الأشياء وخواء الذات.

إن إدراك الـ (تاثاتا) هو في الواقع حصول الإشراق أو التنور، وبلوغ الـ (نيرڤانا). إلا أن السالك إذا بلغ هذه المنزلة، أدرك أن الذوات خاوية، وأن

---

(١) ويمثلون لذلك بالمركبة مثلًا، فلا يوجد شيء حقيقي اسمه مركبة، فهي تتكون من عجلات ومقاعد ومقود... الخ. وإذا سلبت المركبة من هذه المكونات اتضح أن ليس لها ذات حقيقية حيث لم يبق منها شيء. أما التسميات فتستخدم للتميز والتعداد كما ذكر.

الفوارق منعدمة، وأن الـ (نيرڤانا) والـ (سمسارا) شيئًا واحدًا[1].

وعلى هذا، تكون الـ (نيرڤانا) البوذية شبيهة بالـ (موكشا) الهندوسية، والتنور الطاوي، حيث تعد اتحادًا - أو إدراكا للوحدة - بالمطلق المتجاوز، والذي لا يصح بحال أن نسميه إلها. ومن ثم يتضح أن ما يبذله البوذي خلال حياته هو هدر يتوصل به إلى ما هو عليه بالأصل فالكل واحد وليس ثمة فرق!

إن مبدأ التسوية بين الـ (نيرڤانا) والـ (سمسارا)، هو مبدأ خاص ببوذية الـ مهايانا، وهي – من هذا المنطلق – تُعد فلسفة واحدية ذات طابع ديني تصوفي. أما مدرسة الـ ثيراڤادا فقد أنكرت هذا المبدأ، وشددت على أن الـ (نيرڤانا) والـ (سمسارا) أمران مختلفان تماما.

لقد كان بوذا – فيما يظهر – يقرر مبدأ الـ لا ذات في النصوص القديمة من منطلق أخلاقي لا فلسفي. فإنه لما رأى أن الـ أنا هي سبب الأحزان والآلام، حيث هي منبع الرغبات والشهوات والكراهية والأحقاد، كان تحطيم هذه الـ أنا وإعدامها سببًا للتخلص من البؤس والألم. لم يصرِّح بوذا بانعدام الفوارق وذوبان الذوات في بوتقة الوحدة، وإنما نتجت هذه الفكرة عن التفسيرات المتأخرة لأقواله حيث طبق القول بانعدام الذات على جميع الذوات، فكانت النتيجة القول بوجود مطلق أو وحدة وجود.

خامسًا: معتقدات بوذية تشان (Chan - 禪) وزِن (Zen - 禅)[2]

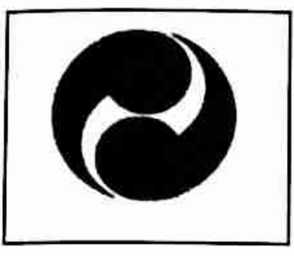
انتقلت البوذية إلى الصين على يد المرسلين الهنود والصينيين الذين ذهبوا إلى الهند وعادوا منها حاملين الرسالة البوذية في القرن السادس للميلاد. ولما

---

(١) انظر الفكر الشرقي: (٦٩ – ٧٢) – د. يونج شوون كيم، و
The Concept of the Buddha: (75 - 80) - Guang Xing

(٢) يطلق عليها تشان في الصين وزن في اليابان أساسًا، ولكن لها أثر كبير في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة. انظر: الفكر الشرقي القديم: ٢٢٩ – د. جمال المرزوقي.

استوطنت البوذية الصين تأثرت ببعض التيارات المحلية فطرأت عليها بعض التغيرات وأطلق عليها تشان. انتقلت بوذية الصين إلى اليابان في القرن الثاني عشر فاحتفظت بالملامح والتغيرات الصينية وسميت (زن)، وكان مما تميزت به ما يلي:



شكل (٦)

رمز ينتشر في المعابد البوذية في اليابان، ويظهر فيه التأثر بعقيدة الـ (ين يانغ).

- **الاعتقاد بالإله**: سبق أن البوذية الأصلية نحلة إلحادية لا تعتقد بإله، إلا أنها حين انتقلت إلى الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة؛ كان **بوذا** واحدًا منها. ولعلها تأثرت بالفكر الطاوي السائد في بلاد الصين في تلك الفترة.
- **الـ (نيرڤانا)**: زالت فكرة الـ (نيرڤانا) عند بعض أتباع البوذية الصينية وحلت محلها فكرة الفردوس المادية التي تنعم النفس فيها بالحديث مع الشخصيات الإلهية.
- **النصوص البوذية**: لا تعول البوذية الصينية على النصوص كثيرًا، حيث لا ترى أن العلم ينتقل من خلالها، وإنما يُدرك من خلال التجربة المباشرة.
- **العبادات**: تكثر الابتهالات والصلوات في بوذية الصين، مع أنه لا وجود لها في البوذية الهندية التي شرعها **بوذا** نفسه[1].

تعد بوذية تشان وزِن أحد فروع المركبة الكبرى، إلا أنها تحمل طابعًا خاصًا وتتميز عن البوذية الأم بمميزات جعلت لها قبولًا في بعض البلدان الغربية.

---

(١) انظر ذيل الملل والنحل للشهرستاني: ٢٦ - محمد سيد كيلاني، والفكر الشرقي القديم: (٢٨٥ - ٣٠٤) - جون كولر، والأديان الحية: ٦٦ - أديب صعب.

المطلب الثالث: الكتب البوذية المقدسة

لم يدون **بوذا** تعاليمه أثناء حياته، ولم يترك وراءه أي مصنف أو كتاب يعبر فيه عن معتقداته وآرائه، بل كانت جميع التعاليم التي خلفها لأتباعه شفوية. ونظرًا لأنه ترك كثيرًا من الأمور عالقة ليس له فيها قول فصل، فقد برزت الخلافات الفلسفية بين أتباعه فور وفاته. يوجد تقسيمات كثيرة للنصوص البوذية التي كتبها الأتباع من بعد بوذا إلا أن أصحها وأكثرها استخداما هو التقسيم إلى نصوص قانونية منسوبة إلى **بوذا**، ونصوص غير قانونية لم تنسب إليه. غير أن هذا التقسيم لا يعد تقسيمًا فاصلًا كما لا يخلو من تجاوز حيث يصح إدراج بعض النصوص تحت أي من القسمين.

أولًا: النصوص القانونية

النصوص القانونية هي النصوص التي تنسب إلى **بوذا** على أنها من كلامه سواء باللفظ أو المعنى. وقد اختلفت المدارس البوذية فيما يمكن أن يعد من أقوال المعلم مما فيه تقول عليه وتزييف للحقائق، إلا أن الإجماع قد انعقد على قبول النصوص التي دونت بعد وفاة **بوذا** مباشرة من قبل تلامذته المقربين. ومن النصوص القانونية ما يلي:

(١) قانون الـ ثيراڤادا:

يُذكر أن عددًا كبيرًا من الرهبان اجتمعوا بعد موت **بوذا** للعمل على تثبيت التعاليم البوذية الأساسية، والتخفيف من وطأة الخلاف الذي حصل بعد وفاته، فاتفقوا على تدوين مقالاته لتجتمع عليها الكلمة. فقام ثلاثة من أبرز تلاميذ **بوذا** بتدوين جانب من جوانب تعاليم معلمهم الراحل. فقام **آنندا**[١] **(Ananda - आनन्द)**

(١) آنندا: هو ابن عم بوذا ومن أبرز تلاميذه. لازم بوذا للخمس وعشرين سنة الأخيرة من حياته كما كان التلميذ المفضل عنده. يُذكر أنه كانت له قدرة ذهنية فائقة على التذكر، أتاحت له أن ينقل مواعظ الـ بوذا وتعليماته. كان له الدور الأبرز في قبول النساء في المنظمة على حياة بوذا. وقد كان أحد التلاميذ الذين دوَّنوا السلال الثلاث.

انظر: حياة الـ بوذا سيرة مفسرة: (١٢٩ - ١٣١) - دايساكو إكيدا.

بتدوين المواعظ، وقام أُپالي (Upali - उपालि)[1] بتسجيل قواعد النظام الرهباني، بينما أخذ مهاكاشياپا (Mahakahyapa - महाकाश्यप)[2] على عاتقه نشر مبادئ الاعتقاد[3].

وقد قسمت النصوص - بناء على ما سبق - إلى سلال ثلاث (Tripitaka - त्रिपिटक)، كالتالي[4]:

١ / سلة حكم المستنير[5] (Sutra Patika - सूत्र): يتحدث هذا النص عن سيرة بوذا ومواعظه ويحكي أحداثًا متفرقة من حياته. وهو مقسم إلى خمسة أقسام.

٢ / سلة الشريعة والنظام (Vinaya - विनय): يحوي هذا النص التعاليم التنظيمية لحياة الرهبان السلوكية في الرهبنة البوذية. وقد اعتبرت بعض تلك الممارسات شرطًا أساسيا لاتباع بوذا، بينما كان بعضها الآخر عبارة عن توجيهات يقدمها بوذا لتصحيح الأخطاء السلوكية لبعض الرهبان متى ما استدعى الأمر ذلك.

---

(١) أُپالي: هو أحد تلاميذ بوذا العشرة المقربين. لم يكن أُپالي برهميًا كباقي التلاميذ، بل كان يعمل حلاَّقا في القصر. كان بقية التلاميذ يعيرونه احترامًا بالغًا لإثبات أنه لا مكان للطبقية في المنظمة البوذية. تميز بحماسة كبيرة في مراعاة قواعد الانضباط. كان أحد التلاميذ الذين دوَّنوا السلال الثلاث. انظر:
حياة الـ بوذا سيرة مفسرة: (١٣٢ - ١٣٣) - دايساكو إكيدا.

(٢) مهاكاشياپا: هو من أشهر تلاميذ بوذا، وأحد العشرة المقربين، وقد كان برهميًا قبل التقائه به. اشتهر بالتقشف والممارسات الزهدية والتقييدات على المأكل والملبس والعيش. أشرف على تثبيت الكتابات البوذية المقدسة، ومثل دورًا هامًا في المنظمة البوذية في أوائل عهدها. كان أحد التلاميذ الذين دوَّنوا السلال الثلاث. انظر:
حياة الـ بوذا سيرة مفسرة: (١٢١ - ١٢٤) - دايساكو إكيدا.

(٣) انظر: الحكمة البوذية: ١٧ - حلقة الدراسات الهندية، وبوذا والفلسفة البوذية: ١٤٥ - كامل محمد عويضة.

(٤) انظر الحكمة البوذية: (٢١ - ٢٢) - حلقة الدراسات الهندية، وأديان الهند الكبرى: ١٩٧ - د. أحمد شلبي، والأديان القديمة في الشرق مع ترجمة لكتاب البوذية: (٢٢٤ - ٢٢٨) - د. رؤوف شلبي.

(٥) وهو من أسماء الـ بوذا.

٣ / سلة العقائد (Abhidharma - अभिधर्म): هي مجموعة النصوص التي تقدم المبادئ الفلسفية والعقدية التي أشير إليها ضمنا في سلة الحكم بشكل أكثر وضوحًا وتنظيمًا. تنقسم هذه النصوص إلى سبعة أجزاء.

توجد نسخ مختلفة من هذه السلال في العالم البوذي تضم مجموعة كبيرة من النصوص، إلا أن أشهرها ما يعرف بالقانون البالي[١] والذي تتبناه الـ ثيراڤادا والمدارس البوذية المحافظة. وهي معترف بها من قبل المدارس الأخرى مع اختلافهم في تأويلها، وفي كونها ملزمة حرفيًا.

(٢) قانون الـ مهايانا:

يتألف قانون الـ مهايانا مما يسمى: سوترات الـ مهايانا (**Mahayana Sutras**)، وهي مجموعة من المؤلفات التي تتناول مواضيع متعددة من مبادئ الاعتقاد بالإضافة إلى بعض التوجيهات السلوكية والتعليمات التعبدية. كانت بداية تدوينها في القرن الأول قبل الميلاد. ورغم أن أتباع الـ مهايانا ينسبون هذه النصوص إلى بوذا، إلا أن الأصوليين من أتباع الـ ثيراڤادا ينفون صحة تلك النسبة[٢].

(٣) قانون الـ ڤاجريانا:

تتألف النصوص القانونية لبوذية الـ ڤاجريانا من نصوص ذات تعلق بقوانين كل من الـ ثيراڤادا والـ مهايانا، إلا أن أهمها تلك التي تختص بها الـ ڤاجريانا فهي التي تشكل معالمها المتميزة. تسمى هذه النصوص الخاصة بالـ تانترا البوذية، وهي - بشكل عام - تركز على تطبيقات التأمل وتفاصيل الطقوس[٣].

---

(١) سمي القانون البالي نسبة إلى اللغة الباليّة التي كتب بها.

(٢) انظر: Buddhism: A Modern Perspective: 72

(٣) انظر: Buddhist Thought: A Complete Introduction to the Indian Tradition: (194 - 195) - Paul Williams

ثانيًا: النصوص غير القانونية

تضم النصوص غير القانونية جملة من الكتابات المختلفة، منها ما هو شروح وتعليقات على النصوص القانونية، ومنها ما هو سرد للتاريخ والسير، ومنها ما هو جمع لأقوال واجتهادات الرهبان البوذيين من بعد بوذا. وهذه النصوص ليست من أقوال بوذا لا باللفظ ولا بالمعنى، ولذا فهي لا تمثل آراءه الفكرية ولا مبادءه الفلسفية.

لا يمكن حصر النصوص غير القانونية وعرضها في مثل هذا المقام، لذا سأقتصر على ذكر مثال على أبرز النصوص التي تتبناها كل واحدة من المدارس البوذية الكبرى دون التعرض لغيرها خشية الإسهاب والتطويل.

(١) أسئلة مِليندا (Milinda Panha – मिलिन्दप्रश्न)

يعد هذا النص من أبرز النصوص غير القانونية لمدرسة الـ ثيراڤادا، وهو عبارة عن حوار يدور بين أحد الملوك وحكيم بوذي. يرتكز الحوار على قضايا الاعتقاد بشكل أساسي وإن كان يتناول بعض المواضيع الأخرى أحيانًا[١].

(٢) يقظة إيمان الـ مهايانا (Awakening of Mahayana Faith)

تشكل النصوص غير القانونية أهمية كبرى عند أتباع الـ مهايانا تفوق في كثير من الأحيان النصوص القانونية، ومن أهم تلك النصوص: يقظة إيمان الـ مهايانا، وهو بحث مختصر يتحدث عن أساسيات بوذية الـ مهايانا والعلاقة بين المطلق وبين العالم المحسوس[٢].

---

(١) انظر: A History of Indian Buddhism: (130 - 131) - Hirakawa Akira

(٢) انظر: The Awakening of Faith: 3 - Aasvaghoosa - translated by: Yoshito S. Hakeda

(٣) نصوص الـ تيرما (Termas - གཏེར་མ)[١]

تعد نصوص الـ تيرما أهم النصوص غير القانونية لبوذية الـ ڤاجريانا (بوذية التبت)، وهي نصوص يخفيها أصحابها في أماكن مجهولة، كالكهوف والوديان، ليتم العثور عليها في أوقات لاحقة. من أشهر هذه الـ تيرمات الكتاب المعروف باسم: كتاب الأموات التِبتي (Tibetan Book of the Dead)[٢]، يتحدث هذا الكتاب عن التجارب التي يمر بها الميت بعد استعادته لوعيه وقبل أن يولد من جديد، وهو يقرأ على الميت بعد موته أو على تمثال ينصب له. يُعد هذا الكتاب دليلًا يبرز فيه تأثير الشامانية على بوذية التبت[٣].

المطلب الرابع: المراحل التي مرت بها البوذية

لقد مرت البوذية منذ بدايتها وحتى عصرنا الحاضر بمراحل عدة، وتفاوتت أحوالها ما بين توسع وانتشار أو تراجع وانحسار، كما مرت بتحولات فكرية عديدة أدت إلى انقسامات داخلية وظهور مدارس وتيارات متباينة. وفيما يلي عرض ملخص للمراحل التاريخية التي مرت بها البوذية، مع الإشارة إلى أبرز الأحداث والمعالم الخاصة بكل فترة[٤]:

المرحلة الأولى: بدايات البوذية

امتدت هذه المرحلة من القرن السادس وحتى الخامس قبل الميلاد، وبشكل أدق منذ أن بدأ **بوذا** بنشر تعاليمه وإلى أن توفي. تميزت البوذية في هذه الفترة بالتوجه

---

(١) الحروف المستخدمة في لغة التبت.

(٢) والصحيح أن اسم الكتاب: باردو ثودول (Bardo Thodol) وإنما انتشرت تسميته بكتاب الأموات بعد أن عرفه الغرب.

(٣) انظر: The Tibetan Book of the Dead: (liv xiv) - Karma-glin-pa

(٤) انظر الفكر الشرقي القديم: (٢٠٥ - ٢١٢) - جون كولر، والأديان الحية: (٥٧ - ٦٥) - أديب صعب.

الفلسفي البحت والخلو من الخصائص الدينية والطقوس التعبدية، حيث كانت تنزع إلى الإلحاد وإنكار الإله، وقد كانت البوذية في بداية ظهورها دعوة خلاص موجهة لمن سلك سبيل الرهبنة والتنسك، أما عموم الناس فلم تكن تقدم لهم توجيها يذكر[1].

المرحلة الثانية: مرحلة المجالس البوذية (٤٨٣ - ٢٤٧ ق.م)

جاءت هذه المرحلة عَقِب وفاة الـ **بوذا** مباشرة، حيث اختلف الرهبان في تفسير القواعد العامة التي قعَّدَها **بوذا** خلال حياته. وقد عُقِدت في هذه الفترة ثلاثة مجالس من أجل حسم تلك الخلافات:

- **المجلس الأول (٤٨٣ ق.م):**

عُقد المجلس الأول في راجاغاها (**Rajagaha**)، وقد شارك فيه خمسمائة من الرهبان. توصل هذا المجلس إلى قرار بالمحافظة على القواعد التي حددها **بوذا** أثناء دعوته، والإبقاء على أصالة الفلسفة البوذية من خلال الالتزام الحرفي بتعاليم المعلم ونبذ التأويلات والاجتهادات الصادرة عمن بعده.

- **المجلس الثاني (٣٨٣ ق.م):**

عُقد المجلس الثاني للرهبنة البوذية في مدينة ڤيسالي (Vesali) بعد مرور قرن - تقريبًا - على المجلس الأول. وقد ازداد عدد المعارضين للالتزام الحرفي بتعاليم **بوذا** في هذا المجلس، مما كان سببًا في ظهور الإرهاصات الأولية للانقسام الأول في تاريخ البوذية.

- **المجلس الثالث (٢٤٧ ق.م):**

كان انعقاد المجلس الثالث في مدينة پاتاليپوتا (**Pataliputta**)، وفيه حصل الانقسام الفعلي لأتباع **بوذا** مما أسفر عن نشأة الفرقة الأولى وهي مدرسة

---

(١) انظر: الأديان الحية: ٥٧ - أديب صعب.

الـ مهاسانغهيكا (Mahasanghika - महासांघिक)[١] التجديدية. تلا هذا الانقسام الرئيسي سلسلة من الانقسامات المتعاقبة داخل المدرسة الجديدة وفي النظام القديم على حد سواء نتج عنها عدد كبير من المدارس الفكرية المختلفة، والتي ترجع في أصولها إلى أحد التيارين[٢].

وخلال هذه الفترة، وبالتحديد في منتصف القرن الثالث ق.م، اعتنق الملك الهندي **أشوكا** (Ashoka - अशोक)[٣] البوذية، ووجه كامل طاقته إلى نشر تعاليمها، فأرسل المعلمين إلى أنحاء من آسيا وفارس وأفغانستان حتى وصل رسله إلى بلاد الإغريق ومصر. كما قام بإرسال بعثة إلى سري لانكا اعتنق المَلِك السري لانكي البوذية على إثرها مما ساهم في نشرها في تلك البلاد[٤]. لقد كان لـ **أشوكا** دور بارز في نشر التعاليم البوذية، حتى عده بعض الباحثين المؤسس الثاني لها.

---

(١) **مدرسة الـ مهاسانغهيكا**: وتعني أتباع النظام العظيم، انفصل أتباعها عن بقية البوذيين في القرن الثالث ق.م. حيث كان تركيزهم على إيجاد مجتمع أكثر انفتاحا وعلى نمط أقل تشددا. كما تشدد هذه المدرسة على الاعتقاد بالـ بوذا التجاوزي الذي يتجاوز العالم ويخاطب البشر بحسب إدراكهم لا على الـ بوذا التاريخي. انظر:
الفكر الشرقي القديم: ٢١٣ – جون كولر (حاشية المترجم).

(٢) انظر الأديان الحية: ٥٨ – أديب صعب، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: ٦٥٢ – د. ضياء الدين الأعظمي.

(٣) **أشوكا**: ولد أشوكا بن تشاندر عام ٣٩٤ ق.م في أسرة هندوسية مرموقة. اعتنق البوذية بعد توليه الملك على يد راهب بوذي مبتدئ. نبذ بعدها العنف تدريجيًا وتخلى عن الأعمال الحربية. كما خفف ذبح الحيوانات لاستهلاك القصر حتى منعت تماما. عمل جاهدا على نشر البوذية في أنحاء العالم حتى عده بعض الباحثين المؤسس الثاني لها.
انظر: الحكمة البوذية: (١٩ – ٢١) – حلقة الدراسات الهندية.

(٤) انظر: المرجع السابق: (٢٠ – ٢١)، والأديان الحية: (٥٨ – ٥٩) – أديب صعب، وأديان الهند الكبرى: ١٨٨ – د. أحمد شلبي، وتعاليم بوذا: ٢٤٠ – بوكيو كيوكا، وقصة الحضارة: ٣/ (١٠١-١٠٧) – ول ديورانت.

المرحلة الثالثة: مرحلة المدارس الفلسفية والازدهار الثقافي

امتدت هذه المرحلة منذ بداية القرن الأول للميلاد وحتى القرن الثامن. وقد بدأت المدارس الفلسفية المختلفة بالظهور في مستهل هذه الفترة، ومع مرور الزمن انقسمت المدارس إلى فرق وتيارات متعددة، انقرضت جميعها ولم يبق منها مع حلول القرن الخامس إلا مدرستي الـ ثيراڤادا والـ مهايانا، حيث عُدَّتا امتدادًا للمدرستين الأصولية والتجديدية على التوالي[1].

أخذت البوذية بالتوسع والانتشار أثناء هذه الفترة، فوصلت في بدايتها إلى البنغال وكمبوديا وڤيتنام وكشمير، وفي القرن الثالث إلى الصين وأواسط آسيا وكوريا. وفي القرن الخامس بلغت الرسالة البوذية أرض سيلان، ثم دخلت النيبال والتبت واليابان بعد حلول القرن السادس للميلاد. وقد شهدت هذه الفترة تقدمًا واضحًا في المناحي الثقافية، فأقيمت المعاهد البوذية التي لعبت دورًا هامًا في نشر التراث البوذي بين الأتباع حتى عدت هذه الفترة من أزهي الفترات البوذية من الناحية الثقافية[2].

الفترة الرابعة: مرحلة التراجع

بدأت البوذية بالاضمحلال في بلاد الهند مع بداية القرن الثامن، نظرًا للهجوم الشديد الذي واجهته من الفلاسفة الهندوس، وكنتيجة للفتح الإسلامي وانتشار دعوة التوحيد[3]. ومع حلول الألفية الأولى انتهت ذروة الفلسفة البوذية

---

(١) انظر: Buddhism: A Very Short Introduction: (57 - 58) - Damien Keown

(٢) أديان الهند الكبرى: (١٨٨ - ١٨٩) - د. أحمد شلبي بتصرف.

(٣) انظر الحكمة البوذية: ٢٢ - حلقة الدراسات الهندية، وأديان الهند الكبرى: ١٨٩ - د. أحمد شلبي، و Buddhism: (62 - 63) - Bradley K. Hawkins

ومن أسباب انكماش البوذية:

١- الفراغ الذي تركته في أتباعها بإلغاء مبدأ الإله، فعبد البوذيون بوذا أو بعض آلهة الهندوس

في بلاد الهند. إلا أنها تابعت انتشارها في بورما وكمبوديا وأنحاء مختلفة من البلدان الآسيوية.

المرحلة الأخيرة: المرحلة المعاصرة

واجهت البوذية - كغيرها من الفلسفات المحلية - هجومًا عنيفا من الفكر الغربي الذي حمله المستعمر إلى البلدان الشرقية في القرن السادس عشر. أدى هذا الغزو العسكري والفكري إلى ذوبان الملامح البوذية في بوتقة التيارات المحلية الأخرى من أجل التصدي للزحف الغربي والفكر النصراني. إلا أنه - مع مرور الزمن - حصل تقبل مشترك بين البوذية والفكر الغربي النصراني كما ظهر التأثر المتبادل الواضح بينهما(١).

وفي الآونة الأخيرة، حصل انبعاث جديد للفكر الشرقي بشكل عام، فانتشرت الأفكار والفلسفات الشرقية في البلدان الغربية، وكانت البوذية من الديانات الشرقية الرائدة التي اعتنقها أبناء الغرب في بحثهم المستمر عن الامتلاء الروحي والسكون النفسي الذي يفتقدونه، فكان لها نصيب وافر من البحث والاهتمام.

٢- ثم إن بوذا لم يبن معابد، فلجأ أتباعه إلى معابد الهندوس ووضعوا فيها تمثالًا لبوذا، إلى أن ذابت في الهندوسية مع مرور الزمن.

٣- أن للهندوسية طقوسًا ظاهرة كالانغماس في النهر وتقديم القرابين، أما البوذية فهي فلسفة ترتكز على التهذيب الداخلي، ولا شك أن الاهتمام بالظاهر أيسر من العناية بالباطن فتخلى البوذيون عن الصراع النفسي في مقابل بعض الطقوس الهندوسية.

(انظر: أديان الهند الكبرى: ١٨٣ - د. أحمد شلبي).

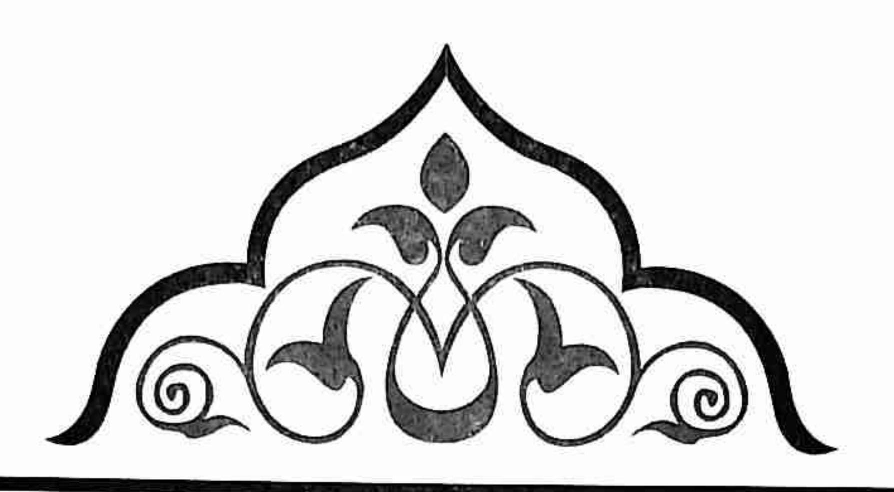
(١) انظر أديان الهند الكبرى: (١٨٩ - ١٩٠) - د. أحمد شلبي.

المطلب الخامس: الأتباع ومواطن الانتشار

يقدر أتباع البوذية بعدد يتراوح ما بين ٢٣٠ مليون و٥٠٠ مليون بوذي، وإن كان التقدير بأنهم ٣٥٠ مليون هو الأقرب للواقع. يتوزع البوذيون في مناطق متعددة من شرق وجنوب آسيا، يتضح ذلك من خلال الجدول التالي[1]:

الدولة	الأعداد المقدرة	نسبة البوذيين في السكان
الصين	١٠٢,٠٠٠,٠٠٠	–
اليابان	٨٩,٦٥٠,٠٠٠	٥٠٪
تايلاند	٥٥,٤٨٠,٠٠٠	٩٥٪
ڤيتنام	٤٩,٦٩٠,٠٠٠	٥٥٪
ميانمار	٤١,٦١٠,٠٠٠	٨٨٪
سري لانكا	١٢,٥٤٠,٠٠٠	٧٠٪
كوريا الجنوبية	١٠,٩٢٠,٠٠٠	–
تايوان	٩,١٥٠,٠٠٠	٤٣٪
كمبوديا	٩,١٣٠,٠٠٠	٩٠٪
الهند	٧,٠٠٠,٠٠٠	–

(١) انظر: The Top 10 of Everything: 160 - 161 - Russel Ash World Almanac: 712



الفصل الثاني

العقائد الرئيسة التي تُبنى عليها الفلسفة الاستشفائية الشرقية

وفيه ثلاثة مباحث:

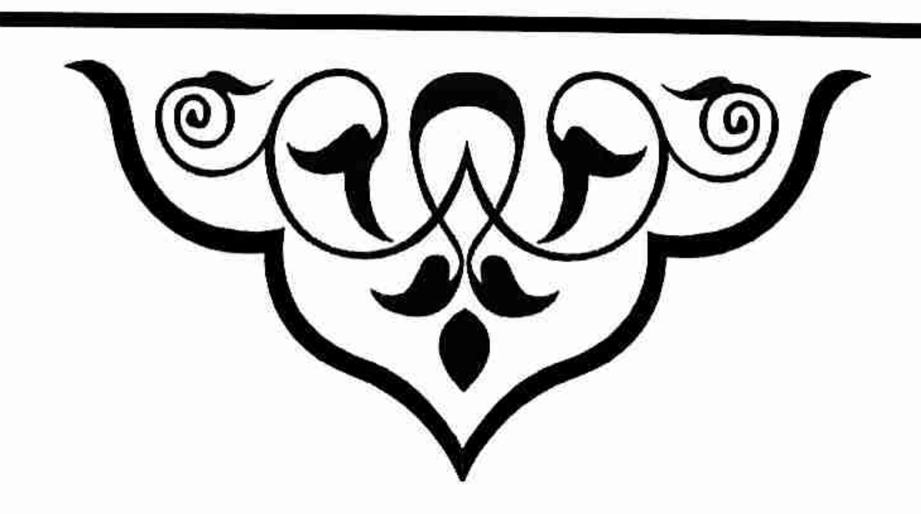
المبحث الأول: أصل الكون ووجوده، ويشمل:

- فلسفة الـ (ين يانغ).
- فلسفة العناصر الخمسة.

المبحث الثاني: الطاقة الكونية وآثارها:

- فلسفة الطاقة الكونية.
- فلسفة الأجسام السبعة والجسم الأثيري.
- فلسفة الـ (شاكرات) وخصائصها.

المبحث الثالث: الاتحاد ووحدة الوجود.



المبحث الأول

أصل الكون ووجوده

لقد اعتمد الطب الشرقي - والصيني خاصة - على فكرتين أساسيتين في فلسفة الاستشفاء التي بني عليها، وهما فكرتان متجذرتان في الفلسفات الصينية القديمة ولهما تعلق وثيق بالنظرة الشرقية لمبدأ الكون ومجيئه إلى الوجود. وقد طُبِّقت تلك الفكرتان على الجوانب التشخيصية والعلاجية في الطب الشرقي باعتبار الجسم البشري جزءًا من الوجود الأعظم الخاضع لقانون الـ (طاو). هاتان الفكرتان هما:

- فلسفة الـ (ين يانغ)
- وفلسفة العناصر الخمسة

وسأتحدث عن كل منهما بشيء من التفصيل؛ ليتضح للقارئ تعلقهما بأصول الاعتقاد، وكيفية تطبيقهما في الطب دون إخراجهما من سياقهما الفلسفي العام.

المطلب الأول: فلسفة الـ (ين يانغ) (yin yang - 陰陽)

تعد فلسفة الـ (ين يانغ) من أبرز المرتكزات التي تعتمد عليها الفلسفة الصينية عموما، وبالأخص الطب الشعبي المتفرع عنها، وما يتعلق به من حيث التشخيص والعلاج. بل يمكننا القول بأن جميع الجوانب التشخيصية والعلاجية في الطب الصيني ترجع إلى هذا المبدأ بالجملة، حتى أنه قد قيل: «إن سر الفلسفة والعلم الصينيين قد اختصرا... في كلمتين: (ين) و(يانغ)، أي: نظرية وحدة الوجود الاستقطابية»[1].

---

(١) المبدأ الفريد: ١٩ - جورج أوشاوا.

إن مبدأ الـ (ين يانغ) مبدأ بسيط في ظاهره، ولكنه ذو عمق في حقيقته. ويحمل في طياته العديد من العقائد الباطنية الباطلة يصل بعضها إلى الإلحاد، ولا يخلو من الكفر الصراح. ربما لا نجد تصريحا بالعقائد القابعة خلف هذه الفلسفة في كثير من الكتب المعاصرة سواء مما ينشر في الغرب أو في عالمنا العربي والإسلامي. والسبب في ذلك يعود إلى أمرين:

١- أن الغرب العلماني يجد تحسسا من كل ما هو ديني أو عقدي، هذا مع تعطشه للإشباع الروحي الذي تفتقده الحضارة المادية بأنواعها، فهو مع تعطشه يظل متمسكا بعلمانيته وأحيانًا إلحاده[1]. ولذا فإن هذه الفلسفة - عند تقديمها للعامة - تُخفى أبعادها العقدية مع الحفاظ على شيء من الروحية (spirituality) الضرورية للاجتذاب. ومع ذلك، فحتى المؤسسات الدينية في الغرب قد وجدته لزاما عليها تبيان حقيقة هذه الفلسفات الوافدة من الشرق وخطرها على المعتقدات الدينية. وسوف يأتي الحديث عن ذلك في محله بإذن الله تعالى.

٢- أما في البلدان الإسلامية فإن التعتيم على تلك المعتقدات الباطلة أشد، سواء بحسن نية أو بسوء قصد. فهي إما أن يتم تجاهلها تمامًا وإلباسها لبوس العلم والحقائق التجريبية، أو تطبيقها على مصطلحات شرعية لا تحمل نفس المعنى أو المفهوم. وذلك نظرًا لتعارضها التام مع المعتقدات الإسلامية.

ولا شك أن في هذا وذاك خلطا للحقائق وتلبيسًا على الناس لا يقبله منصف

---

(١) الإلحاد الغربي يختلف عن الإلحاد الشرقي الموجود في الفلسفات الشرقية، فالأول يعتمد على إنكار الغيبيات والاعتماد على المحسوس المادي، أما إلحاد الشرق فهو معتمد على أمور غيبية وأساطير خرافية ولكنه مع ذلك لا يعتمد على وجود الإله الشخصي الخالق المدبر كما سبقت الإشارة إلية عند الحديث عن الديانات في الفصل الأول من هذا الباب.

من أي دين، فالمصطلح - أيًا كان أصله - يحمل في ثناياه مفهومًا خاصًا متفرعًا من خلفيته الثقافية، ولا يمكن استخدام أي مصطلح مع تجريده من ذلك المفهوم وتلك الخلفية وإلا أصبح لفظة لغوية لا يصح استخدامها في غير لغتها الأصلية، بل يستخدم ما يؤدي المعنى اللغوي في اللغة المقابلة. ومن ذلك مصطلحي الـ (ين) والـ (يانغ)، فإن لهما معان خاصة مستقاة من المعتقدات الصينية الشعبية ومن الفلسفة الطاوية من بعدها. ولذلك لا يمكن تحديد مفهوم الـ (ين يانغ) إلا من خلال دراسة الفلسفات الدينية التي تفرع عنها هذا المبدأ، وما يقترن به من معتقدات.

وبناء على سبق، فإني سأبدأ باستعراض المعنى اللغوي لمصطلَحي الـ (ين) والـ (يانغ) ثم أتطرق لهذا المبدأ ومعناه من منظور الفلسفة الصينية عمومًا ومن ثم أعرج على مكانته في فلسفة الاستشفاء الشرقية والطب الصيني بشكل أخص. وسأختم هذا المبحث بعرض تاريخي موجز لفلسفة الـ (ين يانغ).

أولًا: معنى الـ (ين يانغ) في اللغة

إن كلمتي الـ (ين) والـ (يانغ) هما كلمتان صينيتان تعنيان الجانب المظلم والجانب المشرق من التَّل، حيث يمثل الـ (ين) الجانب المظلم، بينما يمثل الـ (يانغ) الجانب المشرق أو المشمس[1].

وهذا المعنى اللغوي - كما هو ظاهر - لا يمكن حمله على استخدامات الـ (ين يانغ) في الفلسفة الصينية ولا في الطب الصيني، ولذا كان لا بد من معرفة المعنى الاصطلاحي لهذا المبدأ، وهو ما سيتضح - بإذن الله - من خلال دراسته في سياق إطاره الفلسفي.

---

(١) انظر: - The Foundations of Chinese Medicine: 2 - Giovanni Maciocia The Way and Its Power: 110 - Arthur Waley

ثانيًا: الـ (ين يانغ) في الفلسفة الصينية وارتباطه بالنشأة الكونية

فلسفة الـ (ين يانغ) هي فلسفة تتبناها مختلف التيارات الفكرية الصينية، ويعدها الدارسون من العوامل المشتركة بين المدارس الفلسفية المتعددة في الصين[١]. وقد ظهرت مدرسة مستقلة تحمل اسمها في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم دُمجت تلك المدرسة بمدرسة **هوانغ دي** (الإمبراطور الأصفر) ومدرسة **لاوتزي** الطاوية فتكونت مدرسة **هوانغ لاو** التي سبقت الإشارة إليها[٢] في القرن الثاني قبل الميلاد[٣]. لقد تبنت الطاوية فلسفة الـ (ين يانغ) الواحدية، كما ظهرت آثارها جلية في المدارس البوذية المتأثرة بالطاوية كبوذية (تشان) و(زن)[٤].

ومع أهمية هذه الفلسفة وسعة انتشارها إلا أنها لم تُقرَّر في مصدر تاريخي مُوحَّد جُمع فيه شتاتها وعُرضت عرضا منهجيا محددا، وذلك أن التفصيل في الأمور الفلسفية ممنوع في التقليد الصيني وغير مغتفر، وإنما نجد ما كتب عنها مدونا في سياق بحوث متعددة ورسائل متفرقة[٥]. ولذا كان من اللازم الرجوع إلى المصادر الأصلية وعدم الاكتفاء بالنقولات المعاصرة لإيجاد تصور متكامل لهذا المفهوم الهام والإلمام بجوانبه المتعددة، حيث لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال فهم الفلسفة العامة التي نشأ من خلالها.

ربما يصعب إيصال المفاهيم الشرقية لرواد الفكر المنطقي أو التجريبي المعاصر، فإن الفلسفة الشرقية بشكل عام لا تحلل المفاهيم الكلية إلى أجزاء

---

(١) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٦٢ - د. عمر عبدالحي.

(٢) راجع صـ: ١١٠ من هذا البحث.

(٣) انظر: The Chinese Mind: Essentials of Chinese Philosophy and Culture: (50 - 51) - Wing-Tsit Chan

(٤) انظر: Taoism: the growth of a religion: 23 - Isabelle Robinete

(٥) انظر المبدأ الفريد: (١٩ - ٢٠) - جورج أوشاوا، و
Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 86- Paul U. Unschuld

ومكونات بسيطة، بل تكتفي بالمفهوم الكلي، وهي بذلك لا تركز على العلم أو تحصيل المعرفة التامة من خلال البحث والتجربة، بل إن ذلك راجع إلى الممارسة العملية والتسليم للمبادئ الفلسفية»[1]. فلن تجد عند فلاسفة الشرق أجوبة شافية عن تفاصيل معتقداتهم وأهدافهم، بل إن الأسئلة الدقيقة والاستفسارات التفصيلية ليست محبذة بشكل عام، حيث يحال السائل الحائر إلى الممارسة والتطبيق الذي يترتب عليه تحصيل العلوم والمعارف الباطنية. ولكن - مع ذلك الغموض - يستطيع الباحث التوصل إلى الخطوط الأساسية للفلسفات الشرقية من خلال النصوص القديمة، وإن كان يتعذر تحصيل التفاصيل الدقيقة التي قد لا يكون لها وجود أصلا.

ترتبط فلسفة الـ (ين يانغ) بشكل أساسي بقضية نشأة الكون ومبدأ الوجود، فقد استحدثت في جملتها للإجابة عن التساؤلات التي كانت تدور حول القضايا الغيبية وبداية الخلق، ثم تطورت فيما بعد لتشمل جميع جوانب الحياة حيث فُسِّرت على أساسها الظواهر الكونية فعُدَّ مبدأ الـ (ين يانغ) «هو السبب الأخير لهذه الظواهر»[2].

لم تُشكِّل النشأة الكونية أية إشكال بالنسبة لفلاسفة الصين، فقبل هذا الوجود كان العدم، ومع مرور الأزمنة تكتل العدم[3] في وحدة هي عبارة عن قوة مبدئية وجدت قبل وجود العالم المحسوس، وكل موجود في العالم المحسوس ليس إلا مظهرا من مظاهر تلك القوة الغامضة، ومع مرور أزمنة إضافية بدأت

---

(١) المبدأ الفريد: (١٤، ١٧) - جورج أوشاوا (بتصرف).

(٢) المرجع السابق: ٣٢، وانظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: ٥٩ - د. عمر عبدالحي

(٣) إن "العدم" هو من الأسماء التي أطلقها فلاسفة الشرق على المبدأ الأول، وهو ما لا يمكن تصوره إذ لا بد للعدم الحقيقي من صانع خارج عنه يحيله إلى وجود وهو ما لا يعترفون به. والذي يظهر أنهم إنما عبروا بالعدم لوصف ما يرون عدم إمكانية وصفه، فهو المادة الأولية للكون، بدليل أنه تكتل فأصبح "القوة" و"الوجود المحسوس" وغيرها من التعبيرات التي تدل على أنه الصورة المبدئية للوجود.

التحولات الأولية للقوة البدائية عن طريق انقسامها الأول، فانفصلت الوحدة إلى ثنائية نتج عنها قوتان تحمل كل منهما صفات مغايرة للأخرى. فأما القسم الأنقى والأخف فتصاعد نحو العلو فتكونت منه السماء، وأما القسم الثاني وقد كان الأثقل والأكثر كثافة فهبط نحو السُفل لتتكون منه الأرض. لقد كان تولد السماء والأرض هو التجسد الأول للـ (ين يانغ)[1].

ولما برزت مع الطاوية فكرة الـ (طاو) الأول اعتُبرت الـ (ين) والـ (يانغ) متولدة عنه[2] خاصة في تعاليم **شوانغ تزي**، المؤسس الثاني للطاوية، وتبعه على هذا القول جميع المفكرين الصينين التقليديين من بعده، حيث يعتبرون هذه القوة الغامضة هي مبدأ العالم والكون[3]، وأن الكون قد جاء إلى الوجود كنتيجة للتفاعلات بين قوتي الـ (ين) والـ (يانغ)[4]. ولكن **شوانغ تزي** لم يبتدع هذا القول من عند نفسه، وإنما استقاه من تعاليم **لاو تزي**، المؤسس الأول والرجل المعظم في الطاوية، حيث قرر هذه العقيدة في كتابه الـ (طاو طي جنغ)، فقال:

«الـ (طاو) تنسل الواحد

الواحد ينسل الاثنين

الاثنان تنسل الثلاثة

الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: ٣٣٨ - جون كولر، و

Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 92 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

Religions of Ancient China: (7 - 8) - Herbert A. Giles

Taoism: the growth of a religion: 7 - Isabelle Robinete

Alpha: The Myths of Creation: (126 - 127) - Charles H. Long - George Braziller

(٢) انظر: العلاج بالإبر الصينية: (٨٥ - ٨٧) - د. صباح أحمد جمال الدين.

(٣) انظر: Taoism: the growth of a religion: (7 - 8) - Isabelle Robinete

(٤) انظر الفكر الشرقي القديم: ٣٣٩ - جون كولر.

العشرة آلاف شيء تحمل الـ (ين) وتحتضن الـ (يانغ)
وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»[١]

تحدث **لاو تزي** في بداية هذا المقطع عن القوة البدائية فجعلها مرادفا للـ (طاو) الذي هو - عنده - مصدر الكون ومبدأه، ثم عرج على الثنائية الناتجة عنه والمتولدة منه وهي ما فسره كثير من الشراح بالـ (ين يانغ)[٢] ومن أبرز هؤلاء الطاوي الشهير **شانغ كونغ** (Shang Kung - 河上公)[٣]، حيث قال معلقا على المقطع السابق:

«إن ما أنتجه الـ (طاو) في البدء هو الواحد[٤]، ومن الواحد تولد الـ (ين) والـ (يانغ)، وهي التي نسلت المتجانس، النقي، والكدر. هذه الأشكال الثلاثة للطاقة تمايزت بعد ذلك لتشكل السماء والأرض والإنسان والتي - معًا - أنتجت العشرة آلاف شيء..»[٥]

لقد فسرت الثنائية في هذا النص بتفاسير تختلف عن تفسير **شانغ كونغ**، إلا أن ذلك لا يعني انتفاء الاعتقاد بتنسل الـ (ين يانغ) عن الـ (طاو)، فذلك ظاهر في كثير من النصوص الطاوية القديمة وفي الدراسات المعاصرة لها. ولذا،

---

(١) كتاب التاو: ٧٧ - هادي العلوي.

(٢) انظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: (٨٨ - ٨٩) - د. عمر عبدالحي، و
The Tao of the Tao Te Ching: A Translation and Commentary. Contributors: 79 - Michael Lafargue

(٣) **شانغ كونغ**: لا يعلم الكثير عن هذا الرجل إلا أن اسمه يعني الرجل الحكيم الذي يسكن بجانب النهر. تذكر الروايات أنه ظهر في نهاية فترة حكم أسرة هان في القرن الثاني للميلاد. اشتهر بمعرفته بالـ (طاو طي جنغ)، فأرسل إليه الإمبراطور **ون** يستشيره فيما أشكل عليه منه، إلا أنه رفض تعليم النص المقدس عن بعد في إشارة إلى تقديم النص على الحاكم السياسي. يشكل شرحه للـ (طاو طي جنغ) مرجعًا أساسيًا - إلى جانب شرح وانغ بي - لكل الشراح من بعده. وقد جمع فيه التصورات الكونية والدينية بالإضافة إلى السياسية. انظر:
Lao-Tzu and the Tao-Te-Ching: (89 - 90) - edited by: Livia Kohn & Michael

(٤) فسر هذا الواحد بالطاقة الكونية (تشي)، وهي ما سيأتي تفصيلها في المبحث القادم بإذن الله.

(٥) Lao-Tzu and the Tao-Te-Ching: 92 - edited by: Livia Kohn & Michael

فالعقيدة ثابتة عند الطاويين وفلاسفة الصين عمومًا بغض النظر عن دلالة هذا النص عليها. والخلاف هنا إنما هو في تنزيل النص وليس في أصل المسألة.

ومما يدل على هذا السياق، ما ورد في رسائل **الإمبراطور الأصفر** كما في النص التالي:

«في كتلة بدائية وغير متمايزة، لم يكن ثمة ليل ولا نهار، ولا (ين) ولا (يانغ). فإن الـ (ين) والـ (يانغ) لم تكن قد تحددت بعد، فلم أتمكن من تسميتهما. الآن ابتدأت تنقسم إلى السماء والأرض، تميزت الـ (ين) والـ (يانغ) وانفصلت الفصول الأربعة.»[١]

ومن أجل تقريب هذه الفلسفة إلى أذهان العوام اتخذت الأسطورة صورة أكثر بدائية، فظهر الاعتقاد بما يسمى «البيضة الكونية» (cosmic egg). لقد صُوِّرت البيضة الكونية على أنها مبدأ الوجود. انقسمت هذه البيضة إلى نصفين، فتكونت الأرض من نصفها السفلي وهو الجزء الثقيل المظلم أو الـ (ين)، وتكونت السماء من نصفها العلوي وهو الجزء الخفيف المضيء أو الـ (يانغ). وكان بين هذين النصفين الإنسان الكوني الأول: **بان كو** (Pa'nKu)[٢]، الذي فصل نصفي البيضة بجسده. ولما مات **بان كو** تكونت الدنيا من أجزاء جسمه المتناثرة[٣].

لا يخفى على متأملٍ فيما سبق إيراده، أن فلسفة الـ (ين يانغ) ذات تعلق واضح بالاعتقاد، وهو ما لا يمكن تجاهله أو إغفاله. فهي صورة واضحة من صور الإلحاد

---

(١) The Four Political Treatises of the Yellow Emperor: 148 - Leo S. Chang And Yu Feng

(٢) راجع التعريف به في صـ: ١١٤ من هذا البحث.

(٣) انظر الأديان الحية: ٧٢ – أديب صعب، والعلاج بالإبر الصينية: (٣٠ – ٣١) – د. صباح أحمد جمال الدين، و

Alpha: The Myths of Creation: (127 - 128) - Charles H. Long - George Braziller

Religions of Ancient China: (7 - 8) - Herbert A. Giles

وإنكار الإله. إن بداية الوجود - بناء على هذه الفلسفة - ناتج عن العدم، ومتولد عن كتلة غامضة دون وعي منها أو إرادة في نظرية تشبه - كثيرًا - نظرية الفيض عند فلاسفة اليونان ومن تبعهم من فلاسفة العرب. ولا نجد في شيء مما ذكر حول الـ (ين يانغ) في المصادر القديمة ولا في الدراسات العلمية الحديثة للفلسفة الشرقية، لا نجد أي ذكر لإله منفصل عن الكون خالق بعلم وإرادة، بل أقصى ما يذكر في هذا الصدد إله لا شخصي متحد بالمخلوقات أو حال فيها.

ومن ناحية أخرى، فإن الـ (ين يانغ) توصف بصفات إلهية؛ حيث ينسب الإيجاد إليها مباشرة، فهي «السبب الأخير» لكل موجود، وهي الفاعل بذاته لا يسيرها في ذلك أي قوى خارجية، إلا القانون العام أو (طاو) السماء[١]. فالقطبان اللذان يعدان «مصدر الكائنات، هما بدون نهاية ولا بداية»[٢]. وقد ورد في كتاب (سو ون)[٣] أو الأسئلة البسيطة ما يشير إلى هذا المفهوم:

«الـ (ين يانغ) هو طريق السماء والأرض، المبدءان الأساسيان اللذان يحكمان آلاف الكائنات. هما أم وأب كل التغيرات والتحولات، هما أصل وبداية التوليد والإبادة، هما القصر الذي به تألق الروح» [٥-٣١-٢][٤]

«السماء والأرض هما الأعلى والأدنى في الكائنات المؤلفة[٥]، الـ (ين) والـ (يانغ) هما مبدأ آلاف الكائنات» [٥-٤٢-٤][٦]

---

(١) لا ينبغي الخلط بين هذا القانون وبين الإله أو الإرادة الإلهية، فهما ليسا شيئًا واحدًا، للتفصيل راجع صـ: ١٠٠ من هذا البحث.

(٢) المبدأ الفريد: ٤٥ - جورج أوشاوا.

(٣) هو كتاب أصيل اعتمد عليه الطب الصيني، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا في صـ: ١٦٧ من هذا البحث.

(٤) Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 86 - Paul U. Unschuld

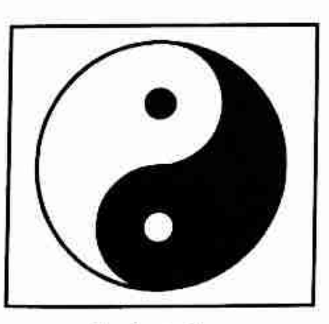
(٥) بمعنى آلاف الكائنات وهو مصطلح يستخدم كثيرًا في الكتابات الصينية القديمة يعبر به عن "الكائنات كلها"؛ حيث إن الآلاف - وأحيانًا العشرة آلاف - هي غاية الأعداد الصينية.

(٦) Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 86 - Paul U. Unschuld

وفي رسائل الإمبراطور الأصفر:

«جميع الأشياء تحتوي على الـ (ين) والـ (يانغ)، وعندما تظهر الأشياء في الوجود من خلال تفاعل الـ (ين) والـ (يانغ) تبدأ التحولات بالحصول»[1]

إن الـ (ين) والـ (يانغ) في الفلسفة الصينية صفتان نسبيتان ليس لهما حقيقة في الخارج، وهما تجليات للمبدأ الأول الذي يُعبَّر عنه بالـ (طايجي) (Daiji -太極). هذا المبدأ لا يمكن إدراكه قبل تجليه في أفعال الـ (ين يانغ)[2]، وهو ليس إلا تعبيرًا عنهما في صورتها المتحدة، وعليه فهو مرادف للـ (طاو)، والطاقة الحيوية (تشي)[3][4].



شكل (٧)
رمز الـ (طايجي)، يظهر فيه اتحاد الـ (ين يانغ) في وحدة كلية.

هذا التصور للعالم - لا شك - نابع من الاعتقاد بوحدة الوجود، حيث تعد جميع الموجودات مظاهر وتجليات للحقيقة الكلية والمبدأ الفريد، فالـ (طايجي) هو المُنتِج للكون، والكون ليس إلا جزءًا من الـ (طايجي) المتمثل بنشاطي الـ (ين يانغ)[5]. ولما «كانت الحياة هي تجلي هذين النشاطين الرئيسين والكونيين، فهي قد تتوحد أيضًا على جميع المستويات»[6]، لذا فهي تهدف للاتحاد - أو إدراك الاتحاد - بالمطلق الكلي أو الحقيقة الكلية، وذوبان الفرد في

---

(١) The Four Political Treatises of the Yellow Emperor: 155 - Leo S. Chang And Yu Feng

(٢) انظر المبدأ الفريد: (٣٢ - ٣٤) - جورج أوشاوا.

(٣) ومنهم من قال: أن الـ (تشي) هي الواحد المتولد عن الـ (طاو) في نص **لاو تزي**، وعليه فتكون (تشي) متولدة عن الـ (طايجي) وليست هي هو. وعلى كل، فكل المصطلحات هي للتعبير عن حقيقة واحدة كلية.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion: 154 - edited by: Vergilius Ferm

(٥) انظر: المبدأ الفريد: ٤٤ - جورج أوشاوا ز

(٦) المرجع السابق: ٣٥.

الكل. وخلاصة الأمر أن الـ (ين) والـ (يانغ) ليسا إلا وجهان لعملة واحدة، في عقيدة وحدة وجود استقطابية[١].

ولذا كان من السذاجة أن تُعرَّف الـ (ين يانغ) بتعاريف سطحية، كالنور والظلمة أو الذكورة والأنوثة أو الزوجية المتكاملة، بل ينبغي أن ينظر إليها في سياقها الفلسفي على أنها قوى واتجاهات تتقاطع وتمتزج، تحمل صفات التولُّد الذاتي والدفع الذاتي، وتختفي وتتبادل في تداخل وتحول مستمر[٢]. وهو ما سيتضح - بإذنه تعالى - عند استعراض أبرز خصائص الـ (ين يانغ) والتي تميزها عن قانون الزوجية التي يفسرها به كثير ممن تَبَنَّى هذه الفلسفة من أبناء المسلمين.

أبرز خصائص الـ (ين يانغ):

تتلخص أبرز الخصائص التي يتصف بها القطبين الـ (ين) والـ (يانغ) في النقاط التالية[٣]:

١- **التناقض**: أن كل ما في الكون مكوَّن من أزواج متناقضة، يكوِّن أحدهما الجانب الموجب (يانغ) والثاني الجانب السالب (ين).

٢- **النسبية**: فالـ (ين) يكون كذلك عند نسبته إلى ما هو (يانغ)، ولذا فإنه من الممكن أن يوصف بأنه (يانغ) في مقابل ما هو أكثر تلبسًا بصفات الـ (ين). كما أن كلا من الـ (ين) والـ (يانغ) يمكن تجزئتهما إلى (ين)

---

(١) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة، والعلاج بالضغط طريق إلى الصحة (جين شين دو): ٧ - أيونا مارسا تيجواردن.
استقطابية: أي مكونة من قطبين هما الـ (ين) والـ (يانغ).

(٢) انظر: Taoism: the growth of a religion: 8 - Isabelle Robinete

(٣) انظر العلاج بالإبر الصينية: (٨٨ - ٨٩) - د. صباح أحمد جمال الدين، و
The Foundations of Chinese Medicine: (5 - 7) - Giovanni Maciocia
An Introduction to Qigong: 13 - Ray Pawlett

و(يانغ). فلا يوجد شيء في الوجود يمكن أن يعد (ين) أو (يانغ) خالصًا. وخلافًا للمنطق الأرسطي فإن (أ) قد تكون لا (أ) في الوقت نفسه[١].

إن هذه النسبية ليست مقتصرة على شيء دون شيء، فهي شاملة للأخلاق والمبادئ، وأهم من ذلك كله الحقيقة. ونسبية الحقيقة تعني أن لا يوجد حق أو صدق مطلق، ولا خير مطلق. ولا يخفى ما في ذلك من هدم للعقائد والأديان المبنية على الاعتقاد بالحقائق.

٣- **وحدة الضدين والاعتماد المتبادل**: أي مع أنهما متناقضان، إلا أنهما يكوِّنان وحدة، ويعتمد كل منهما على الآخر بحيث لا يمكن فصلهما عن بعض[٢].

وهذه الوحدة هي ليست وحدة تكاملية، بل وحدة ذاتية حقيقية كما سبقت الإشارة.

٤- **الإفناء المتبادل**: فإنه عندما يطغى أحد الجانبين - الـ (ين) أو الـ (يانغ) - فإنه يُفني الآخر ويُنقِصه. وكلما قَوِيَ أحدهما فإن الآخر يَضعُف تلقائيا.

وهذا إن صح في بعض الحالات إلا أنه لا يعبر عن صفة مطردة في الزوجية المتكاملة، حيث لا يلزم الصراع بين النقائض، كما لا يلزم أن يَضعُف أحدهما كلما قوي الآخر.

٥- **التحول**: إن زيادة أو نقصان أحد النقيضين كميا تؤدي إلى تغير نوعي في معادلة الصراع بين الـ (ين) والـ (يانغ). الـ (ين يانغ) ليست قوى

---

(١) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 1 - Giovanni Maciocia

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤.

راكدة، بل يتحول كل منهما إلى الآخر، ولكن هذا التحول يحصل بشرطين:

أ- **شرط داخلي**: حيث يشترط وجود الاستعداد الذاتي من أجل حصول التحول.

ب- **شرط زمني**: فلا يمكن للـ (ين يانغ) التحول من أحدهما إلى الآخر إلا في مرحلة محددة من النمو.

وعلى هذا فالـ (ين يانغ) هو تعبير عن ثنائية غير المنفصلة، حيث إن القطبين هما الشيء ذاته في مرحلة زمنية مختلفة. فالبيضة والفرخة التي تذكر كمثال للتحول من (ين) إلى (يانغ) ليسا شيئين منفصلين، بل إن الفرخة هي ذات البيضة في مرحلتها التالية.

٦- **الحركة**: كل شيء في الكون متحرك في ذاته كنتيجة للصراع وتناوب السيادة بين الـ (ين) والـ (يانغ)، وبحسب قانون الناموس الأعلى أو الـ (طايجي). وهذا الدوران وهذه الحركة «أزليان لا منتهيان».

ومما يلزم من ذلك القول بقدم العالم وتعذر الفناء، كما يستحيل الانتقال من الوجود إلى العدم الذي يشمل انعدام الحركة، بل إن الحاصل هو الانتقال من حال إلى حال[1].

صور الـ (ين يانغ) في الواقع

لن يتمكن الباحث من تصور نشاطي الـ (ين يانغ) إلا من خلال معرفة صورهما في الكون. وعندما ينظر في الأمثلة ويطبق عليها الخصائص السابقة فإنه يدرك جانبا من جوانب هذه الفلسفة الغامضة. لقد كانت الصور الأولية للـ (ين

---

(١) انظر: تهافت الفلاسفة: ٦٦ - الغزالي.

يانغ) في الفلسفة الصينية القديمة متمثلة بالتالي[١]:

ين	يانغ
الظلمة	النور
القمر	الشمس
الظل	الإشراق
الراحة	النشاط
الأرض	السماء
المسطح	المستدير
المكان	الزمان
الغرب	الشرق
الشمال	الجنوب
اليمين	اليسار

إن القائمة السابقة ليست إلا عرضًا لأبرز الأمثلة الموضحة للتقسيم المبني على الـ (ين يانغ). وليس من العملي محاولة حصر كل ما هو (ين) أو (يانغ) في قائمة واحدة، بل ربما يستحيل ذلك حيث ستكون القائمة لا منتهية، إذ من الممكن تصنيف الموجودات كلها بناء على هذا المبدأ.

أبرز الكتب التي تعرضت لفلسفة الـ (ين يانغ)

لقد ذكرت فلسفة الـ (ين يانغ) في كثير من الكتب التراثية الصينية إلا أن من أهم تلك الكتب التي يمكن أن يُعتمد عليها في دراسة هذه الفلسفة هما كتابي:

(١) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 3 - Giovanni Maciocia

ملحوظة: من الممكن الرجوع إلى الكتب الخاصة بكثير من تطبيقات الفلسفة الشرقية التي ذكرت فيها هذه التقسيمات، ولكني آثرت الاقتصار على الإحالة إلى ما له تعلق بالأصول الفلسفية للطب الشرقي.

الـ (يي جنغ) أو كتاب التغيرات وكتاب الإمبراطور الأصفر **هوانغ دي**. أما كتاب التغيرات فقد سبق التطرق إليه عند استعراض الكتب الطاوية فليراجع في موضعه[1]. وفيما يلي نبذة مختصرة عن كتاب **الإمبراطور الأصفر**:

كتاب هوانغ دي ني جنغ (Huang Di Nei Jing - 黃帝內經):

ينسب كتاب الـ (ني جنغ) إلى الإمبراطور الأسطوري **هوانغ دي** الشهير **بالإمبراطور الأصفر** الذي عاش قبل الميلاد بألفي عام تقريبًا، وهذا القول هو الأشهر عند عامة الكتاب. بينما يرى أغلب المؤرخين المتخصصين - سواء في داخل الصين أو خارجها - أن الكتاب مؤلف من نصوص كتبها عدد غير معروف من الكتاب في فترات امتدت من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني للميلاد تقريبا[2]. وقد كان للـ (ني جنغ) أثر كبير على كتاب (شوانغ تزي) الذي هو من أهم الكتب الطاوية[3].

يتكون الكتاب من قسمين رئيسين، كل منهما يتكون من أجزاء متعددة. فأما القسمان الرئيسان فهما:

١- **سو ون** (Su Wen - 素問)، أو الأسئلة البسيطة: ويغطي هذا الجزء النظريات التأسيسية للطب الصيني. وهو المقصود عادة عند إطلاق الـ (ني جنغ).

٢- **لنغ شو** (Lingshu - 靈樞)، أو المحاور الروحية: وهو يركز على الوخز بالإبر ويسهب في الحديث عنها.

---

(١) راجع صـ: ١٢٠ من هذا البحث.

(٢) انظر: Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 1 - Paul U. Unschuld

(٣) انظر المرجع السابق: ٢.

وعلى الرغم من أن الـ (ني جنغ) يتكون من الجزأين جميعًا، إلا أن الأول هو الجزء المقصود - عادة - عند الإطلاق نظرًا لاشتهاره وكثرة الإحالة إليه والنقل عنه.

تُعرض المعلومات في هذا الكتاب على صيغة سؤال وجواب بين **الإمبراطور الأصفر** وطبيبه. ولقد أعطيت الـ (ين يانغ) أهمية كبرى في كتاب الـ (سو ون) وذكرت في مواضع متعددة حتى جعل اتباع الـ (ين يانغ) رمزا للقداسة والعلم، وفيه:

«أولئك القدماء، الذين كانوا يعرفون الطريق[١]، جعلوا سلوكهم تبعا لـ (ين) والـ (يانغ).» [١-٢-١][٢]

ثالثًا: فلسفة الـ (ين يانغ) في الطب الصيني

طُبقت فلسفة الـ (ين يانغ) العامة على جميع جوانب الطب الصيني، حتى أمكن اختزال الطب الصيني برمته في هذه الفلسفة المبدئية، بل إن القول بأنه لا وجود للطب الصيني من دونها لا يعد مبالغة بعيدة عن الواقع.

لقد تم تحليل عمليات الأعضاء الوظيفية والأعراض المرضية جميعها على ضوء فلسفة الـ (ين يانغ)، فاعتُبر تمتع الإنسان بالعافية والصحة الجيدة دليلا على توازن النشاطين المتناقضين في جسده، أما عند وجود أي خلل في هذا التوازن فإن ذلك يؤدي إلى اختلال الوظائف العضوية تبعًا وظهور الأعراض المرضية[٣].

---

(١) دوِّنت كلمة "الطريق" باللغة الإنجليزية بحرف استهلالي: the Way، مما يعني أن الطريق المقصود هو الطريق الاصطلاحي، وهو الـ (طاو).

(٢) Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 86 - Paul U. Unschuld

(٣) انظر مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٩ - مروان الجبّان، Handbook of Chinese Popular Culture: 94 - Hsiao-Hung Lee

ولذلك كان الهدف الأساسي في الطب الصيني هو استعادة التوازن الطبيعي للـ (ين يانغ).

إن استعادة التوازن الطاقي في الجسم البشري ليس بالسطحية التي قد يظهر بها، فإن المعنى الحقيقي لهذا التوازن هو الانسجام مع الكون ومن ثم الاتحاد به، وعندما يختل التوازن يكون هناك انفصال ظاهري عن الـ (طاو) الكوني، ومن أجل استعادة الاتصال كان لا بد من إعادة توازن الـ (ين يانغ). ولذلك كانت التطبيقات التي تعتمد على فلسفة الـ (ين يانغ) تجعل موازنتها وسيلة لتحقيق الاتحاد بالمطلق.

يقول **شوانغ تزي** مشيرا إلى دور الـ (ين يانغ) في المرض والصحة:

«عندما يحصل إيذاء للـ (ين) والـ (يانغ) فلن تأتي الفصول الأربعة كما ينبغي، الحر والبرد سيفشلان في تحقيق التناغم الملائم، وهذا سيؤذي أجسام الرجال (البشر)»[١]

«لا يوجد عدو أعظم من الـ (ين يانغ) فلا يوجد مكان بين السماء والأرض يمكنك الهروب منهما، هذا لا يعني أن الـ (ين يانغ) تتعمد فعل الشر لك، ولكنه عقلك أنت الذي يجعلهما يفعلانه»[٢]

ومعلوم بالاضطرار أن اختلال توازن الـ (ين يانغ) لا يمكن أن يخرج عن أحد الأحوال التالية: فإما أن تحدث زيادة في نشاط الـ (ين) أو في نشاط الـ (يانغ)، وإما أن يحدث ضعف في نشاط أحدهما. ولذلك اختصرت السبل العلاجية في الطب الصيني في أهداف أربعة، يسعى المعالج في تحقيق أحدها بحسب الحالة التي بين يديه. وهذه الأهداف الأربعة هي:

١- تقوية الـ (ين).

---

(١) The Complete Works of Chuang Tzu: 114 -translated by: Burton Watson

(٢) المرجع السابق: ٢٥٦

٢- تقوية الـ (يانغ).

٣- التخلص من الـ (ين) الزائد.

٤- التخلص من الـ (يانغ) الزائد[1].

لقد اتخذت هذه القاعدة البسيطة أشكالًا أكثر تعمقًا وتعقيدًا في تطبيقاتها المختلفة، فهي ليست بالبساطة التي تظهر بها عند أول وهلة، ولعل ذلك عائد - بشكل أساسي - إلى نسبية التصنيف وعدم ثباته مما أدى إلى اختلاف التصنيف باختلاف الحالات ومن ثم الاختلاف في التشخيص والعلاج.

فالمقصود أن الفلسفة الاستشفائية المبنية على الـ (ين يانغ) اعتمدت في خططها العلاجية على تحديد خواص كل من:

١- **المحل**: فصنفت أعضاء الجسد وتركيباته إلى (ين) أو (يانغ).

٢- **العَرَض**: فحددت الأعراض الناتجة عن زيادة أو نقصان نشاط أحد القطبين.

٣- **العلاج**: فكان تابعًا للتصنيف العام في الفلسفة، حيث صنفت الأطعمة والأعمال وفصول السنة... الخ إما إلى (ين) أو إلى (يانغ).

لما حول الطب الصيني فلسفة الـ (ين يانغ) من سياقها الفلسفي العام وجعلها مستندًا في الصحة والمرض، كان من اللازم وضع مخطط متكامل للجسم البشري مبني على تلك الفلسفة. فكان التصنيف المبدئي لأجزاء الجسم البشري مبنيًا على القاعدة العامة الآتية[2]:

---

(١) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 7 - Giovanni Maciocia

(٢) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 7 - Giovanni Maciocia

ين	يانغ
الأدنى	الأعلى
الداخل	الخارج
السطح الجانبي الخلفي	السطح المتوسط الأمامي
الخلف	الأمام
البناء	الوظيفة

أمـا التصـنيف التفصـيلي فـلا يمكـن حصـره في مثـل هـذا المقـام، فهـو بعـدد الوظـائف والأعضـاء. لـذا سأكتفي بـذكر جانـب منـه ليتضـح مـن خلالـه المقصود:

ين
الداخل
الكبد
القلب
الطحال
الرئتين
الكليتين
المنطقة تحت العينين

يانغ
الخارج
الظهر
المثانة
المعدة
الأمعاء الغليظة
الأمعاء الدقيقة
الأطراف الأربعة

إن المقصود بهذا التصنيف أن الغالب على العضو هو صفات الـ (ين) أو الـ (يانغ)، علمًا أن هذه الأوصاف نسبية - تمامًا كالفلسفة الأصلية - فالمنطقة أسفل العينين - مثلًا - هي (ين) بالنسبة إلى العين، بينما تعد (يانغ) بالنسبة لما أسفلها. وعليه، فهذا التصنيف هو تصنيف نسبي مبدأي قابل للتحول والتغير.

هذا وقد لا يصح تصنيف بعض الأعضاء في النصوص القديمة بناء على قواعد التصنيف العامة، فقد يصنف أحد الأعضاء كـ (ين) أو (يانغ) دون ارتباط ظاهر، ولعل ذلك راجع إلى بدائية العلوم التشريحية في الصين القديمة حيث كان يُظَن أن بعض الأعضاء في مكان غير مكانها الصحيح[١].

لقد سبقت الإشارة إلى أن تطبيق فلسفة الـ (ين يانغ) لم يقتصر على الوظائف والأعضاء فقط، بل إنها طُبِّقت على الأعراض التي تظهر نتيجة لخلل ما، فينبني

(١) Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 90 - Paul U. Unschul

على أساسها التشخيص، بحيث تصنف هي الأخرى إلى (ين) أو (يانغ)، كما هو ممثل بالجدول التالي[١]:

ين	يانغ
الماء	النار
البرودة	الحرارة
السكون	القلق
الرطوبة	الجفاف
الليونة	الصلابة
الكبح	الهيجان
البطء	السرعة
المادية	غير المادية
الحفظ، التخزين	التحول، التغير

وبناء على ما سبق، فإنه باستطاعة المعالج أن يشخص نوعية المرض ويتوصل للعلاج المناسب من خلال معرفته بخواص الجسم ووظائفه وتصنيفها إلى (ين) أو (يانغ). ولأن الـ (ين يانغ) تطبق على الكون بأكمله فإن المعالج يربط بين أفراده على هذا الأساس، فمثلا يربط القلب بالنار وفصل الصيف لأن كلاهما (ين)[٢]. وفي فصل الشتاء تظهر الأمراض في أعضاء الـ (ين)، أما في الصيف فإنها

(١) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 9 - Giovanni Maciocia

(٢) انظر: Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 90 - Paul U. Unschuld

تظهر في أعضاء الـ (يانغ) وإليها يوجه العلاج.[١]

وكما هو ظاهر، فإن فلسفة الـ (ين يانغ) العلاجية غير دقيقة ولا يمكن أن ينبني على أساسها تشخيص دقيق، أو علاج مطرد. ولذلك تبنت تصنيفات فرعية للحصول على نتائج قابلة للتطبيق في الحالات السريرية، وهي ما لا يتسع المجال لذكرها هنا إذ لا تشكل أهمية بالنسبة للموضوع الأصلي للبحث.

رابعًا: التطور التاريخي لفلسفة الـ (ين يانغ):

لقد وجدت هذه الفلسفة من أزمنة قديمة من تاريخ الصين، ويتوقع الباحثون أن وجودها يرجع إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، ولكن أول إشارة مدونة إلى الـ (ين يانغ) كانت في كتاب الـ (يي جنغ)[٢] أو كتاب التغيرات الذي وضع أسسه الملك الأسطوري القديم **فو شي** (伏羲 - Fuxi)[٣] وحرره الإمبراطور **ون وانغ** (周文王 - King Wen)[٤] مؤسس مملكة **شو** (١٠٢٧ ق.م).

لقد مرت فلسفة الـ (ين يانغ) التي أوجدت من أجل تفسير الوجود وظواهر الكون بعدة مراحل، تطورت خلالها من ملاحظة بسيطة للقانون الزوجي في العالم إلى أن أصبحت فلسفة وحدة وجود استقطابية. يمكن تلخيص تلك المراحل كالتالي:

---

(١) انظر المرجع السابق: ٩٢.

(٢) سبق الحديث عنه عند استعراض الكتب الطاوية، راجع صـ: ١٢٠ من هذا البحث.

(٣) **فوشي**: هو ملك أسطوري يعتقد انه عاش قبل ميلاد المسيح بـ ٣٠٠٠ آلاف عام. ينسب إليه وضع أساسيات الـ (يي جنغ) من خلال مصادر فوق طبيعية. انظر:
The Inner Structure of the I Ching: 15 - Lana Govinda

(٤) **ون وانغ**: أو الملك ون، هو مؤسس مملكة شو التي كان ابنه أول ملوكها، وهو من أبرز المساهمين في تشكيل كتاب التغيرات أو الـ (يي جنغ). انظر: المرجع السابق: نفس الصفحة.

١- **المرحلة الأولى، التأملات البدائية:**

في البداية، أدرك المتأملون الصينيون ضرورة وجود الجنسين لضمان استمرارية النوع، مما أوجد حسا بأهمية التعايش والتفاعل بين المتضادات من أجل مواصلة الحياة. وقد تزايد ذلك الحس بتأمل الليل والنهار وتعاقبهما، حيث لوحظت الثنائية في الظواهر الكونية كذلك.

لقد كانت تلك التأملات هي بداية الحراك الفكري نحو هذه الفلسفة، إلا أنها لم تكن تحوي الانحرافات العقدية التي تجلت فيما بعد، كما أن الأضداد في هذه المرحلة لم تكن تحمل اسم الـ (ين يانغ).

٢- **المرحلة الثانية، تفسيرات فو شي:**

لقد أثار التأمل الشرقي في الليل والنهار الشعور بأن هناك عملية ذهاب وإياب، ورأوا أن هذه العملية منسحبة على مظاهر الطبيعة كلها. ولذا تطورت الفلسفة الزوجية من مجرد إدراك لأهمية المتضادين في إنتاج الأجيال المستقبلية إلى فلسفة يُفسر بها الكون وظواهره، وبدأت البوادر الفعلية لفلسفة الـ (ين يانغ) بالظهور، حيث صنفت النقائض المتكاملة في فئتين كان لكل منهما خصائص خاصة يجذب كل منهما الآخر، وأطلق عليها مصطلح الـ (ين يانغ) ليعكس الأبعاد الفلسفية للمفهوم الجديد. لم يكن الـ (ين يانغ) يطلق للتعبير عن المتقابلات فحسب، بل كان يُنظر إليه كمبدأ مطلق نافذ في جميع المكونات الصغيرة للكون الأعظم.

ينسب هذا المفهوم الجديد الموسوم بالـ (ين يانغ) إلى الملك الأسطوري فو شي وكتابه الـ (يي جنغ)، حيث قام بوضع الأصول الأولية لهذا الكتاب بناء على التغيير المستمر في جميع الأجزاء الكونية، والمحكوم بقوانين الـ (ين يانغ) التي يمكن التعرف عليها من خلال قراءة الخطوط الثلاثية[1]. ولكن لما كانت

(١) راجع التعريف بكتاب الـ (يي جنغ) في صـ: ١٢٠ من هذا البحث.

بداية ظهور فلسفة الـ (ين يانغ) من أجل محاولة فهم الظواهر الطبيعية وأسبابها من خلال الحدس والتأمل الشرقي كانت النتيجة أن توصل **فو شي** إلى ما رأى أنه «المسبب النهائي لجميع الظواهر»، أو «السبب الأخير، الوحيد والبسيط»، وهو: الـ (ين يانغ)[1].

٣- المرحلة الثالثة، مرحلة الملك ون وكتاب التغيرات:

تبلور المفهوم الفلسفي للـ (ين يانغ) بشكل أكثر دقة ووضوحا في كتاب التغيرات بعد أن طوَّره الملك **ون وانغ**. لقد أصبح مصطلح الـ (ين يانغ) يدل على ظاهرة كونية متقابلة ومتعارضة وفي الوقت ذاته تشكل وحدة غير قابلة للتفكك أو الانفصال[2]. فانتقل المفهوم من القانون الحاكم للنظام الكوني إلى مفهوم واحدي النظرة للكون والوجود.

إن الاختلاف الأساسي بين نظرة **فوشي** ونظرة الملك **ون** تكمن في أن الأول نظر إلى الـ (ين يانغ) على أنها في محور متقابل، فكانت تعبيرًا عن المتضادات، أما **ون** فقد كانت نظرته للـ (ين يانغ) على أنها متعاقبة بشكل دائري لا على مجرد المواجهة بين القوى الكونية. لقد كانت النظرة الأولى عبارة عن متقابلين يفصل بينهما الزمان، أما الأخرى فهي عبارة عن مراحل تدور في حلقة[3]، فيظهر كيف تطور المفهوم ليحمل معاني وحدة الوجود.

---

(١) انظر المبدأ الفريد: (٢٧ - ٣١) - جورج أوشاوا ز

(٢) انظر: Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: (84 - 85) - Paul U. Unschuld

(٣) انظر: Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text: 23 - Paul U. Unschuld

The Inner Structure of the I Ching the Book of Transformations: (12 - 15) - Lama Anagarika Govinda & Al Chung-Liang Huang

٤- **المرحلة الرابعة، مدرسة الـ (ين يانغ):**

إن المدرسة التي تعمقت في فلسفة الـ (ين يانغ) وأوصلتها ذروتها هي تلك المدرسة التي تحمل اسمها: الـ (ين يانغ). فقد كرس أتباعها الجهود في دراسة هذا المبدأ إلى جانب فلسفة العناصر الخمسة[١].

لقد كانت بدايات مدرسة الـ (ين يانغ) على يد جماعة الـ فانغ شي السحرة المهتمين بالعرافة والتنجيم. ومع مرور الوقت، بدأت تتلاشى الأفكار الخرافية والاعتقاد بخوارق العادات وظهر الاهتمام بالطبيعة وتفسير الظواهر الكونية من خلال فلسفة الـ (ين يانغ)[٢].

لم تكن فلسفة الـ (ين يانغ) فلسفة سريعة الانتشار، ولكن مع حلول القرن الخامس للميلاد كانت هذه الفلسفة قد برزت في جل التيارات الفلسفية في الصين. وقام المتأخرون بتفسير جميع النصوص القديمة على أساس هذه الفلسفة الثنائية[٣].

٥- **المرحلة الخامسة، التأثير الطاوي:**

لقد سبقت الإشارة إلى التأثر المتبادل بين الطاوية ومدرسة الـ (ين يانغ) والذي نتجت عنه مدرسة هوانغ - لاو التي هي مزيج من الفلسفة الطاوية ومدرسة الـ (ين يانغ) بالإضافة إلى التعاليم الطبية **للإمبراطور الأصفر**[٤]. وقد برزت مع الطاوية فكرة الـ (طاو) الأول الذي تولدت منه الـ (ين) والـ (يانغ) كتفسير للقوة الغامضة التي وجدت قبل الوجود[٥]، فظهر القول

---

(١) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 2 - Giovanni Maciocia

(٢) انظر: Dictionary of Asian Philosophies: (71 - 72) - St. Elmo Nauman Jr.

(٣) انظر: The Way and Its Power: 111 - Arthur Waley

(٤) راجع ص: ١١٠ من هذا البحث.

(٥) انظر: العلاج بالإبر الصينية: (٨٥ – ٨٧) – د. صباح أحمد جمال الدين.

بأن الـ (طاو) عديم الشكل ينتج جميع الأشكال التي في الوجود من خلال تفاعل المبدأين المتناقضين الـ (ين) والـ (يانغ)، وكل هذه الكائنات ليست منفصلة عن موجدها بل هي وهو شيء واحد[1].

ومما ذُكر في قانون هوانغ دي:

«الواحد هو اسمه، الفراغ هو مقره، عدم العمل هو طبيعته. لذلك، فإن الـ (طاو) الأعظم لا يمكن استكشافه أو سبر أغواره. ورغم ظهوره الجلي، إلا أنه لا يمكن تسميته (تحديده). هو في كل مكان، ومع ذلك فهو بلا شكل، كل الأشياء، السماء والأرض، الـ (ين) والـ (يانغ) الفصول الأربعة، الشمس والقمر والنجوم والسحاب و(كي)، كل ما يمشي على رجلين وما يمشي على بطنه، وكل ما له جذر، كل أولئك يشتركون فيه عندما يظهرون إلى الوجود. ومع ذلك، فإن الـ (طاو) لا يَقِلّ بذلك، كما أنه لا يزيد عندما تعود الأشياء إلى أصلها، إلى الـ (طاو)»[2].

فخلاصة الأمر أن الـ (ين يانغ) مرت بخمس مراحل ألخصها في النقاط التالية:

- ملاحظة الثنائية في الكون من خلال التأمل في الجنسين وفي تعاقب الليل والنهار.
- تفسير جميع الظواهر الكونية بتلك الثنائية مع إعطائها صفة الحركة الدائمة وجعلها المسبب لكل ما في الكون.
- النظر إلى أن الثنائية ذات الحركة الدائمة هي عبارة عن وحدة، وكل ما في الوجود واحد.

---

(١) انظر: The Inner Structure of the I Ching the Book of Transformations: xiv - Lama Anagarika Govinda & Al Chung-Liang Huang

(٢) The Four Political Treatises of the Yellow Emperor: 198 - Leo S. Chang And Yu Feng

- تبنت هذا الفلسفة مدرسة الـ (ين يانغ) وجعلتها الفلسفة الرئيسة في الحياة.
- استمرت فكرة وحدة الوجود، ولكنها فسرت بحسب النصوص الطاوية، فجعل الـ (طاو) هو المولد للـ (ين يانغ).

وقبل أن أختتم الحديث عن هذه الفلسفة الصينية، أرى أنه من اللازم الإشارة إلى أن هذه الفلسفة لا يمكن تفسيرها بما ورد في النصوص الشرعية حول قانون الزوجية، أو ما ذكره بعض علماء السلف وأتباعهم من الخلف حول تفاعل المتناقضات، ولكني سأرجئ التفصيل في هذه المسألة إلى محله في الباب الأخير من هذا البحث بإذن الله تعالى، فليتنبه.

المطلب الثاني: فلسفة العناصر الخمسة

تعد فلسفة العناصر الخمسة - إلى جانب فلسفة الـ (ين يانغ) - من الأفكار الأساسية التي أسهمت في تشكيل الفكر الطاوي والفلسفة الصينية بشكل عام. وقد ساد الاعتقاد بأهمية العناصر الخمسة - وهي: الماء، الخشب، النار، التراب والمعدن - في التركيب الكوني لدى الشعوب الصينية حتى أنه اشتهر التصنيف إلى مجموعات خماسية في كثير من العلوم المختلفة تأسيا بها.

نشأت فلسفة العناصر الخمسة في زمن قديم، يقدر بثلاثة آلاف عام قبل الميلاد. وكما هو الحال في كثير من الفلسفات الشرقية، فإن فلسفة العناصر الخمسة لم تكن أبدًا نظرية واضحة الحدود، حيث اعتمدت النصوص القديمة في عرضها على المركب الرمزي والإشارة المغلفة بالغموض[1]. ولذا لزم أن يكون الاعتماد في فهم جوانبها المشتبهة على المؤلفات المتأخرة نسبيًا، من أجل تكوين صورة محددة المعالم يُمكن من خلالها تقريب مبدأ موغلٌ في القِدم إلى ذهن القارئ المعاصر البعيد عن البيئة الثقافية الشرقية.

---

(١) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٢٣ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

إن فلسفة العناصر الخمسة فلسفة بالغة الصعوبة والتعقيد، لا يمكن فهمها من خلال القراءات السطحية، فهي تشمل مفاهيم متعددة وترتبط بأفكار مختلفة تساهم في توظيفها في المجالات المتنوعة. وإني لا أزعم - في هذه الورقات المختصرة - أني توصلت إلى تصور كامل لهذه الفلسفة، ولا أني أحطت بجميع جوانبها. ولكني بذلت وسعي في تقريبها - قدر الإمكان - إلى ذهنية القارئ مع التركيز على النواحي العقدية منها واجتناب التفاصيل الشائكة التي لا تشكل أهمية كبرى للبحث الذي بين أيدينا. ولذلك سأبدأ بالإشارة إلى المقصود بـ «العناصر» والاختلافات الواردة في ترجمتها، ثم أوضح مكانة العناصر الخمسة في الفكر الطاوي والفلسفة الصينية عمومًا وأختم بذكر دورها في الطب الشرقي، علمًا أن الأفكار التي وردت في الكتب الطبية لا يمكن فهمها إلا من خلال سياقها الفلسفي العام المتعلق بالنظام الكوني، بل إن الكتب الطبية تستشهد «مباشرة بالكتب النظرية القديمة الموضوعة قبل نشوء الطب، وهي الكتب الفلسفية، وكتب الحكمة وعلم الفلك»[1].

أولًا: معنى العناصر الخمسة:

إن تعبير «العناصر الخمسة» هو الترجمة الشائعة للفظة الصينية (وو شنغ) (五行)- Wu-Xing. ورغم وجود ترجمات أخرى كالمراحل أو الأطوار أو المظاهر الخمس[2] إلا أن التعبير بـ «العناصر» هو الأشهر على الألسنة والمتعارف عليه عند كثير من المهتمين. وقد انقسم الباحثون - بالجملة - إلى قسمين حيال هذه الترجمة: قسم يشكك في صحتها، وقسم لا يرون في التعبير بـ «العناصر» أي إشكال. وفيما يلي توضيح للرأيين على التوالي:

---

(١) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٢٢ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢١.

- يرى المعارضون لهذه الترجمة بأن الكلمة العربية: «عنصر»[١] لها مفهوم مستقر في الأذهان لا ينطبق على الكلمة الصينية المقابلة، فاللفظ الصيني يحمل معان فكرية وفلسفية غير التي نجدها في كلمة «عنصر» الذي هو الجزء المكوِّن للمادة، ولذلك يرى بعض الباحثين أن كلمة «التحولات» هي الكلمة الأصح للتعبير عن هذه الفلسفة، حيث تعني كلمة (Wu): خمسة، وتعني كلمة (Xing): عملية أو حركة أو تحول، وهي بذلك لا يمكن أن تقاس على «العناصر الأربعة» في الفلسفة اليونانية.
- أما من يرى أن التعبير بـ «العناصر» مقبول في اللغة، فحجته أن العناصر في الفلسفة اليونانية لم تكن تعبيرًا عن المكونات الأساسية للكون، فالكلمة ليست بالضرورة تعبيرًا عن مواد جامدة عديمة الحركة. بل إن بعض فلاسفة اليونان فسروا العناصر بأنها خواص فعّالة للطبيعة فيما يشبه الفلسفة الشرقية[٢]. ولذا فإن قصر دلالة «عنصر» على العنصر المادي فيه تحجيمٌ للفظٍ يحتمل معانيَ صالحة للتعبير عن الفلسفة الشرقية.

وعلى كل حال، فإن التعبير بالعناصر الخمسة هو الأشهر عند الباحثين، وقد يورث التعبير بغيره شيئًا من اللبس الذي لسنا مضطرين إليه. إلا أنه ينبغي التَّنبُّه إلى أن المراد بـ «العنصر» ليس هو العنصر الكيميائي أو «المكوِّن الأولي للمادة»[٣] وإنما هو مبدأ خاص بالفلسفة الشرقية، ستتضح معالمه في الصفحات التالية بإذن الله.

---

(١) وكذلك مقابلها بالإنجليزية: (element).

(٢) انظر: The Foundations of Chinese Medicine: 15 - Giovanni

(٣) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 15248

ثانيًا: العناصر الخمسة في الفلسفة الصينية

لقد شغلت فلسفة العناصر الخمسة حيزًا كبيرًا من الكتابات المعنية بالفلسفة الشرقية والتطبيقات العلاجية المتفرعة عنها، كما اختلفت التفسيرات المعاصرة لماهية هذه الفلسفة، أوجزها في رأيين رئيسين:

أحدهما: مبني على تسطيح الفلسفة، وتفسيرها تفسيرًا ماديًا يتمشى مع النظريات العلمية الحديثة، فأُوِّلت العناصر الخمسة على أنها صورة بدائية لنظرية العناصر المادية الأكثر دقة وتفصيلا. إلا أن هذا الرأي لا يتبناه المتخصصون، بل هو من تفسيرات المهتمين بالفلسفة الشرقية ممن ليس له دراسة متعمقة لها أو ممن أراد أن يخفي الملامح العقدية لتلك الفلسفة وما تتضمنه من تبعات. ورغم أن هذا التفسير قد أبطلته النظريات العلمية الحديثة التي نصت على وجود ما يزيد على مائة عنصر أولي، إلا أنه لا يعدو كونه نظرة اجتهادية خاطئة في تفسير الوجود المادي، ولو كان الأمر كذلك لما شكل خطرا على الاعتقاد، حيث إنه قد يقال - في هذا الحال - أن الذي خلق تلك العناصر هو الله ﷻ. ولكن المتأمل في الكتب المتخصصة التي عرضت هذه الفلسفة يعلم يقينًا أن هذا التفسير السطحي لا يمكن أن يرتقي إلى منزلة الاحتمال، بل هو - كما ذكرت - إما جهل وإما تضليل.

أما التفسير الثاني: وهو المستمد من النصوص الفلسفية القديمة[١] وشروحها، يرى أن العناصر الخمسة هي إحدى صور وحدة الوجود التي فُسِّرت من خلالها النشأة الكونية والظواهر الطبيعية[٢]، تحمل في طياتها معان إلحادية ولوازم كفرية أبطلتها العقائد الصحيحة، بل والفطر السوية. وهذا التفسير هو المطابق للواقع، كما سيتضح لاحقًا بإذنه تعالى.

---

(١) سواء كان من خلالها مباشرة أو من خلال الدراسات المعاصرة لها.

(٢) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٢١ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

العناصر الخمسة والنشأة الكونية:

ترتبط فلسفة العناصر الخمسة ارتباطا كليا بفلسفة الـ (ين يانغ)، فلا يمكن تصورها إلا على ضوء هذه الأخيرة. وقد سبق معنا في المطلب الأول التفصيل في معنى الـ (ين يانغ) وما يُعتقد من تعلقها بالكون ونشأته، حيث ترسخت لدى الطاويين فكرة وجود الـ (طايجي) أو الطاقة الأولية التي تولّدت منها الـ (ين يانغ)[1]. ومن هذا المنطلق، جاءت «العناصر الخمسة» كامتداد لهذه العقيدة ومكملة لها.

لم تتوقف الأسطورة الطاوية حول بدء الخليقة عند الانقسام القطبي للطاقة الأولية إلى (ين) و(يانغ)، بل إن هذا الانقسام اتخذ شكلًا أكثر دقة وتفصيلا في العناصر الخمسة، حيث تعد العناصر تقسيمات فرعية لل (ين يانغ)[2].

وطبقا للنظرة الصينية، فإن قوى الـ (ين يانغ) الكونية تفاعلت فيما بينها، فنتج عن ذلك التفاعل ما يسمى بالعناصر الخمسة، وهذه العناصر - كالـ (ين يانغ) - ليست ثابتة، بل هي في حركة تبادل وتعاقب مستمرة. ومن مجموع تلك العناصر - وتحت ظروف متنوعة وبنسب مختلفة - ظهرت جميع الموجودات، بحيث تولَّدَ - وما زال يتولد - كل عنصر من عنصر آخر في دورة لا منتهية.

ولذا، فإن النظرة الصينية للكون تتلخص في كونه كلًا منتظمًا فاعلًا بذاته، لم يظهر نتيجة إرادة أو سلطة عليا خارجة عنه، وإنما جاء إلى الوجود بشكل عفوي كنتيجة لحركة وتفاعلات مستمرة ضمن نمط كوني منتظم، أو ما يعرف بقانون الـ (طاو)[3].

---

(١) راجع صـ: ١٧٢ من هذا البحث.

(٢) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤١، وطاقة الكون بين يديك: ٢٦ - مهى نمور.

Handbook of Chinese Popular Culture: 96 - Hsiao-Hung Lee

(٣) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤٣ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش، و

ليست العناصر الخمسة في الفلسفة الشرقية تعبيرًا عن المكونات البدائية للوجود المادي، وهي ليست كائنات مستقلة أو حتى محسوسة، إنما هي أقرب ما تكون إلى الحالات النسبية التي تؤدي إلى أن الكون والظواهر الكونية دورية وتفاعلية، فهي عبارة عن تجسيدات وصور متنوعة لـ (ين يانغ)[١]، وهي مرتبة بالتعاقب بشكل سلسلة دورية تمثل سريان الطاقة بين هذه العناصر على شكل أطوار أو مراحل[٢]. إن العناصر الخمسة هي: «تظاهر جوهري أساسي لروابط الكون الكلي»[٣].

وبناء على ذلك، فإن جميع الكائنات يمكن أن تطبق عليها نظرية النشوء المعتمد على الغير[٤] الذي يسوي بين الخالق والمخلوق، فالكل خالق ومخلوق وكل مخلوق هو خالق كذلك. إن هذه النظرة الطاوية للوجود هي صورة مشابهة لعقيدة الـ (كارما) الهندوسية في كونها سلسلة من التفاعلات المستمرة بلا بداية أو نهاية.

ولا شك أن اعتبار العناصر المكونة للوجود مظاهر وتجليات للـ (ين يانغ) - التي هي نفسها مظاهر وتجليات للمبدأ الأول (طايجي) - هو تقرير لعقيدة وحدة الوجود، حيث يصبح الـ (طايجي) والـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة وكل ما في هذا الوجود صورًا لشيءٍ واحد، ووجود كلي، هو وحده الحقيقة المطلقة.

China's Cultural Heritage: The Qing Dynasty 1644-1912: (132 - 133) - Richard J. Smith The World-Conception of the Chinese: (113 -114) - Arthur Probsthain

(١) انظر: The World-Conception of the Chinese: (113 -114 272) - Arthur Probsthain

(٢) يمكن تشبيه هذه الفلسفة بالعلاقة بين الماء والبخار والثلج، فالكل مكون من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين (H_2O)، ولكن عند التسخين تصبح بخارا وعند التجميد تتحول إلى الثلج وعند التوسط تظل ماء. فالطاقة الأولية كالذرات (H_2O)، والماء والبخار والثلج هي صور لها كالـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة.

(٣) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤٩ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٤) راجع صـ: ١٣٦ من هذا البحث.

ترتبط العناصر الخمسة من خلال دورتين، تمثل كل منهما علاقة العنصر بالعنصر الذي يليه، وهما دورتا الهدم والبناء.

أولًا: دورة التوليد أو البناء

تمثل هذه الدورة ما يعرف بعلاقة الأم والابن، وهي تحمل طابع الإنتاج والدعم والمساندة، حيث يُطلِق كل عنصر طاقة العنصر الذي يليه. وتتمثل بالشكل التالي:

الماء ← يولد: الخشب

الخشب ← يولد: النار

النار ← يولد: التراب

التراب ← يولد: المعدن

المعدن ← يولد: الماء[1].

ثانيًا: دورة السيطرة أو الهدم[2]

وتمثل ما يعرف بعلاقة الجد والحفيد[3]، وهي أساسية من أجل حفظ التوازن،

(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٥١ - ٥٢) - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش، وكتاب الطب الصيني: ١٢ - ترجمة: محمد يوسف شهاب.

(٢) اختلفت المراجع في تسمية هذه الدورة باختلاف نظرة المؤلف إلى تلك العلاقة، فمن علاقة ضبط وتحكم إلى علاقة صراع وعداء. وقد أثبتُّ التسميتين لئلا يُظن أنهما مختلفتان.

(٣) وهي ربما توصف بذلك لاختلاف علاقات الأجداد بالأحفاد في المناطق المختلفة من العالم، ففي كثير من البلدان تحمل علاقة الجد بالحفيد طابع الدلال والتغاضي، أما في البلدان الشرقية فهي تختلف تمامًا حيث يأخذ الجد على عاتقه مسؤولية التأديب وتحقيق الانضباط. لذا وُصفت كل علاقة يظهر فيها التحكم والضبط من المنظور الشرقي على أنها علاقة الجد بالحفيد. أما علاقة الأم بالابن فهي متقاربة عالميا في الجملة. وهذه من الأمور التي توضح أهمية فهم الخلفية الثقافية للمفاهيم الشرقية واستحضارها عند الدراسة والبحث.

لئلا يصبح أحد العناصر قويًا جدًا ويسيطر على الدورة. وتكون هذه الدورة كالتالي:

الخشب ← يهدم: التراب

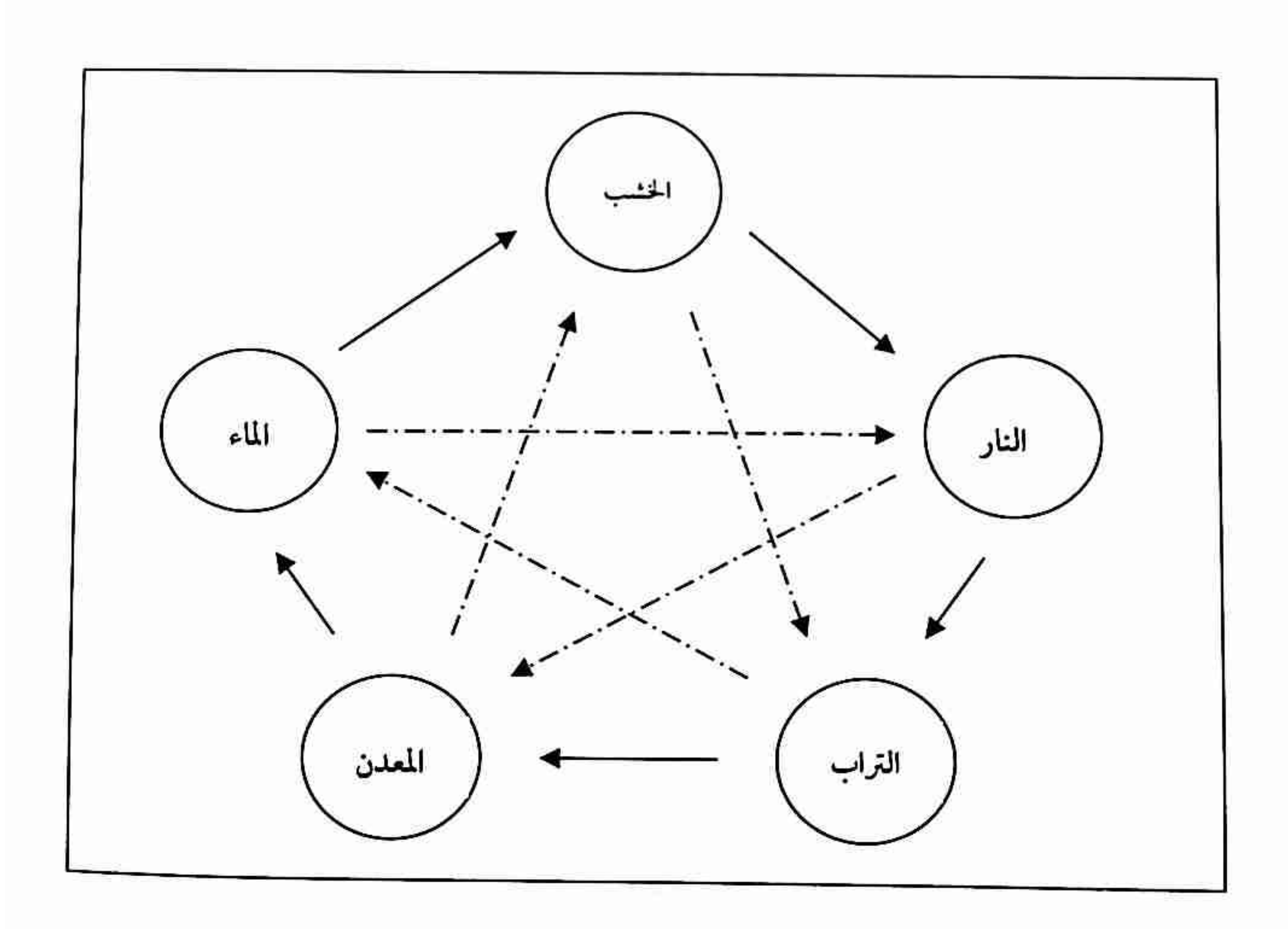
التراب ← يهدم: الماء

الماء ← يهدم: النار

النار ← يهدم: المعدن

المعدن ← يهدم: الخشب[1].

شكل (٨) يبين دورتي الهدم والبناء بين العناصر الخمسة



(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٥٢ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش، وكتاب الطب الصيني: ١٢ - ترجمة: محمد يوسف شهاب، و
Handbook of Chinese Popular Culture: (94 - 95) - Hsiao-Hung Lee

قد يظهر للناظر في هاتين الدورتين عند أول وهلة أن فيهما ما يتفق مع العقل أو الحس، أو ما يبدو وكأنه علاقات منطقية بين العناصر المادية. ولكن عند التأمل، ومراجعة ما سبق إيراده عن حقيقة العناصر الخمسة، يظهر أن المراد بالتوليد أو الهدم هو «التحول» أو الانقلاب، بحيث يصبح العنصر الأول هو العنصر الثاني[١]. وذلك بناء على أن العناصر الخمسة هي مراحل متتالية تمر بها طاقة موحدة ليست العناصر إلا مظاهر لها. ولا ريب أن هذا التصور للظواهر والموجودات يحمل في طياته لوثة الاعتقاد بوجود واحد يتجلى من خلال مفردات الكون. أما ما يشير إلى الإبداع والخلق من العدم، فليس له مكان في هذه الفلسفة.

جاء في الـ (سو ون) ما يلي:

«الاتجاه الشرقي يخلق الريح، الريح تخلق الشجر، الشجر يخلق المذاق الحامض، المذاق الحامض يخلق الكبد.

الاتجاه الجنوبي يخلق الحرارة، الحرارة تخلق النار، النار تخلق المذاق المر، المذاق المر يخلق القلب.

الاتجاه الغربي يخلق الجفاف، الجفاف يخلق المعدن، المعدن يخلق المذاق الحاد، المذاق الحاد يخلق الرئة.

المركز يخلق الرطوبة، الرطوبة تخلق التراب، التراب يخلق المذاق الحلو، المذاق الحلو يخلق الطحال.»[٢]

---

(١) قد يصح هذا القول في بعض الظواهر الطبيعية، ولكن تعميمه على الوجود كله يؤدي إلى خلل عقدي خطير.

(٢) العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٤٢ - ٤٣) - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

والمراد بـ "الخلق" في هذا النص ليس الإيجاد من العدم كما هو ظاهر من السياق، وإنما الإشارة إلى ارتباط العناصر الخمسة بالكون وصورها التي تتمثل بها.

العناصر الخمسة والتنجيم

تحدث التحولات بين العناصر الخمسة - حسب الفلسفة الشرقية - كنتيجة لعوامل عدَّة، منها ما هو متعلق بالزمان، ومنها ما هو بتأثير الكواكب. فكل شيء في الكون يُصنَّف وفق العناصر الخمسة، ولكل عنصر ما يقابله من الكواكب ويرتبط به، بحيث يكون تأثير هذا الكوكب على الأرض في الفترة الزمنية التي يسود فيها ذلك العنصر، ويكون تركيزه على المناطق الجغرافية والأعضاء الجسدية المرتبطة به كذلك[1]. يشمل التصنيف الخماسي كل من السنين والشهور والدقائق وحتى الثواني في التقويم الصيني، ومن خلال تحليل هذه العناصر منذ تاريخ الولادة ومع النظر في عوامل أخرى فإنه يمكن - بزعمهم - التنبؤ بمستقبل الشخص وتحديد صفاته وميوله ضمن هذه الفلسفة[2].

لقد أسس الفلاسفة القدامى اعتقادهم بتأثير الكواكب في مجريات الأرض على فلسفة العناصر الخمسة وارتباطها بالتثليثات المذكورة في كتاب التغيرات. ومن أجل تصور العلاقة بين قوى السماء وقوى الأرض والإنسان لا بد من فهم التثليثات الأساسية التي قامت على عمادها تلك العلاقات. لقد رمزت الخطوط الثلاثة الأولى للسماء والإنسان والأرض:

- السماء
- الإنسان
- الأرض

وقد قُسِّم الكون إلى هذه الأقسام الثلاث، سماوي وأرضي وإنساني، وجُعِل لكلٍ منها طاقة خاصة. لكلٍ من طاقات الأرض والسماء ما يقابلها ويوافقها في

(١) انظر: علم الطاقات التسع: ١٨ - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو.

(٢) انظر: المرجع السابق: (٢٥ - ٣١، ٤١ - ٥٤).

الطاقات الإنسانية وهي تتقاطع وتؤثر على بعض، و«حسب النصوص القديمة، لا يعتبر الإنسان كائنا قائما بذاته، ولكنه يعتبر جزءًا من شبكة حساسة تتألف من تقاطعات العديد من أنواع الطاقات وفي مختلف المستويات الطاقية»[١]. بمعنى: أن أي تغيّر في طاقات السماء ينتج عنه تغيير فيما يوافقها من طاقات الأرض والإنسان، والعكس بالعكس. وقد ضُبطت الموافقات بين الطاقات من خلال تصنيفها بحسب العناصر الخمسة.

هذه الفكرة العامة هي التي توضح لنا الصلة بين الإنسان وما حوله وهي الأساس الذي بُني عليه اعتقادهم بتأثير طاقات السماء والأرض والكواكب على القدر الإنساني، وهي ذات صلة - دون شك - بالنظرة الطاوية للنشأة الكونية[٢].

ووفقا لهذه الفلسفة، فإن العلاقة بين المتوافقات السماوية والأرضية والإنسانية محكومة بثلاث طرق أساسية، هي:

- السوق[٣] السماوية العشرة (للعناصر الخمسة)[٤]
- والفروع الأرضية الاثنا عشر[١]

(١) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤١ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٢) سبقت الإشارة إليها، وملخصها: تولُّد الـ (ين يانغ) من الـ (طايجي) وتكون السماء من الـ (يانغ) والأرض من الـ (ين)، ومن تفاعل الـ (ين) والـ (يانغ) (طاقات السماء والأرض) نتجت العناصر الخمسة التي من مجموعها ظهرت مفردات الوجود.

(٣) سوق: جمع ساق.

(٤) يمر تيار طاقة السماء في الأرض بدورةٍ تتكون من خمس مراحل، وهي المعروفة بالعناصر الخمسة. وتمر كل واحدة من هذه المراحل بمرحلتين: أولية ونهائية، (ين) و(يانغ). هذه المراحل العشر هي السوق السماوية العشرة وهي التي جعلوها مؤثرة في القدر الإنساني بتأثيرها على تفكيره وشخصيته وطباعه وقدراته العقلية والروحانية. وبالجملة، فإن السوق العشرة هي صورة أكثر تفصيلا للعناصر الخمسة، تصنف على أساسها الموجودات ويحدد من خلالها المستقبل والمواصفات. (انظر: علم الطاقات التسع: ٢٠ - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو).

- والكواكب التسعة[٢].

العناصر الخمسة والكهانة:

لقد قامت فلسفة العناصر الخمسة على «المفاهيم الفلسفية والروحانية للنصوص القديمة. وأهمها هي ما ذَكَرَتْه الـ (سو ون) والـ (لي جي) حول التثليثات للـ (يي جنغ)»[٣]. ويعتقد الطاويون بأن كل ما في الوجود مكون من العناصر الخمسة بنسب متفاوتة، إذ المواد تجسيدات لها، وأن هذه النسب تتغير بشكل ثابت ومنتظم مع مرور الزمن. وبما أن التغيير - بزعمهم - مطَّرِد، فإنه في حال فهمه والتحقق منه يتمكن الإنسان من تحديد الأحداث المستقبلية من حيث المكان والزمان وفقًا لهذا النمط الذي تم اكتشافه.

تم تطوير هذه الفكرة في كتاب التغيرات بحيث ضُبطت التغيرات بين العناصر من خلال الخطوط السداسية[٤] فتكونت ٦٤ تشكيلة خطية ترمز لحالات مختلفة من حياة الإنسان. وبناء على الخطوط التي يحصل عليها الإنسان[٥]، يتنبأ الكاهن - الذي قد يكون المرء نفسه - بما سيحدث له في المستقبل من حيث

---

(١) وهي وإن لم تكن ذات تعلق مباشر بالعناصر الخمسة إلا أنها ذات أهمية في فلسفة الاستشفاء الشرقية. وهي تعبير عن الطاقات الأرضية المؤثرة في الإنسان. يرمز لهذه الفروع الاثنا عشر باثني عشر حيوانًا، وهي مرتبطة بالأبراج الفلكية الاثني عشر، وبالأعضاء الاثني عشر الرئيسة في الجسم البشري، وبمسار طاقة (تشي). وعندما يتنبأ المنجم الصيني بمستقبل الإنسان فإنه ينظر في كل من السوق العشرة والفروع الاثني عشر والكواكب التسعة لاستخلاص النتيجة المكذوبة من مجموعها.(انظر: علم الطاقات التسع: ٢٥ - ٣١، ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو).

(٢) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٢٤ - ٢٦) - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٣) المرجع السابق: ٤٠.

(٤) وهي صورة أكثر تفصيلًا للتثليثات السابق ذكرها فأصبحت الخطوط سداسية بعد أن كانت ثلاثية، وأصبح الخطان العلويان يمثلان السماء والأوسطان الإنسان والسفليان يمثلان الأرض. بينما الخط المتصل يمثل الـ (يانغ) والخط المنقطع يمثل الـ (ين). وهي تخرصات لا تعتمد على عقل ولا نقل.

(٥) وذلك عن طريق قذف عملة معدنية، أو أي طريقة من طرق الكهان المعروفة.

الصحة والسعادة والعلاقات وغيرها. كل هذا بحسب العلاقات المفترضة والتحولات المزعومة بين العناصر الخمسة[1].

موافقات[2] العناصر الخمسة

لقد صُنِّف كل ما في الوجود بناء على فلسفة العناصر الخمسة، وذلك من أجل تحديد علاقة الموجودات ببعضها وما يحصل بينها من تحولات. إلا أن أفراد الموجودات ليست ناتجة عن عنصر وحيد، وإنما هي مكونة من تقاطعات للعناصر المختلفة، تطغى عليها صفات أحدها، وعلى هذا الأساس تصنف.

أما من حيث التصنيف الزماني فالعناصر تشبه الفصول، لكل منها وقت يسود فيه، ولذلك عُدَّ القيام بأعمال تخالف العنصر السائد في ذلك الوقت خرقًا للقانون الكوني وإرباكًا لتوازن العناصر الخمسة وسببًا في وقوع الكوارث (!)[3]

إن من أهم الموافقات التي ينبغي معرفتها هي موافقات العناصر الخمسة لتثليثات الـ (يي جنغ) نظرًا لدورها الرئيس في تحديد العلاقة بين الموافقات الأخرى. وهي كالتالي:

تثليثات الـ (يي جنغ)	ما يوافقها من العناصر الخمسة
☱	← المعدن
☵	← الماء
☷	← التراب
☲	← النار
☳	← الخشب (الشجر)

(١) انظر: A Little Book I Ching: (6 - 11) - Vijaya Kumar

(٢) الموافقات: هي ما يوافق العنصر من مفردات الوجود سواء كانت جواهر أو أعراض.

(٣) انظر: The World-Conception of the Chinese: 229 - Arthur Probsthain

يُلاحظ من خلال الجدول السابق أنه لم يتم إدراج ثلاث صيغ خطية للتثليثات، ولم يُجعل لها مقابل من العناصر الخمسة، ولذا لم تُعتبر جُزءا من الجسد البشري. وفي ذلك إشارة إلى نقصه واضطراب توازن الـ (ين يانغ) فيه، مما يجعله عرضة للآفات والأمراض. ومن ثَمَّ لزم إدخال الطاقات الناقصة (التثليثات الثلاث) إلى داخل الجسد؛ ليكون الجسد منسجما مع الـ (ين يانغ).

ولقد حددت موافقات التثليثات الخارجية بما يلي:

تثليثات الـ (بي جنغ)	ما يوافقها
☰	← التنفس[1]
☴	← الدخول، اللطف
☶	← السكون، الثبات

ومن هذا المنطلق كانت الوسيلة لإدخال طاقة السماء الخارجية إلى الجسد هي«التنفس» مع مراعاة «السكون» و«اللطف» أثنائه[2]. وهو ما يوظف أحيانًا كثيرة كوسيلة علاج في الطب الشعبي.

وفيما يلي جدول يوضح بعض موافقات العناصر الخمسة[3] الأخرى:

---

(١) تمثل هذه التثليثة، طاقة السماء وهي أكثر التثليثات (يانغ)، وبما أن التنفس يمثل (تشي) المأخوذ من السماء اعتبرت طاقة التنفس هي التي تمثل تثليثة السماء. ولذلك كان التنفس النموذجي مهم بالنسبة للعناصر الخمسة لأنهما يسمحان بدخول طاقات السماء إلى الجسد مما يساعد على استكمال الغذاء الطاقي. (العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤٨ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش).

(٢) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٤٤ - ٤٨) - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٣) انظر: علم الطاقات التسع: ١٧ - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو، وكتاب الطب الصيني: ١٣ - ترجمة: محمد يوسف شهاب، و

China's Cultural Heritage: The Qing Dynasty 1644-1912: 132 - Richard J. Smith

The World-Conception of the Chinese: 240 - Arthur Probsthain

العنصر	اللون	الجهة	الفصل	الكوكب	الأصبع	الـ (ين يانغ)
الخشب	أزرق أو أخضر	الشرق	الربيع	المشتري	البنصر	يانغ وليد
النار	أحمر	الجنوب	الصيف	المريخ	الوسطى	يانغ كامل
التراب	أصفر	الوسط	أواخر الصيف	زحل	السبابة	توازن الـ (ين يانغ)
المعدن	أبيض	الغرب	الخريف	الزهرة	الإبهام	ين وليد
الماء	أسود	الشمال	الشتاء	عطارد	الخنصر	ين كامل

يصعب علينا - اليوم - تحديد القواعد التي صُنِّفت على أساسها الموجودات في العصور القديمة، كما يصعب معرفة الأسباب التي جعلت بعضها تنسب إلى عنصر دون الآخر. ولعل ذلك الغموض يرجع إلى أحد أمرين:

١- فإما أن تكون الأسباب خاصة بذلك الزمان ولم تعد موجودة أو ظاهرة في زمننا الحاضر.

٢- أو تكون مبنية على نظريات خاطئة كان يعتقد صحتها آن ذاك(١).

وعلى كل حال، فإن هذا التصنيف لا يخضع للقواعد العلمية أو التجريبية، بل هو مبني على تخرصات قديمة لا يمكن أن تنضبط بضابط موحد ولا تعرف إلا من خلال الرجوع إلى المصنفات القديمة.

ثالثًا: فلسفة العناصر الخمسة في الطب الصيني

لقد أُقحمت عقيدة العناصر الخمسة في العديد من جوانب الحياة الصينية ومن تلك الجوانب ما يعرف بالطب التقليدي الصيني المبني - في الجملة -

(١) انظر: The World-Conception of the Chinese: 263 - Arthur Probsthain

على العقائد الطاوية. وينسب توظيف هذه الفلسفة في الطب الصيني إلى هوانغ دي أو الإمبراطور الأصفر، حيث سُجِّلت مبادئها الأولية في كتاب الـ (سو ون)(١).

لم تخرج النظرة الاستشفائية للعناصر الخمسة عن الأُطر العامة للفلسفة الشرقية، فقد صُنِّف الجسم البشري ووظائفه الحيوية بحسب تلك العناصر. وتبعا للفلسفة العامة، رُبطت الأعضاء البشرية بما يوافقها من الطاقات السماوية والأرضية، وقيست التفاعلات بين أعضاء الجسم على أنها تمثيل رمزي للقوى الطبيعية. وقد شمل التصنيف الخماسي جميع الوظائف العضوية في الجسم البشري، فكانت العلاقة بين أعضاء الجسد مماثلة لتلك التي بين العناصر الطبيعية كما يجري تعاقبها في الجسم بحسب دورات الهدم والبناء التي سبقت الإشارة إليها(٢).

تحدد فلسفة العناصر الخمسة «موازين التوازن بين الطاقات، وكذلك الموافقات داخل الجسد وخارجه، وكيف ترتبط فيما بينها كي تؤدي إلى حالة الصحة أو حالة المرض»(٣). فالداء هو «عبارة عن اضطراب توازن طاقات الإنسان»(٤) وهو ناتج عن حدوث خلل في العناصر الخمسة.

وفيما يلي جدول يبين موافقات الأعضاء الرئيسية في الجسم الإنساني للعناصر الخمسة(٥):

---

(١) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 94 - Hsiao-Hung Lee

(٢) انظر: المرجع السابق: ٩٦.

(٣) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ١٨٩ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٤) المرجع السابق: ٥٨.

(٥) انظر: علم الطاقات التسع: ١٧ - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو.

النار	التراب	المعدن	الماء	الخشب
القلب، الأمعاء الدقيقة، ضابط وظائف القلب	الطحال، البنكرياس، المعدة	الرئتان، الأمعاء الغليظة	الكليتان، الغدد الكظرية، المثانة، الأعضاء التناسلية	الكبد، المرارة

التشخيص:

وفقا لهذه الفلسفة، يقوم المعالج بتحديد مصدر المرض من خلال فحص الوظائف التشخيصية للعناصر الخمسة، وذلك بالنظر في الأعراض المَرَضِيَّة المصنفة بحسبها وتحديد محل اختلال التوازن بينها[1]. ويشكل العنصر السائد لدى الإنسان أهمية في تحديد نوع الدواء الذي يتقبله والزمن المناسب لعلاجه، ويكون تحديد ذلك العنصر عن طريق معرفة تاريخ ميلاد المريض ضمن التقويم الصيني والنظر في شيء من صفاته الخلقية والخلقية[2]. ولا شك أن من ذلك ما قد يوافق السنن الكونية اتفاقا.

يوضح الجدول التالي بعض الموافقات التي يتم من خلالها تشخيص المرض[3]:

---

(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٧١ – ٩٤، ١٣٥ وما بعدها) – كيكو ماتسوموتو، و Handbook of Chinese Popular Culture: 96 - Hsiao-Hung Lee

(٢) انظر: علم الطاقات التسع: ٤٠ – ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو.

(٣) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٣ – ترجمة: محمد يوسف شهاب، و China's Cultural Heritage: The Qing Dynasty 1644-1912: 132 - Richard J. Smith The World-Conception of the Chinese: 240 - Arthur Probsthain

العنصر	الخشب	النار	التراب	المعدن	الماء
اللون	الأزرق	الأحمر	الأصفر	الأبيض	الأسود
الطعم	الحامض	المر	الحلو	اللاذع	المالح
عضو الحاسة	العين	اللسان	الفم	الأنف	الأذن
المشاعر	الغضب	الفرح	الرغبة	الحزن	الخوف

العلاج:

تتلخص قضية العلاج - حسب فلسفة العناصر الخمسة - في تحقيق التوازن بينها، وهو ما يمكن تحصيله بشيء مما يلي:

١- **التنفس العميق**: وذلك من أجل استقطاب الطاقات السماوية وإدخالها إلى الجسم[١]. بالإضافة إلى تطبيق بعض التمارين الرياضية التي تساعد على ممارسة التنفس النموذجي وتوسيع الأماكن الصالحة لاستقبال الطاقات السماوية[٢].

٢- **النظام الغذائي**: صنفت الأطعمة هي الأخرى وفق العناصر الخمسة، ووضعت الأنظمة الغذائية والحميات المحددة لتعويض النقص ومقاومة الزيادة الطاقية في الجسم البشري[٣]. وبناء على علاقات الهدم والبناء التي سبق ذكرها فإن الأطعمة تصنف على أنها نافعة أو ضارة. فأطعمة العنصر الهادم ضارة لأعضاء العنصر المُهدم. وأطعمة العنصر المولِّد داعمة لأعضاء العنصر المتولد[٤].

---

(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٤٠ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٢) انظر: المرجع السابق: (١٩٣ - ١٩٦).

(٣) انظر: علم الطاقات التسع: (٨٢ - ٨٣) - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٨٩.

٣- **المعالجة النقطية**: وذلك عن طريق الضغط أو الوخز بالإبر لتنشيط العنصر الضعيف والسيطرة على العنصر النشط[١].

كل ذلك ضمن النظام الكوني العام، مع مراعاة الموافقات الزمانية للعناصر الخمسة، وما يمكن أن يكون له أثر في نشاطها وخمولها كالفروع الاثني عشر والأبراج الفلكية[٢] والكواكب التسعة. فالعلاج بناء على هذه الفلسفة مماثل للعلاج في فلسفة الـ (ين يانغ)، يهدف كل منهما إلى إعادة التوازن الطبيعي بين القوى أو العناصر المكونة للجسم البشري.

وخلاصة الأمر، أن العناصر الخمسة هي فلسفة صينية طاوية[٣] فسر بها الفلاسفة القدماء الوجود والظواهر الطبيعية فاعتبرت العناصر مرحلة متقدمة من تفاعلات الـ (ين يانغ). تتضمن هذه الفلسفة إنكار الخلق والإبداع، وإثبات وجودٍ واحدٍ بمظاهر مختلفة، وقد طبقت في الطب الشعبي الصيني حيث فسر المرض والشفاء على أساسها، وأضيفت إليها تطبيقات عملية لا تنفك عن الفلسفة الطاوية الأصلية. ولقد خَلُص الباحثان اللذان اشتركا في تأليف كتاب (العناصر الخمسة)[٤] في نهاية بحثهما إلى نتيجة هامة قالا فيها: إن الكتاب الذي بُسطت فيه فلسفة العناصر الخمسة «كان متفقًا تمامًا مع الـ (طاو طي جنغ)»،

---

(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٢٣٣ وما بعدها - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٢) " في الطب الشرقي أيضًا، اثنتا عشرة فترة، مدة كل منها ساعتان من اليوم. ويتأثر خلالها كل عضو في جسم الإنسان وكل مسار طاقة ببرج من تلك البروج الفلكية، إضافة إلى أشهر السنة الاثني عشر التي تعمل بالطريقة نفسها. وغالبًا ما تستخدم هذه الأوقات في العلاج بالإبر وغيرها." (علم الطاقات التسع: ٢٤ - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو).

(٣) توجد فلسفة مماثلة للفلسفة الطاوية في الـ سامكهيا الهندوسية، حيث يطلق على العناصر (Tattva) وتعد تجسيدات لـ (برانا) *.

* المقابل الهندي لـ (تشي)، وسيأتي تفصيلها في المبحث القادم بإذن الله.

(٤) وهو الذي اعتمدت عليه بشكل رئيس في عرض هذه الفلسفة خاصة.

وأنهما يشعران بأن مؤلفه «استخدم فلسفة **لاوتزي** في التطبيق العملي»[1].

بقي أن يقال: إن «المذهب إذا كان باطلًا في نفسه، لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يُتصور تصورًا حقيقيًا، فإن هذا لا يكون إلا للحق. فأما القول الباطل فإذا بُيِّن فبيانه يُظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه هذا على أحد؟ ويتعجب من اعتقادهم إياه»[2]. نسأل الله الثبات على الحق.

---

(١) العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٢٦٧ - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢/ ١٤٥ - ابن تيمية.

المبحث الثاني

فلسفة الطاقة الكونية وآثارها

يعد مبدأ الطاقة الكونية من أهم الركائز التي بنيت عليها فلسفة الاستشفاء الشرقية، بفرعيها الصيني والهندي. وهو ذو تعلق وثيق بكل من فلسفتي الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة، كما أنه يسبقهما من حيث الترتيب الزماني، إلا أني آثرت تأخير الحديث عنه نظرًا لارتباطه بتفريعات قد لا يحسُن تقديمها على ما ذُكر في المبحث الأول.

سأبدأ هذا المبحث بتوضيح لماهية الطاقة الكونية وفقا للفلسفة الشرقية وكيفية توظيفها في الطب الشرقي، ثم أُتبعه بتوضيح ميسر لأجسام الطاقة السبعة والمسارات التي حددها معالجو الشرق لمرور الطاقة في الجسم والتي بنيت عليها كثير من التطبيقات المعاصرة للطب الشرقي. وسأختم بشرح لمفهوم الـ (شاكرات) التي يُفترض أن الطاقة تنفُذ من خلالها إلى الجسم البشري.

المطلب الأول: الطاقة الكونية

أولًا: معنى الطاقة:

الطاقة في اللغة:

الطاقة من طوق، والطاء والواو والقاف أصل صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء، ويقال أطاق الأمر إطاقة، وهو في طوقه، لأنه إذا أطاقه فكأنه قد أحاط به ودار به من جوانبه[1].

والطاقة: الوسع، والإطاقة القدرة على الشيء. وقد طاقه طوقا وأطاقه،

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٤٣٣ - ابن فارس (بتصرف).

والاسم: الطاقة. والطاقة أقصى الغاية، ومقدار ما يمكن أن يُفعل[1].

الطاقة في اصطلاح أهل الفيزياء:

الطاقة: هي المقدرة على القيام بالعمل أو إحداث التغيير[2]. وتنقسم الطاقة من هذا المنطلق إلى قسمين رئيسين:

١- **طاقة حركية**، ومنها: الطاقة الكهربائية والطاقة الميكانيكية.

٢- **طاقة كامنة**، ومنها: طاقة الجاذبية والطاقة الكيميائية[3].

غير أن الطاقة التي وردت في النصوص الشرقية، والتي بُنيت على أساسها كثير من نظريات الطب الشرقي - القديم منه والحديث - ليست شيئًا من الطاقات الآنف ذكرها[4]، فهي مبدأ فلسفي عقدي يقوم على أساس النظرة الواحدية للوجود، وهو ما سيتبين لاحقًا بإذن الله تعالى.

تسميات الطاقة الكونية:

تتنوع التسميات التي تُطلق على الطاقة الكونية تبعا لتغاير الخلفيات الدينية واللغوية في المناطق المختلفة، مع الاتفاق في المفهوم والمدلول اللفظي في الجملة.

---

(١) انظر: القاموس المحيط: (١١٦٨ - ١١٦٩) - الفيروز آبادي، ولسان العرب: ٨/ ٢٢٥ - ابن منظور، ومختار الصحاح: ١٦٨ - الرازي.

(٢) انظر: The World Book Encyclopedia: 6/241

The Columbia Encyclopedia: 15566

(٣) انظر: موسوعة الرواد: ٩/ (١١٠٨ - ١١٠٩)، و

The World Book Encyclopedia: 6/(241 - 242)

(٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق، وأعمدة اليوغا الثمانية: (١٩٨ - ١٩٩) - غطّاس الحكيم. وقد ناقض د. أحمد توفيق نفسه حيث كان يوحي للقارئ في صـ ٣ من الكتاب نفسه أن المقصود هي الطاقة الكهرومغناطيسية ليضفي على كتابه الطابع العلمي فيغتر بمقدمته القارئ البسيط.

ومن تلك التسميات: **الطاقة الحيوية**، وقوة الحياة[١] وطاقة الحياة[٢] وذلك باعتبار أنها مصدر الحياة وأن لا حياة بدونها، كما تسمى: **الطاقة الكونية**[٣] لانتشارها في الكون واستمدادها منه. وأطلق عليها: **النَفَس** (Breath)[٤] وهذا كثير في النصوص القديمة، ربما لأن التَّنَفُس من طرق استمدادها أو لأنها بمثابة النَفَس الذي لا يمكن للكون أن يستمر بدونه. وهي: **قوة الشفاء**[٥] نظرًا لما يُنسب إليها من قدرات شفائية. ويزعم بعضهم أن مسماها العربي هو: «**الروح**»[٦].

أما المصطلح الطاوي في الصين فهو: (تشي) (Qi - 氣)[٧]، وفي اليابان: (كي) (Ki - 気)، وعند الهندوس يطلق على مبدأ الطاقة الكونية اسم الـ (پرانا) (Prana - प्राण)[٨].

ثانيًا: الطاقة الكونية في الفلسفة الشرقية

الطاقة الكونية عند الطاوية

تحتل الطاقة الكونية مكانة هامة بين العقائد الطاوية، وهي ترتبط ارتباطًا كليًا بتصورهم الفلسفي للوجود، بل تشكل مرحلة أولية من مراحل نشأة الكون. لقد مر العالم الوجودي - وفقا لهذه الفلسفة - بأطوار متعددة قبل أن تتحدد معالمه

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق، و
Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 92 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

(٢) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق

(٣) انظر: The Tao of the West: 31- J.J Clarke

(٤) انظر: Taoism: Growth of a Religion: 7 - Isabelle Robinet

(٥) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: 150 - Duncan S. Ferguson

(٦) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق.

(٧) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك "من وجهة نظر إسلامية": ٦٧ - غادة المعايطة.

(٨) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٦٧ - غادة المعايطة.

التي نألفها اليوم. كان الطور الأول متمثلًا في الوجود الفوضوي أو العدم، ثم تولد من العدم - ومن خلال حركات تحولية تلقائية - أول شكل من أشكال الوجود. هذا الوجود الأولي هو ما يعرف بالطاقة الكونية (تشي)، والتي بدورها انفصلت وتمايزت إلى الـ (ين يانغ)، ومن خلال تفاعلات الـ (ين يانغ) ومن بعدها العناصر الخمسة ظهر هذا الكون إلى الوجود[١]. هذا هو ملخص النظرة الطاوية - والصينية بشكل عام - لقضية منشأ الكون ومبدأ الخليقة.

لقد سبقت الإشارة إلى ما تتضمنه هذه الفلسفة من معانٍ إلحادية ولوازم كفرية، حيث تعزز فكرة الخلق الذاتي المستمر والمجرد من الإرادة العليا أو التأثير الخارجي، فهي تعتمد على مبدأ التلقائية، وفكرة الخلق بلا خالق[٢]. والطاقة الكونية (تشي) هي جزء لا يتجزأ من هذه الفلسفة الشاملة، وكل محاولة لإخراجها من هذا السياق هي تغييب للحقائق الثابتة وتجريد للمفهوم من موروثه الثقافي الذي لا يمكن فهمه إلا من خلاله. وقد أشار **لاوتزي** - مؤسس الطاوية - إلى الطاقة الكونية (تشي) في كتابه الـ (طاو طي جنغ)[٣]، فهي «الواحد» المتولِّد عن الـ (طاو). ولذلك، فالمكوِّن الأساسي للحياة هو الطاقة في أنقى صورها[٤]. هذا ما أجمع عليه الطاويون منذ زمن **شوانغ تزي** المؤسس الثاني للطاوية[٥].

---

(١) انظر: The Tao of the West: 66 - J.J Clarke

Taoism: Growth of a Religion: 7 - Isabelle Robinet

(٢) انظر: The Tao of the West: 66 - J.J Clarke

(٣) وفيه: "الـ (طاو*) تنسل الواحد، الواحد ينسل الاثنين، الاثنان تنسل الثلاثة" (كتاب التاو: ٧٧ - هادي العلوي).

(٤) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching: (92 - 93) - edited by: Kohn & Lafarague

(٥) انظر: Taoism: Growth of a Religion: 7 - Isabelle Robinet

صفات الطاقة الكونية (تشي):

تتصف الطاقة الكونية بصفات تفضح حقيقتها، وأنها ليست سوى تعبير شرقي عن عقيدة وحدة الوجود. ومن تلك الصفات ما يلي:

- أن طاقة (تشي) وُجدت قبل وجود العالم، وكل موجود ليس إلا مظهرًا من مظاهرها[١]، فهي تمثل الحقيقة المطلقة والوجود الكلي. و«الطاقة تتمثل في كل شي، بل كل شيء طاقة، والمادة ليست إلا مظاهر بنسب مختلفة للطاقة»[٢].
- توصف (تشي) بأنها قوة ممتدة في الوجود ومتغلغلة في كل جزء من الزمان والمكان.
- لا يمكن إدراك الطاقة الكونية إلا من خلال الأشكال التي تتشكل بها، وعندما تفنى تلك الأشكال تعود (تشي) إلى صورتها الأصلية، أو تتحول إلى شكل آخر.
- عندما تتشكل (تشي) بموجود مادي فهي لا توجد منفصلة عنه، بل إنها تصبح الموجود ذاته.[٣]
- عندما تكون (تشي) في حالتها الأكثر كثافة تصبح المادة، وفي حالتها الأكثر خفة تكون طاقة.

---

(١) بل إن الآلهة المعبودة في الديانة الطاوية لا تتجاوز كونها مظهرًا من مظاهر الطاقة الكونية وأحد تجسيداتها. انظر:

Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 93 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

(٢) الوجوه الأربعة للطاقة: ١١ - د. رفاه وجمان السيد، وانظر طاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور.

(٣) انظر: Taoism: Growth of a Religion: (7 - 8) - Isabelle Robinet

Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 92 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

An Introduction to Complementary Medicine: 76 - edited by: Terry Robinson

- إن طبيعة (تشي) تعد سببًا في التغيير سواء في الكون أو في الجسم البشري. ولذا، فإنه لا يُنظر إليها كالمكون الأساسي للكون فقط، بل على أنها المُدبِّر والمُحرِّك له كذلك![1]

برزت هذه النظرة الواحدية للكون في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، فاعتُبرت مفردات الكون وحدة كلية، وعُدَّت الموجودات مظاهر وتجسيدات للطاقة الكونية (تشي) تتشكل من خلال تفاعلات الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة[2].

لقد وُظِّفت فلسفة الطاقة الكونية في مجالات عدّة، منها شفاء الأمراض وتصويب الحالات النفسية والاجتماعية، إلا أن الهدف الأهم والأخطر وراء هذه الفلسفة هو الوصول إلى وعي تحولي يسمح للسالك بمعاينة المنزلة المنشودة من الحقيقة الروحانية، وهي الإحساس بالوحدة والارتباط بين كل موجود[3] وبشكل أدق «الوحدة مع الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق»[4]. فمُبتدأ هذه الفلسفة الوحدة وانتهاؤها بالاتحاد ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[5].

إن هذه الفلسفة الواحدية تتوافق إلى حد كبير مع معتقدات الصوفية، فـ«عندما يتحدث الروحانيون والصوفيون عن مقدراتهم الذاتية في وصفهم لأوضاعهم وكشوفاتهم الروحانية، يشددون على التشابه بين جميع الأشياء:

---

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ١١ - د. رفاه وجمان السيد، وطاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور.

An Introduction to Complementary Medicine: 76 - edited by: Terry Robinson

(٢) انظر: The Tao of the West: 31- J.J Clarke

(٣) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: 150 - edited by: Duncan S. Ferguson

(٤) الكامل في اليوغا: ١٦ - سوامي فشنو ديفانندا.

(٥) سورة النور: ٤٠.

أجساد من الطاقة، في كون من الطاقة، جميعها متشابكة ومترابطة»[١]. ولذلك، فقد استهوتهم هذه الأفكار الشرقية لما تتضمنه من المعتقدات والأهداف الباطنية المألوفة عندهم[٢]، وراحوا يروجون لها في المجتمعات الإسلامية. ومن تأمل في الفلسفة «المؤسلمة» لم يجد بينها وبين الفلسفة الأصلية فرق - ولا حتى في المصطلحات - غير أنه قد أضيفت إلى النسخة «الإسلامية» معاني الخلق والتكوين المعدومة في الفلسفة الأصل دون تبرير مقبول لهذه الإضافة[٣]. بينما يبقى المصدر الرئيس لتلقي هؤلاء لمفردات الفلسفة وتفاصيلها هو من خلال الكتب الهندوسية والبوذية والطاوية دون محاولة منهم لإخفاء تلك الحقيقة المزعجة![٤]

الطاقة الكونية في الفلسفة الهندية

يوجد في الفلسفة الهندية مبدأ مشابه جدًا لمبدأ (تشي) عند الصينيين، وهو ما يسمى بالـ (ﭘرانا)[٥]، و«تؤكد التعاليم الهندوسية - وذلك ضمن منهج الـ (سوترا) - بأنك إذا تركت الشك يمتلئ بالجوهر وفي كل اتجاهات أبعاد جسدك المادي. عندها ستبدأ بالشعور بقيمة جوهر النَفَس وطاقة الـ (ﭘرانا) الكاملة والشاملة لعموم الطاقات الكونية والمادية والأثيرية»[٦].

للـ (برانا) الهندية قطبان: «الأول إيجابي وهو الـ (ﭘِنغالا) (Pingala - पिङ्गल)

---

(١) الشفاء بالطاقة الحيوية: ٧ - د. أحمد توفيق.

(٢) انظر: أسرار الطاقة: (٢٠ - ٢١) - حكم الزمان.

(٣) انظر: المرجع السابق: (١٧، ٢٨ - ٢٩).

(٤) انظر: المرجع السابق: (١٥٧ - ١٥٩).

(٥) نظر: الفكر الشرقي القديم: ١٠٤ - جون كولر، والشفاء بالطاقة الحيوية: (٦٣ - ٦٤) - د. أحمد توفيق.

New Age Spirituality: An Assessment: 150 - edited by: Duncan S. Ferguson

(٦) أسرار الطاقة: ١٥٧ - حكم الزمان.

والثاني سلبي وهو الـ (إدا) (Ida - इडा)»[١] فيما يشبه الـ (ين يانغ) في الطاوية. وقد اختلف الهندوس في أصل الـ (پرانا) على قولين:

١- أن الـ (پرانا) متولدة عن الـ (براهمان)[٢]، وأنها وجود منبثق من عدم.

٢- أن الـ (پرانا) أزلية بلا بداية ولا نهاية، وهي موجودة قبل الوجود[٣].

وعلى كلا القولين فهي ليست شيئًا مخلوقًا، ووجودها إما متولد من العدم دون وعي أو إرادة كما هو السائد في الفلسفة الصينية، أو هو وجود غير مسبوق بعدم أصلا مما يزيد الأمر خطورة ويزداد تعمقا في الشرك.

نظرية الحقل الموحَّد (Unified Field Theory)

لا توجد كلمة «الحقل الموحد» في الفلسفة الشرقية القديمة، وهو ليس من مفرداتها، بل إن نظرية الحقل الموحد هي - في الأصل - نظرية فيزيائية افترضها **آينشتاين** (Einstein)[٤] وحاول من خلالها إيجاد قانون موحَّد يحكم القوى الأساسية والتفاعلات بين الجزيئات الأولية، إلا أنه لم ينجح في التوصل إلى هذا القانون - أو القوانين - المفسرة للتفاعلات المادية[٥]، وبقيت نظرية الحقل الموحد من المعضلات الفيزيائية إلى يومنا الحاضر.

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية: ٢٠٠ - غطَّاس الحكيم.

(٢) سبقت الإشارة إلى أن الـ (براهمان) هو الحقيقة المطلقة عند الهندوس، راجع ص: ٥٤ من هذا البحث.

(٣) انظر: Brahma Sutras: chapter 2 section 4 topic 1 - Swami

(٤) **آينشتاين**: هو ألبرت آينشتاين الفيزيائي اليهودي الشهير ولد في عام ١٨٧٩ م، وإليه تنسب النظرية النسبية. تلقى تعليمه الأولي في ميونخ وميلان وتدرج في تعليمه إلى أن أصبح أستاذًا في جامعة زيورخ. يعد **آينشتاين** من أعظم علماء الفيزياء الذين عرفهم التاريخ، وقد فاز بجائزة نوبل للفيزياء في عام ١٩٢١ م. حصل على الجنسية الأميركية في عام ١٩٤٠ م وتوفي بعدها بخمسة عشر عامًا. انظر: The Columbia Encyclopedia: 15116

(٥) انظر: International Dictionary of Physics and Electronics: (273 - 274) - Walter C. Michels

ومع ذلك، فقد راج هذا المصطلح في بعض التطبيقات المعاصرة للطب الشرقي (أو البديل)، فحمّلت النظرية ما لم تحتمل، وأصبحت تحمل مدلولًا فلسفيا باطنيا يُقصد من ورائه ترويج المعتقدات الشرقية الباطلة. ولذلك كان لا بد من ذكره في هذا السياق، ليس موافقة لتطبيق المصطلح على المفهوم الباطني، ولكن من أجل إيضاح المفهوم والتنبه للمصطلح الذي يستخدم للدلالة عليه.

«يعتبر الحقل الموحَّد هو حقل الذكاء في الطبيعة. والوعي الكوني هو مَسْكَن القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم المادي بما فيه جسدنا. وكما أن البذرة تحتوي على جميع قوانين الشجرة، كذلك فإن الحقل الموحَّد هو البذرة التي تحتوي على جميع القوانين الطبيعية التي تحكم العالم المادي»[١]. إن الحقل الموحد - عند هؤلاء - ليس مقصورًا على التفاعلات المادية، بل إنه يمثل مستوى من «الوعي» والإدراك يمكّن الإنسان من فكِّ الشفرة الكونية ومن ثم معالجة كل خلل عضوي في وظائف الجسد بالإضافة إلى المقدرة على حل كل مشكلة من مشاكل الحياة[٢].

إن هذا «الوعي» المزعوم يمكن التوصل إليه بطرق مختلفة، منها التنفس بطريقة منتظمة وإيقاعية[٣]. ومن خلال سريان الطاقة في الجسد وتنشيطها يتوصل المرء إلى منزلة من الإدراك والاتصال بالقانون الكوني[٤] تنكشف له عندها المعارف والحقائق المغيبة عن العوام. إن هذا الاتصال لا يكاد يختلف بشيء عن الـ (موكشا) والـ (نيرڤانا) عند الهندوس والبوذية، أو عن ما يسمى بالفناء[٥] عند غلاة الصوفية.

---

(١) الشفاء بالطاقة الحيوية: (١٨ - ١٩) - د. أحمد توفيق.

(٢) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: (١٨ - ١٩) - د. أحمد توفيق.

(٣) حيث يعد الهواء وعاء للطاقة الحيوية أو الكونية (أسرار الطاقة: ١٥٣ - حكم الزمان).

(٤) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور.

(٥) الفناء يطلق على ثلاثة معان:

١- الفناء عن وجود السّوى: وهو فناء الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير. وغايته الفناء في الوحدة المطلقة ونفي التكثر. وهو المراد في السياق أعلاه.

وبعد كل ما ذكرناه عن الطاقة الكونية يبقى سؤال بدهي لا بد وأن يتبادر إلى ذهن القارئ، وهو: إن كانت هذه الطاقة الكونية حقيقة واقعية فهل توجد طريقة مجربة لقياسها ورصد تغيراتها(١)؟

الجواب المختصر هو: لا. غير أن الإجابات لا يمكن أن تبقى بهذه البساطة دون أن يتفانى من يتبنى الفكرة في سبيل إثباتها، وأنصار الطاقة في أنحاء المعمورة ليسوا استثناء من هذه القاعدة. لقد انتشر جهاز تصوير يُدعى جهاز كيرليان (Kirlian)(٢) بين المتحمسين لهذا الفكر، زعموا أن لديه إمكانية تصوير الهالات الطاقيَّة(٣) المحيطة بالأجسام الحية، وهي - بزعمهم - تتفاوت في الحجم واللون تبعا للحالة النفسية والصحية والروحية للإنسان. غير أن الحقيقة لا تؤيد ما يذهبون إليه، بل أثبتت الدراسات العلمية أن ما يقوم الجهاز بتصويره هو المنطقة الغازية المحيطة بالجسم والتي تحولت جزيئاتها وذراتها إلى أيونات بفعل الشحنة الكهربائية المنبثقة من الجهاز مما يجعلها تشع بالنور. أما اختلاف الألوان والأحجام فهو راجع لاختلاف التركيب الغازي والذرات الصادرة عن الجسم.

٢- الفناء عن شهود السِّوي: وهو فناء ما سوى الله عن حس السالك، دون فناء وجوده في الخارج.

٣- الفناء عن إرادة السِّوي: مع بقاء الشعور والإدراك بوجوده، وهو الفناء المحمود الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ١/ (١٧٣ - ١٧٩) - ابن القيم (مختصرًا).

(١) يزعم بعض المروجين لفلسفة الطاقة أنها هي الطاقة التي ثبتت في الفيزياء الحديثة داخل الذرات أو أنها الطاقة الكهرومغناطيسية المتولدة من الجسم البشري من خلال حركة الأيونات في الخلية. غير أن هذا الزعم يفتقر إلى الدليل، ولعله محاولة للهروب من مثل هذا السؤال.

انظر: الريكي للمبتدئين: إتقان تقنيات الشفاء الطبيعي: ١٩ - ديفيد إف. فينلس، والشفاء بالطاقة الحيوية: ٣ - د. أحمد توفيق، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: عالم الروح بين الطاقة والمادة: ٨٦ - عبدالتواب عبدالله حسين، والمعالجة بالطاقة الحيوية: (١٣ - ١٤) - سليم بيك علاء الدين.

(٢) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٦ - د. أحمد توفيق، والعلاج بالضغط طريق إلى الصحة، جين شين دو: ١٤ - أيونا مارسا تيجواردن.

(٣) يأتي تفصيلها لاحقًا بإذن الله تعالى.

كما تعتمد نتائج التصوير - بشكل أساسي - على مدى رطوبة الجسم المصوَّر، وعند التجربة لم يوجد فرق بين صورة يد المعالج (الذي من المفترض امتلاكه لمخزون طاقي كبير) وبين صورة يد المريض إلا بحسب الإفرازات العرَقية لكل منهما[١].

وبذلك يتحقق أن الإثبات الحسي الوحيد لوجود الطاقة الكونية (تشي) لا يتجاوز كونه تصويرا لظاهرة كونية ثابتة سلفًا. ولو افترضنا - جدلًا - إمكانية قياس طاقة غامضة في الجسم البشري فلا يمكن إخراجها عن إحدى حالتين:

١- فهي إما أن تكون هي الطاقة الكونية (تشي) المذكورة في النصوص الشرقية القديمة. وعليه فيكون حكمها حكم الفلسفة الأصلية لا تنفك عنها ولا تحرَّف[٢].

٢- وإما أن لا تكون الطاقة الكونية (تشي)، بل تكون اكتشافًا جديدًا لا يمكن أن تحدد صفاته إلا من خلال التجربة، حالها كحال أي اكتشاف جديد.

ولذلك فإن محاولة إثبات الطاقة الكونية (تشي) بالوسائل العلمية الحديثة، ليس له جدوى ولا من ورائه طائل[٣]. إن ما يهمنا - كمسلمين - هو تنقية العلم التجريبي من لوثات الفلسفة والعقائد الباطلة، وهو ما لا يمكن فعله مع الطاقة الكونية (تشي).

---

(١) انظر: Anomalistic Psychology: A Study of Magical Thinking: 82 - Warren H. Jones

(٢) وسيأتي الحكم على المعتقد بها والعمل بتطبيقاتها في الباب الأخير من هذا البحث بإذن الله تعالى.

(٣) وذلك أن مفهومها الشرقي يحمل مخالفات عقدية خطيرة، وافتقارها إلى الدليل الحسي ليس هو الإشكال الوحيد المرتبط بها ليزول ما فيها من محاذير بمجرد ثبوت وجودها حسيًا أو ثبوت العلاقة السببية بينها وبين الشفاء.

ثالثًا: الطاقة الكونية في الطب الشرقي

لقد سبق أن ذكرنا أن من أسماء الطاقة الكونية: «قوة الشفاء»، وهي في الوقت نفسه الطاقة الحيوية وطاقة الحياة. إن لهذه التسميات دلالات لفظية هامة، فهي تتضمن معان هي من أساسيات مفهوم الطاقة وهي التي من أجلها وُظِّفت في مجالات الطب والاستشفاء.

يُعتَقد أن الطاقة الكونية تسري في جميع أشكال الحياة، فالحياة هي نتيجة لتكثف الطاقة، أما الموت فهو نتيجة لقلتها أو انفصالها عن الجسد[1]. ولذلك كان طول حياة المرء أو قصرها - حسب هذه الفلسفة - مرهون بمخزونه الطاقي[2]. وبما أن فقدان الطاقة هو سبب الوفاة، كان من اللازم لتحقيق حياة أطول العودة إلى المصدر الأصلي لهذه الطاقة واستقطابها منه، ومن ثم توجيهها وتدويرها في الجسم[3].

تتضمن هذه الفلسفة السر في سعي الشرقيين إلى الخلود، فالإنسان ليس إلا مظهرا من مظاهر الطاقة، ولما كانت الطاقة خالدة، كان بإمكان الإنسان التوصل إلى الخلود. كما أن الطاقة تمكن الإنسان من الاتحاد بالحقيقة المطلقة أو الـ (طاو)، وبذلك يتمكن البشر من العودة إلى الأبدية[4].

إن للطاقة الكونية قدرات شافية[5]، ومن خلال التمكن من استقطابها وتوجيهها تتحقق القدرة على الإشفاء[6]. كما تُعد وفرة الطاقة في الجسم البشري

---

(١) انظر: العافية: ٥٦ - حسن البشل، وطاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور.
Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 95 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague
Taoism: Growth of a Religion: 33 - Isabelle Robinet

(٢) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 96 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

(٣) انظر: Taoism: Growth of a Religion: 106 - Isabelle Robinet

(٤) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 94 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafarague

(٥) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: 150 - edited by: Duncan S. Ferguson

(٦) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٥٨ - سوامي فشنو ديفانندا.

دليل على الصحة والنشاط، أما المريض فهو قليل الطاقة وضعيفها. ولذلك كان بإمكان الإنسان المعافى معالجة الآخر المريض بنقل الطاقة الزائدة من جسمه إلى جسم المريض بطرق محددة(١) كوضع اليد على العضو المصاب أو المنطقة التي يوجد بها الألم. ومن أسباب ضعف الطاقة عند المريض تعثرها أو انسداد مجاريها، فهي تجري في الجسم البشري من خلال مسارات محددة وعندما تنغلق هذه المسارات(٢) أو يتعثر سريان الطاقة فيها - لسبب أو لآخر - تكون النتيجة الحتمية لذلك التعثر هي المرض! وفي جل التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية يكون الهدف الرئيس هو استعادة توازن الطاقة وانسياب سريانها بطرق مختلفة تؤدي إلى تحسين الأوضاع الصحية والنفسية - وكذلك «الروحية» - للمريض، بل إنها تجعله حسن التصرف قادرًا على حل المشكلات(٣). ومن صور الاستشفاء بالطاقة ما سبقت الإشارة إليه من حيث الاتصال بالحقل الموحد، وذلك مبني على الذاكرة الحيوية في الحمض النووي (D.N.A) تستمد ذكاءها من ذلك الحقل الموحد، وأن انقطاع الاتصال به سبب في فقدان تلك الذاكرة، مما يتسبب في حدوث المرض، ولذلك كان لا بد من ربط الذكاء الحيوي في (D.N.A) بمصدره في الحقل الموحد(٤).

ومن فروع هذه الفلسفة وجود نوعين من الطاقة الكونية في الكون أحدهما: (تشي) إيجابية، والأخرى (تشي) سلبية، وبحسب توزيعها وتفاوتها في تكوين

---

(١) انظر: أسرار الطاقة: ١٥٥ - حكم الزمان، و
New Age Spirituality: An Assessment: 157 - edited by: Duncan S. Ferguson

(٢) يأتي تفصيلها لاحقًا بإذن الله تعالى.

(٣) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: (٥٨ - ٦٠) - كيكو ماتسوموتو وستيفن بيرش، والريكي للمبتدئين: إتقان تقنيات الشفاء الطبيعي: (٢١ - ٢٢) - ديفيد إف. فينلس، والشفاء بالطاقة الحيوية: ٣ - د. أحمد توفيق.

(٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: ١٩ - د. أحمد توفيق (بتصرف).

الإنسان تظهر آثارها على روحه وجسده. ولذلك كان من اللازم - عند من يؤمن بهذه الفلسفات - أن يتعلم الإنسان كيف يتخلص من الطاقات السالبة التي تجعله ميالا للشر وكيف يحصِّل الطاقات الموجبة التي تعينه على الخير.

لا يكتفي أتباع الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها المعاصرة في نسبتهم الشفاء إلى الطاقة الكونية فحسب، بل إنهم يزعمون أنه بإمكان الإنسان - عند زيادة مخزونه الطاقي - أن يحصل على قدرات خارقة تتجاوز الشفاء من الأمراض إلى عدم التأثر بالعوارض الكونية. فلا النار تحرقه، ولا لدغة الثعبان تسمُّ بدنه، فالطاقة - عندهم - مكنون ليس له حدود.

أما طرق استمداد الطاقة فتختلف باختلاف الأساليب العلاجية، ولعل أهمها هو العناية بالتنفس[1] حيث تستجلب الطاقة من خلال الهواء[2]. فالنَفَس الإيقاعي المنتظم يقوم بالشفاء عندما يوجه إلى العضو المريض. يُدفع هذا النفس بالفِكْر، ويسهل مساره عن طريق بعض الحركات الرياضية أو الضغط والتدليك. قد لا تعد هذه الممارسات (العناية بالتنفس والرياضة والتدليك.. الخ) من خواص الطاوية أو أي من الديانات الشرقية حيث أعطيت السمة اللادينية في العصور الحديثة. ولكن عندما تُقرن بالنفَس البدائي وتخصص بأجزاء محددة من الجسم لها أهمية خاصة في تلك الأديان فإنها تكون من الممارسات الدينية الخاصة الداخلة تحت النظرة الشرقية للإنسان والكون[3].

---

(١) لا بد من التنبه إلى أن قضية التنفس - في كثير من الأحيان - ليست مجرد تزويد للجسم بالأوكسجين أو وسيلة لتحصيل الاسترخاء المتعمق، بل تقترن بفلسفات الطاقة، وتعد وسيلة من وسائل الاتحاد بالكون.

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٥٧ - سوامي فشنو ديفانانداز

(٣) انظر: Taoism: Growth of a Religion: (107 - 108) - Isabelle Robinet

المطلب الثاني: فلسفة الأجسام السبعة والجسم الأثيري

تتبنى كثير من الديانات الباطنية فكرة وجود أجسام لطيفة غير مرئية إلى جانب الجسم المادي المحسوس، ومنها الطاوية وبوذية الـ (تانترا) وبعض الفرق الهندوسية[1]. وقد تبلور مفهوم هذا الجسم اللطيف في التطبيقات المعاصرة للفلسفات الشرقية فيما يعرف بالأجسام السبعة أو الهالة الطاقية، وهي - في هذا السياق - لا يمكن فهمها إلا مقترنة بفلسفة الطاقة الكونية (تشي)، حيث تعد صلة بينها وبين الجسم المادي. ومن خلال الصفحات التالية، ستتضح العلاقة الوثيقة بين الفلسفتين بإذن الله.

الهالة (Aura):

تستخدم كلمة «الهالة» في كثير من المؤلفات العربية للتعبير عن الجسم الطاقي اللطيف الذي يحيط بالجسم المادي، وقد أُطلِق عليه هذا الاسم نظرًا للتشابه بينه وبين الإطار الضوئي المحيط بالأجسام المشعة أو العاكسة للضوء[2]. وتعتبر هذه الهالة عند المعالجين بالطاقة «الوسيلة الوحيدة التي تصل الإنسان بعالم آخر على غير وعي منه، وتجعله يشعر أن له ذاتا عليا تختلف عن ذاته السفلى»[3]. و«من خلال الجسم الطاقي تُمتص الـ (پرانا) وطاقة الحياة (الطاقة الحيوية)، وتوزع على كل الجسد المادي»[4]. لذلك تُعد الهالة هي الواسطة والموصِّل بين المادي واللامادي، بين الإنسان وطاقة الكون.

يزعم مروجو علوم الطاقة أنه بإمكان بعض الناس - ممن يمتلكون

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: (٢٠١ - ٢٠٢) - غطَّاس الحكيم، و
New Age Spirituality: 110 - edited by: Duncan S. Ferguson

(٢) كما يقال: هالة القمر، أو هالة المصباح.

(٣) أسرار الطاقة: ١٨٦ - حكم الزمان.

(٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: ٣٥ - د. أحمد توفيق.

قدرات خارقة ومن لديهم المقدرة على إبصار غير المرئي - رؤية الهالة البشرية[١]، وقد وُصفت بأنها هالة بيضاوية الشكل تحيط بجسم الإنسان من جميع جوانبه، وتتكون من سبع طبقات (هي الأجسام السبعة) لكل واحدة منها لون مخصص. كما يمكن لمن لا يمتلك «قدرات خارقة» أن يرى الهالة وألوانها المختلفة بعينه المجردة من خلال القيام ببعض التمارين المحددة[٢]، أو عن طريق النظر في الصور التي يلتقطها جهاز **كيرليان** - السابق ذكره - والأجهزة المشابهة له[٣].

ويعتقد أن هذه الهالات الطاقية تتغير في اللون والحجم بحسب حالة

---

(١) يرى بعض الأطباء أن رؤية ما يشبه الهالات حول الأشياء المرئية قد يكون نتيجة لوجود بعض الأمراض المزمنة كالشقيقة، أو الصرع أو خلل عضوي في المخ أو اعتلال في العين كإرهاق الشبكية.
ومما يدل على عدم صحة هذه الرؤية المزعومة ما يلي:
١- اختلاف الرائين لهالة الجسم الواحد.
٢- أنه لا يمكن للرائي أن يرى الهالة عند عدم معرفته بوجود الجسم (كأن يكون في غرفة مظلمة لا يعلم عدد الأشخاص المتواجدين فيها، أو أن يكون الجسم خلف ستار لا يستطيع الرائي تمييز إن كان الجسم حيًا أم جمادًا).
٣- اعتماد الرائي على ما يراه من حال المرئي في تحليل الهالة (يذكر أحد أعضاء لجنة البحث العلمي في دعاوى خوارق العادات (CSIOP) أنه عند تحليل "هالته" في ورشة عمل خاصة بخوارق الطبيعة كان الرائي يشير إلى تغير الهالة عند استنشاق الهواء المشبع بالطاقة، بينما كان الرجل - في الحقيقة - يحبس نفسه لفترات طويلة رافعا صدره وكتفيه بشكل يوحي بالتنفس (!).
٤- أنها غير مرتبطة - كما يزعمون - بالحالة النفسية للشخص، وقد أثبتت بعض التجارب تناقض الألوان المرئية (بالتصوير أو بالعين المجردة) مع الحالات النفسية الموافقة لها.
انظر مقالة:
Aura Photography: A Candid Shot - Skeptical Inquirer Magazine: volume: 24 number: 3 - May June 2000

(٢) وهو الناتج - في الغالب - عن إرهاق الشبكية (retinal fatigue). وهو يشبه ما يراه الإنسان بعد التحديق في صورة ذات خلفية معتمة لمدة دقيقة تقريبًا، ثم نقل البصر إلى خلفية فاتحة.

(٣) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: ٥٣ - سليم بيك علاء الدين.

الإنسان الصحية والنفسية، وزاد بعضهم مستوى التدين من إيمان وكفر[1].

الأجسام السبعة:

تعتمد بعض التطبيقات الطبية المعاصرة ذات الأصول الشرقية على فكرة وجود أجسام سبعة تكوِّن طبقات الهالة الطاقية للجسم البشري. وقد كانت المعالجة **باربرا برينن** (Barbara Brennan)[2] من أبرز من تحدث عن هذه الأجسام بناء على ما ادعته من قدرات بصرية متميزة مكنتها من رؤية الهالة البشرية وطبقاتها. وقد قامت بوصفها وصفا دقيقا في كتابها (Hands of Light) الذي يعد مرجعا أساسًا لكثير مما ذكر عن الأجسام السبعة في المؤلفات الأخرى. فكان تقسيمها للجسم البشري كالتالي:

الجسم المادي: وهو الذي يتخذ الشكل المرئي المحسوس، وهو أكثر الأجسام كثافة وثقلا، وهو - وإن كان يمثل الطاقة في صورتها المكثفة - لا يعتبر جزءًا من طبقات الهالة الطاقية المكونة من سبع طبقات، كالتالي:

(١) **الجسم الأثيري** (الطبقة الأولى) (**Etheric Body**): وهو الذي يحيط بالجسد المادي مباشرة، ويعتبر نسخة منه حيث ينقسم إلى أجزاء

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٥٢، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: (٩٦ - ٩٨) - عبدالتواب عبدالله حسين، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك "من وجهة نظر إسلامية": ١١٦ - غادة المعايطة، وأسرار الطاقة: ١٨٥ - حكم الزمان، والشفاء بالطاقة الحيوية: (٢٣، ٣٠) - د. أحمد توفيق، وطاقة الكون بين يديك: ٤٠ - مهى نمور.

(٢) باربرا برينن: هي من أشهر المعالجين النفسيين في الولايات الأمريكية المتحدة، عملت كباحثة في وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) بعد نيلها درجة الماجستير في الفيزياء الجوية. وفي الخمسة عشر عامًا الماضية تفرغت لدراسة الحقل الطاقي البشري وعملت كباحثة في معهد العصر الجديد (Institute for the New Age)، ومن ذلك الوقت وهي تنشر مبادئها واعتقاداتها حول "الطاقة" في أنحاء مختلفة من العالم وتزعم أن لديها القدرة على رؤية غير المرئي. انظر:

Hands of Light: 1 - Barbara Brennan

وأعضاء مماثلة لتلك التي في الجسم المادي. يتكون الجسم الأثيري من الأثير الذي يعتبر حالة متوسطة بين الطاقة والمادة كما يسبق وجوده وجود الجسم المادي. ويمتد متعديا الجسم المادي بقليل، أي ما يقارب البوصة أو البوصتين. يتفاوت لون هذه الطبقة بين الأزرق الفاتح إلى اللون الرمادي[1].

(٢) **الجسم العاطفي** (الطبقة الثانية) (**Emotional Body**): وسمي بهذا الاسم لما يُعتقد من تعلقه بالعاطفة والشعور. ولا يتطابق هذا الجسم مع الجسم المادي فهو أكثر استدارة وضبابية. ويمتد متعديا الجسم المادي بثلاث بوصات تقريبًا.

(٣) **الجسم العقلي** (الطبقة الثالثة) (**Mental Body**): هذا الجسم أخف من الذي قبله، ويعتقد أنه يحوي بنية الإنسان الفكرية، وغالبًا ما يتلون باللون الأصفر الفاقع. يمتد من ثلاث إلى ثمان بوصات من الجسم المادي.

ترتبط الطبقات الثلاث السابقة بالعالم المادي المحسوس، أما بقية الطبقات فهي تتعلق بعالم روحاني مختلف، حيث يُعتقد أنه بإدراك الإنسان للطبقات العليا من جسمه اللامادي فإنه يكون باستطاعته أن يتواصل مع أناس وكائنات تحوم في تلك الطبقات بينما هي لا تمتلك أجسادًا مادية (!).

(٤) **الجسم الكوكبي** (الطبقة الرابعة) (**Astral Body**): وهذا الجسم هو المتعلق بما يحسه الإنسان تجاه الآخرين من محبة أو بغض، وهو المسؤول -

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢٩ - د. أحمد توفيق، والكامل في اليوغا: ٣٤٤ - سوامي فشنو ديفانندا.

في نظرهم - عن التجاذب أو التنافر التلقائي بين الناس مع انعدام المبررات الظاهرة. تمتد هذه الطبقة من نصف القدم إلى القدم حول الجسم المادي.

(٥) **جسم القالب الأثيري** (الطبقة الخامسة) (**Etheric Template Body**): يعد القالب الأثيري هو النموذج التخطيطي للجسم الأثيري والداعم له في حالات المرض. وفي هذه الطبقة يُعالج الخلل من خلال الصوت. يمتد هذا الجسم من القدم والنصف إلى القدمين عن الجسم المادي.

(٦) **الجسم القدسي أو السماوي** (الطبقة السادسة) (**Celestial Body**): هذه هي الطبقة العاطفية للمستوى الروحي، وهي مرحلة من النشوة الروحية التي يتوصل إليها الإنسان عند تحقيقه هذا المستوى من الوعي حيث يدرك ارتباطه بالكون كله ويشعر بوحدته مع الخالق(!). يظهر هذا الجسم على شكل أضواء متلألئة بألوان زاهية تمتد إلى ما يقارب الثلاث أقدام من الجسم المادي.

(٧) **الجسم السببي** (الطبقة السابعة) (**Causal Body**): وهي الطبقة العقلية للمستوى الروحي. ويزعمون أنه عندما يتوصل الإنسان بوعيه إلى هذا المستوى يعلم أنه والإله شيء واحد. هذا الجسم هو الشكل البيضاوي الخارجي للهالة البشرية، وهو محيط بجميع الأجسام المرتبطة بالتجسيد الذي يعيشه الإنسان في هذه المرحلة[1]. تمتد هذه الطبقة إلى ما قد يزيد على الثلاثة أقدام عن الجسم المحسوس[2].

---

(١) وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان قد يعيش في مظهر آخر في مراحل أخرى.

(٢) انظر: Hands of Light: (49 - 54) - Barbara



شكل (٩): يوضح الهالة البشرية وطبقاتها السبع

الجسم الأثيري:

يستخدم مصطلح «الجسم الأثيري» للدلالة على عدة معان متقاربة، منها:

١- ما ذكر آنفًا من كون الجسم الأثيري هو أقرب الأجسام إلى الجسم المادي.

٢- أنه جسم طاقي يحيط بالجسم المادي ويتكون من ثلاث هالات[١].

٣- أنه جسم غير مادي، يصل بين الروح والجسد، ويتصل بالجسم المادي عن طريق حبل فضي يسمى بالحبل السري الروحي في مقابل الحبل السري الذي يصل بين الجنين وأمه. وينقطع هذا الحبل تلقائيا عند حدوث الوفاة[٢].

قد تكون التعريفات السابقة هي صفات مختلفة لموصوف واحد، إلا أن الذي يظهر أن للمصطلح إطلاق عام يشمل الهالة كلها أو الطبقات الثلاث الدنيا منها، وإطلاق خاص يقصد به الطبقة الأولى من الهالة الطاقية.

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢٤ - د. أحمد توفيق.

(٢) انظر أسرار الطاقة: (١٨١ - ١٨٢) - حكم الزمان.

حقيقة الهالة وطبقاتها

رغم كل ما سبق ذكره عن هالة الطاقة البشرية وطبقاتها إلا أنه لا يوجد أي إثبات علمي موثَّق يدل على وجودها في الواقع سوى ما سبقت الإشارة إليه من جهاز كيرليان، والذي يعد مجرد سوء فهم للظواهر الطبيعية الثابتة علميًا وتفسيراتها(١).

ومع ذلك، فإنه لا يمكننا نفي إمكانية اكتشاف نوع من الطاقة البشرية أو الهالة حول الجسد في المستقبل، ولا يملك أحد إنكار هذه الاحتمالية فأمر الغيب لله. إلا أن مثل هذا الاكتشاف - المفترض - لا يمكن أن يجعل هذه الفلسفة الإلحادية مقبولة لدى المرء المسلم، حيث إن الإشكال ليس في عدم ثبوتها فقط، بل يتعدى ذلك إلى ما تحمله من أخطار على المعتقد سيأتي لاحقًا التفصيل فيها بإذن الله.

استخدامات الهالة في الطب

لقد تم توظيف فلسفة أجسام الطاقة في تطبيقات التداوي والعلاج، كما هو الحال في كثير من الفلسفات الشرقية الأخرى. فكثير من المعالجين «الروحيين» يعتقد بوجود هالة من الطاقة الروحية تحيط بجميع الأجسام الحية، يعكس هذا الجسم الطاقي الحالة الصحية للإنسان. ومن خلال مراقبة هذا الجسم يزعم المعالج أن بإمكانه تشخيص الأمراض وتمييز مواضع الأعضاء المعلولة في الجسم المادي. ومن وسائلهم في التشخيص ما يلي:

١- مراقبة قوة الأشعة وضعفها: حيث تكون الأشعة المنبعثة من العضو المعلول إما ضعيفة مما يدل على تقطع سريان الطاقة فيه، وإما شديدة القوة مستمرة الانبعاث مما يدل على احتقان الطاقة في ذلك العضو، وفي كلا الحالتين دليل على المرض وفقا لهذه الفلسفة.

(١) انظر: Spiritual Healing: 138 – Martin Doulby & Caroline

٢- تفحص ألوان الهالة: فإن للهالات ألوانا محددة تدل على الصحة والنشاط، وعندما يلاحظ المعالج تغييرًا في هذه الألوان إلى ألوان أخرى يستنتج أن العضو المقابل لهذا التغيير مصاب بالمرض، بل يزعمون أن المرض يظهر في الهالة قبل ظهوره في الجسم المادي. كما يظهر للمعالج مدى استعداد بعض الأشخاص للإصابة بأمراض معينة؛ نظرًا لاختلاف الهالات من شخص إلى آخر(١).

لا يقتصر دور الهالات في التطبيقات العلاجية المختلفة على تشخيص الأمراض وتحديد مواضع الخلل، بل إنها تلعب دورًا بارزًا في عملية الشفاء حيث يعتقد أنه بإمكان الشبكة الأثيرية الصحيحة «أن تنعش نظاما عصبيًا كاملًا، ويمكنها أيضًا ترميم وتنشيط الأنسجة المتعبة والمنهكة بصورة سريعة»(٢). ويُعتقد أن شفاء الجسم المادي تابع لشفاء الجسم الطاقي ومن خلال شفاء الأول يتحقق شفاء الثاني تلقائيا. لذلك عظم الاهتمام بالجسم الطاقي وطرق تنشيطه والمحافظة على حيويته(٣)، فالمعالج يقوم باستقطاب الطاقة الكونية ومن ثم شحنها في هالة المريض، كما يقوم بضبط التلوُّن في أنحاء الهالة ويزودها بالألوان المناسبة(٤)، لذا كان العلاج بالألوان من أهم الطرق العلاجية المتعلقة بالهالات(٥).

وللهالات دور وقائي كذلك، فهي تعمل - بزعمهم - على طرد السموم والجراثيم والطاقات السالبة والشريرة(٦)، إلا أن الوضع النفسي السيئ للإنسان

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: (٢٧ - ٢٩، ٣٧ - ٣٨) - د. أحمد توفيق، و Spiritual Healing: (133 – 136) – Martin Doulby & Caroline Mathison

(٢) الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢٧ - د. أحمد توفيق.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٤٠.

(٤) انظر: Spiritual Healing: 137 – Martin Doulby & Caroline

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٣٨.

(٦) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٣٩ - د. أحمد توفيق.

(كحالات الغضب أو الحزن) يؤدي إلى ضعف الهالات مما يسهل اختراقها[١].

تتعلق فلسفة الأجسام السبعة بفلسفة (يوغية) قديمة، حيث يرتبط كل واحد من تلك الأجسام بمركز من مراكز الطاقة أو ما يسمى الـ (شاكْرات)، حيث يتم الاتصال وتبادل المعلومات من خلالها هي ومسارات الطاقة[٢]، وهو ما سيتم الحديث عنه في المطلب التالي بإذن الله.

المطلب الثالث: فلسفة الـ (شاكرات) وخصائصها

الـ (شَاكْرَا) (Chakra - चक्र) في اللغة هي «كلمة سنسكريتية الأصل تعني عجلة»[٣]، أما في الفلسفة الشرقية فهي: مراكز للطاقة الروحية الكونية توجد في الجسم الطاقي، ولها مراكز مماثلة في الجسم، تعرف بشبكات الأعصاب[٤]

وينسب للـ (شاكرات) وظائف عديدة، منها:

١- تنشيط الأجسام الطاقوية ومن ثم الجسم المادي.

٢- إيصال الإنسان إلى مراحل متقدمة من الوعي.

٣- نقل الطاقة بين طبقات الهالة أو الأجسام الطاقية.[٥]

الـ (شاكرات) والنشأة الكونية:

يعتقد أتباع الـ (تانترا) البوذية أن الكون جاء إلى الوجود من خلال انقسام الواحد الكلي المعروف بالـ (براهمان) إلى مظهرين، أحدهما أنثوي والآخر

---

(١) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: ٥٣ - سليم بيك علاء الدين، وأسرار الطاقة: ١٨٦ - حكم الزمان.

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ٣٣ - مهى نمور، و

Hands of Light: 43 - Barbara Brennan Spiritual but Not Religious: 53. Fuller

(٣) المعالجة بالطاقة الحيوية: ٤٧ - سليم بيك علاء الدين.

(٤) الكامل في اليوغا: ٣٤٤ - سوامي فشنو ديفانندا (بتصرف يسير).

(٥) انظر: Hands of Light: (45 48) - Barbara

ذكوري، ويمكن العودة إلى الوحدة مع الـ (براهمان) من خلال عكس عملية التكوين الأولى بحيث يتحد المظهر الأنثوي بالمظهر الذكوري ليكون الناتج وحدة كلية هي الـ (براهمان). هذه الوحدة - وفقا لهذا المعتقد - هي سبيل النجاة من تكرار المولد وطريق الخروج من دوامة الـ (كارما).

هنا يأتي دور الـ (شاكرات) الموزعة على طول الجسم البشري، حيث يقبع المظهر الأنثوي للـ (براهمان) في أسفل العمود الفقري. يصعد هذا المظهر عبر مسار مخصص مارًا بمراكز الطاقة الـ (شاكرات) إلى أن يصل إلى أعلى تلك المراكز فيتحد مع المظهر الذكوري لينتج عن ذلك الـ (براهمان) أو الوحدة الكلية. وتجدر الإشارة إلى أنه يُعتقد أن التلميذ يكتسب شيئًا من القدرات الخارقة أثناء هذه العملية[1].

كما ترتبط بعض الأصوات (مانترا) بالـ (شاكرات) الموجودة في الجسم اللطيف، فقد كان «الصوت»[2] - وفقا للـ (بُورَانَات) - هو الوسيلة التي تحول بها الـ (براهمان) إلى الكون المحسوس[3].

خصائص الـ (شاكرات):

اختلفت المذاهب الشرقية في عدد الـ (شاكرات) الموجودة في الجسم، فعدها بعضهم ست (شاكرات)[4] وبعضهم خمس أو ثمان، إلا أن الأشهر - وهو المتبع في التطبيقات المعاصرة - هو كونها سبع (شاكرات)، ترتبط كل واحدة منها بلون

(١) انظر: الكامل في اليوغا: ٣٤٣ - سوامي فشنو ديفانندا، وفلسفة اليوغا: (٨ - ٩) - ب.ك ناريان، والحكمة الهندوسية: ١٥٣ - حلقة الدراسات الهندية، و
Hinduism: 53 – Cybelle Shattuck

(٢) وبالتحديد "أوم" Om.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: (٣٤٧ - ٣٥١) - سوامي فشنو ديفانندا.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٣٤٤.

وصوت (مانترا) محدد[١]، ولكل واحدة منها عنصر خاص بها وإله يشرف عليها[٢]، كما ترتبط كل واحدة من الـ (شاكرات) بأحد الأجسام السبعة[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الـ (شاكرات) «لا تمثل فقط الأجزاء المحددة من جسم الإنسان المادي، لكن أيضًا الأجزاء المحددة من وعي الإنسان»[٤]. ويتم ترتيبها من الأدنى إلى الأعلى، كالتالي:



شكل (١٠)

١- **(شاكرا) ال قاعدة أو الجذور (Root - मूलाधार)**: ترتبط هذه الـ (شاكرا) بعمليات التناسل، والوظائف الفيزيائية.

- الموقع: تقع أسفل العمود الفقري.
- اللون: الأحمر.
- الأحجار الكريمة: الياقوت.
- العنصر: الأرض.



شكل (١١)

٢- **(شاكرا) العجز (Sacrum - स्वाधिष्ठान)**: ترمز للسعادة والانفتاح على الآخرين، وتتعلق - بشكل عام - بالجانب العاطفي للنفس البشرية. كما أن لها ارتباطا بعمليات الهضم والجهاز الهضمي.

- الموقع: توجد خلف منطقة السرة.

---

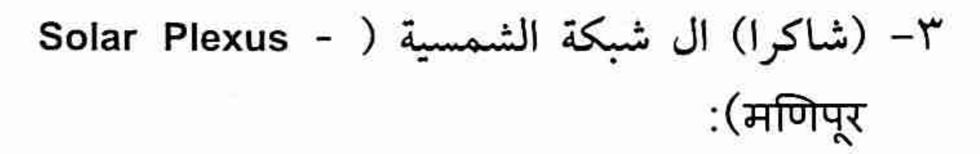
(١) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: ٤٨ - سليم بيك علاء الدين.

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: (٣٤٧ - ٣٥١) - سوامي فشنو ديفانندا.

(٣) انظر: Hands of Light: 43 - Barbara Brennan

(٤) المعالجة بالطاقة الحيوية: ٤٨ - سليم بيك علاء الدين.

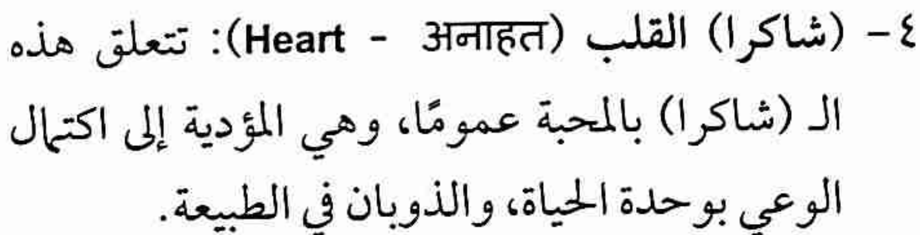
- اللون: البرتقالي.
- الأحجار الكريمة: المرجان، العقيق، الكهرمان.
- العنصر: الماء.

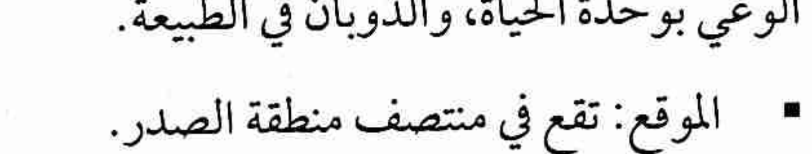

٣- (شاكرا) ال شبكة الشمسية (Solar Plexus - मणिपूर):

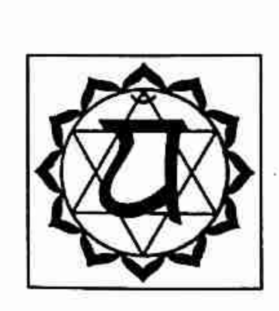

شكل (١٢)

وهي المتعلقة بالوضع العقلي والفكري للإنسان، وتسمى مركز السلطة. تمنح عند توازنها الشعور بالرضى والكمال والسلطة والحرية، وعند اختلال التوازن تسبب الخوف والغضب.

- الموقع: تقع في وسط الجذع على منطقة المعدة.
- اللون: الأصفر.
- الأحجار الكريمة: الكهرمان الأصفر.
- العنصر: النار.


٤- (شاكرا) القلب (Heart - अनाहत): تتعلق هذه الـ (شاكرا) بالمحبة عمومًا، وهي المؤدية إلى اكتمال


الوعي بوحدة الحياة، والذوبان في الطبيعة.


شكل (١٣)

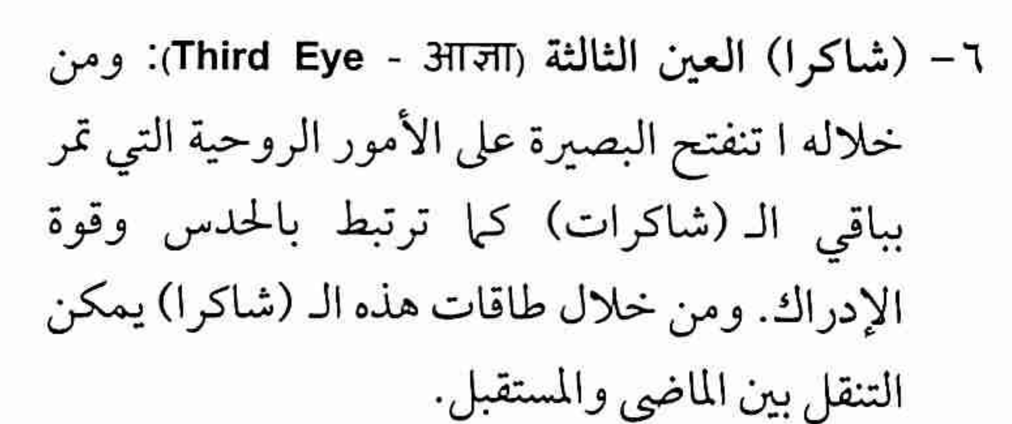
- الموقع: تقع في منتصف منطقة الصدر.
- اللون: الأخضر.
- الأحجار الكريمة: الزمرد.
- العنصر: الهواء.


شكل (١٤)

٥- **(شاكرا) الحنجرة (Throat - विशुद्ध)**: تتعلق (شاكرا) الحنجرة بإرادة أكثر ارتباطًا بالإرادة العليا، وتمثل قوة الكلمة وسلطة التعبير.

- الموقع: توجد في الجهة الأمامية من الرقبة.
- اللون: الأزرق.
- الأحجار الكريمة: الصفير والزمرد.
- العنصر: الأثير.


شكل (١٥)



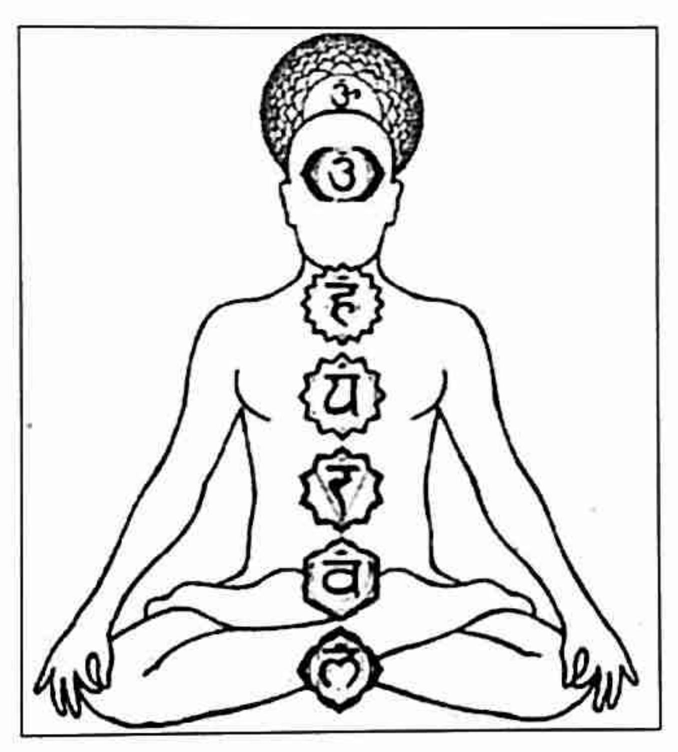
٦- **(شاكرا) العين الثالثة (Third Eye - आज्ञा)**: ومن خلاله ا تنفتح البصيرة على الأمور الروحية التي تمر بباقي الـ (شاكرات) كما ترتبط بالحدس وقوة الإدراك. ومن خلال طاقات هذه الـ (شاكرا) يمكن التنقل بين الماضي والمستقبل.

- الموقع: تقع بين الحاجبين
- اللون: بنفسجي أو نيلي
- الأحجار الكريمة: الجمست، والصفير الداكن
- العنصر: الوعي


شكل (١٦)

٧- **(شاكرا) التاج (Crown - सहस्रार)**: صلة الوصل بين الإنسان والقوة العليا والوعي الروحي، وهي مركز الإشراق ومحل المعرفة المطلقة بحقيقة الإنسان وتكوينه وأنه ليس إلا مظهرًا من مظاهر الإله.

- الموقع: تقع في قمة الرأس وأعلاه
- اللون: أبيض أو بنفسجي
- الأحجار الكريمة: الماس، الكوارتز البلوري الشفاف.
- العنصر: الكونية[1]



شكل (١٧): يوضح أماكن الـ (شاكرات) في الجسم البشري

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من الـ (شاكرات) السبع الرئيسية فإن ثمة ٢١ (شاكرا) فرعية تستخدم بكثرة في العمليات العلاجية[2].

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: (٣٦ - ٣٩) - مهى نمور، والكامل في اليوغا: (٣٤٧ - ٣٥١) - سوامي فشنو ديفانندا، والمعالجة بالطاقة الحيوية: (٤٩ - ٥٠) - سليم بيك علاء الدين، وفلسفة اليوغا: (١٥ - ٢٣) - ب.ك نارايان، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتيك "من وجهة نظر إسلامية": (١١٢ - ١١٣) - غادة المعايطة الدلابيح، و

Hands of Light: 43 - Barbara Brennan

Spiritual Healing: (145 – 147) – Martin Doulby & Caroline Mathison

(٢) انظر: Hands of Light: 44 - Barbara Brennan

ورغم أن فلسفة الـ (شاكرات) هي في الأصل هندية المنشأ، إلا أنها اختلطت مع الفلسفات الصينية في تطبيقاتها المعاصرة، فأصبحت الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة والـ (شاكرات) من السمات البارزة لتلك الطرق العلاجية المستمدة من الشرق دون تفريق بين ما كان من أصل هندي وما كان أصله من الصين. ومع ذلك، فإن في الطب الصيني مبدأ مشابه للـ (شاكرات) الهندية حيث يُعتقد بوجود ما يسمى بـ «مراكز للطاقة»، وهي أماكن تعتبر مخازن للطاقة تقوم بإمداد الجسم بها. وكلما زادت كمية المخزون الطاقي المتوفر للاستخدام كلما تمتع الشخص بالصحة الجيدة والقدرات العالية[1]. وهي «متوزعة على الرأس والصدر وأسفل البطن... وتستخدم كنقاط هامة في العلاج في جميع فروع الطب الصيني»[2].

مسارات (قنوات) الطاقة (Meridians):

تعتبر مسارات الطاقة بمثابة الأوعية الدموية في الجسم المادي، فهي أوعية دقيقة وغير مرئية تجري من خلالها الطاقة الكونية (تشي) أو (پرانا) لتغذي الجسم وتنشطه وتنميه. وتسمى هذه المسارات في فلسفة الـ (يوغا): نادي (Nadis)[3]. وبينما تعد الـ (شاكرات) محطات تمد الهالات بالطاقة، فإن المسارات هي الوسائل التي تنتقل عبرها هذه الطاقة[4].

ومن هذا المنطلق، فإن «صحة الإنسان ومرضه يتوقفان كثيرًا على مدى توازن وانسياب الطاقة الحيوية خلال قنوات الطاقة بالجسم، وتعثر هذا الانسياب

---

(١) انظر: العافية: ٨٦ – حسن البشل.

(٢) المرجع السابق: ٨٦، وانظر: طاقة الكون بين يديك: (٢٤ – ٢٥) – مهى نمور.

(٣) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٣٥ – د. أحمد توفيق، والعافية: ٦١ – حسن البشل، ومبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ٢٤ – مروان الجبآن.

(٤) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك "من وجهة نظر إسلامية": ١١١ – غادة المعايطة الدلابيح.

يعني بالضرورة حدوث المرض»[١]. ويزعم المعالجون بالطاقة أنه بإمكان المعالج - من خلال تفحص المسارات - أن يحدد إمكانية وجود مشكلة في العضو المرتبط بالمسار[٢] ومن ثم يسعى لعلاجه بتوجيه الطاقة عبر ذلك المسار عن طريق القيام بتدريبات خاصة تساعد على سريان الطاقة فيه وتقوي من تدفقها[٣].

المسارات في الطاوية:

يعود تأريخ مسارات الطاقة في الجسم البشري إلى زمن **الإمبراطور الأصفر**[٤]، حيث جُعل للإنسان اثنتا عشرة قناة أساسية، وسميت كل قناة باسم العضو الذي يرتبط بها. ستة من هذه القنوات لها خصائص (ين) بينما الأخرى لها خصائص (يانغ)، وللقنوات الأساسية خمسة عشر قناة قرينة، بالإضافة إلى ثمان قنوات استثنائية تتدفق من خلالها (تشي) الكونية. ثم إن لهذه القنوات فروعا كثيرة شاملة للجسد بأكمله. كما توجد ٣٦١ نقطة على هذه القنوات يستخدمها المعالجون لتنشيط تدفق الطاقة الكونية بطرق متنوعة، من أشهرها طريقة الوخز بالإبر[٥].

ويعتقد أن كلًا من السماء والأرض تسيطر على قنوات الطاقة الاثنتي عشرة، حيث تستمد قنوات الـ (ين) الطاقة من الأرض بينما قنوات الـ (يانغ) تستمدها من السماء[٦].

---

(١) مبادئ العلاج بالطاقة: ١٠٢ - عبدالتواب عبدالله حسين، وانظر: المساج بدون لمس: ٨ - إ. كوبيتوف.

(٢) انظر: العافية: (٦١، ٨٣ - ٩٠) - حسن البشل.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٦٢.

(٤) انظر: كتاب الطب الصيني: ٣٠ - ترجمة: محمد يوسف شهاب.

(٥) انظر: المرجع السابق: (٣٠ - ٣٤)، والعافية: ٦٤ - حسن البشل، ومبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ٢٤ - مروان الجبّان، والعلاج بالإبر الصينية: (١١١ - ١١٤) - صباح أحمد جمال الدين، والعلاج بالضغط طريق إلى الصحة: (٢٩ - ٣٩) - أيونا مارسا تيجواردن.

(٦) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٩ - مهى نمور.

مسارات الطاقة في فلسفة الـ (يوغا) الهندية:

يوجد - حسب هذه الفلسفة - ٧٢,٠٠٠ «نادي» لنقل الـ (پرانا) خلال الجسم الأثيري، عشرة منها أساسية[١]، منها مساران على جانبيه الأيمن والأيسر، يسمى أحدها (إدا) (Ida - इडा) والآخر (بنغالا) (Pingala - पिङ्गल)، كما يوجد نادي الـ (سوشنما) (Sushumna) في العمود الفقري. تتدفق الطاقة الكونية (پرانا) من خلال الـ (إدا) والـ (بنغالا) في جميع الأوقات التي ينهمك فيها الإنسان في النشاطات الدنيوية المختلفة، ولكن الهدف الذي يسعى الـ يوغي إلى تحقيقه هو تنشيط نادي الـ (سوشنما)، فمسارَي الـ (إدا) والـ (بنغالا) تُبقيان الإنسان تحت تأثير الزمان والمكان أثناء عملها، أما نادي الـ (سوشنما) فتنشيطه يجعل المرء يتعدى حدود الفكر والزمان. ولذا كان هو أهم الـ نوادي[٢] حتى سمي بـ نادي براهما أو الطريق نحو الخالق[٣].

ينسب إلى مسارات الطاقة القيام بعدة وظائف، منها:

١- نقل الطاقة داخل الجسم.

٢- ربط جميع أجزاء الجسم ببعض.

٣- موازنة خصائص الـ (ين) والـ (يانغ).

٤- تشكيل جهاز دفاعي لحماية الجسم.

٥- نقل العوارض العلاجية أو المرضية داخل الجسم[٤].

---

(١) انظر: الكامل في اليوغا: ٣٤٤ - سوامي فشنو ديفانندا، وفلسفة اليوغا: ١٢ - ب.ك نارايان.

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: ٣٤٤ - سوامي فشنو ديفانندا.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٣٤٥.

(٤) العافية: (٦٣ - ٦٤) - حسن البشل (مختصرا).

المبحث الثالث

وحدة الوجود

ظهر الميل نحو وحدة الوجود (Pantheism) في كثير من المذاهب الفلسفية الشرقية والغربية قديمها وحديثها، وهو تعبير عن اختزال الوجود في موجود واحد يختلف باختلاف القائلين به. ظهر هذا المذهب الفلسفي؛ نتيجة إقحام الفكر البشري فيما لا يُحسن مع غياب نور الوحي وهَدْي النبوة. وهو - بلا شك - من أبرز معالم الفلسفات الشرقية القديمة التي تأثرت بها كثير من الطرق العلاجية البديلة المعنية بهذا البحث. ولذلك سأبدأ هذا المبحث بالتعريف بوحدة الوجود عمومًا ليتضح للقارئ مدى خطورة هذا المذهب الإلحادي، ثم أوضح ارتباطه بالفلسفات الشرقية، وخاصة ما كان منها متعلقًا بالتطبيقات العلاجية لتلك الفلسفات.

أولًا: وحدة الوجود في اللغة والاصطلاح

الوَحدة في اللغة:

الوَحدة مصدر، أصله: وحَّد، أي: جعله واحدًا. و«الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد»[(١)]، «والواحد بُني على انقطاع النظير وعَوَزِ المثل»[(٢)]. «ومتوحد، أي: منفرد»[(٣)]، و«الوَحدة: الانفراد»[(٤)].

فالمعنى دائر حول الانفراد وعدم الكثرة.

---

(١) مقاييس اللغة: ٦/ ٩٠ - ابن فارس.

(٢) لسان العرب: ١٥/ ٢٣١ - ابن منظور.

(٣) المرجع السابق: ١٥/ ٢٣١ - ابن منظور، وانظر: القاموس المحيط: ٤١٤ - الفيروز آبادي.

(٤) مختار الصحاح: ٢٩٦ - الرازي، وانظر: القاموس المحيط: ٤١٤ - الفيروز آبادي.

الوجود في اللغة:

الوجود: مصدر أصله وَجَد. «وهو لغة يطلق على الذات»[١].

«ووُجد: من العدم - كعُنِيَ - فهو موجود، ولا يقال: وجده الله تعالى، وإنما يقال: أوجده»[٢]. فالوجود هو الثبوت والحصول ومعناه مقابل للعدم.

أما تصور الوجود فهو «أمرٌ يُدرك بالبديهة، ولا تزيده التعريفات الموضوعة له إلا غموضًا، لأن معناه أعرف عند الناس من جميع تعريفاته»[٣].

وحدة الوجود:

وَحدة الوجود هو مركب لفظي يحمل مفهومًا اصطلاحيًا يمكن توضيحه من جهتين أساسيتين:

١- **وحدة الوجود عند من يؤمن بوجود الإله:**

ويمكن تلخيص هذا المذهب في قولهم: إن الإله والعالم حقيقة واحدة، فالإله هو الموجود الحق ولا موجود سواه. أما ما عداه فهي أعراض ومظاهر أو مجرد تجليات وفيوضات مستمدة منه[٤]. فالإله هو كل شيء وكل شيء هو الإله[٥]. وهؤلاء هم - في الغالب - من الذين ينتسبون إلى الأديان ذات الأصول السماوية، حيث لا يستطيعون التنصل من فكرة «الإله» المتأصلة في الدين، وفي الوقت ذاته يعتقدون فيه اعتقادات تناقض أبسط مبادئ الربوبية. ومنهم - كذلك - أتباع بعض المذاهب الهندوسية والديانة الطاوية التي

---

(١) الكليات: ٩٢٤ - أبو البقاء الكفوي.

(٢) القاموس المحيط: ٤١٤ - الفيروز آبادي.

(٣) وحدة الوجود عند الصوفية: ١/ ٢٤ - د. أحمد القصيِّر.

(٤) المعجم الفلسفي: ٢١٢ - مجمع اللغة العربية (مختصرًا).

(٥) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 360043

تعتقد بإله أو بآلهة متعددة[١]. إلا أن الإله الذي يعترف به القائلون بوحدة الوجود هذه لا يحمل المعنى الذهني المتبادر عند إطلاقه، فمفهومهم للإله مختلف عنه تماما، وعندما يقولون: الإله والكون واحد، فالمراد (بالإله) مبدأ متجاوز لا شخصي، وهو ليس ذاتًا مستقلة قائما بنفسه مباين لخلقه[٢]، وإلا لما أمكن القول بأنه متوحد مع الكون نظرًا لامتناع ذلك عقلًا.

لقد تحولت الفكرة عن الإله من رب خالق معبود منزه عن صفات المخلوقين إلى وجود مطلق متجل في تلك المخلوقات ومتجسدٍ فيها. وقد تفرع عن هذا القول قولان:

- إن الموجود الحق هو الإله وأن العالم ليس إلا مظهرًا لذلك الوجود.
- إن العالم هو الموجود الحق، وأن الإله ليس سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم[٣].

٢- وحدة الوجود عند من لا يؤمن بالإله:

وهؤلاء رغم اشتراكهم مع من ذكرنا في أساسيات المذهب، إلا أنهم لا يجعلون الموجودات صورًا أو تجليات لـ «إله»، فالإله يحمل من معاني القدسية والعبودية ما لا ينطبق على المطلق الكلي في المذاهب الإلحادية. ومع ذلك، فإن الإله عند أولئك لا يكاد يختلف عن مطلق هؤلاء إلا في التسمية.

---

(١) قد تكون هذه الآلهة هي مظاهر مختلفة لمبدأ كلي مطلق، أو تجليات لإله واحد يحمل نفس صفات المطلق.

(٢) انظر: Pantheism: A Non-Theistic Concept of Deity: 27 -Michael P. Levine

(٣) المعجم الفلسفي: ٢/ ٥٦٩ - د. جميل صليبيا (بتصرف)، وانظر:

The Columbia Encyclopedia: 36043

ولا فرق بين هذا القول وبين قول من لا يقر بالإله، إلا أن هذا يستخدم لفظ "الإله" ليعبر عن معتقده الإلحادي. وهي محاولة فاشلة للتوفيق بين الدين الذي يعترف بإله والمذاهب المادية المنكرة له.

والمقصود: أن وحدة الوجود هو تعبير عن «أيِّ نظريةٍ تقول بوجود جوهر واحد فحسب، أو عالم واحد، أو أن الواقع الخارجي واحد بمعنى ما، أي أنه لا يتغير ولا ينقسم ولا يتمايز»[١]، فهو مذهب يشمل كل من يعتقد أن العالم ليس إلا حال أو جزء أو مظهر للواحد الكلي أو الكائن المطلق الذي ليس له وجود منفصل عنه[٢].

وعلى كل الحال، فإن الاعتقاد بأنه ما ثمة إلا وجود واحد هو المراد بوحدة الوجود، بغض النظر عن ماهية هذا الموجود وحقيقته. ولكني أحببت أن أشير إلى هذا الخلاف الذي هو - في نظري - صوري، لئلا يُظن أنه اختلاف معتبر.

ثانيًا: مذاهب القائلين بوحدة الوجود في طبيعة العالم

اختلفت نظرة القائلين بوحدة الوجود لمفردات الكون الظاهرة أو ما يُعرف بـ«العالم» - بعد أن اتفقوا على أن الوجود الحق واحد - إلى عدة أقوال، منها:

(١) نفي العالم:

ويرى أصحاب هذه الفكرة أن الطبيعة وجميع أشكال الوجود ما هي إلا أوهام وخيالات ووجودها وجود ذهني، ولذلك اعتُبرت الموجودات صورًا عقلية للإله - لمن يعتقد بوجوده - أو الجوهر الكلي لمن لا يؤمن بالإله[٣]. وهذا هو

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة: ٥٣٤ - إشراف: د. زكي نجيب محفوظ،
وهذا الذي أثبته هو تعريف للواحدية، وهي لفظة تطلق على مذهب "وحدة الوجود" أحيانًا (انظر: المعجم الفلسفي: ٢٠٩ - مجمع اللغة العربية، والمعجم الفلسفي: ٢/ ٥٧٠ - جميل صليبيا).
ورغم أن الواحدية تستخدم غالبًا في الفلسفة الغربية المعاصرة ولها عندهم مدلول خاص قد لا تنطبق تفاصيله مع جميع مذاهب وحدة الوجود، إلا أن التعريف الوارد في الموسوعة لا يعبر عن هذه الخصوصية، فرأيت إثباته كتعريف لمذهب وحدة الوجود بشكل عام.

(٢) انظر: Dictionary of Philosophy and Psychology: 2/256 - edited by: James Mark Baldwin

(٣) انظر: فلسفة وحدة الوجود: ١٦ - د. حسن الفاتح قريب الله، ومجموع الفتاوى: ٢/ ١٧٠ - ابن تيمية.

رأي الهندوسية غير الثنوية التي تعتبر العالم (مايا) أو وهم، وليس ثمة إلا حقيقة واحدة هي الـ (براهمان)[١]. أما بالنسبة للطاوية، فالذي يظهر أن **شوانغ تزي** لا يرى أن الموجودات وهم، وإنما هي متوحدة في النوع والجوهر[٢].

(٢) إثبات العالم كعين وجود الـ «واحد»[٣]:

فالعالم - وفقًا لهذا الرأي - موجود حقيقة، وليس وهمًا، ولكنه عين وجود الخالق[٤] أو المطلق. إن هذه الـ لاثنوية «هي أبرز سمة تميز البوذية الـ مهايانا. فالحقيقة المطلقة واحدة، وليست اثنتين في الفكر البوذي»[٥]. كما أن الـ (أتمان) هو ذات الـ (براهمان) في الهندوسية[٦].

(٣) إثبات العالم كصور ومظاهر للـ «واحد»

وقد أفردته لكثرة التعبير به دون تفصيل في كل من الـ براهمانية[٧] والبوذية[٨]، وإلا فإنه - عند التحقيق - لا بد أن يرجع إلى أحد القولين السابقين. وخلاصة هذا القول أن الوجود واحد والكثرة ظاهرية حيث إن العالم ليس إلا مظهرًا من مظاهر «الواحد» المطلق[٩]. ثم إن هذه المظاهر والصور قد تعتبر ذهنية، فيُلحق

---

(١) انظر: الفكر الشرقي: ٣٥ - د. يونج شوون كيم.

(٢) انظر: كتاب التاو: ٢٤ - هادي العلوي.

(٣) سأستخدم لفظ "الواحد" للتعبير عن المبدأ الكلي الذي هو الإله عند بعضهم والحقيقة المطلقة عند الآخرين اختصارا.

(٤) انظر: فلسفة وحدة الوجود: (١٧ - ١٨) - د. حسن الفاتح قريب الله، ومجموع الفتاوى: ٢/ ١٤٠ - ابن تيمية.

(٥) الفكر الشرقي: ٧١ - د. يونج شوون كيم.

(٦) انظر: الفكر الشرقي القديم: ٣٢ - جون كولر.
والـ (أتمان) هو حقيقة الذات الفردية وهو يختلف نظريا عن "العالم" المذكور في الفقرة السابقة.

(٧) انظر: المعجم الفلسفي: ٢/ ٥٦٩ - د. جميل صليبيا.

(٨) انظر: الفكر الشرقي: ٧١ - د. يونج شوون كيم، و
Pantheism: A Non-Theistic Concept of Deity: (14 - 15) -Michael P. Levine

(٩) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: ٥٣٥ - إشراف: د. زكي نجيب محفوظ.

هذا القول بالقول بنفي العالم. وقد تعتبر المظاهر هي عين «الواحد» فيُلحق بذلك الرأي. والغالب في الفلسفات الشرقية القول بأن هناك فرقا بين المظهر والحقيقة[١].

(٤) النظرة الثنائية النسبية للوجود:

وهنا نجد اعترافًا بثنائية الوجود، بحيث يعتبر وجود العالم مفارقًا لوجود الإله ابتداءً، ولكن لما كان «الإله» متحدًا بالعالم اتحادًا لا يمكن معه التمايز، أو حالًا فيه حلولًا مفضٍ إلى الاتحاد، كان هذا القول - في حقيقته - قولا بوحدة الوجود. فإنه مع هذا القول لا يمكن تعيين وجودين متباينين في الواقع، لأن الوجودان امتزجا واختلطا حتى أصبحا وجودًا واحدًا. وهذا هو قول الهندوسية الثنوية، حيث يرون أن «هذا العالم حقيقة مؤقتة ومشروطة»[٢]، ووجوده حقيقي كوجود الإله[٣].

وهذا القول - رغم خطورته - إلا أنه يعد أقل كفرًا من القولين السابقين، فهو يعترف بوجود للإله متميز عن وجود العالم، وإلا لما أمكن أن يحل فيه أو يتحد به. ولذلك قيل في الاتحاد أنه: «تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدًا»[٤] وقيل: «الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا لاتصال نهايات الاتحاد»[٥]. أما الحلول، فيطلق على معنيين:

١- «**الحلول السرياني**: (وهو)[٦] عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون

---

(١) وهنا يكون المظهر إما وهما وإما متحدًا بالمطلق.

(٢) الفكر الشرقي: ٣٥ - د. يونج شوون كيم.

(٣) انظر: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٤) كتاب التعريفات: ٨ - علي الجرجاني.

(٥) المرجع السابق: ٩، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢/ ٣٨٧.

(٦) زيادة من الباحثة يقتضيها السياق.

الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالًا والمسري محلًا»، وهو الذي يصح إلحاقه بوحدة الوجود.

٢- «**الحلول الجواري**: (وهو)[١] عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر، كحلول الماء في الكوز»[٢]. وهذا مع بطلانه الظاهر في حق الإله، إلا أنه لا يفضي إلى القول بوحدة الوجود.

(٥) أن العالم جزء من الإله:

وهذا المذهب هو المعروف بمذهب: «الكل في الإله» (Panentheism)، وهو «محاولة للجمع بين الاعتقاد بوجود إله ووحدة الوجود، والاعتقاد بأن الإله ليس هو العالم ولا هو خارج عنه، بل إن العالم في الإله، بينما يتجاوز هو حدود العالم»[٣].

يتضح من العرض السابق أن اختلاف الأقوال في طبيعة العالم ليس اختلافا جوهريا يؤدي إلى اختلاف في الحكم أو النتائج، فرغم تفاوت الأقوال في الغلو إلا أن المحصلة في النهاية واحدة، وهي إنكار وجود إله قائم بذاته مستقل بصفاته بائن من خلقه ليس مختلطا ولا حالا بهم. وهذا القول - بغض النظر عن التفاصيل - هو كفر بالله لا يصح معه إيمان.

ومن الغريب أن كثيرًا ممن يعتقدون بوحدة الوجود - ومنهم أتباع الديانات الشرقية - يسعون في الوقت ذاته إلى الاتحاد بـ «الواحد» الذي يعتقدون به. ولا

---

(١) كالسابق.

(٢) كتاب التعريفات: ٩٢ - علي الجرجاني، وانظر: مجموع الفتاوى: ١/ (١٧١ - ١٧٢) - ابن تيمية.

(٣) Dictionary of Philosophy and Psychology: 2/255 - edited by: James Mark Baldwin

وانظر: An Encyclopedia of Religion: 557 - edited by: Vergilius Ferm

Dictionary of Philosophy and Psychology: 2/255 - edited by: Baldwin

شك أن في ذلك تناقضًا فاضحًا لا يقبله عقل سليم، إذ كيف يسعى الإنسان إلى الاتحاد بما هو واحد معه أصلًا؟![1] ولا يمكن التوفيق بين هذا وذاك إلا بأن يفسر الاتحاد بأحد أمرين:

- أن يكون المراد بالاتحاد هو «ممارسة» الوحدة من خلال التجربة الذاتية والإحساس بها.
- أو أن يراد به «إدراك» الوحدة الموجودة أصلًا[2].

وهي- على كل حال - تبريرات ضعيفة لمذهب متهالك من أساسه. قال **شيخ الإسلام**[3] رحمه الله تعالى: «إن تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده، لا يحتاج - مع حسن التصور - إلى دليل آخر. وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم - أيضًا - لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه. ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم، وإنما ينتحلون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه».[4]

---

(١) انظر: الفكر الشرقي: ٤٠ - د. يونج شوون كيم، وراجع صـ: (١٠٠-١٠٣) من هذا البحث.

(٢) انظر: تاريخ التصوف الإسلامي: ٢٢ - د. عبدالرحمن بدوي.

(٣) **شيخ الإسلام**: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام المشهور بابن تيمية الحراني ثم الدمشقي. كان فقيهًا مجتهدًا حافظًا مفسرًا أصوليًا مجاهدًا، شيخ الإسلام فريد زمانه. ولد في حران عام ٦٦١ هـ، تربى في بيت فضل وعلم وأفتى ولم يكمل العشرين عامًا. كان - رحمه الله - علمًا في العلم، متصديًا لأهل البدع والضلال فلقي من ذلك أذى كثيرًا. له مؤلفات كثيرة في فنون متعددة، منها: درء تعارض العقل والنقل، والجواب الصحيح، والنبوات وغيرها كثير. ومن أشهر تلاميذه الإمام الذهبي وابن القيم وابن كثير رحمهم الله. توفي في عام ٧٢٨ هـ في قلعة دمشق التي كان محبوسًا فيها، فصلى على جنازته خلق كثير، وعم الحزن البلاد. انظر:
العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: مواضع متفرقة، والبداية والنهاية: ٩/ (٤٠٥ - ٤٠٨) - ابن كثير.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢/ ١٣٨ - ابن تيمية.

ثالثًا: وحدة الوجود في الفلسفات الشرقية

لقد سبقت الإشارة - في الفصل الأول - إلى أبرز أصول الديانات الشرقية والتي من أهمها الاعتقاد بوحدة الوجود. فالطاوية هي من أبرز الفلسفات التي تمثل وحدة الوجود بشكل كامل، حيث اختُزِل الوجود كله في الـ (طاو)[١]، بينما تمثَّل هذا الاعتقاد في الهندوسية بمبدأ الـ (براهمان)[٢]، كما نجد الاعتقاد بـ «المطلق» في البوذية كذلك[٣] وخاصة بوذية الـ (تانترا)[٤]. ثم إن أسمى أهداف تلك الفلسفات - دون منازع - هو تحقيق الاتحاد بالـ (طاو)[٥] أو الـ (براهمان)[٦] أو الحقيقة الكلية البوذية[٧].

ومع ذلك، فإن الحديث عن هذه الديانات ليس المقصود من هذا البحث، فهي باطلة من أساسها، قد اجتمعت فيها من عناصر الكفر والإلحاد ما لا يخفى على أحد. لكن الذي يهمنا منها هو ما كان له أثر في الطرق العلاجية «البديلة» التي بدأت تغزو العالم الإسلامي بقوة في السنوات الأخيرة. ولذلك كان التركيز على الفلسفات المتعلقة بتلك التطبيقات المعاصرة[٨].

ومما لا شك فيه، أن الفلسفات الاستشفائية المتفرعة عن الديانات الشرقية، تَحمِلُ ذات الطابع الذي تحمله تلك الديانات من حيث الأهداف والمقاصد الرئيسية. ولذا كان الفناء والاتحاد بالمطلق هو الهدف الأسمى لتلك الفلسفات،

---

(١) انظر: Pantheism: A Non-Theistic Concept of Deity: 25 -Michael P. Levine

(٢) راجع صـ: (٥٤-٥٧) من هذا البحث.

(٣) راجع صـ: ١٣٩ من هذا البحث.

(٤) انظر: الحكمة المجنونة: ٨٥ - تشوجيام ترونجبا.

(٥) راجع صـ: (١٠٥-١٠٦) من هذا البحث.

(٦) راجع صـ: (٦٦-٦٨) من هذا البحث.

(٧) راجع صـ: (١٤٥-١٤٨) من هذا البحث.

(٨) وهي التي أشرنا إليها في المبحثين السابقين.

وإن كانت تتبنى أهدفا ثانوية هي دون الهدف المطلق تحققها في أثناء مسيرها إلى تحقيقه.

الـ (ين يانغ) ووحدة الوجود[1]:

تعتبر فلسفة الـ (ين يانغ) الطاوية أحد الصور المعبرة عن مذهب وحدة الوجود بشكل جلي، ويظهر ذلك من خلال جوانب عدة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١- جاءت فلسفة الـ (ين يانغ) «في جوهرها ردًا على السؤال الخاص بأصل الكون»[2]، وقد كانت الإجابة - وفقًا لهذه الفلسفة - بالتولد والفيض من الـ (طاو) حيث لعب القطبان الـ (ين يانغ) الدور الرئيسي في تولُّد الموجودات من الـ (طاو)، وتتشكل مفردات العالم المادي من فعلهما المتبادل بشكل ارتدادي مستدير والتقدم إلى نحو موقع جديد يعني الارتداد إلى الموقع السابق، وهكذا يستمر الوجود على وتيرة واحدة لا جديد فيها. والكون الطاوي متشابه لا يُنتج إلا نفسه[3]. وعلى ذلك، فإن الكون - بموجوداته - ليس منفصلًا عن مصدره الأصلي بل هو جزء لا يتجزأ منه. ويرى بعض الطاوية أن القول بأن الأشياء تنتج عن الـ (طاو) هو قول بأن الأشياء تنتج عن نفسها وتنبثق من ذاتها[4]. إن العلاقة بين الـ (طاو) والعالم يُنظر إليها انطلاقًا من رؤية وحدة وجودية، فالـ (طاو) مماثل للطبيعة، وفي الطاوية ينظر إلى جميع الأشياء «كشيء واحد، والواحد هو الـ (طاو)، كل الأشياء نشأت من الـ (طاو)

---

(١) راجع صـ: (١٢١ - ١٢٤) من هذا البحث.

(٢) الفكر الشرقي القديم: ٣٣٨ - جون كولر.

(٣) كتاب التاو: (٢٠ - ٢١) - هادي العلوي (بتصرف).

(٤) انظر: كتاب التاو: ٢٧ - هادي العلوي، وتيارات الفلسفة الشرقية: ٦١ - محمد حسن.

وإليه ترجع، وهو الواحد»[١].

٢- أن الـ (ين يانغ) ليست سوى صورا لـ (طايجي)، وكل ما في الوجود هو من تجليات الـ (ين يانغ). فالنتيجة: أن كل ما في الكون هو الـ (طايجي)، وأن ليس ثمة إلا وجود واحد. ولذلك يقول **جورج أوشاوا (GeorgeOhsawa)**[٢]: «بأن عالمنا ووجودنا والحياة ليست إلا شرارة أطلقها احتكاك نشاطي (ين) و(يانغ) من قلب الـ (طايجي)... ووجودنا المادي يبدأ ما إن يتم استقطاب الـ (طايجي)[٣]... ثم ينتهي كل ذلك في اتحاد جديد، إلا أن وجودنا الروحي لا ينفك عن الوجود، إنه (طايجي) نفسه... (طايجي) ونحن الكائنات، لسنا سوى واحد. وهنا تكمن ذهنية الإيمان (!)»[٤]. إن فلسفة الـ (ين يانغ) وكثير من الفلسفات الشرقية توحي لتابعها بأنه «يكشف اللثام عن روحه الأصيلة، وطبيعته السامية المرتبطة بالذات العليا»[٥].

٣- ووفقا لهذا الفلسفة، تصنف الموجودات إلى (ين) و(يانغ)، بينما الـ (ين يانغ) هما وجهان لعملة واحدة[٦]، وهما في النهاية شيء واحد. ولذلك

---

(١) الفكر الشرقي: ١١٩ - د. يونج شوون كيم.

(٢) **جورج أوساوا**: واسمه الحقيقي هو يوكي ساكورازاوا (Joichi Sakurazawa)، ولد عام ١٨٩٣ م في كيوتو عاصمة اليابان القديمة. أمضى ثلاثين سنة من عمره لنشر الثقافة الشرقية في أوروبا. يعد مؤسس نظام الـ (ماكروبايوتك) وناشر فلسفته، يُذكر أن له أكثر من ثلاثمائة كتاب لم يطبع منها سوى عشرة. توفي عام ١٩٦٦ م. انظر:
دعوة إلى الصحة والسعادة: ١٠٥ - جورج أوشاوا.

(٣) أي تحوله إلى القطبين الـ (ين) والـ (يانغ).

(٤) المبدأ الفريد: (٦٠ - ٦١) - جورج أوشاوا، وانظر: نفس المرجع: (٣٢، ٤٤).

(٥) العلاج بالضغط طريق إلى الصحة: ١٠ - أيونا مارسا تيجواردن.

(٦) انظر: المبدأ الفريد: ٣٥ - جورج أوشاوا.

كانت نتيجة هذا التصنيف أن الأشياء التي هي في ظاهرها متناقضة هي في الواقع متحدة بل هي شيء واحد غير مختلف.

العناصر الخمسة ووحدة الوجود[1]:

إن لفلسفة العناصر الخمسة ارتباطًا بمذهب وحدة الوجود كذلك، وهو ما يمكن إيضاحه من خلال النقاط التالية:

١- «تعد نظرية العناصر الخمسة، في جوهرها، ردًا على السؤال المتعلق ببنية الكون»[2]. وهي فلسفة تابعة ومتفرعة عن فلسفتي الطاقة الكونية (تشي) والـ (ين يانغ)، ولذلك فإن كل ما يقال في الـ (ين يانغ) ينطبق على فلسفة العناصر الخمسة؛ حيث هي من صور الـ (ين يانغ) وتجلياتها، بل إنها تعتبر صورًا وتجليات للحقيقة المطلقة[3].

٢- إن العناصر الخمسة - التي يُنظر إليها على أنها مكونات الكون - تتمثل في حلقة مستديرة بلا ابتداء ولا انتهاء، مما يتعارض مع مبدأ الخلق الذي يفصل بين الخالق والمخلوق.

٣- وفي علاقات الهدم والبناء بين العناصر دلالة واضحة على هذا الاعتقاد. فإن العناصر ليست متمايزة بمعنى أن كلا منها مستقل وثابت، بل هي متداخلة ومتوحدة، والعنصر ليس عاملا في إنتاج العنصر الذي يليه وإنما هو إياه في صورة أخرى. فالنار هي الماء هي التراب... الخ، وهذا هو ذاك والكل شيء واحد في صور مختلفة، والشيء الواحد هو الحقيقة المطلقة أو الـ (طاو). إن هذه هي عقيدة وحدة الوجود سافرة عن وجهها القبيح الذي يحاول بعضهم أن يستره.

---

(١) راجع صـ: (٢٠٠-٢٠٣) من هذا البحث.

(٢) الفكر الشرقي القديم: ٣٣٨ - جون كولر.

(٣) راجع صـ: ٢٠٠ من هذا البحث.

الطاقة الكونية ووحدة الوجود[١]:

يتضح تعلق فلسفة الطاقة الكونية (تشي) أو (پرانا) بمذهب وحدة الوجود من خلال ما يلي:

١- أن الطاقة الكونية هي الواحد المتولد عن الـ (طاو)، وهي من صوره.

٢- أن كل ما في الكون هو (تشي)[٢]، بل حتى الآلهة في المعتقدات الصينية هي في جوهرها (تشي) وهي ليست سوى تجسيد للـ (طاو) المطلق[٣]. كما تعتبر الطاقة هي الحقيقة المطلقة[٤]. وتعتبر المادة طاقة مكثفة[٥].

٣- يمكن باكتساب كميات كبيرة من الطاقة الكونية الاتصال بالذات الإلهية[٦]، حيث يعتقد بعضهم بأن الطاقة هي الـ (أنا العليا)، ومن ثم يمكن الارتقاء بالوعي الإنساني حتى تتواصل خلاياه بالطاقة الكونية فتصبح خلايا كونية غير منعزلة وغير محدودة[٧]، فيدرك عندها الإنسان أن كل ما في الوجود هي مظاهر لشيء واحد[٨].

---

(١) راجع صـ: ٢٢١ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) ويحتج بعضهم بالنظرية الفيزيائية التي تعتبر المادة مكونة من حقول من الطاقة، فيجعلونها مصداقًا لما يعبر عنه أصحاب وحدة الوجود والصوفيون بالأوضاع الروحانية والكشوفات (!) (انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٧ - د. أحمد توفيق).

(٣) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching: 93 - edited by: Livia Kohn & Michael Lafargue

(٤) راجع صـ: ٢٢٢ من هذا البحث.

(٥) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ١١ - د. رفاه وجمان السيد.

(٦) انظر: أسرار الطاقة: ١٥٦ - حكم الزمان حمرة.

(٧) طاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور (بتصرف يسير).

(٨) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: ١٢٦ - د. رفاه وجمان السيد.

الأجسام السبعة ووحدة الوجود[١]:

١- إن الأجسام البشرية غير المادية هي أجسام مكونة الطاقة الكونية (تشي). ولذلك، فإن كل ما يقال في الطاقة (من حيث توافقها مع مذهب وحدة الوجود) ينطبق على هذه الأجسام الطاقية.

٢- تعتبر الأجسام السبعة هي السُّلَّم الذي يتم من خلاله التدرج بالوعي، إلى أن يتوصل الإنسان إلى درجة من العلو - إلى الطبقة السادسة بالتحديد - يدرك معه أن كل ما في الوجود هو من تجليات المطلق، فإذا توصل إلى الطبقة السابعة أدرك الإنسان أنه متوحد مع المطلق أو الإله[٢]، وهذه هي وظيفة الجسمين العلويين. ويمكن التوصل إلى هذا المستوى بعدة طرق، منها التأمل وترديد (مانترا): «اسكن واعلم أنني أنا الإله»[٣]. والجسم الطاقي «هو موضع الإحساس بالفرح أو بالألم، وينحلُّ هذا الجسم فقط عندما يصل الفرد إلى درجة التحرر الكاملة، أو الوحدة الكاملة»[٤] فلا يعود الإنسان يحس بشيء منها بحسب اعتقادهم.

الـ (شاكرات) ووحدة الوجود[٥]:

١- ترتبط الـ (شاكرات) بفلسفة الطاقة الكونية، فهي تعتبر المنافذ التي من خلالها يتم تمرير الطاقة إلى الجسم.

٢- تعد الـ (شاكرات) من الوسائل الموصلة إلى اندماج الذات الفردية مع الذات

---

(١) راجع صـ: (٢٣٦-٢٣٩) من هذا البحث.

(٢) انظر: Hands of Light: (43 53) - Barbara Brennan
Light Emerging: (99 26) - Barbara Brennen

(٣) انظر: Light Emerging: 26 - Barbara Brennan

(٤) الكامل في اليوغا: ٣٧ - سوامي فشنو ديفانندا.

(٥) راجع صـ: ٢٤٣ وما بعدها من هذا البحث.

الكونية أو الروح المطلقة أو «الإله»، بحيث يهيئ التركيز عليها مع التأمل الإنسان لمرحلة الاتحاد، فلا يعود المريد مقيدا بالزمان ولا بالمكان(١).

٣- كما أن القوة الراقدة في أسفل الـ (شاكرات) ترتفع بشكل إرادي عبر المسار المخصص لتندمج مع الكون الكلي عند وصولها الـ (شاكرا) العلوية(٢).

من لوازم القول بوحدة الوجود:

١- أن كل ما في العالم خيِّر في ذاته، حيث كل فكر وعمل إنما هو في الحقيقة الإله.

٢- القول بصحة جميع العقائد الدينية أيا كانت.

٣- أن جميع المعبودات هي عين الإله، لأنه الهوية السارية في جميع مراتب الوجود.

٤- أن مآل جميع الخلق إلى الخلاص والنجاة(٣).

وعلى كل حال، فليس هذا مجال نقاش هذا المذهب وإثبات بطلانه على وجه التفصيل فقد قُدِّم في هذا الموضوع رسائل مستقلة يمكن الرجوع لها(٤)، وإنما المراد إظهار بطلانه بالجملة وإيضاح تعلقه بالفلسفة الشرقية وتطبيقاتها المعاصرة في الطب البديل(٥).

---

(١) انظر: الكامل في اليوغا: (٣٣، ٣٤٩، ٣٥١) - سوامي فشنو ديفانندا.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٦٦.

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه: (٨٨ - ٨٩) - رينولد أ. نيكولسون (مختصرًا).

(٤) منها رسالتان قدمتا إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هما: وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية - إعداد: خضر عبداللطيف سوندك، ووحدة الوجود عند الصوفية حقيقتها وآثارها عرض ونقد - إعداد: أحمد بن عبدالعزيز القصيِّر.

(٥) يقول حكم الزمان حمزة: "عندما تدرك بأنك موجود في كل الوجود... وستدرك بأنك النقطة التي تنساب إلى المحيط وتغوص لتبحر منه وإليه وفيه نحو نواة الجوهر. وسترى نفسك بأنك المحيط لمجرد وصولك إلى مركزية الوجود، وستشعر بأنك جزء لا ينفصل عن الوحدة الكونية ومن الطاقة الكامنة فيك المتجسدة من طاقة الخالق، وهنا أعود لأذكركم بالعلاج:

روحه روحي وروحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ.

وحينها ستصبح الناظر والمنظور، والقارئ والمقروء، وستصبح الوجه والمرآة، وتصبح كأعظم الكلمات في كتب الأناشيد "الحلقة الكاملة" المتعبد مع الله واحد، الطالب والمطلوب واحد.." (أسرار الطاقة: ١٦٦ - ١٦٧)

ليس هذا إلا أحد الأمثلة، ولو أردت تتبع النماذج الواردة في كتب العلاج بالطاقة وما يتعلق بها لطال بنا المقام وتوسع.



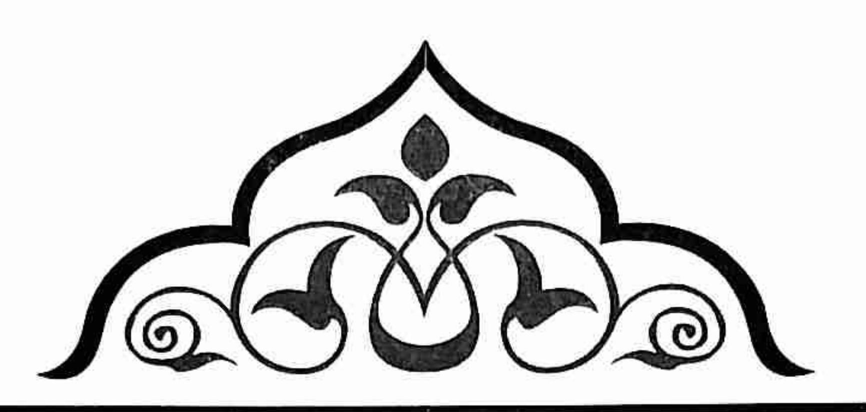
الباب الثاني

التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

وفيه فصلان:

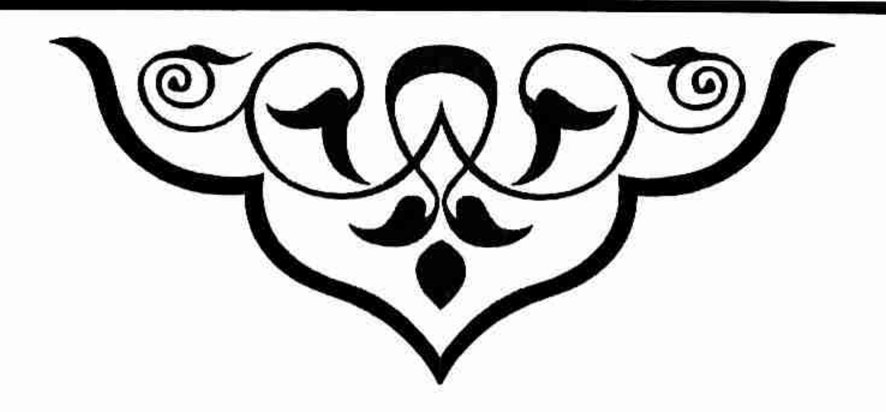
الفصل الأول: تاريخ ظهور تطبيقات الفلسفة الاستشفائية في العصر الحديث.

الفصل الثاني: أبرز التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية.



الفصل الأول

تاريخ ظهور
تطبيقات الفلسفة الاستشفائية
في العصر الحديث



لقد مرت الفلسفة الشرقية بمحطات متعددة وأطوار مختلفة قبل أن تصل تطبيقاتها إلى عالمنا الإسلامي، فاتصالنا بدول شرق وجنوب آسيا اتصال محدود - خاصة في الأزمنة المتأخرة. وما كان من اتصال فلم يكن المسلمون يظهرون فيه الدونية، ولم يتخذوا موقف الضعيف المتلقي لثقافة الآخر دون دراسة ولا تمحيص. ولذلك، فلا يمكن أن يُتصور بأن هذه اللوثات الفكرية وفدت إلينا مباشرة من الشرق، بل إن الواقع خلاف ذلك.

إن التطبيقات العلاجية للفلسفة الشرقية لم تكن - والله أعلم - لتصل إلى بلادنا لولا انتشارها في الغرب، وتصديرها إلينا من هناك، حيث وجدت من أبنائنا من لا يتردد في تلقف كل وارد من تلك الجهات ويساهم في نشرها بكل تقبل وإعجاب. ولعل أبرز من روَّج للفلسفات الشرقية وتطبيقاتها العلاجية في البلدان الغربية في وقتنا الحاضر حركة عُرفت باسم «العصر الجديد» أو (New Age Movement)، حيث تندرج التطبيقات موضوع هذه الدراسة تحت عباءتها الواسعة. إلا أن هذه الحركة ليست وليدة اليوم، بل قد لا يكون فيها شيئ جديد سوى اسمها، فهي نتاج ترسبات قديمة لطوائف دينية وحركات فكرية أسهمت في إفراز المبادئ الفكرية التي تتبناها هذه الحركة النشاز. ومما لا شك فيه، أنه كان للديانات الشرقية أثر كبير على تلك الطوائف والحركات، فقد توارثت فلسفات الهند والصين عبر العصور، إلى أن وصلت إلى ما نراه اليوم من خلط وتلفيق.

إن العامل المشترك بين جميع تلك الحركات هو عنايتها بالعلوم الباطنية، وتبنيهم لمعتقدات مخالفة للعقائد السائدة مما حملهم على اللجوء إلى نشر التعاليم بطرق استسرارية محاطة بالإشارات والرموز الغامضة والحذر الشديد من

الإعلان والتصريح. وفي كل فترة من الزمن يكون لهؤلاء صولة، تتمثل في الطوائف والحركات التي سنتطرق لها في هذا الفصل والتي مهدت لظهور آخر تلك الصولات: حركة «العصر الجديد».

أولًا: الـ غنوصية (Gnosticism) النصرانية والـ كابالا (Kabbalah) اليهودية:

الغنوصية طائفة دينية تضم فرقًا متعددة ظهرت في العصور المبكرة للنصرانية، وبالتحديد في القرن الثاني للميلاد، يجمعها الاعتقاد بأن الخلاص يكون من خلال العلوم الباطنية - التي لم يطلع عليها سواهم - وبالاستعانة بالطقوس السحرية.

يُذكر أن مبادئها كانت موجودة في الديانة والفلسفة اليونانية القديمة، ولكنها دمجت بالمعتقدات النصرانية حيث فسرت النصوص بتفسيرات باطنية؛ وذلك لضمان قبول الفلسفة القديمة بين أتباع الديانة الرائجة الجديدة. ويعتقد بعض الباحثين بأنه كان لغنوصية النصارى أثر في ظهور الغنوصية اليهودية المتمثلة في الـ كابالا(١).

أما **الـ كابالا** فهي طريقة باطنية لتفسير النصوص المقدسة اليهودية، يزعم أتباعها بأن لديهم علمًا مفسِّرًا لما أوحي به إلى موسى عليه السلام، هو عبارة عن تعاليم شفهية تناقلتها الأجيال، وينسبونها إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام. لقد كان تفسير الـ كابالا للنصوص يحمِّل كل كلمة أو حرف أو رقم معان باطنة لا يعلمها إلا أصحاب السر.

---

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 19363

An Encyclopedia of Religion: (300 - 301) - edited by: Vergillus Ferm

Modern Esoteric Spirituality: (7 -8) - Antoine Faivre

كانت بدايات هذه الفرقة على أرض فلسطين، ولكن ظهورها الأول كان في بابل في القرن الحادي عشر للميلاد، ومن ثم انتشرت معتقدات الـ كابالا في كل من إيطاليا وأسبانيا وألمانيا. ورغم ادعائهم اتصال السند إلى إبراهيم ﷺ، إلا أنه لم يَثبُت لهم أثر قبل ذلك[١].

ثانيًا: الـ ثيوصوفي (Theosophy)

ينقسم هذا المسمى إلى قسمين: (Theo): وتعني الإله، و(Sophy): وتعني الحكمة. وبذلك تكون الـ ثيوصوفي - في اللغة - هي الحكمة المتعلقة بالإله. إلا أن هذه الفلسفة الدينية هي أبعد ما يكون عن الحكمة، فهي تعتمد على الخوارق البشرية والاتصال المباشر مع الحقيقة الكلية لتحصيل العلوم الباطنية[٢]. يقوم نظامها الفكري على دعوى أن الحقيقة واحدة غير متعددة، وأن مصدر الوجود دوري ذاتي. وتحقيق الخلاص عند هؤلاء ليس منوطًا بالأعمال الصالحة، ولا يتعلق بالإيمان أو الاعتقاد، وإنما هو مراتب عالية من الوعي يتوصل إليها الإنسان من خلال أساليب التهذيب وتحصيل الأسرار الباطنية. ولذلك تعتبر الـ ثيوصوفي هي التطبيق الغربي للفكر والفلسفات الشرقية[٣]. وهي تستمد كثيرًا من مصطلحاتها من مصادر هندية[٤] لا سيما مبدأي الـ (كارما) وتناسخ الأرواح[٥].

---

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25222

An Encyclopedia of Religion: (412 - 413) - edited by: Vergillus Ferm

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality: 311 - Emily B. Sellon & Renee Weber

(٣) انظر: An Encyclopedia of Religion: 783 - edited by: Vergillus Ferm

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34841

(٤) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 47016

(٥) الموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية الـ ثيوصوفي:

www.theosociety.org: Basic Concepts

إن هذا المبدأ الذي تقوم عليه الـ ثيوصوفي هو عنصر أساسي في العقائد الصوفية، سواء في الشرق أو الغرب. فهي جزء لا يتجزأ من الغنوصية والـ كابالا، وهي - وإن لم تحمل الاسم نفسه - ظاهرة في الهندوسية والطاوية وبوذية الـ مهايانا[١].

تعد فلسفة الـ ثيوصوفي الحديثة وليدة جمعية الـ ثيوصوفي التي تأسست عام ١٨٧٥ م في مدينة نو يورك على يد امرأة روسية تدعى: **مدام بلافاتسكي** (Madame Blavatsky)[٢]. وقد كانت الأهداف المعلنة لجمعية الـ ثيوصوفي كالتالي:

١- إيجاد مركز يهدف لتحقيق الأخوَّة الإنسانية العالمية دون تمييز بين عرق، ولا عقيدة، ولا جنس، أو طبقة، أو لون[٣].

٢- تشجيع الدراسات المقارنة بين لأديان والفلسفات والعلوم.

٣- استكشاف القوانين غير المفسرة للطبيعة والقوى الكامنة في الإنسان.

وأما شعار الـ ثيوصوفي، فقد كان: «لا دين أعلى من الحق»[٤]. وقد تأسست

---

(١) انظر: Modern Esoteric Spirituality: 311 - Emily B. Sellon & Renee Weber

Perspectives on the New Age: 33 - Kay Alexander

(٢) مدام بلافاتسكي: واسمها هيلينا بتروفينا بلافاتسكي، ولدت في روسيا عام ١٨٣١ م وتنقلت كثيرًا بين آسيا وأميركا وأوروبا. زعمت أنها قضت ٧ سنوات في التبت اطلعت أثناءها على خفايا السحر والتنجيم. وفي عام ١٨٧٥ م أسست جمعية الـ ثيوصوفي. وفي عام ١٨٧٨ م انتقلت إلى الهند حيث استعرضت ما زعمت أنه قوى خارقة للعادة وعده أتباعها معجزات، إلا أنه نشر ما يثبت خداعها ودجلها مما أثر سلبا على سمعتها. لها عدة مؤلفات تعتبر منهجا لأتباعها. توفيت عام ١٨٩١ م. انظر:

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5954

(٣) وهذا مبني على أن جوهر البشر واحد، وهو مطلق خالد وغير مخلوق. ويختلف هذا المطلق بحسب المعتقد فهو إما الإله أو الطبيعة. تصفح: (www.theosociety.org objectives)

(٤) انظر: Perspectives on the New Age: 31 - Kay Alexander

Modern Esoteric Spirituality: 318 - Emily B. Sellon & Renee Weber

الموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية الـ ثيوصوفي: www.theosociety.org

جمعية الـ ثيوصوفي في إنجلترا بعد أميركا بعام[1] ولعبت دورًا هامًا في تعريف الكثير من البريطانيين - وعدد كبير من الطبقة الأرستقراطية - بالفلسفات الهندوسية والبوذية[2].

زعمت **بلافاتسكي** في بعض مؤلفاتها أن الرسالة التي تلقتها بطرق استسرارية، وجاءت لتنشرها، هي - في الحقيقة - جوهر جميع الأديان، وهي المبادئ التي سبقت وجودها في قديم الزمان. وقد تكهنت بمجيء عصر جديد يتحول فيه الإنسان وتتبدل فيه المفاهيم[3]. كما كانت المبادئ النسوية الداعية إلى «تحرير المرأة» ظاهرة في تعاليم **بلافاتسكي** حيث دعت إلى الثورة على الإله «المذكر» الذي يعبده أصحاب الديانات السماوية، والعودة إلى الإلهة الأم التي يقدسها الهندوس[4]!

في عام ١٨٧٨ م انتقلت قيادة الجمعية من نو يورك إلى الهند، وكان لها دور مساند للحركات الهندية القومية التي كانت تسعى لإسقاط الكنيسة الإنجليزية من أجل إضعاف الحكم البريطاني في المنطقة. فكانت النتيجة انضمام بعض كبار رجالات البوذية والهندوسية للجمعية، منهم الهندوسي الشهير **فيفيكانادا** الذي أسس مذهب الـ فيدانتا في الولايات المتحدة لاحقًا[5].

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age: 32 - edited by: Kay Alexander

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣٣.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٣١.

(٤) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.3.2 - Vatican Document

ملحوظة: الوثيقة غير مرقمة الصفحات، ولذلك أحلت إلى ترقيم الفقرات المتبع في الوثيقة.

(٥) انظر: Perspectives on the New Age: 32 - Kay Alexander

Modern Esoteric Spirituality: (313 - 314) - Emily B. Sellon & Renee Weber

ثالثًا: حركة الفكر الجديد (New Thought Movement)

تعتبر هذه الحركة من أكثر العوامل تأثيرًا في تشكيل البنية الفكرية للـ «العصر الجديد». وقد نشطت حركة «الفكر الجديد» كتقليد ديني جديد ضمن دوائر مسيحية إنجليزية في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد. واختلف الباحثون في تحديد المؤسس الأول والقائد الفكري للحركة بين شخصيتين بارزتين فيها، هما:

- إيما كرتس هوبكنز (Emma Curtis Hopkins)[1]،
- وفينيس كويمبي[2] (Phineas Quimby)[3]

تأسس الاتحاد الوطني للـ «فكر الجديد» في عام ١٩٠٨ م في إنجلترا، وفي عام ١٩١٤ م تأسس الاتحاد العالمي للحركة. ومن أبرز معالم هذا الاتحاد هو ادعاء القدرات المطلقة للعقل البشري، وأنه - من خلال استخدامه بطريقة بنائه - يمكن للإنسان تحصيل الحرية والقوة والصحة والسعادة[4]. وفي تلك السنوات

---

(١) **إيما كرتس هوبكنز**: هي معلمة وكاتبة نسوية أميركية تأثرت كثيرًا بـ ماري إيدي (Mary Baker Eddy) التي زعمت أنها اكتشفت السر وراء معجزات عيسى الشفائية في حركة العلم النصراني (Christian Science). انعزلت هوبكنز عن هذه الحركة لتأسس ما عرف لاحقًا بـ "الفكر الجديد" والطرق العلاجية الخاصة بها. كان طلابها أبرز قواد الحركة. توفيت عام ١٩٢٥ م. انظر:

Perspectives on the New Age: (16 - 17) - J. Gorden Melton

(٢) **فينيس كويمبي**: هو معالج أميركي ولد عام ١٨٠٢ م، كان ممن أثر في أفكار **ماري إيدي** وحركة "العلم النصراني" وقد كان يمارس العلاج الروحي لمدة ربع قرن قبل وفاته، إلا أنه لم ينشئ أي تنظيم، وإنما قام المعجبين بأساليبه بنشرها من بعده. توفي عام ١٨٦٦ م. انظر:

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 30407

(٣) انظر: Perspectives on the New Age: (16 -17 32) - Kay Alexander J. Gorden Melton

An Encyclopedia of Religion: 533 - edited by: Vergillus Ferm

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34003

(٤) انظر:

An Encyclopedia of Religion: 533 - edited by: Vergillus Ferm The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34003

المبكرة، كان للحركة تفاعل مع أتباع الطائفة الروحية (Spiritualism)[1] (محضري الأرواح) وأعضاء جمعية الـ ثيوصوفي[2]. ورغم اعتقاد قادة الحركة بأن «الفكر الجديد» هو الحق، إلا أنهم لا يجدون حرجًا بالاعتراف بنبوة **بوذا** أو **كرشنا** أو حتى **محمد** ﷺ، كما يقررون بأنه لا دين خال تمامًا من الحق[3] (!).

وقد أولَت حركة «الفكر الجديد» اهتمامًا كبيرًا بالديانات الشرقية والدراسات المقارنة للأديان، وكان لأتباعها قراءات متعمقة في هرطقات الغنوصية المتقدمة، بل إن بعض الباحثين اعتبرها القناة التي اختلطت من خلالها المسيحية بالفلسفات الشرقية، خاصة الهندوسية والطاوية والبوذية[4].

رابعًا: حركة القدرات البشرية الكامنة (Human Potential Movement)

لقد برزت هذه الحركة في الستينات من القرن المنصرم، وكما هو ظاهر من اسمها فإنها تهتم بتنمية الكوامن البشرية. إلا أن تلك الكوامن ليست قدرات فائقة فحسب، بل هي خارقة لعادات البشر متجاوزة لحدودهم الطبيعية، وقد بالغت الحركة في تمكين الإنسان من صنع واقعه وقدرته على تحقيق صحته وسعادته.

تبنت حركة القدرات البشرية الكامنة كل ما قد يساهم في تحقيق النمو الذاتي دون اعتبار لمدى ثبوته علميًا، كما تبنت بعض الأساليب والفلسفات الروحية

---

(١) الروحية: هي طائفة دينية تهتم بالأحوال النفسية وتفسرها على أساس عناية أرواح الموتى بالأحياء. اتخذت الصفة الرسمية عام ١٨٤٨ م. وهي تعنى بمخاطبة أرواح الموتى واستشارتهم والحياة بعد الممات. كما تؤمن بأن الخلاص للجميع. ليس لهم كتاب مقدس، ومنذ عام ١٨٧٩ م واجتماعاتهم تعقد بشكل مستمر في بلدة ليلي ديل في نيو يورك. انظر:
An Encyclopedia of Religion: 732 - edited by: Vergillus Ferm

(٢) انظر: Perspectives on the New Age: 35 - Kay Alexander
The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34003

(٣) انظر: Perspectives on the New Age: 35 - Kay Alexander

(٤) انظر: المرجع السابق: ٣٦.

القديمة كالـ (يوغا) ومبدأ «قوة الحياة»، أو الطاقة الكونية التي سبقت الإشارة إليها لتحقيق الهدف ذاته. لا تقتصر هذه الحركة على فئة معينة، ولا يشترط للانضمام إليها شرط سوى رغبة الشخص في ذلك.

ظهرت مراكز ومعاهد متعددة تتبنى أفكار الحركة وتساهم - بشكل فعّال - في نشرها، من أبرزها على الإطلاق معهد إيسالن (Esalen) الشهير في ولاية كاليفورنيا، والذي يعتبر أنموذجًا للتلفيق بين علم النفس الإنساني ومراكز التنمية الذاتية مع إضافات روحانية شرقية[1]. ولعل هذا الخلط هو أبرز سمات حركة القدرات البشرية الكامنة، فهي تجمع بين المبادئ المتفرقة والوسائل المستقاة من خلفيات ثقافية متباينة، فامتزجت فيها مبادئ العلم النفسي بالروحانيات المتأثرة بالديانات الشرقية. وركزت الحركة على طرق توسيع دائرة الوعي، والبحث عن الإله الذي بداخل الإنسان، فمن أجل تحصيل قدرات الإنسان الكامنة لا بد له من تجاوز ذاته؛ ليصبح الإله الموجود في أعماقه وينصهر فيه وفي الكون[2].

ومع تنامي الخلط والتلفيق في حركة القدرات البشرية الكامنة تنوعت الاهتمامات وتفرعت، فوُلِدت حركة جديدة تحمل طابع التلفيق ذاته ولكنها اتخذت له اسما جديدًا وجعلته شعارا لها، تلك الحركة هي: حركة «العصر الجديد» أو الـ (نيو أيج)[3].

خامسًا: حركة العصر الجديد (New Age Movement)

تعتبر حركة «العصر الجديد» آخر الالتفاتات الغربية إلى الروحانية الباطنية المتأثرة بالشرق، وهي التي تشكل خطرا حقيقيا على المعتقد الحق في العالم

(١) انظر: Perspectives on the New Age: (41- 42) - Kay Alexander

(٢) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.3.2 - Vatican Document
ويمكن تحصيل ذلك بطرق متعددة، منها: التأمل، واستخدام العقاقير المثيرة للهلوسة.

(٣) انظر: Perspectives on the New Age: 44 - Kay Alexander

الإسلامي؛ حيث بدأ نتاجها بالتسلل عبر الحدود الجغرافية والحواجز العقلية، مما يستلزم وقفة جادة للتعرف على حقيقة هذه الحركة وأهدافها على أرض الواقع.

يمكننا تتبع نشأة «العصر الجديد» إلى ستينات القرن العشرين في إنجلترا، حيث قامت مجموعات من أتباع الـ ثيوصوفي ومحضري الأرواح - تُدعى جماعات النور (Light Groups)- بالتجمع للتحاور في النبوءات الواردة في كتابات الـ ثيوصوفي والتي تتنبأ بحلول عصر جديد[1]، فالألفية الثانية - التي هي عصر الحوت - طغت عليها النصرانية، أما الألفية الثالثة والتابعة لبرج الدلو فإنها زمن «العصر الجديد» وفقًا لتلك التكهنات، ولذلك عُلقت عليها كثير من الآمال واعتبرت موعد تَغيُّر العالم وانقلاب المفاهيم[2].

انتقلت الحركة الوليدة إلى الولايات المتحدة من خلال جهود (جماعات النور) في محاولة لعولمة فكرها وجمع الجماعات التي تحمل فكرًا مشابهًا وربطها ببعض، عندها ظهرت: الرابطة العالمية لجماعات النور، وقد تزامن تأسيسها مع رفع حظر هجرة الآسيويين إلى أميركا في عام ١٩٦٥ م والذي كان قد استمر لمدة ٤٠ عامًا. فكان من ضمن ملايين المهاجرين الآسيويين كثير من كبار رجالات الديانات الشرقية[3] الذين أخذوا على عاتقهم نشر اعتقاداتهم بين أبناء الغرب المادي. فكان أن امتزجت في حركة «العصر الجديد» كل من الرسالة الأصلية للرابطة مع الدعوات الشرقية المثيرة والجديدة على الغرب، ومن ثم بدأت الحركة في تكوين رؤيتها الخاصة عن تغيير الإنسان والعالم على حطام النصرانية الخالية -

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age: (20 - 21) - J. Gorden Melton

(٢) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: (85 - 87) - David Spangler

Children of the New Age: A History of Alternative Spirituality: 28 - Steven J. Sutcliffe

Perspectives on the New Age - 260 - Gerhardus C. Oosthuizen

(٣) خاصة الهندوسية وبوذية زن بالإضافة إلى بعض رجال الصوفية.

في نظرهم - من «الروحانية» الصوفية الباطنية[١].

جذور حركة «العصر الجديد»

لم تأت حركة «العصر الجديد» بجديد يذكر، بل جل ممارساتها مستقاة من مجموعة تقاليد عتيقة، فهي ليست سوى محاولة لبعثها وتجديدها ومن ثم تقديمها للعالم الغربي في صورة الروحانية العصرية «البديلة»(!)[٢]. والحركة لم تبرز كدين جديد، بل كانت أشبه ما تكون بالتيار الباطني الذي يتغلغل في جميع الديانات حيث يرى أتباعها أن بين الأديان عوامل روحية مشتركة. ولذلك، فإن حركة «العصر الجديد» تتقبل الاعتقادات المختلفة وتربط بينها بأساليب باطنية، وقد كان لها رواج عند من يحمل هذا الفكر من أتباع الديانات المختلفة. إلا أن ما يميز «العصر الجديد» عن غيرها في هذا المجال هو محاولة إضفاء الصبغة العلمية على الممارسات الباطنية القديمة كالكهانة والتنجيم[٣]، ورغم حرص الحركة الشديد على كسب احترام الأوساط العلمية إلا أنها رُفضت ولم تحظ إلا بقبول متدن من عدد قليل[٤].

تعد الديانات الشرقية وفلسفة الـ ثيوصوفي من أبرز المؤثرات في حركة «العصر الجديد»[٥]، حتى قيل إنه لا يمكن فهم «العصر الجديد» إلا بمعرفة مقومات الديانات الشرقية[٦]. كما تشربت الحركة أفكار «الفكر الجديد» حتى اعتُبِرت حركة تجديدية ضمن إطارها العام[٧]. ومن أبرز العوامل المشتركة بين

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age: (20 - 21) - J. Gorden Melton

(٢) انظر: المرجع السابق: ٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٨ - ١٩.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age: 46 - Kay Alexander

(٥) انظر: Perspectives on the New Age: (18 46 - 47) - J. Gorden Melton Kay Alexander

(٦) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: 40 - Morten Kelsey

(٧) انظر: Perspectives on the New Age: 24 J. Gorden Melton

الحركتين تبنّيهما مبدأ الإله الـ لا شخصي وتأكيدهما على أهمية التغيير الذاتي، والاهتمام بالطرق العلاجية البديلة. بيد أن حركة «العصر الجديد» ركزت على الطرق المستقاة من فلسفات الشرق كالـ (يوغا) والـ (شياتسو)(١) وبعض أنواع التدليك وعملت على نشرها وإحيائها(٢).

وأخيرًا، فإن «العصر الجديد» ترعرعت في أكناف المعاهد التابعة لحركة «القدرات البشرية الكامنة» والتي بدورها كانت تضم جميع التيارات الفكرية السابقة(٣).

أسباب تأثر حركة «العصر الجديد» بالديانات الشرقية

لقد سبقت الإشارة إلى تأثُّر بعض التيارات الغربية بالديانات والفلسفات الشرقية، منذ ظهور الـ ثيوصوفي وإلى أن تشكلت «العصر الجديد». ولقد ساهمت عوامل عدة في ذلك التأثير، ألخص أهمها فيما يلي:

١- ترجمة النصوص الهندوسية إلى اللغة الإنجليزية في أواخر القرن الثامن عشر مما أسهم في تكوين البنية الفكرية لكل من الـ ثيوصوفي و«الفكر الجديد».

٢- زيارة مجموعة من كبار الهندوس للولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد كان لهم أثر واضح على الجماهير الأميركية خاصة **سوامي فيفيكانادا** الذي زارها في عام ١٨٩٣م.

٣- رفع حظر الهجرة الآسيوية في عام ١٩٦٥ م، مما تسبب في هجرة كثير من رواد الهندوسية والبوذية وغيرها من الديانات الشرقية حتى تكونت

(١) يأتي تفصيلها لاحقًا بإذن الله.

(٢) انظر: Perspectives on the New Age - 25 - J. Gorden Melton

(٣) انظر: Perspectives on the New Age: (46 - 47) - Kay Alexander

ثقافة ثانوية في المجتمع الأميركي أسهمت في تشكيل حركة «العصر الجديد»[١].

٤- ظهور مؤلفات[٢] لمستشرقين بريطانيين بالغت في تلميع المجتمعات الشرقية ومقارنتها بالمجتمع الغربي مع إظهار الأول بالصورة الكاملة الحالمة وإبراز عيوب الأخير بشكل ظاهر، وخاصة فيما يتعلق بروحانية الشرق ومادية الغرب مما ساهم في تكوين تصور إيجابي عن كل ما يأتي من الشرق والتوق إلى روحانياتهم العميقة[٣].

٥- كما ساهم انتشار إدمان المخدرات في الولايات المتحدة في فترة الستينات في تكوين ما أسموه «الالتفات إلى الداخل» واستكشافه. حيث أصبح من أقلع عن تعاطي المواد المخدرة يبحث عن بديل يتلاعب بالوعي من خلاله بشكل آمن، وهو ما أثار الفضول نحو الروحانيات الشرقية وطرقها الباطنية التي تدّعي الرقي بالوعي إلى مراتب عالية يفقد معها المرء الإحساس بالحزن أو الألم[٤].

٦- وهو من أهم الأسباب، أن الديانات الشرقية قدمت للإنسان الغربي روحانية خالية من أية التزامات أخلاقية أو شرعية وهي ما كان الغرب يفتقر إليه مع عدم رغبته بالتقيد بأية حدود[٥].

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age: (48 - 49) - Andrea Grace Diem & James R. Lewis

(٢) مثل كتاب: The Tao of Physics أو طاو الفيزياء لـ فرتجوف كابرا.

(٣) انظر: Perspectives on the New Age: (50 54 - 56) - Andrea Grace Diem & James R. Lewis

(٤) انظر: Perspectives on the New Age: (94 - 95) - Susan Love Brown

وقد أجريت دراسة أظهرت أن ٩٦٪ ممن ينتمون إلى جماعات تتبنى الأيديولوجيات الشرقية سبق لهم استخدام المخدرات قبل انضمامهم إليها. (المصدر السابق نفس الصفحة).

(٥) انظر: Modern Esoteric Spirituality: xxiii - Jacob Needleman

Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 1.1 - Vatican Document

أبرز معتقدات «العصر الجديد»

(١) **وحدة الوجود**: لا وجود لإله شخصي في حركة «العصر الجديد»، فإلههم ليس موجدًا ولا حافظًا للكون، ولكنه طاقة لا شخصية متغلغلة في كل شيء ومتحدة به في صورة جلية لعقيدة وحدة الوجود، فلا فرق بين العالم والإله؛ حيث الكل هو الله. والعالم قائم بذاته ليس مخلوقًا ولا فانيًا[(١)]. ومن أهم أهداف «العصر الجديد» هو تحقيق الكمال والقضاء على جميع أشكال الثنائية، ومن تلك الثنائية الفرق بين الخالق والمخلوق، وبين الإنسان والطبيعة وغيرها مما تعتبره ثنائية مرفوضة[(٢)]. ولذلك كان مبدأ وحدة الوجود ظاهرا في جل أفكار وممارسات «العصر الجديد»[(٣)] وقد روجت الحركة للتعابير الباطنية التي تسمح لروادها بالتحدث عن «الإله» و«الرب»، بينما لا يقصدون سوى أنفسهم أو العكس[(٤)].

(٢) **تناسخ الأرواح**: لقد روجت جماعة «العصر الجديد» لكثير من المفاهيم الشرقية الباطلة، ولعل من أبرزها مفهومي الـ (كارما) وتناسخ الأرواح، وإن كانت أجرت عليهما بعض التعديلات إلا أنهما ظاهران في كثير من ممارساتها وأساليبها العلاجية[(٥)].

(٣) **المبالغة في تعظيم الذات الإنسانية**: لقد نسبت «العصر الجديد» شيئًا من

---

(١) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.3.4.2 2.3.4.3 - Vatican Document

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤, ٢, ٢.

(٣) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: (45 183) - Morten Kelsey Mathew Fox
Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.2.5 - Vatican Document

(٤) انظر: المرجع السابق: ٢, ٣, ٢.

(٥) انظر: Perspectives on the New Age: 48 - Andrea Grace Diem & James R Lewis Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.2.3 - Vatican Document
New Age Spirituality: An Assessment: (108 189- 191) - Carl Raschke Harmon Hartzell Bro
Children of the New Age: 177 - Steven J. Sutcliffe

القدرات الخارقة للنفس البشرية، حيث يُنظر إلى الإنسان على أنه مُوجِد، وهو الذي يخلق محيط حياته، ولا حاجة له بالوحي ولا بخلاص يأتي من خارج نفسه. بل إن بعضهم ذكر أنه باستطاعة المرء التحكم بمستقبله بتحوير حالته النفسية - بل وبحياته بعد الممات! كما أنه بإمكان الإنسان - في نظرهم - أن يصل إلى الكمال المطلق من خلال ممارسة بعض التقنيات والطرق العلاجية، وبيده الصحة والمرض، فإن المرض هو نتيجة معاكسة النواميس الكونية، وعندما يتناغم الإنسان مع الكون فإنه يحصل على صحة وحياة أفضل. ولعل ذلك التعظيم كله راجع إلى الاعتقاد بأن الإنسان يولد بشرارة إلهية لا بد له من الكشف عنها وتنميتها ليتحقق اتحاده مع الكل. ومما لا شك فيه أن هذه المبالغة في تعظيم النفس تنسف العلاقة الطبيعية الصحيحة بين الخالق والمخلوق من أصولها[1].

(٤) **عدم التفرقة بين الأديان:** وهي سمة عامة لجميع الديانات والتيارات الباطنية، فهي ترى أن جوهر الأديان واحد وأن ثمة علوما أزلية تسبق جميع الأديان. ثم هي تخلط بين التعاليم والممارسات المختلفة وذات الأصول المتفرقة في بوتقة واحدة وتقدمها على أنها روحانية العصر الجديد[2].

الفاتيكان وحركة «العصر الجديد»

لقد تنبه رجال الدين النصارى لخطر هذه الحركة على أساسيات دينهم المحرف، فكانت أول كتابة نصرانية تحذيرية في السبعينيات من القرن العشرين وقوبلت بشيء من اللامبالاة والتشكيك، إلا أنه في الثمانينات أصبح الخطر ماثلًا

---

(١) انظر: New Age Spirituality: An Assessment: (69 - 70) - Glenn A. Olds

Vatican Document Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.2.3 2.3.3 -2.3.4.1

(٢) انظر: Perspectives on the New Age: (18 - 19 272) - J. Gorden Melton Issota Poggi

Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.3.3 - Vatican Document

أمام أعين الكنيسة، واتضحت الصورة الحقيقية لهذه الحركة الجديدة، فتتابعت الكتابات النقدية التي تبين معارضة «العصر الجديد» لأبسط مبادئ النصرانية والديانات السماوية بشكل عام[١].

وفي عام ٢٠٠٣، في الثالث من فبراير بالتحديد، أصدر الڤاتيكان وثيقة مطولة انتقد فيها حركة «العصر الجديد» وما تنشره من أفكار - هي في نظرهم - هدامة. لقد صدرت هذه الوثيقة كنتيجة لدراسة استمرت ٦ سنوات، وقُدِّمت لرعاة الكنيسة؛ ليتكون لديهم التصور الكافي الذي يمكنهم من فهم الحركة وما تحمله من تناقضات مع الديانة النصرانية[٢].

وهي تبرر انتشار أفكار «العصر الجديد» بإشباعها للفراغ الروحي لدى المتلقي، دون إلزامه بأية لوازم، خلافًا لما عليه الحال في غالبية الأديان الأخرى[٣]. وترى أن وسائل الاتصالات الحديثة ساهمت في سرعة انتشار هذه الأفكار، وخاصة الشبكة العالمية (الإنترنت)[٤]. كما تؤكد الوثيقة على أن الحركة ليست جديدة، وأن لها جذورا في الحركات الباطنية القديمة كالغنوصية[٥] والـ كابالا وبوذية زن والـ (يوغا) وغيرها[٦].

ثم تحدثت الوثيقة عن أهم الأخطار العقدية التي تنبثق من أفكار «العصر الجديد» بشكل مفصل ومتفرع، يمكنني اختصارها بما يلي:

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age: (153 - 155) - Irving Hexham

(٢) انظر الوثيقة بعنوان: Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: Forward

وهي متوفرة على الموقع الرسمي للڤاتيكان: www.vatican.va

(٣) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 1.1 - Vatican Document

(٤) انظر: المرجع السابق: ٢, ١.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٣, ١.

(٦) انظر: المرجع السابق: ١, ٢.

- ما تقدمه الحركة من إجابات «بديلة» لأسئلة الحياة الكبرى[١].
- تقديمها لمفاهيم شرقية باطلة كمفهومي الـ (كارما) وتناسخ الأرواح[٢]
- إحيائها لمذهب وحدة الوجود[٣]
- عدم الاعتراف بوجود الذنب أو الوقوع في الخطيئة[٤]

ومن أجل ما سبق - وأسباب أخرى كثيرة - فقد اعتبرها الڤاتيكان برئاسة البابا **يوحنا بولس الثاني**[٥] هرطقة وابتداعًا[٦]. ونصت الوثيقة على التالي:

«من وجهة نظر العقيدة المسيحية، فإنه لا يمكن عزل بعض عناصر تدين" العصر الجديد "باعتبارها مقبولة للمسيحيين، مع رفض الأخرى. وحيث إن حركة"العصر الجديد "تعظِّم من شأن الاتصال بالطبيعة والعلم الكوني بمصلحة العالم - وهي بذلك تبطل محتويات الوحي في العقيدة المسيحية - فإنه لا يمكن اعتبارها إيجابية أو غير ضارة» كما نصت على أنه: «لا يمكن أن يتقبلها أولئك الذين يؤمنون بالمسيح وكنيسته»[٧]

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٥, ١.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣, ٢, ٢.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٤, ٢, ٢ ٥, ٢, ٢ ٢, ٣, ٢.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٤.

(٥) **يوحنا بولس الثاني** (John Paul II): ولد عام ١٩٢٠ م في بولندا. وتعين بابا الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٧٥م، هو أول بابا من غير الطليان بعد **أيدريان الخامس**. كان كثير التنقلات في أنحاء العالم مما أضفى على البابوية صفة العالمية. بذل جهودا ملحوظة لتحسين العلاقات مع اليهود واعتراف الفاتيكان بإسرائيل. كما انتقد الموقف النصراني من المحرقة اليهودية المزعومة. توفي عام ٢٠٠٥ م. انظر:

The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 24835

(٦) انظر:

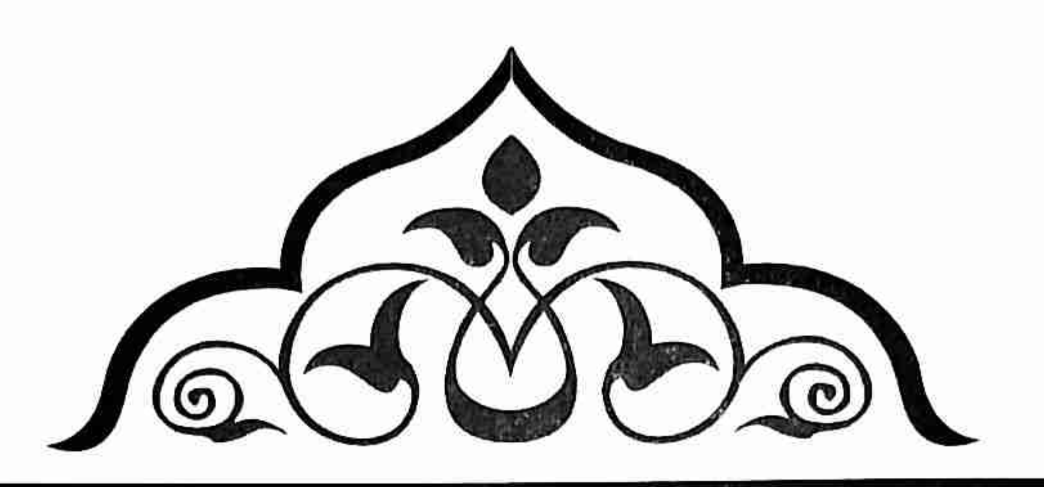
Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 1.4 - Vatican Document

(٧) انظر: المرجع السابق: ٤.

قد لا يرى البعض أن لرأي الڤاتيكان أهمية في مثل هذا الموضوع، حيث إنه ليس سوى ممثل لديانة محرفة باطلة. إلا أني رأيت أن استعراض رأيهم من الأهمية بمكان، وذلك ليتبين للقارئ مدى خطورة هذه الحركة. فلما كان فكر «العصر الجديد» قد شكل خطرًا تصدى له أصحاب الديانات الباطلة، كان من الأولى أن يكون للمسلمين دور في محاربته والصد عنه، خاصة بعد أن بدأت آثاره تنخر في جسد الأمة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني عند استعراض الأخطار التي ذُكرت في الوثيقة اقتصرت على تلك التي نشترك نحن وإياهم في رفضها، وإلا فإن في الوثيقة ما يتعارض مع اعتقاداتهم الضالة خاصة، والله تعالى أعلم.

ومن خلال هذا العرض الموجز تتضح لنا المراحل التي مرت بها الفلسفات الشرقية وأساليبها العلاجية في الغرب، وكيفية انتقالها من خلال الحركات الباطنية المختلفة إلى أن تبلورت في حركة «العصر الجديد» الذي يعد «الراعي الرسمي» للتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وفي الفصل القادم - بإذن الله - شرح وإيضاح لتلك التطبيقات.



الفصل الثاني

أبرز التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الـ (ريكي).

المبحث الثاني: العلاج بالضغط على الطريقة الصينية.

المبحث الثالث: نظام الـ (ماكروبايوتك).

المبحث الرابع: الـ (يوغا).

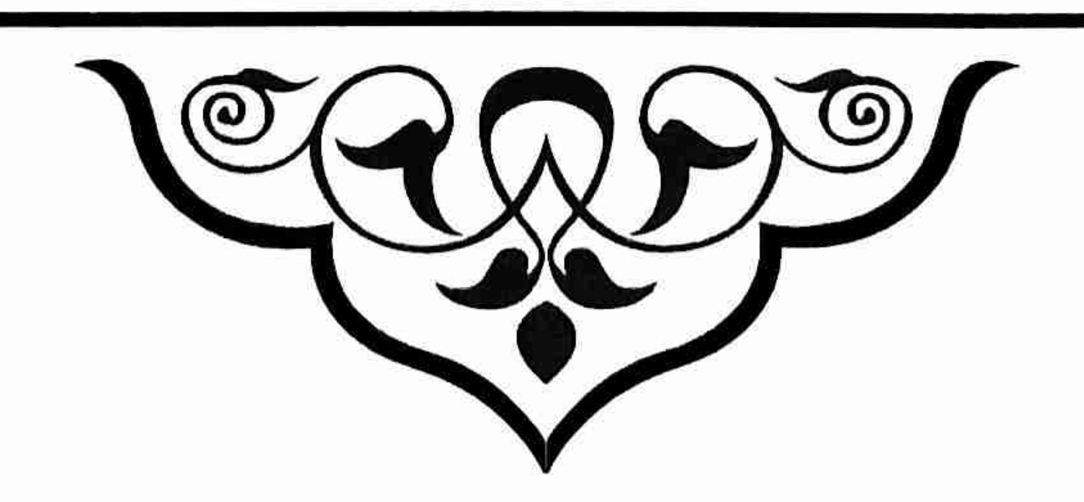
المبحث الخامس: الفنون القتالية.

المبحث السادس: الـ (فونغ شوي).

المبحث السابع: التأمل التجاوزي (الارتقائي).

المبحث الثامن: الـ (أيورڤيدا).

المبحث التاسع: العلاج بالألوان والأحجار الكريمة.



تمهيد

لقد سبقت الإشارة - في الفصل السابق - إلى الأسباب التي دعت الغرب لتلقُّف الطرق الروحانية في العلاج، باختلاف أصولها الدينية والفلسفية، فكان الخواء الروحي للمجتمعات الغربية المعاصرة من أبرز تلك الأسباب، وهو ما استغلته حركة الـ «عصر الجديد» (New Age)، فقدمت ما أسمته الروحانية البديلة للتديُّن التقليدي - والمتمثل باليهودية والنصرانية - والتي لم تعد قادرة على تلبية الحاجات النفسية ولا إشباع الرغبات الروحية للفرد الغربي. ولا شك أن هذه «الروحانية» قد وافقت شهوات النفس المتمردة والراغبة في التحرر من سُلطة الدين، حيث أصبح بإمكان المتقبل لمبادئ هذا الفكر وممارساته التوصل إلى مرحلة من الإشباع الروحي المُتوهَّم دون التقيُّد بالتزامات عقدية أو شعائرية تحد من حريته.

لقد كان للفلسفات الشرقية نصيب الأسد في تشكيل «الروحانية» الغربية الجديدة وتطبيقاتها الاستشفائية، فكان لمبادئها الرواج الكبير والانتشار الواسع في المجتمع الغربي. ولعل ذلك راجع لأسباب عدة، أذكر منها:

- وجود تاريخ مستقل وعريق للطب الشعبي الصيني والهندي مما أضفى عليهما شيئًا من الثقة والتقبل كنظام جديد للتداوي.
- احتواء التطبيقات الاستشفائية الشرقية على عناصر روحية متعمقة واهتمامها بالجوانب النفسية، وهو ما يفتقده الإنسان الغربي حيث يقتصر النظام العلاجي القائم ثمّ على الجوانب المادية فحسب.
- اشتمال كثير من التطبيقات الاستشفائية على أوضاع الاسترخاء والتأمل والخروج من الواقع المادي التي يحتاجها كثير من الغربيين ليتعايشوا مع ضغوط الحياة العصرية وكثرة مشاغلها.

ولذلك، فإنه عند تفحص كثير من تطبيقات الطب البديل نجد آثار الفلسفة الشرقية واضحة جلية، فالطاقة الكونية والـ (ين يانغ) والـ (شاكرات) - وغيرها من الفلسفات الشرقية - تُعدُّ من المقدمات الضرورية التي لا بد من شرحها قبل سرد «خطوات العلاج».

ومن المؤسف حقًا أن تنتقل هذه الفلسفات الإلحادية إلى العالم الإسلامي فيتقبلها أبناؤه بصدر رحب، وهم من لديهم المنهل الصافي والنبع الوافي من كتاب الله الكافي الشافي وسنة رسوله ﷺ دليلًا يضيء لهم الدرب ويبين الحق. وربما لا يشعر بعض المربين بهذا التأثر الخطير بالفلسفات الوافدة من شباب المسلمين خاصة، نظرًا لبعد كثير منهم عن المجالات التي تُطرح فيها مثل هذه الأفكار المسمومة، غير أن المرور السريع على المنتديات المنتشرة على الشبكة العالمية (الإنترنت) والتي تتحدث عن العلاج الطبيعي والطب البديل، كاف لتقدير حجم المشكلة ومدى انتشارها[1].

سأتطرق في هذا الفصل - بإذن الله - لعدد من التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وأنا لا أزعُم في هذا المقام حصرها أو إحصاءها، فهي كثيرة ومتجددة أحيانًا. ولكني سأتحدث عن أبرزها وأكثرها انتشارًا، لتكون بمثابة القواعد التي يقاس عليها غيرها، حيث تتشابه التطبيقات في كثير من الأحيان.

---

(١) تصفح على سبيل المثال لا الحصر:

- منتديات الحصن النفسي: منتدى الطب البديل < www.bafree.net/forum
- منتديات طبيعي: www.tabi3i.com
- منتديات البرمجة اللغوية العصبية: منتدى الطاقة < www.nlpnote.com/forum
- المنتدى العربي الموحد: منتدى أسرار الطاقة < www.4uarab.com/vb/index.php
- منتدى الفنون القتالية: www.alfonon.net

المبحث الأول

الـ ريكي

الـ (ريكي) (Reiki -レイキ-) هو أحد الطرق العلاجية التي روجت لها جماعات «العصر الجديد»، وهو يعتمد كليا على الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية، حيث يُعتبر الـ (ريكي) من أبرز طرق العلاج بالطاقة وأشهرها، وقد بدأ ينتشر في المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة.

معنى الـ (ريكي):

(ريكي) كلمة يابانية مكونة من شقين، هما: (ري) (Rei) بمعنى: الروح الكونية، و(كي) (Ki) وهي: الطاقة الحياتية[1]. ولذلك فالـ (ريكي) يعتبر: طاقة الحياة التي توجهها الروح الكونية[2].

تاريخ الـ (ريكي):

تنسب هذه الطريقة العلاجية إلى د. **ميكاو يوسوي** (Mikao Usui - 臼井 甕男) الذي عاش في اليابان في القرن التاسع عشر، غير أن أصولها مستمدة من الفلسفة الشرقية القديمة[3].

تُروى قصة عجيبة في كيفية حصول د. **يوسوي** على علوم الـ (ريكي)، وهي وإن كانت لا تستند إلى دليل تاريخي موثوق يدل على صحتها، إلا أنها غالبًا ما

---

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: ١٩ - ديفيد فينلس، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: ١٣ - د. رفاه وجمان السيد، و

Spiritual Healing: 150 - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٢) انظر: Reiki The Healing Touch: 1-3 - William Lee Rand

(٣) ينسبها بعض معلمي الـ (ريكي) إلى (سيفا) إله الهندوس. انظر:

Essential Reiki: 8 - Diane Stein

تُروى لطلاب الـ (ريكي) المبتدئين كمقدمة ضرورية لهذا العلم. فمن أجل ذلك، ولما في القصة من إشارات واضحة إلى المبادئ الباطنية والقوادح العقدية التي قام عليها الـ (ريكي)، كان لا بد من ذكرها هنا. وقد أثارت هذه القصة الدهشة في الغرب، وكادت توصف بالوثنية لولا الطابع النصراني الذي أضفته عليها **هاوايو تاكاتا** (Hawayo Takakta)[1] التي تعتبر رائدة الـ (ريكي) للغربيين[2].

تتلخص القصة في التالي: ولد **ميكاو** عام ١٨٦٤ م في اليابان وتربى على أفراد بعثة تنصيرية، فدرس الإنجيل وتعلم قصص **المسيح** عليه السلام؛ حتى أصبح يُدَرِّس علم اللاهوت في مدرسة نصرانية. استقال بعد ذلك ليتفرغ للتعرف على معجزات **المسيح** عليه السلام حيث اعتقد أنه بإمكانه اكتساب القدرة الشفائية المعجزة التي وُهِبت له عليه السلام. انتقل **يوسوي** إلى أميركا ليتعمق في العلوم النصرانية ويكتشف سر المعجزة، إلا أن أجوبة الكنيسة لم تكن مقنعة له فأصبح يبحث عن الإجابات مباشرة من الرب (!). ثم عاد إلى اليابان ليزداد تعمقًا في التعاليم الآسيوية، وعكف على النصوص الشرقية القديمة ليستقي منها وسائل تحصيل ملكة الشفاء المنشودة. فالتقى بكاهن بوذي أرشده إلى البحث عنها داخل نفسه بعد قراءة النصوص الصينية والسنسكريتية. فلم يكن من **يوسوي** إلا أن اعتكف وحيدًا في أحد الجبال، مكث فيه ثلاثة أسابيع يصوم ويتأمل عازمًا ألا يعود إلا

(١) **تاكاتا**: ولدت في هاواي عام ١٩٠٠ م لأبوين يابانيين. سافرت إلى اليابان باحثة عن حل لمشاكلها الصحية والاجتماعية، وهناك تعرفت على د. **هاياشي** (أحد طلاب) **يوسوي** الذي علمها مبادئ الـ (ريكي). عادت إلى الولايات المتحدة لتصبح رائدة الـ (ريكي) هناك. توفيت عام ١٩٨٠ م بعد أن انتهت من تعليم ٢٢ معلمًا في أميركا وكندا. انظر: الريكي للمبتدئين: (٣٩ - ٤١) - ديفيد إف. فينلس، و
Practising Reiki: (49 - 51) - Jennie Austin

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: (٢٧ - ٣٠) - ديفيد إف. فينلس، و
Essential Reiki: 9 - Diane Stein
Reiki Fire: 19 - Frank Arjava Petter

وقد حصل على ملكة الشفاء أو يموت في مكانه. وفي آخر يوم من أيام اعتكافه - بعد أن أنهكه الجوع وربما أدى به إلى الهلوسة! - ادعى أنه سمع أصواتًا أوحت إليه رموزًا خاصة ورأى نورا عظيمًا مقبلًا إليه في الأفق حتى ضربه مع جبينه وأفقده وعيه. وأثناء عودته من الجبل جرحت قدمه فأمسك بها ليخفف الألم، فما كان إلا أن التأم الجرح بقدرة شفائية عجيبة (!) كانت هي أولى معالجات الـ (ريكي). ثم تكررت التجارب واكتشف **يوسوي** أنه توصل إلى معجزات عيسى عليه السلام وأصبح قادرًا على الشفاء بطاقة عجيبة هي: الـ (ريكي). بعد ذلك أضاف **يوسوي** إليها شيئًا من التعاليم الأخلاقية التي تنظم حياة المعالج، فصاغ المبادئ الخمسة للـ (ريكي) والتي هي - في الأصل - مستقاة من حكم قديمة[1].

هكذا رويت القصة لتتناسب مع العقلية الغربية، وليكون لها تقبل أكبر في الأوساط النصرانية. وقد أُبقيت على الأصل البوذي عند بعض الممارسين، خاصة من كان منهم في اليابان، فكان عكوف **يوسوي** - في الرواية اليابانية - على الـ (سوترا) بدلًا من الإنجيل حيث قضى سنوات طويلة في دراسة تعاليم **بوذا** وقدراته الشفائية[2]. لقد وجد **يوسوي** أسرار الشفاء لدى **عيسى** عليه السلام **وبوذا** في بقايا علوم **سيفا** في التعاليم الباطنية الهندية[3]. أما بالنسبة لممارسي الـ (ريكي) في

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: (٣٠ - ٣٥) - ديفيد إف. فينلس، و
Essential Reiki: (9 - 13) - Diane Stein
Reiki The Healing Touch: (1-17 - 1-26) - William Lee Rand

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: (١٢٠ - ١٢١) - مهى نمور، والريكي للمبتدئين: (٣٠ - ٣٥) - ديفيد إف. فينلس، و Practising Reiki: (44 47 - 48 52) - Jennie Austin
ولذلك تظهر الكثير من المبادئ البوذية في تعاليم الـ (ريكي)، ومن ذلك التأكيد على نفي الـ أنا ووجوب التخلص من جميع الشهوات والتصريح بمصطلحاتها كالـ (كارما) والـ (دوكا) والـ (نيرفانا). (انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٣٥، ١٦٢ - مهى نمور،
Essential Reiki: 20 130 - Diane Stein

(٣) انظر: Essential Reiki: 9 - Diane Stein

العالم العربي والإسلامي، فقد أوردوا الروايتين للقصة، كل بحسب الجهة التي تلقى منها تدريبه.

توفي د. **يوسوي** في عام ١٩٣٠ م تقريبًا، ودفن في مقبرة بوذية عامة[١]، وقد كانت **هاوايو تاكاتا** ممن حمل لواء الـ (ريكي) من بعده، ونقلته إلى الولايات المتحدة، وهي أول من تعلم الـ (ريكي) وعلَّمه خارج اليابان[٢].

فروع الـ (ريكي)

هناك فرعان رئيسان للـ (ريكي)، هما:

١- يوسوي شين كاي (**Usui Shin Kai**): وهو الفرع المنبثق من **يوسوي**.

٢- جين كي دو (**Jin Kei Do**): وهو فرع مبني على تعاليم أحد تلاميذ **يوسوي** ممن تلقوا التعاليم الأصلية على يديه[٣].

أما الفروع الثانوية فهي تزيد على ٣٠ فرعا متفرقة في أنحاء العالم[٤]. وعلى أية حال، فالفروق بينها ليست جوهرية.

فلسفة الـ (ريكي)

يعتمد الريكي على الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية (كي)[٥]، والجسم الأثيري

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٣، و Practising Reiki: 53 - Jennie Austin

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ٣٨ - ديفيد إف. فينلس.

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٢٣ - مهى نمور.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٣١.

(٥) انظر: الريكي للمبتدئين: ٢٠ - ديفيد إف. فينلس، وطاقة الكون بين يديك: ١٦ - مهى نمور، و

Essential Reiki: 16 - Diane Stein

Reiki The Healing Touch: i2 - William Lee Rand

و(كي) هي المقابل الياباني للـ (تشي) الصينية.

المحيط بالجسم المادي وما يتصل به كالـ (شاكرات)[١]، فهو لا يعالج الجسم المادي فحسب بل يعمل على جميع الأجسام الطاقية، ويفسر المرض باختلال توازن الطاقة في جسم الإنسان وأن الشفاء يكون من خلال استعادة توازن الطاقات[٢]، وتوازن العناصر الخمسة[٣] تمامًا كما هو مقرر في فلسفة الاستشفاء الشرقية.

يحصل الخلل في توازن الطاقة لعدة أسباب أهمها الأفعال السلبية التي يقوم بها الإنسان أو ما يسمى الـ (كارما) فينشأ المرض في المستويات الأعمق من العقل قبل أن تظهر أعراضه جسديا[٤].

إن عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود ظاهرة بجلاء في تطبيقات الـ (ريكي)، وهو الهدف الأكبر لممارسته واستقطابه. ولا عجب في ذلك فهو مبني على فلسفة الاستشفاء الشرقية التي تقوم على هذين المبدأين، وتركز بشكل أساسي عليهما. ولعلي أستعرض نموذجين يوضحان اشتمال الـ (ريكي) على هذا المفهوم.

- تشبِّه **مهى نمور**[٥]- وهي من أبرز معلمي الـ (ريكي) العرب -

---

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٣١ - د. رفاه وجمان السيد، و

Practising Reiki: 179 - Jennie Austin

Essential Reiki: (16 68) - Diane Stein

Reiki The Healing Touch: (i9 - i10) - William Lee Rand

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ٢١ - ديفيد إف. فينلس، و Reiki Fire: 77 - Frank Arjava Petter

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٣٥ - مهى نمور.

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: (٩٧، ١٦٥) - ديفيد إف. فينلس،

Essential Reiki: 20 - Diane Stein

Reiki Fire: 78 - Frank Arjava Petter

وتشير بعض المراجع إلى ضرورة التخلص من الشعور بالذنب المتعلق بالـ (كارما)، وذلك ليس إنكارًا لها أودورها في الصحة والمرض وإنما يرون أنها لا ينبغي أن تكون سببًا في التكاسل عن العمل أو وسيلة لجلد الذات.

(٥) مهى نمور: ولدت مهى نمور في لبنان عام ١٩٥٤ م، وهاجرت إلى فرنسا في بداية السبعينيات. بدأت الاهتمام بالـ (ريكي) في عام ١٩٩٥ م ومن ثم تدرجت في مستوياته حتى حصلت على درجة معلم

الـ (ريكي) بالمحيط، وما في الكون من كائنات بمكعبات الثلج العائمة فيه. فجميع الكائنات ليست سوى (ريكي) بكثافة مرتفعة. إن هذا التشبيه الباطل ليس بجديد ولا مبتدع، بل هو صورة مطابقة لما ورد في تفسير الكون والوجود في الفلسفة الشرقية المرتكزة على الطاقة الكونية. ثم تصرِّح **نمور** بالهدف الحقيقي وراء ممارسة الـ (ريكي)، حيث يهدف إلى دمج العقل والجسد والنفس في مفهوم الـ (ريكي) حتى يصل المرء إلى مرحلة «الإشراق»[1]، كما يهدف إلى تطوير الوعي بالطاقة وإدراك الواقع الطبيعي للذات والكون وأنهم جميعًا يشكلون وحدة كونية،

(ريكي) على يد أشهر معلمي الـ (ريكي)، ومنذ ذلك الوقت وهي تمارس العلاج بالطاقة. أقامت العديد من الدورات في البلدان العربية والإسلامية كالبحرين وقطر والإمارات ومصر، وتمتلك مراكز لتعليم الـ (ريكي) في كل من الكويت وقطر ومركزًا تحت الإنشاء في دبي.
تصفح الموقع الرسمي لـ مهى نمور:
www.synergie-mahanammour.com > about us > biography

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١١٩ - مهى نمور.
وقد اطلعت على مذكرة كتبها **طلال خياط** - الأمين العام لجمعية سعودي ريكي - وُزِّعت في دورة أقامها للـ (ريكي) المستوى الأول في مدينة جدة، فلم أجد اختلافًا يذكر بين ما طرح فيها من مبادئ وبين الطريقة الأصلية، فهي تشمل الـ (شاكرات) والمسارات والطاقة والتأمل والهالات بل والرقي بالوعي إلى مستويات جديدة. وإن كان الأستاذ يؤكد أن الطاقة هي من **مخلوقات الله**. ولم يسلم الـ (ريكي) - بعد محاولات **خياط** لتنقيته من لوثات الإلحاد الشرقي - من العبارات المشبوهة التي لا يمكن الاستخفاف بها أو تمريرها حسن ظن بقائلها. يقول **خياط** عند عرضه لمبادئ الـ (ريكي): "كن متيقظًا في كل لحظة من لحظات يومك حتى تنتبه لتصاعد الطمع والوهم والغضب، وتتعمق في البحث عن أسبابها الحقيقية، وحتى تقدر نعم الحياة...، وحتى ترى في داخلك طبيعة عقلك وجسمك المتغيرة دائمًا، وحتى تتحد بالعقل الكلي (!) فيها الـ (ريكي) تتدفق داخلك".
مذكرة: ريكي جين كاي دو: دليل المرحلة الأولى ١٠١: (٦ - ٧) - إعداد وتقديم: طلال خياط، وانظر: ٢٧ من المذكرة نفسها.
هذا مع العلم بأن **طلال خياط** من أكثر الممارسين حرصًا على "أسلمة" هذه الفلسفة وتأصيلها تأصيلًا شرعيًا حيث يرى إمكان تنقيتها من الكفر والإلحاد، وهو أمر لا أرى إمكانية تحقيقه.

وفقدان هوية الكيان الفردي المركزة على الذاتية[1]. يتوصل الـ (ريكي) إلى هذا الهدف من خلال الاستشفاء، فالمرض ليس إلا نتيجة الانفصال عن الإله - بالمعنى الباطني - والشفاء لا يكون إلا بالاتصال به. تقول **مهى نمور**: «يؤكد الطب الشرقي أن مصدر آلامنا العميق، هو جهلنا لطبيعتنا الأساسية التي تقترب من الله. لذلك إذا أردنا الشفاء فما علينا إلا أن نتواصل مجددًا مع الله»[2].

- يقول مؤلف الـ (ريكي) للمبتدئين[3]: «نحن نعيش في عالم من المتناقضات: الخير والشر، النور والظلام، الداخل والخارج، الغنى والفقر، أنا والآخر. وفي هذا الصدد، فإن جوهر الـ (ريكي) يهدف إلى محاولة السمو فوق كل هذه المتناقضات والوصول لحالة من الكمال المتوازن والشمولية والاندماج مع كل هذه الأشياء بحيث يزيل كل الحواجز بينك وبين الآخر»[4].

ويقول في موضع آخر متحدثًا عن حال الممارس الذي يصل إلى مراحل متقدمة من الـ (ريكي): «ندرك في هذه اللحظات كم نحن ضئيلين ولا نعرف إلا القليل عن جوهر الـ (ريكي)، تمامًا كحبة المطر بالنسبة للمحيط، لهما نفس الطبيعة، وفي النهاية يمتزجان معًا ويصبحان شيئًا واحدًا»[5].

ومن خلال المثالين السابقين، يتضح أن الاعتقاد بالاتحاد ووحدة الوجود هو جزء من مبادئ الـ (ريكي)، بصورتيه الغربية والعربية. بينما ينكر كثير من معلمي

---

(١) طاقة الكون بين يديك: ١٢٤ - مهى نمور (بتصرف).

(٢) المرجع السابق: ١٣٥.

(٣) وهو ديفيد إف. فينلس ممارس ومدرس (ريكي) بريطاني.

(٤) الريكي للمبتدئين: ٢٣ - ديفيد إف. فينلس.

(٥) الريكي للمبتدئين: ١٣١ - ديفيد إف. فينلس، وانظر: المرجع نفسه: ١٠١،

Reiki Fire: (27 70) - Frank Arjava Petter

الـ (ريكي) تعلقه بأي اعتقاد أو دين[١]. هذا رغم الملامح البوذية الواضحة، ورغم أن الـ (ريكي) لا يمكن أن يوجد من غير اعتقاد بوجود الطاقة الكونية والـ (شاكرات) والـ (كارما) وغيرها، وهي جميعًا من مبادئ الفلسفات الدينية الشرقية كالهندوسية والبوذية والطاوية. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في موضع سابق[٢].

ثم بعد هذا كله، أعجب من بعض المسلمين الذين يعتقدون أن الـ (ريكي) موجود منذ عصر النبوة ويجعلونه صورة من صور «الرقية» ومشتقًا من اسمها[٣]، وممن يعجبه قول معلمه بأن محمدًا ﷺ كان «أستاذًا عظيمًا في تدريبات تنمية الطاقة»![٤]

يزعم أتباع الـ (ريكي) أنه من مفاتيح السعادة الأبدية[٥]، والحق قول ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من أراد السعادة الأبدية فليزم عتبة العبودية»[٦]

الاستشفاء بالـ (ريكي)

لا يَحُدُّ ممارسي الـ (ريكي) طاقته العلاجية بشفاء البشر، بل يدَّعون إمكانية شفاء الحيوانات والنباتات مما قد يصيبها من آفات[٧]، ثم يتجاوز الـ (ريكي)

---

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: (١١٥ (١١٦) - ديفيد إف. فينلس، و

Essential Reiki: 17 - Diane Stein

Reiki The Healing Touch: i13 - William Lee Rand

Practising Reiki: 33 - Jennie Austin

(٢) راجع صـ: ٦٢ من هذا البحث.

(٣) غادة المعايطة الدلابيح في كتابها العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك (من وجهة نظر إسلامية): ٢٦.

(٤) حسن البشل في كتابه: العافية: ١٦٣.

(٥) انظر: الريكي للمبتدئين: ١٨٥ - ديفيد إف. فينلس.

(٦) مدارج السالكين: ١/ ٤٦٤ - ابن القيم.

(٧) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٢ - مهى نمور،

Practising Reiki: (70 76) - Jennie Austin

حدود الزمان ليعالج الماضي والحاضر والمستقبل»[١].

ينقسم العلاج بالـ (ريكي) إلى قسمين رئيسين، هما:

١- علاج الذات

٢- علاج الآخرين، وهذا قد يكون:

- مباشرة بوجود الشخصين في مكان واحد.
- وقد يكون «عن بُعد»، بحيث تُرسَل ذبذبات الطاقة عبر الأثير.

أولًا: العلاج الذاتي

قبل البدء بعلاج النفس أو علاج الآخرين لا بد من تحسس الطاقة بين اليدين[٢]، ليستيقن المعالج والمريض أنها حقيقة مما يزيد من تقبله للعلاج، ومهما أحس به بين يديه سواء كانت حرارة جسده أو تدفق الدم في الكفين أو حتى تيار هوائي دافئ فإنه يفترض مباشرة أنه قد أحس بكرة من الطاقة.

يستغرق العلاج الذاتي الكامل ستين دقيقة تقريبًا، يضع المعالج خلالها يديه في اثني عشر موضعا أساسيا. تتعلق المواضع بالـ (شاكرات) والتأثير عليها، ويستمر كل وضع لمدة خمس دقائق[٣]. لا يُحَدُّ العلاج الذاتي بزمان ولا مكان وهو

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٣٠ - مهى نمور، والريكي للمبتدئين: ١٣٠ - ديفيد إف. فينلس.

(٢) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٣١ - د. رفاه وجمان السيد، المساج بدون لمس: (٥٠ - ٥٢) - إ. كوبيتوف.
ولذلك لا بد من تركيز الإحساس بالكفين أمام الصدر متباعدتين بمسافة ١٠ - ٢٠ سم ثم إبعادهما عن بعض ثم تقريبهما حتى يحس بالطاقة فيهما.

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ٩١ - ديفيد إف. فينلس، و
Spiritual Healing: 152 - Martin Daulby & Caroline Mathison
Essential Reiki: (34 - 35) - Diane Stein
Reiki The Healing Touch: ii17 - William Lee Rand

متوفر في كل وقت وحين[1]، حيث يعتقد أهل الـ (ريكي) أنه يأتي من مصدر لا ينتهي ولا ينضب ولا حدود له[2].

ثانيًا: علاج الآخرين

تتكون الجلسة العلاجية من عدة خطوات:

- يمكن بدء استخدام الـ (ريكي) واستقطابه بمجرد الإرادة كما يمكن توجيهه للإنسان أو العضو المريض بالإرادة كذلك[3].
- الذي يعالج بالـ (ريكي) يستقبل الطاقة من خلال (شاكرا) التاج، ثم تنساب في جسده من خلال جهاز الطاقة لتصل إلى (شاكرا) الكف - وهي (شاكرا) فرعية[4].
- يقوم المعالج بفحص الهالة حول الجسم من أجل اكتشاف المناطق التي تحتاج إلى مزيد من الـ (ريكي)، فيستحث الـ (شاكرات) المغلقة أو المعطلة[5]. ويوجه الطاقة إلى الأماكن المعلولة من جسم المريض.

---

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: ٩٥ - ديفيد إف. فينلس، و
Practising Reiki: 67 - Jennie Austin
Reiki The Healing Touch: ii1 - William Lee Rand

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ٨٨ - ديفيد إف. فينلس، و
Reiki Fire: (1 - 5) - Frank Arjava Petter

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: (٧١ - ٧٤، ٨٨، ١٢٠) - ديفيد إف. فينلس، و
Reiki The Healing Touch: ii1 - William Lee Rand
Essential Reiki: 20 - Diane Stein

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: ٦١ - ديفيد إف. فينلس.

(٥) انظر: المرجع السابق: (١١٧ - ١١٨)، والوجوه الأربعة للطاقة: ٣١ - د. رفاه وجمان السيد،
Spiritual Healing: 152 - Martin Daulby & Caroline Mathison
Reiki The Healing Touch: i44 - William Lee Rand

- تستخدم الـ (مانترات) وتردد باللسان أو ذهنيًا من أجل تحفيز استقبال وإعطاء الـ (ريكي)[1]. وتختلف الـ (مانترا) المستخدمة بحسب الـ (شاكرا) المطلوب تنشيطها، فمن مجرد ترديد لكلمة (ريكي) إلى ترديد عبارات سنسكريتية كثيرًا ما تحمل معان إلحادية[2].
- قد يطرأ على المعالَج حالة من الوعي تسمى نوم الـ (ريكي)، يكون فيه النوم العميق والسمو فوق الوعي الطبيعي، ويعتبر العقل تجاوز حدود الوقت والمكان[3] في إشارة إلى توحده بالمطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان.
- بعد إنهاء الجلسة يقوم بتنظيف الهالة بطريقة تشبه الكنس لإزالة ما قد يعلق بها من الطاقات السالبة. أما الغرفة فيمكن تفريغها بتحريك الإرادة، ويعتبر وضع أنواع محددة من الأحجار الكريمة معينا على جمع الطاقات السلبية وتنقية المكان منها[4].
- يضاف إلى ما سبق - في طريقة (ريكي) تبت[5] - بعض الطقوس

---

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: (١٧٨ - ١٧٩) - ديفيد إف. فينلس، و
Reiki Fire: (43 104) - Frank Arjava Petter
يمكن استخدام الـ (مانترا) لمساعدة الآخرين في أي وقت عن طريق ترديدها (المرجع السابق: نفس الصفحة).

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٩ - مهى نمور، والريكي للمبتدئين: ١٨٠ - ديفيد إف. فينلس.
ومن أشهرها الـ (مانترا) البوذية: "أوم ماني بادمي هوم" (Om Mani Padme Hum) وهي تحمل معان رمزية متعددة منها إمكانية التحول من إنسان غير نقي إلى إنسان "بوذا".

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ١٠٠ - ديفيد إف. فينلس، و
Essential Reiki: 83 - Diane Stein

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: (١٢٤ - ١٢٥) - ديفيد إف. فينلس،
Reiki The Healing Touch: i44 - William Lee Rand

(٥) نسبة إلى التبت البلد المعروف، وهذا النوع من الـ (ريكي) أكثر تأثرا بالتوجهات الشامانية وتحضير الأرواح من المدارس الأخرى.

والممارسات الغريبة، كإحراق البخور وإضاءة الشموع، وطلب حضور طاقة د. **يوسوي** وأنوار الملائكة والطاقة الكونية وغيرها من الخزعبلات[١].

ولكن تجدر الإشارة إلى أن بعض معلمي الـ (ريكي) ينكرون هذه الأفعال ويعتبرونها دخيلة عليه، وإن كان تجريده منها ونفيها عنه لا يجعله طريقة شرعية ولا حقًا يقبل به.

المعالجة عن بُعد

عند حصول المتدرب على الـ (ريكي) من الدرجة الثانية، فإنه يُمكَّن من معرفة بعض الرموز التي يفترض استخدامها في استقطاب الطاقة وتوجيهها إلى أهداف بعيدة عنه. ويمكن للمعالج أن يستعين بما يمكنه من تحديد الهدف كالصور الشخصية والآثار الجسدية أو الممتلكات الخاصة بها يشبه سلوكيات السحرة والمشعوذين، بل ربما تم الاستعانة بدمية يمثل كل جزء منها ما يقابله في المريض البعيد[٢].

تنبني هذه الطريقة على الاعتقاد بقدرة المعالج على العمل في مجالات خارجة عن العالم المادي، وهو ما يتوافق مع المبدأ البوذي القائل بأن العالم ليس له وجود إلا في الذهن[٣].

---

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٥٠ – ٥١) – د. رفاه وجمان السيد، و
Spiritual Healing: 144 - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٢) انظر: Essential Reiki: 70 - Diane Stein
Practising Reiki: (161 - 165) - Jennie Austin
Reiki The Healing Touch: (ii11 - ii14) - William Lee Rand

(٣) انظر: Essential Reiki: 66 - Diane Stein

القدرات المنسوبة إلى الـ (ريكي)

تتعدى قدرات الـ (ريكي) - بحسب اعتقاد ممارسيه - قضايا الصحة والمرض، حيث تنسب إليه إمكانيات هائلة لم تنسب بمجموعها إلى كتاب الله ﷻ. ومن تلك القدرات ما يلي:

- الشفاء الجسدي والعقلي والعاطفي للإنسان والحيوان، ومعالجة النبات، وتخفيف الشعور بالألم.
- النمو الذاتي واكتساب الأخلاق الحميدة.
- تحسين العلاقات الخاصة والعامة وحل المشاكل.
- التخفيف من الأحداث العالمية كالكوارث والحروب، أو الحوادث المحلية كالجرائم وحوادث المرور.
- تحقيق الآمال العاطفية والمادية كمنزل أو وظيفة.
- تحسين الطقس.
- الحفظ في السفر والترحال.
- زيادة فعالية الطعام والدواء والفيتامينات.
- تحسين الذاكرة وزيادة القدرة على التعلم.
- الحصول على الأمن والرضا والحماية والبركة والهدى[1].

إن تأثير الـ (ريكي) - عند كثير من الممارسين - مرهون بمدى الإيمان به،

---

(١) انظر والاستشفاء بالطاقة الحيوية: (١٣، ٢٧ - ٢٨) - د. رفاه وجمان السيد، و

Essential Reiki: (76 - 77) - Diane Stein

Reiki The Healing Touch: (ii15 - ii17) - William Lee Rand

Reiki Fire: (30 - 31) - Frank Arjava Petter

وكلما ضعُف «إيمان» الإنسان ضعف انتفاعه بالـ (ريكي) تبعًا[١]، مما يعزز القول بأن ما قد يجده المريض من نتائج إيجابية هو نتيجة لمبدأ الإيحاء (Placebo Effect). ومنهم من يرى نفعه المطلق، دون الحاجة إلى الاعتقاد[٢]، غير أن هذا القول لا يعني انتفاء عامل الإيحاء، فالمعالج المؤمن بالـ (ريكي) مُتأثِّر ومتأثَّر به، وهو يرى النتائج التي يؤمن بها ويتوقعها ولو لم يكن المعالَج يحمل ذات الاعتقاد - بل ولو كان حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن «مؤسسة جيمز راندي[٤] التعليمية» قد عرضت جائزة قدرها مليون دولار أميركي لمن يستطيع إثبات ما يدعيه من القدرات الخارقة (Paranormal) - ومن ضمنها الـ (ريكي) - بالمقاييس العلمية المتفق عليها، ولكن لا بد أن يتجاوز المتقدم اختبارات مبدئية ليستحق لقب «المدعي» ثم يخضع للاختبار النهائي لينال بعد اجتيازه الجائزة. وإلى تاريخه، لم يتجاوز أحد من المتقدمين الاختبار المبدئي[٥].

---

(١) انظر: الريكي للمبتدئين: ٧٧ - ديفيد إف. فينلس.

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: (٨٣ - ٨٤) - د. رفاه وجمان السيد.

(٣) انظر: Scientific & Technological Thinking: 98 - Thicket & Schunn & Thrafton

(٤) **جيمز راندي** (James Randi): هو ساحر كندي اشتهر كمحترف في التخلص (Escape Artist)، ومنذ عام ١٩٧٢ م ركز راندي جهوده على فضح من يدعي امتلاكه لقدرات خارقة فأسس جمعية جيمز راندي التعليمية لخدمة هذا الغرض في عام ١٩٩٦ . حصل على العديد من الجوائز التقديرية، وألف عدة كتب منها:

An Encyclopedia of Claims Frauds and Hoaxes of the Occult and Supernatural

انظر: The Skeptics Dictionary: (327 - 328) - Robert Todd Carroll

وتصفح: www.randi.org >About James Randi

(٥) تصفح: www.randi.org >$1 Million Paranormal Challenge

وانظر: The Skeptics Dictionary: (327 - 328) - Robert Todd Carroll

مبادئ الـ (ريكي)

لقد قرن **يوسوي** مع تقنياته العلاجية شيئًا من التعاليم الأخلاقية التي يراد منها تهذيب المعلم وتنظيم حياته، تتلخص في خمسة مبادئ:

١- اليوم فقط لا تقلق.

٢- اليوم فقط لا تغضب.

٣- احترم والديك ومعلمك الأكبر منك سنًا.

٤- اعمل بجد اكسب قوتك بنزاهة.

٥- اعطف على الآخرين وأظهر عرفانك بالجميل لكل الكائنات الحية[1].

ورغم صلاح ظاهر هذه المبادئ، وقربها من الأخلاق القويمة، إلا أنها لا تخلو من معان باطنية باطلة، حيث يوكل تفسيرها إلى معلم الـ (ريكي). فالعمل الجاد مقرون بالتدريب الروحاني وتحقيق الاستنارة والإشراق، بينما يقترن العطف على الآخرين بعقيدة الـ (كارما) وتناسخ الأرواح ونفي الـ أنا[2].

مستويات الـ (ريكي) الأربعة

يتكون الـ (ريكي) من أربعة مستويات تعتبر مراحل تعليمية له، يرتقي من خلالها المتدرب من مجرد معالج لنفسه إلى معلم يحمل أسرار الـ (ريكي) ويعلمه لغيره.

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٢٦ - مهى نمور، والريكي للمبتدئين: ٣٦ - ديفيد إف. فينلس، و

Essential Reiki: 26 - Diane Stein

Children of the New Age: 184 - Steven J. Sutcliffe

Practising Reiki: 56 - Jennie Austin

Reiki Fire: 30 - Frank Arjava Petter

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٢٦ - مهى نمور، والريكي للمبتدئين: (١٥٨ - ١٦١) - ديفيد إف. فينلس.

الـ (ريكي) من الدرجة الأولى[١]:

يُفترض أن المتدرب يَلتقِي في هذا المستوى مع ذاته التي يجهلها، ذاته الإلهية الكامنة فيه أصلا[٢]، ويستغرق ما بين يومين إلى ثلاثة أيام. يفضل قضاء من ثلاثة إلى سبعة أيام من الاستعداد يتبع فيها المتدرب بعض الحميات الغذائية ويمارس تقنيات الاسترخاء والتأمل، وكثيرًا ما يُحث على ممارسة التطبيقات ذات الفلسفات المشابهة كالـ (يوغا) والـ (تاي تشي) والمداومة عليها[٣].

يتلقى المتدرب أربع «موازنات» (Attunements) في المستوى الأول للـ (ريكي)، وهي عبارة عن طرق يُفتح من خلالها جهاز الطاقة عند الإنسان لتتكون بعدها رابطة أبدية بطاقة الـ (ريكي). ولا يستطيع الإنسان الاستفادة من الـ (ريكي) إلى بعد الموازنة. تُستخدم رموز محددة لعمل هذه الموازنات[٤]، بالإضافة إلى بعض الأوضاع والـ (مانترات) المخصصة لفتح الـ (شاكرات) وتمكين الـ (ريكي) من الدخول من خلالها[٥]. بعد إنهاء الموازنات يصبح الـ (ريكي) متاحا للمتدرب، ويمكنه استخدامه في أي وقت، ولكن يلزمه إعطاء الـ (ريكي) لنفسه يوميا لمدة ثلاثين يومًا، ثم تقل تدريجيًا[٦].

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٦ - مهى نمور، و
Practising Reiki: (92 - 94) - Jennie Austin
Reiki Fire: (38 - 43) - Frank Arjava Petter

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٦ - مهى نمور.

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: (٥٧، ٦٣ - ٦٤، ١٢١) - ديفيد إف. فينلس.
يأتي التفصيل فيهما لاحقًا بإذن الله تعالى.

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: (٥٧ - ٥٨) - ديفيد إف. فينلس.

(٥) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٥١ - ٥٤، ٦٠) - د. رفاه وجمان السيد.

(٦) انظر: الريكي للمبتدئين: (٥٨، ٦٥، ٨٧، ٩٤) - ديفيد إف. فينلس.

الـ (ريكي) من الدرجة الثانية[١]

لا بد أن تمر فترة تتراوح ما بين الشهرين إلى ثلاثة أشهر بعد إنهاء الدرجة الأولى قبل البدء بالدرجة الثانية. وتستغرق من نصف يوم إلى أمسيتين، وتتضمن موازنتين كالتي سبقت في المستوى الأول[٢].

يتميز هذا المستوى بتعلُّم ثلاثة من الرموز السرية[٣] مع كيفية تنشيطها لتساعد في العملية الشفائية، كما تساهم هذه الرموز في منح القدرة على تحديد أهداف الـ (ريكي) وتمكن الإنسان من إرساله لمن يحتاجه عن بُعد[٤]، بل حتى للأحداث الماضية والمستقبلية. وتعادل قوة الـ (ريكي) التي يمتلكها طالب المستوى الثاني أربعة أضعاف تلك التي يمتلكها طالب المستوى الأول[٥].

المستوى المتقدم

لا بد من الانتظار لمدة ستة أشهر بعد الدرجة الثانية قبل التمكن من المستوى

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٧ – مهى نمور، و

Practising Reiki: (94 - 95) - Jennie Austin

Reiki Fire: (43 - 46) - Frank Arjava Petter

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ٦٩ – ديفيد إف. فينلس.

(٣) وقد اختلف في معاني هذه الرموز المقدسة من كونها تمثل آلهة هندوسية أو ترمز إلى وحدة الإنسان مع الإله، إلى كونها مجرد أشكال بلا معنى تعمل على استثارة العقل الباطن. والصحيح أن لها جذورًا في الديانات الشرقية كما سيأتي.

(٤) يكفي في ذلك وضع الهدف الذهني وهو استقبال المريض البعيد ما يكفيه من الـ (ريكي)، ويمكن الاستعانة بصورته مكتوب على خلفها اسمه لإيجاد صلة أقوى (؟!) انظر: الريكي للمبتدئين: ١٣٢ – ديفيد إف. فينلس، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: ٤٧ – د. رفاه وجمان السيد، و

Essential Reiki: (66 - 67) - Diane Stein

Reiki The Healing Touch: ii11 - William Lee Rand

(٥) انظر: الريكي للمبتدئين: ٦٩ – ديفيد إف. فينلس،
يقف المعالج بالمكان الذي حدثت فيه وقائع مأساوية فيعمل الـ (ريكي) على إزالة الطاقات السلبية المتبقية من الأفعال السلبية الماضية.

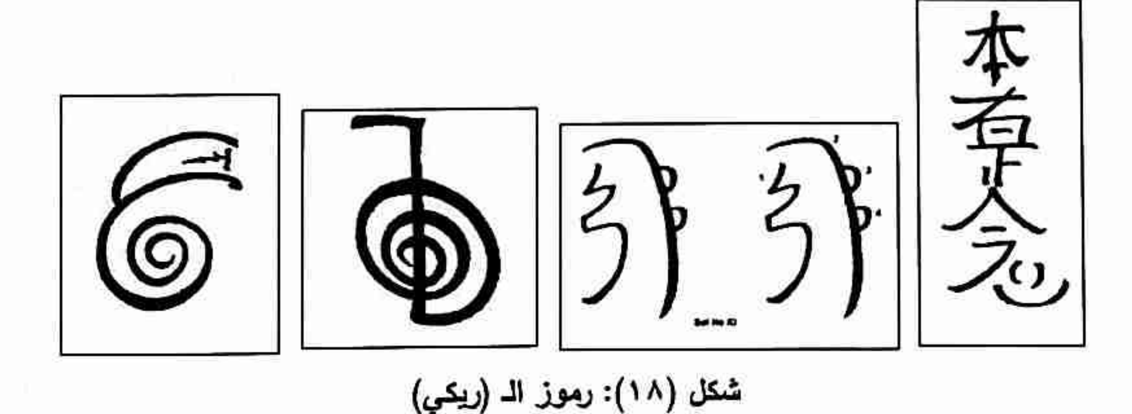
المتقدم. ويوجد فيه موازنتان إضافيتان لإعطاء مستوى أعلى من الطاقة. ويمنح الطالب رمز معلم الـ (ريكي) ليقوم باستخدامه[١].

معلم ريكي

هذا المستوى خاص بمن يريد تعليم الناس المستويات الثلاث السابقة، فبعد أن يُمنح رمز المعلم في المستوى المتقدم، يتعلم كيف يوازن للآخرين وكيف يعلم المستويات المختلفة للـ (ريكي)[٢].

رموز الـ (ريكي)

تعد هذه الرموز سرية للغاية ولا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق معلم (ريكي) مباشرة، ولا يمكن تفعيل طاقتها إلا من خلال الاتصال المباشر[٣]، ولذلك فهي لا تُنشر في الكتب ولا تعرض في المقالات خشية أن يساء استخدامها. وقد وجدتها في كتاب خشيت مؤلفته على الرموز من «الضياع» إلى الأبد فقامت بطباعتها رغم الاعتراضات الشديدة[٤]، وهي كالتالي:



شكل (١٨): رموز الـ (ريكي)

(١) انظر: المرجع السابق: ٧٠، وطاقة الكون بين يديك: ١٤٧ – مهى نمور، و Reiki Fire: 47 - Frank Arjava Petter

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ٧٠ – ديفيد إف. فينلس.

(٣) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٥٧ – د. رفاه وجمان السيد، و

(٤) انظر: Essential Reiki: (54 - 57) - Diane Stein

وقد بررت فعلها بأن "الأرواح الهادية" لا يمكن أن تسمح باستخدام الـ (ريكي) في الشر.

يعتبر الرمز صورة مرئية لـ (مانترا)، ويسمى: (يانترا) (यन्त्र - Yantra)، ومن خلال تكرارها يتم تنشيط الـ (شاكرات) واستدعاء الطاقة[١]. وقد كان لهذه الرموز استخدامات في الطقوس البوذية قبل أن تدرج ضمن تعاليم الـ (ريكي)[٢]، ومعًا تمثل الرموز الخمسة انتفاء الثنائية بين العقل والمادة، والتجرد من الفردية التي يتوصل من خلالها إلى الـ (نيرڤانا)[٣]، وفي نفس الوقت تعد صورًا للعناصر الخمسة[٤].

استخدامات الرموز:

- **الرمز الأول**: رمز القوة: ويتضمن استدعاء للقوة العظمى كي تشفي المريض. ويستخدم لشحن الطاقة وللحماية ولتقوية الهالة وغير ذلك.
- **الرمز الثاني**: رمز العقل والعاطفة: يساعد على التذكر، وتسهيل تكوين العلاقات وإنهائها، بالإضافة إلى التخلص من العادات السيئة كإدمان الخمر أو التدخين.
- **الثالث**: رمز المعالجة عن بُعد: وهو يمثل وحدة الوجود، ووجود الشرارة الإلهية في النفس البشرية، ويستخدم لمعالجة الغائب، ويمكن الاستعانة بصورة المريض أو بشيء من شعره أو أظفاره أو دمية تمثله. كما يستخدم للاتصال بالماضي، أو المستقبل.
- **الرابع**: رمز المعلم: وهو خاص بالمعلم، ولا يُعلم فيم يستخدم إلا عند التأهل[٥].

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٤٩ – مهى نمور

(٢) انظر: Essential Reiki: 129 - Diane Stein
Reiki Fire: (109 - 110) - Frank Arjava Petter

(٣) انظر: Essential Reiki: 132 - Diane Stein

(٤) المرجع السابق: ١٣١.

(٥) انظر: Essential Reiki: (59 - 60) - Diane Stein
Practising Reiki: (99 - 103) - Jennie Austin

إن الغموض والسرية المحاطة بالرموز هي - في نظري - من الوسائل التسويقية للكسب المادي السريع، فكل مستوى من مستويات الـ (ريكي) لا يعطى إلا في مقابل مبالغ مادية، ومن أجل التشويق إلى المستوى التالي لا بد من تمييزه بشيء لا يتحقق لمن دفع مالا أقل! علما أن الرموز لا يمكن الاستفادة منها إلا بعد «التأهيل»، بمعنى أنه لا بد من تعلمها من خلال معلم (ريكي) وإلا أصبحت عديمة الفائدة[1].

لقد كان التأهل - في السابق - شديد الكلفة، حيث لا يمكن تحصيل درجة المعلم إلا بما يعادل عشرة آلاف دولار تقريبا[2]، إلا أن الأسعار لم تزل في نزول - ربما لتضخم سوق الخرافة وكثرة المنافسين! - حتى وصلت إلى مبالغ تعتبر متوسطة. ورغم ذلك، فإن المبالغ المطلوبة - مهما كانت زهيدة - لا يمكن أن تتناسب مع ما يقدم في المستويات من علوم فاسدة وطرق علاجية وهمية. والغريب في الأمر أن الحصول على شهادات الـ (ريكي) للمستوى الأول والثاني - بل حتى مستوى المعلم يمكن الحصول عليها إلكترونيا من خلال الشبكة العالمية (الإنترنت) وتتم «الموازنة» عن بُعد. حيث يستقبل المتدرب كتبًا إلكترونية، ويُسمح له بالاتصال بالمعلِّم، ثم تُرسل له شهادة من المعلم أو من الاتحاد العالمي لمحترفي الـ (ريكي) (International Association for Reiki Professionals IARP) بمقابل مبلغ إضافي. بعدها يمكن للمتدرب أن يكون معالجًا معترفًا به، وربما لم يقرأ من الكتب التي أُرسلت له حرفًا واحدًا[3]!

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: ١٥٠ - مهى نمور، و
Reiki The Healing Touch: ii6 - William Lee Rand
Reiki Fire: 38 - Frank Arjava Petter

(٢) انظر: The Skeptics Dictionary: 330 - Robert Todd

(٣) تصفح مثلًا موقع معلمة الـ (ريكي) منى خلف على العنوان التالي:
reikihealingpower.com > enter

الـ (ريكي) في المملكة العربية السعودية

لم تكن بلاد الحرمين في معزل عن الغزو العقائدي المتخفي خلف أستار الطب البديل، فكان لتطبيقات الفلسفة الشرقية المختلفة رواج متزايد في بعض الأوساط، إلا أن العلاج بالطاقة والـ (ريكي) على وجه الخصوص كان من أكثرها انتشارًا ورواجًا بين الناس، لوجود ممارسين متحمسين له من هذه البلاد[1]. كما أنه من أكثرها تنظيمًا، حيث تتبناه جهات تسعى إلى نشره وترخيصه كطريقة علاجية بديلة مقبولة، وهي في الوقت نفسه تسعى إلى تأصيله شرعيًا وتفسيره تفسيرًا إسلاميًا.

تأسست الجمعية السعودية للـ (ريكي) في عام ١٤٢٢ هـ، مع انعقاد المؤتمر الثاني للطب البديل في مدينة جدة، وتتخذ من «مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدائل الطبية» مركزًا لها، كما يوجد لها موقع على الإنترنت بعنوان: www.saudireiki.com.

تهدف الجمعية - كما هو مدون في موقعها - إلى تأصيل «علم» الـ (ريكي) بوضعه في الإطار الإسلامي. ويرأس الجمعية - حاليًا - د. **أحمد عاشور**[2]، بينما

---

(١) ومن أشهر هؤلاء المعلمة مها هاشم، فلها نشاط كبير في جميع أنحاء المملكة، وهي ممن يروج لفكرة التحريك النفسي Psychokinesis (أو إمكانية تحريك الأشياء المحسوسة والتأثير عليها بمجرد الإرادة.
www.nlpnote.com/forum/showthread.php?t=10759
وهذا منزلق خطير قد لا يتنبه له في بداياته، حيث ينظر إليه كمجرد تسلية وإثارة، إلا أن الأمر يصل إلى مراحل متطورة من الانحراف، وقد قرأت في بعض المواقع عمن يدعي إمكان إحداث البرق والرعد وإنزال المطر بالإرادة!

(٢) د. **أحمد عاشور**: ولد عام ١٣٨٦ هـ في ينبع، حصل على الشهادة الجامعية في الطب والجراحة العامة من جامعة الملك سعود بالرياض. وهو نائب رئيس مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدائل الطبية، والرئيس العام لجمعية سعودي ريكي. يعمل حاليًا في مستشفى الملك فهد بجدة. تصفح:
www.saudireiki.com > أعضاء الجمعية > رئيس الجمعية

يشغل **طلال خياط**[1] منصب أمين عام الجمعية. تشرف الجمعية على العديد من الدورات والمحاضرات المتعلقة بالـ (ريكي) والفلسفات المشابهة في أنحاء مختلفة من المملكة العربية السعودية[2].

(١) **طلال خياط**: وهو أول مدرب للطاقة في المملكة العربية السعودية ومن كبار المروجين لها. حصل على شهادة الباكلوريوس في الإعلام الإسلامي، كما حصل على عضويات في العديد من الجمعيات العالمية المختصة بالطاقة والبرمجة اللغوية العصبية (NLP) والطب البديل. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة والطاقة غذاء النفس. وهو من سكان مكة المكرمة. تصفح:
أمين الجمعية < أعضاء الجمعية < www.saudireiki.com

(٢) تصفح: سعودي ريكي < www.saudireiki.com
تعرض الدورات في: الاطلاع على الدورات < الدورات والتدريب < ww.saudireiki.com

المبحث الثاني

العلاج بالضغط على الطريقة الصينية

يعتبر العلاج بالضغط من الطرق العلاجية التكميلية، وهو شامل لكل ما يُستخدم فيه نوع من أنواع الضغط للعلاج، كالتدليك أو بعض أنواع العلاج الطبيعي، ولكن المراد في هذا المبحث هو ما كان منها معتمدا على ضغط نقاط معينة تتوافق مع مراكز الطاقة التي حددها فلاسفة الشرق قبل آلاف السنين. إن هذه الطرق تعتمد أساسًا على الفلسفة الشرقية في المرض والاستشفاء، ولذلك فمبدأ الطاقة الكونية هو المبدأ الرئيس الذي تقوم عليه هذه التطبيقات وهو العامل المشترك بينها.

يكون الضغط على مراكز الطاقة بإحدى وسيلتين:

١- باستخدام الآلة الحادة، كما هو الحال في العلاج بالإبر الصينية[1].

٢- أو باستخدام اليدين أو القدمين، كالـ (شياتسو) وأنواع العلاج بالضغط بدون اختراق **(acupressure)**.

وهي جميعها من الطرق العلاجية التي عملت حركة «العصر الجديد» على إعادة نشرها والترويج لها[2].

---

(١) ويطلق عليها: الإبر الصينية - التأبير الصيني - الوخز الإبري - الوخز بالإبر (انظر: العلاج بالإبر الصينية: ١٦ - د. صباح أحمد جمال الدين).

(٢) انظر: Children of the New Age: 182 - Steven J. Sutcliffe

المطلب الأول: الوخز بالإبر على الطريقة الصينية (Acupuncture - 針灸)

«إن فكرة وخز الجلد بآلة مدببة، سواء كانت من الحجر أو من العظم أو من المعدن تعود إلى عصور ما قبل التاريخ»[1]، وقد كانت تُستخدم - بالجملة - في تسكين الألم، مع اختلاف الاعتقادات في الأسباب الكامنة وراء ذلك.

- فكان بعضهم يظن أن الإبر تؤذي الأرواح الشريرة التي تسكن في الجسم وتسبب له الآلام، وبخروجها من الجسم وانتقالها عنه يسكن الألم[2].
- بينما تفيد وجهة نظر أخرى بأن بعض الشعوب كانت تُشبِّه الألم بطبيعة الهواء، ولذلك يسميه بعض العوام «ريح»، فكانت ردة الفعل الطبيعية هي محاولة إخراجه عن طريق الوخز بآلة حادة[3].
- وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد تقريبًا أدخلت فلسفة الطاقة الكونية إلى العلاج بالإبر[4].

تاريخ التأبير الصيني

في الصين:

لقد كانت ثمة إشارات إلى الوخز بالإبر كوسيلة للعلاج في نصوص هوانغ دي، إلا أن أول كتاب تحدث عنها بشكل مفصل كان بعنوان: (مدخل إلى الوخز بالإبر الصينية والمعالجة الحرارية بالـ موكسا)[5].

---

(١) مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٣ - د. مروان الجبَّان.

(٢) انظر: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٣) انظر: العلاج بالإبر الصينية: ١٦ - د. صباح أحمد جمال الدين.

(٤) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: (١٤ - ١٥) - د. مروان الجبَّان.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٤ - د. مروان الجبَّان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: ٧ - د. فتحي سيِّد نصر، وكتاب الطب الصيني: (٩٦ - ٩٧) - ترجمة: محمد يوسف شهاب.
الـ موكسا: هي نبتة صينية تلف على شكل اسطواني وتُحمى، ثم تستخدم في كيّ النقط العلاجية على مسارات الطاقة المستخدمة في الإبر.

تأسست (الكلية الإمبراطورية للمعالجة بالإبر) في الصين ما بين القرنين السابع والعاشر للميلاد. وفي عام ١٢٠٦ م حدد أحد الأطباء الصينيين نقاط الوخز على تمثال برونزي يقارب حجم الجسم البشري، فأصبح مرجعًا أساسيًا لكثير من المعالجين بالإبر حتى وقتنا الحاضر، وقد نُقل ذلك التمثال إلى أوروبا. ثم انتشر الوخز بالإبر بشكل واسع في الصين في القرون التالية.

وفي مطلع القرن العشرين، ومع تقدم العلوم الغربية، تمكنت العلوم الطبية الغربية من الدخول إلى الصين، فتراجعت مكانة الطب الشعبي ومن ضمنه التأبير فقلَّ استخدامه فيما عدا الفقراء والقرويين. إلا أنه أعيد بناء تنظيم الطب الصيني مع قيام الثورة الاشتراكية، وأضفيت عليه الصبغة العلمية، فأُدخل العلاج الإبري إلى الجامعات والمستشفيات مكتسبًا صفة رسمية محلية، وانتشر انتشارًا واسعًا في مستشفيات الصين[1].

في أوروبا:

لقد كان للمنصرين والمستشرقين الأوروبيين دور هام في نقل الفلسفات الشرقية إلى البلاد الأوروبية، وكان من ضمن ما تم تصديره: الوخز بالإبر على الطريقة الصينية، حيث ظهر في فرنسا أول منشور تحدث عن العلاج بالإبر في ١٦٧١ م. وفي سبعينيات القرن العشرين أُدخل الوخز بالإبر في بعض كليات الطب في أوروبا وروسيا وأقيمت دورات تعليمية بخصوصه[2].

---

(١) مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: (١٥ - ١٧) - د. مروان الجبَّان (بتصرف)، وانظر: العلاج بالإبر الصينية: ٧٦ - د. صباح أحمد جمال الدين، وكتاب الطب الصيني: ٩٧ - ترجمة: محمد يوسف شهاب.

(٢) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٨ - د. مروان الجبَّان، والعلاج بالإبر الصينية: ١٦ - د. صباح أحمد جمال الدين.

في العالم العربي:

في عام ١٩٧٤ م استقدم وزير الصحة المصري وفدًا صينيًا يتكون من خبراء في العلاج والتخدير ليعرضوا تجاربهم على أطباء مصر ويعالجوا بعض المرضى المصريين(١). وفي الوقت نفسه تقريبًا قدم وفد صيني إلى الشام(٢). وقد كان لهذه الزيارات أثر على بعض العرب من الأطباء والعوام، فقاموا بتبني هذه الفلسفات وتطبيقها في بلدانهم بعد رحيل الصينيين. وقد وصل التأبير إلى المملكة العربية السعودية وبلدان الخليج العربي بعد ذلك بعشر سنوات تقريبًا.

فلسفة التأبير

إن العلاج بالإبر الصينية يعتمد - في الأصل - على فلسفة الطاقة الكونية (تشي)، وتوازن الـ (ين يانغ) ودورهما في العلاج والمرض، ويكمن دور الوخز بالإبر في تحقيق التوازن الطاقي في الجسم، من خلال استعادة تدفقها وسريانها. فالوخز بالإبر ليس وسيلة لشحن الطاقة أو نقلها من خلال وسيط، وإنما هو مجرد وسيلة لإزالة «الانسداد» الذي يحصل في مساراتها ويعيق حركتها مما يسبب مرض العضو الذي ضعُف تدفق الطاقة إليه. أما في حال نقصان الطاقة فإنه يلزم الرجوع إلى وسيلة أخرى لشحنها واجتذابها(٣).

كما تعتمد الإبر الصينية على الاعتقاد بوجود مسارات الطاقة، وهي التي سبق أن تطرقنا إليها في مبحث سابق. تتكون هذه المسارات من أربعة عشر مسارًا

---

(١) انظر: الإبر الصينية في العلاج والتخدير: ٢٥ - د. لطفي سليمان.

(٢) مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٨ - د. مروان الجبان.

(٣) انظر: العلاج بالإبر الصينية: (٧٧، ٨٥، ١٠٧) - د. صباح أحمد جمال الدين، ومبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٩ - د. مروان الجبَّان، والإبر الصينية في العلاج والتخدير: ١٣ - د. لطفي سليمان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: ٧ - د. فتحي سيِّد نصر، والشفاء بالطاقة الحيوية: ٣٦ - د. أحمد توفيق، وكتاب الطب الصيني: ٩٨ - ترجمة: محمد يوسف شهاب، و

Acupuncture A Viable Medical Alternative: 25 - Marie Cargil

يختص كل منها بأعضاء ووظائف عضوية، وهي بدورها تنقسم إلى مسارات (ين) ومسارات (يانغ). توجد نقاط محددة على المسارات، كل منها له وظيفة محددة[١].

الاستشفاء بالإبر الصينية

يعتمد الأطباء الصينيون على «جس النبض الشرياني» في تشخيص الحالات المرضية، وهي طريقة قديمة لمعرفة مدى توازن الطاقة في أعضاء الجسم ومن ثم توجيهها لأماكن النقص وإعادة توازنها من خلال الوخز بالإبر. ويوافق كل نمط من النبض عضو معين من أعضاء الجسم[٢].

ووفقا لأسس التأبير الصيني، فإن دوران الطاقة الكونية يكون كالتالي:

الكبد ← الرئتين ← الأمعاء الغليظة ← المعدة ← الطحال ← القلب ← الأمعاء الدقيقة ← المثانة ← الكليتين ← الأوعية الدموية ← السخان الثلاثي[٣] ← المرارة ← ثم تعود إلى الكبد.

ويحدد سريانها في الأعضاء بساعات معينة من الليل والنهار المنضبطة بما يسمى الساعة الحيوية[٤]، وبناء عليها يحدد المعالج الأوقات المناسبة لعلاج كل

---

(١) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: (٢٤ - ٢٥) - د. مروان الجبَّان، والإبر الصينية في العلاج والتخدير: ١٣ - د. لطفي سليمان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: (٤٣ - ٤٥) - د. فتحي نصر.

(٢) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: (٢١ - ٢٢) - د. مروان الجبَّان، والعلاج بالإبر الصينية: (١٠٨ - ١٠٩) - د. صباح أحمد جمال الدين.

(٣) وهو مصطلح خاص بالطب الصيني لا يوجد له عضو مقابل في علم التشريح (على الصحيح)، وقد قرنه بعضهم بالجهاز اللمفاوي، وقيل المقصود بها الفراغات الثلاثة: فراغ الصدر، وفراغ البطن، وفراغ الحوض.

(٤) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ٢٠ - د. مروان الجبَّان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: (٣٦ - ٣٧) - د. فتحي سيِّد نصر.

حالة فيقوم بوخز الإبرة في النقطة المحددة المرتبطة بالعضو المعلول[1]، وقد يضاف إلى الإبر شيء من المحفزات الإضافية كتيار كهربائي خفيف[2].

تنقسم نقاط الوخز بحسب عملها إلى قسمين رئيسين، هما:

١- النقاط العَرَضِية: وتعمل على تخفيف الألم وإزالة أعراضه.

٢- نقاط التحكم: وهي تعالج اختلال توازن الطاقة، ويفترض أنه بوخزها تزول جذور المرض[3].

يعلم المعالج أنه أصاب النقطة المحددة عندما يشعر المريض بشيء من الألم الخفيف أو يحس بالتنميل أو التعرق مثلًا[4]، وهذه - وإن كانت أعراضًا طبيعية لاستثارة المراكز العصبية - تفسر على أنها الأحاسيس المقترنة باستعادة تدفق الطاقة الكونية في مساراتها[5]. وهذا التلبيس يستخدم في كثير من تطبيقات ما يسمى «الطب البديل» بحيث تفسر النتائج الطبيعية - والثابتة علميًا - لبعض الممارسات على أنها إثبات حسي للدعاوى الخرافية المقرونة بها، فيقتنع المريض بأنها حقيقة لما يلمسه من أثر حسي ليس له في الواقع أي صلة بها!

---

(١) انظر: الإبر الصينية في العلاج والتخدير: ٣٥ - د. لطفي سليمان.

(٢) استخدمت الكهرباء لتحريض الوخز بالإبر لأول مرة في فرنسا عام ١٨٩٥ م (انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ١٩٠ - د. مروان الجبَّان).

(٣) انظر: المرجع السابق: (٢٤ - ٢٥)، والإبر الصينية في العلاج والتخدير: ١٣ - د. لطفي سليمان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: (٤٣ - ٤٥) - د. فتحي سيِّد نصر.

(٤) انظر: الإبر الصينية في العلاج والتخدير: ١٣ - د. لطفي سليمان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: ٣٢ - د. فتحي سيِّد نصر.

(٥) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ٢٤ - د. مروان الجبَّان.
والواقع أن هذه الأعراض دالة على إصابة المعالج لمنطقة عصبية في جسم المريض، حيث يقوى الإحساس في تلك المنطقة. وهو الذي يستثير الأجسام المضادة وإفراز الهرمونات المسكنة للألم على افتراض صحة هذه النظرية. ولا يدل على وجود مسارات للطاقة ولا على سريانها.

قوبل التأبير الصيني - المبني على مبدأ الطاقة الكونية - بالرفض في المجتمع العلمي الغربي نظرًا لعدم قيامه على أسس البحث العلمي الصحيح ولاعتماده على مبادئ غيبية فلسفية لم تثبت إلا في عقل من يؤمن بها، كما أن النتائج الإيجابية المزعومة ترتكز على الحالات الفردية الثابتة بالملاحظة والتجربة العملية، وهي طرق غير كافية في إثبات دعوى التأثير. ولذلك حاول بعض من رأى جدوى الوخز بالإبر من أطباء ومعالجين غربيين أن يترجموا الفلسفات الصينية القديمة إلى نظريات علمية حديثة، فأدرجه بعضهم تحت مسمى: العلاج الانعكاسي، ولم يكن الاختلاف عن الفلسفة الأصلية سوى في التسميات. بينما قام بعضهم بمحاولة تقديم فرضيات علمية لتفسير الآلية التي يعمل من خلالها التأبير[1].

ورغم ما طرح من تفسيرات علمية، إلا أن تقبل الوخز الإبري كوسيلة علاجية ناجعة لا زال يثير جدلًا واسعًا في الأوساط الطبية، خاصة مع ما قد يترتب عليه من الأعراض الجانبية والمخاطر المحتملة[2].

---

(١) انظر: مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: ٢٩ - د. مروان الجبَّان، والإبر الصينية في العلاج والتخدير: ١٣ - د. لطفي سليمان، والوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟: (١٥ - ١٨) - د. فتحي سيِّد نصر.

(٢) لقد وردت بعض التقارير الطبية عن بعض الأعراض الجانبية للتأبير الصيني، منها:

١- ثقب الرئة أو المثانة.

٢- انكسار الإبر داخل جسم المريض.

٣- التحسس للإبر المزودة بمواد غير الاستيل الجراحي.

٤- إسقاط الحمل المبكر، حيث يؤدي الوخز إلى إفراز بعض الهرمونات التي تستثير الولادة.

٥- حدوث الالتهابات الناتجة عن العدوى عند استخدام الإبر المستعملة.

٦- بالإضافة إلى الأخطار الناتجة عن ترك المريض للأدوية الطبية اعتمادًا على التأبير، مما قد يؤدي إلى تفاقم حالته المرضية أو حتى وفاته.

انظر: The Skeptics Dictionary: 7 - Robert Todd Carroll

ومن التأثيرات التي تُنسب إلى التأبير:

١- التخدير والتخلص من الألم.

٢- معالجة الأرق، والصداع النصفي.

٣- التأثير على التوازن الوظيفي[١].

٤- مضاد الالتهابات[٢].

ويعترف المعالجون بالإبر الصينية بوجود حالات مرضية لا يمكن معالجتها بالوخز[٣].

مدارس الوخز الإبري

يمكن تحديد المدارس التي ينتمي إليها المعالجون بالتأبير بحسب ما يحملونه من اعتقاد حول آلية عمل الوخز في العلاج، وهي تندرج بشكل رئيس تحت مدرستين[٤]:

١- **المدرسة الصينية**: وهي المدرسة الأصلية. تعتمد هذه المدرسة على الفلسفة الشرقية بشكل كلي، وهي مستوحاة من مبادئها الأساسية كالطاقة الكونية والـ (ين يانغ) والمسارات..الخ.

---

(١) يراد بالتوازن الوظيفي توسط أداء العضو بحيث لا يكون فيه نقص ولا زيادة، كزيادة الضغط وانخفاضه أو الإسهال والإمساك.

(٢) مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: (٣٠ - ٣٢) - د. مروان الجبّان (مختصرًا وبتصرف)، وانظر: العلاج بالإبر الصينية: (١٧٦ - ١٨٠) - د. صباح أحمد جمال الدين، كتاب الطب الصيني: ٩٩ - ترجمة: محمد شهاب.

(٣) انظر: الإبر الصينية في العلاج والتخدير: ٢١ - د. لطفي سليمان.

(٤) وقد جعلها بعضهم - كـ د. **رياض الهجن** - ثلاث مدارس: صينية، وهندية، وأوروبية. إلا أن تقسيمها إلى صيني وغربي أصح، حيث إن المدرسة الصينية هي المعتمدة أساسًا على فلسفة الطاقة، فالمدرسة الهندية تابعة لها في ذلك وهي أقل منها شهرة. بينما تشمل المدرسة الغربية المدرسة الأوروبية وغيرها.
انظر كلام د. **الهجن** في: أحدث علاج "الوخز"، مقال في صحيفة الوطن: العدد: ١٢٦٥ - السنة: الرابعة - ٢٦/ ١/ ١٤٢٥ هـ.

٢- **المدرسة الغربية**: وهي ناتجة عن عدم تقبل كثير من علماء الغرب للرؤية الشرقية للصحة والمرض وربطهما بالتوازن الطاقي، فتجاهلوا التفسيرات الغيبية الشرقية تمامًا وبحثوا عن تفسيرات علمية لما اعتقدوه من جدوى الوخز بالإبر في العلاج. فكان من أبرز تلك الفرضيات:

- أن تسكين الألم ناتج عن تحفيز الغدة النخامية على إفراز الـ إندورفن (**Endorphins**)، مما يحدث استجابة الدماغ لهذه المواد الكيميائية فيحجب الإحساس بالألم. علمًا أن كثيرًا من نقاط الوخز تتوافق مع الشبكة العصبية للجهاز العصبي[1].
- أن الوخز بالإبر يقطع انتقال الشعور بالألم من أجزاء الجسد إلى الجهاز العصبي المركزي (٣).
- يكون تعديل الخلل الوظيفي من خلال الاستثارة المستمرة التي تحفز الدماغ على تصحيح النشاط المختل لخلايا المخ والذي يتسبب في إحداث الخلل[2].

يقول د. رياض الهجن[3]:

«وقد وجد - مع التجربة - أن لهذه المواقع وظائف مختلفة في الجسم، منها ما يؤثر في وظائف الجسم عن طريق الأعصاب، ومنها ما يؤثر في حث إفرازات

---

(١) انظر: Acupuncture A Viable Medical Alternative: 39 - Marie Cargill
The Skeptics Dictionary: 6 - Robert Todd Carroll

(٢) انظر: Acupuncture A Viable Medical Alternative: 43 - Marie Cargill

(٣) د. رياض الهجن: طبيب سعودي درس المرحلة الثانوية في مدينة جدة ودرس طب الباطنة في النمسا، حصل على دكتوراه في التخصص ذاته وأخرى في علم الأحياء. تخصص في العلاج بالإبر الصينية، وافتتح عيادة لذلك في مدينة الرياض عام ١٤١٢ هـ. انظر:
العلاج بالإبر الصينية توأم للكيّ، مقال في المجلة العربية - العدد: ٣١٥ - السنة ٢٨: ربيع الأخر ١٤٢٤/ يونيو ٢٠٠٣ م.

معينة في الجسم، ومنها ما يؤثر في الأوعية الدموية بالجسم، وفي العضلات غير الإرادية. وبواسطة هذه الطرق نستطيع احتواء الأمراض المختلفة بالعلاج بالإبر الصينية»[1].

وعلى كل حال، وإن كانت هذه الفرضيات تخرج المدرسة الغربية من التبعات الإلحادية للفلسفة الشرقية، إلا أنها لا تزال مجرد فرضيات لم تخضع لدراسات كافية تنقلها إلى حيز الحقائق العلمية. بل إن «المجلس الوطني لمحاربة الاحتيال في المجال الصحي» (NCAHF) في الولايات المتحدة قد أصدر ورقة تصرح بموقفه من التأبير في عام ١٩٩٠[2]، وهو يتلخص في أربع نقاط:

١- أن التأبير وسيلة غير ثابتة للعلاج.

٢- أنها من حيث النظرية والتطبيق مبنية على مبادئ بدائية ووهمية في المرض والصحة ليس لها أي تعلق بالعلم الحديث.

٣- أن البحث العلمي - خلال العشرين سنة الماضية - فشل في تقديم الدليل على نجاح التأبير في علاج أي مرض.

٤- أن ما قد يلاحظ من آثار التأبير على الصحة من المحتمل أن يكون نتيجة لمجموع من التوقعات، الإيحاء، وإثارة المسكنات الطبيعية.. الخ

وقد أشارت الورقة إلى أسباب عدة تجعله من الصعب قبول الأبحاث المؤيدة للتأبير، ومن ذلك صعوبة إيجاد عينات ليس لديها رأي مسبق عن التأبير مما يؤثر على النتائج سلبًا وإيجابًا بحسب ذلك الرأي[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الورقة ما زالت منشورة في موقعهم الإلكتروني مما يدل على استمرار الموقف إلى اليوم.

(٣) تصفح الموقع الرسمي للمجلس:

www.ncahf.org >Position Papers and Other Task Force Reports/Accupuncture

المطلب الثاني: الـ شياتسو (指圧 – Shiatsu)

الـ (شياتسو) هو أحد التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وهو نوع من أنواع التدليك الذي يتم من خلال الضغط باليدين – وبالرجلين أحيانًا – على نقاط محددة من الجسم بهدف إحداث التوازن الطاقي. ليست طريقة الـ (شياتسو) هي الطريقة الوحيدة للعلاج بالضغط التي تعتمد على الفلسفة الشرقية، وإنما أوردتها هنا لأنها من أشهرها، ولتكون نموذجا يُقاس عليه غيره مما لا يختلف عنه كثيرًا في النظرية والتطبيق[1].

معنى الـ (شياتسو)

(شياتسو) (Shiatsu) كلمة يابانية متكونة من شقين: (شي - Shi) وتعني أصابع، و(اتسو - atsu) وتعني: الضغط. وعليه يفهم من كلمة (شياتسو): الضغط بالأصابع، وهو من باب التغليب حيث لا يقتصر الـ (شياتسو) على استخدام الأصابع فقط[2].

---

(١) ومن تلك التطبيقات:

١- الـ (جين شين دو): وهي تعتمد على الفلسفة ذاتها غير أن التأثير الطاوي ظاهر عليها بشكل كبير. (انظر: العلاج بالضغط طريق إلى الصحة (جين شين دو) – أيونا مارسا تيجوردان)

٢- العلاج الانعكاسي (Reflexology): وهو طريقة علاجية تعتمد على تقسيم باطن القدم أو راحة الكف إلى أقسام متعددة، كل منها تمثل عضوًا أو جزءًا معينًا من الجسم البشري وعن طريق الضغط على القسم المحدد يمكن معالجة الأمراض التي تصيبه. تفسر هذه الطريقة العلاجية بأكثر من نظرية، من أبرزها تلك التي تعتمد على وجود الطاقة الكونية ومساراتها في الجسد، حيث ترتبط مسارات الطاقة بالأقسام المحددة من القدم واليد فيكون الضغط عليها وسيلة لإزالة انسداد المسار وتنشيط سريان الطاقة من خلاله، انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): (١١٥ – ١١٧) – بيل غوتليب، و
Reflexology & Complementary Therapies: (5 - 6) - Geddes & Grosset

(٢) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٢٢ – ترجمة: محمد شهاب، وفن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: ٩ – أوهاشي، و Practising Shiatsu: 7 - Geddes & Grosset

تاريخ الـ (شياتسو)

لقد كان الـ (شياتسو) يمارس في الصين منذ زمن طويل يصل إلى ألفي عام، ولكنه لم يكن يحمل الاسم ذاته، وإنما تبلورت معالمه الحديثة وتحددت في اليابان، وهناك أطلق عليه اسم (شياتسو) في بداية القرن العشرين[١].

فلسفة الـ (شياتسو)

إن الفلسفة التي يقوم عليها الـ (شياتسو) هي ذاتها التي بني عليها التأبير، حيث يعتقد بوجود مسارات للطاقة الكونية، ويتم تنشيط سريانها وإزالة انسداد المسارات من خلال الضغط على نقاط محددة سواء بالكبس أو التدليك أو القرص.. الخ. هذه النقاط هي ذاتها المستخدمة عند الوخز بالإبر[٢].

العلاج بالـ (شياتسو)

يقوم المعالج بالضغط على نقاط محددة من جسم المريض بهدف استحثاث الطاقة وتسهيل سريانها في مساراتها المزعومة[٣]. كما يُقسِّم الجسم البشري إلى ثلاثة مراكز أساسية: مركز الرأس، ومركز القلب، ومركز البطن. كل من هذه المراكز يرتبط بـ (شاكرات) محددة. ومن أجل أن ينعم الإنسان بصحة جيدة فإنه لا بد أن تكون الطاقة موزعة بين المراكز الثلاث بالتساوي. ويهتم الـ (شياتسو) بمركز البطن بشكل خاص حيث يشجع على التنفس عن طريق تمدد منطقة البطن وذلك

---

(١) انظر: فن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: (١١ – ١٢) – أوهاشي، و
Practising Shiatsu: 7 - Geddes & Grosset

(٢) انظر: كتاب الطب الصيني: (١٢٢ – ١٢٣) – ترجمة: محمد شهاب، وفن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: ٩ – أوهاشي، و Practising Shiatsu: (9 35) - Geddes & Grosset

(٣) انظر: فن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: ١٥ وما بعدها – أوهاشي، و
Practising Shiatsu: (65 - 106) - Geddes & Grosset

من أجل إدخال الهواء إلى منطقة الـ (هارا)[١] مصحوبا بالطاقة الحيوية (تشي)[٢].

أما الحركات المستخدمة في الـ (شياتسو) فهي مصنفة وفقا للـ (ين يانغ)، فعلى سبيل المثال يعتبر الصعود (ين) والنزول (يانغ)، والبطء (ين) والسرعة (يانغ) إلى غير ذلك من الحركات[٣].

وغالبا ما يقرن مع الـ (شياتسو) نظام غذائي (ماكروبايوتكي)[٤] وبعض تمارين الاسترخاء المنبثقة من الفلسفة ذاتها والتي تسعى إلى تنشيط الطاقة وتوازن الـ (ين والـ (يانغ).

ويفترض أن الـ (شياتسو) يعمل على تحسين الحالات التالية:

١- الأرق والقلق والإرهاق

٢- الصداع وآلام الظهر

٣- المشاكل الهضمية ومشاكل الوزن

٤- ارتفاع ضغط الدم وضعف دورانه[٥]، وغيرها.

وفي حال عدم انتفاع المريض بهذه الطريقة العلاجية، يُرجع السبب إلى انقطاع الاتصال بينه وبين جسده، فهو لا يعلم أن ثمة خللًا ما إلا عندما يحس بالألم. أو بسبب زيادة وزنه، حيث تشكل الشحوم حاجزًا يحول دون دوران الطاقة (!)[٦]. ولم

---

(١) الـ (هارا): تسمى الرحمة ويعتقد أنها تقع في البطن، وتشكل مركزًا لجميع الطاقات ومن خلالها تتحرك الطاقة (تشي). انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: ٣٣ - كيكو ماتسوموتو وستيفن بيرش

(٢) انظر: Practising Shiatsu: (52 - 54) - Geddes & Grosset

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٤، وفن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: ٢٩ - أوهاشي.

(٤) يأتي تفصيله لاحقًا بإذن الله.

(٥) انظر: فن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو: (٢١ - ٢٧) - أوهاشين و Practising Shiatsu: (11 - 12) - Geddes & Grosset

(٦) انظر: المرجع السابق: ٥٢.

يثبت في الدراسات الحديثة أن للـ (شياتسو) أو أي من التطبيقات المشابهة أثر يفوق التأثير الحاصل بأي نوع من أنواع التدليك الاعتيادية.

أنواع الـ (شياتسو)

يوجد نوعان فرعيان للـ (شياتسو)، يقومان على المبادئ نفسها مع الاختلاف في التطبيق:

١- (زن شياتسو) (Zen Shiatsu): وهي نابعة عن بوذية (زن) اليابانية. تشمل تمارين شاقة وطويلة، ويستخدم فيها الضغط الثقيل على النقاط العلاجية. كما يضاف إليها بعض تمارين التمدد الشبيهة بتمارين الـ (يوغا).

٢- (شياتسو) القدم: وتستخدم فيه الأقدام الحافية للضغط على النقاط المحددة للعلاج وتنشيط الطاقة[١].

لا شك أن الضغط على مناطق متفرقة من الجسم أو تدليكها يعد طبا شعبيا شائعا ومنتشرا في شتى أنحاء العالم، بما فيه العالم العربي والإسلامي، وله فوائد محسوسة في تخفيف الألم وتحقيق الاسترخاء، ولعل ذلك راجع إلى الأسباب التي ذكرت عند الحديث عن الوخز الإبري. لكن في الـ (شياتسو) الأمر مختلف جدًا - وإن توافقت النتائج - حيث يعتمد على فلسفة إلحادية خطيرة تخرجه من حيز الطب الشعبي إلى حيز الخطر العقدي.

(١) انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): ١٥ - بيل غوتليب.

المبحث الثالث

نظام الـ (ماكروبايوتِك)

يُعد الـ (ماكروبايوتِك) (Macrobiotics) - بشكلٍ أساسي - نظامًا غذائيًا يُتَّبع من أجل السيطرة على الصحة، ولكنه لا يقتصر عليها - كما هو حال كثير من الطرق العلاجية ذات الأصول الشرقية - بل يتعداها إلى معان فلسفية إلحادية تتضح معالمها في الصفحات التالية بإذن الله.

معنى الـ (ماكروبايوتِك)

اشتُقت كلمة الـ (ماكروبايوتِك) من كلمة يونانية مكوَّنة - في الأصل - من جزئين: (ماكرو) (Macro) وتعني: الكبير، و(بيوس) (Bios) وتعني: الحياة. فكان المعنى العام للـ (ماكروبايوتِك): الحياة الكبيرة أو النظرة الكبرى للحياة[1].

تاريخ الـ (ماكروبايوتِك)

تمت صياغة الـ (ماكروبايوتِك) - بشكله المعاصر - على يد الفيلسوف الياباني **جورج أوساوا** في أربعينيات القرن العشرين، حيث كان حريصا على تطوير التعاليم التراثية الصينية وإعادة نشرها في أوروبا والغرب، فكان الـ (ماكروبايوتِك) نظاما مستمدا من مزيج من التعاليم الروحانية الشرقية والغربية يمثل - في ظاهره - دعوة للعودة إلى الأطعمة الطبيعية ذات المكونات البسيطة والمعدة بطريقة صحية. فقام **أوساوا** بتولي رئاسة جمعية خاصة بالـ (ماكروبايوتِك) كان قد وضع مبادئها الأولية طبيب ياباني سالف له، وانطلق

---

(١) انظر: جوهرة الماكروبيوتيك: ٢٠١ - هيرمان أهيرا، والماكروبيوتيك للمبتدئين: ٥ - جون سانديفر، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٢٧ - غادة المعايطة، وأسرار الطاقة: ٩٩ - حكم الزمان.

بها من هناك[١]. ثم تطورت أفكار أوساوا على يد جمع من تلاميذه، من أهمهم: ميشيو كوشي (Michio Kushi)[٢] وزوجته، حيث ساهم الاثنان في نشر الـ (ماكروبايوتِك) بطرق ووسائل متنوعة، منها:

- قيامهما بتأسيس «معهد كوشي» في الولايات المتحدة، وهو برنامج لتدريب معلمي الـ (ماكروبايوتِك)، وقد أصبح له فروع متعددة في أمريكا وأوروبا.
- قيامهما بإنشاء سلسلة من أكبر سلاسل الأطعمة الطبيعية في الولايات المتحدة، واسمها: أطعمة إريوهون (**Erewhon Foods**).
- كما تأسست تحت إشرافهما «مجلة الشرق والغرب» للصحة الطبيعية (**East West Journal**)[٣].

وقد تتلمذت مريم نور[٤] على ميشيو كوشي فكانت أول من أدخل فلسفة

(١) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٣٨ - ملحق: بقلم هيرمان أهيرا، والماكروبيوتيك للمبتدئين: ٥ - جون سانديفر، والماكروبيوتك: (٢٧، ٢٩) - خالد التركي.

(٢) ميشيو كوشي: هو أبرز معلمي الـ (ماكروبايوتِك) في العالم اليوم، ولد عام ١٩٢٦ م في اليابان وحصل على شهاداته العليا منها. رحل إلى الولايات المتحدة من أجل البحث عن وسائل تحقيق "السلام العالمي" بعد أن تأثر كثيرًا بتفجيري هيروشيما وناكازاكي، إلا أنه عاد إلى اليابان ليتبنى طريقة الـ (ماكروبايوتِك) من أوساوا لتحقيقه. يقوم بإلقاء العديد من المحاضرات عن التغذية في أنحاء مختلفة من العالم على الصعيدين الرسمي والشعبي.
تصفح الموقع الرسمي لـ ميشيو كوشي: www.michiokushi.org bio >

(٣) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: (٥- ٦) - جون سانديفر.

(٤) مريم نور: رائدة الـ (ماكروبايوتِك) في العالم العربي وأول من نقله إليه، وهي من أبرز مروجي ممارسات "العصر الجديد" كالـ (يوغا) والـ (فونغ شوي). ولدت نور في لبنان في أواخر الثلاثينات الميلادية وتنقلت بين عدة بلدان منها الولايات المتحدة - حيث حصلت على الجنسية - والهند. درست الـ (ماكروبايوتِك) على يد ميشيو كوشي وأنشأت عدة مراكز للـ (ماكروبايوتِك) في الولايات المتحدة، وأنشأت مؤخرًا مركزًا في لبنان يدعى (مركز السلام). ظهرت في العديد من البرامج في الإذاعات والمحطات الفضائية، ولعل بداية شهرتها كانت بعد ظهورها في برنامج (بلا حدود) في قناة الجزيرة

الـ (ماكروبايوتِك) إلى العالم العربي. أنشأت مركزًا في لبنان تقام فيه البرامج التدريبية والخدمات العلاجية عن طريق الـ (ماكروبايوتِك)، وأسمته: (بيت النور)[١].

فلسفة الـ (ماكروبايوتِك)

تقوم فلسفة الـ (ماكروبايوتِك) على الاعتقاد بأن التغذية هي الوسيلة المثلى لتحقيق أهداف البشرية الصحية والروحية. يقول **أوساوا** في كتابه (دعوة إلى الصحة والسعادة): «إن هدفي في إصدار هذا الكتيب أن أدلك على طريقة اغتذاء واختيار أطعمة ستقودك في آخر الأمر إلى الحقيقة والسعادة الأبدية»[٢]. فالغرض من التصحيح الغذائي يتعدى الجوانب الصحية والنفسية إلى أهداف فلسفية تصوفية بعيدة المدى هي مستقاة من العقائد الشرقية، حيث يشكل هذا النمط الغذائي «المبدأ الأساسي لأهم الأديان الشرقية»[٣]. وهو تحديث لأنظمة قديمة كان يراد منها تحصيل الخلود والحياة المديدة. كما تعتبر طريقة الـ (ماكروبايوتِك) «إحدى الطرائق الثماني للوصول إلى... الـ (نيرڤانا)»[٤]!

ولذلك فإن اختزالها في كونها حمية غذائية يراد منها تحقيق الصحة والشفاء من الأمراض فحسب هو جهل أو تجاهل لحقيقة الـ (ماكروبايوتِك) والتي حددها **جورج أوساوا** – مؤسس النظام الـ (ماكروبايوتِكي)، فهي – كما ذكر – إحدى طرق الاتحاد بالكون.

الإخبارية. تحمل عقائد صوفية باطنية وخليطًا من الديانات المختلفة وإن كانت تدعي الانتساب للإسلام. لها عدة مؤلفات منها: أسرار، وسر الأسرار، والخفايا، يظهر فيها التأثر الواضح بالفلسفات الشرقية وعقيدة وحدة الوجود.

تصفح الموقع الرسمي لمركز سلام: مريم نور < من نحن <www.mariamnour.com/Arabic

(١) انظر: الماكروبيوتك: ٣٢ – خالد التركي.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ١٤ – جورج أوساوا.

(٣) المرجع السابق: ١٣.

(٤) المرجع السابق: ٢٦.

ولكن ما الذي يجعل للتغذية والغذاء هذه الأهمية الكبرى في تحقيق أهداف ليس لها - فيما يظهر - أي تعلق به؟ يتضح ذلك من خلال استعراض المبادئ الأساسية لل (ماكروبايوتِك)، ومنها الاهتمام بما يسمى «وقود الإنسان». هذا الوقود البشري يمكن الحصول عليه من خلال عدة وسائل:

١- الطعام.

٢- الشراب.

٣- الهواء: ولذلك يعطى اهتمامًا كبيرًا لتقنيات التنفس التابعة للرياضات الشرقية.

٤- الطاقة (تشي) وهي تعتبر أهم هذه الوسائل على الإطلاق.

وبناء على الاعتقاد بأن الطاقة الكونية (تشي) متغلغلة في كل ما في الوجود وفي جميع جوانب الحياة، فإنها جميعًا تعتبر مصادر لها. ولكن لما كان من الصعب أو المستحيل التحكم بـ (تشي) العامة المتواجدة في البيئة أو المناخ أو حتى في الهواء، فهي خارجة عن سيطرة الإنسان، ظهرت - من هنا - أهمية الطعام حيث يعد المصدر - شبه الوحيد - الذي يمكن للإنسان التحكم به"[1]. فالاعتقاد بالطاقة (تشي) يعتبر من الأهمية بمكان في فهم فلسفة الـ (ماكروبايوتِك) وتطبيقها.

ولا عجب أن يكون هذا النظام المستمد من فلسفات الشرق يعتمد بشكل أساسي على فلسفة الـ (ين يانغ)، حيث يتم تطبيقها على كل ما يتناوله الإنسان من مأكل أو مشرب، لينخرط في المنظومة العامة للتصنيف الكوني. وتحدد الأطعمة التي ينبغي للإنسان تناولها بعد تقييم حالته وتصنيفه وفقا لل (ين يانغ)، بغرض تحقيق التوازن الطاقي والانسجام مع الكون"[2]. ولذلك كان من أهم مبادئ

(١) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: (٢٧ - ٣٢) - جون سانديفر، والماكروبيوتك: ٣٥ - خالد التركي.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: (٧، ٥٤) - جورج أوساوا، الماكروبيوتيك للمبتدئين: ٩ - جون

الـ (ماكروبايوتِك) مبدأ: الـ (دو أو راكو) (Do-o- Raku)[(١)]، وهي عبارة يابانية يراد بها التناغم مع الـ (طاو)[(٢)].

يعتبر الوقت أو الزمن من العوامل التي تؤخذ بالاعتبار عند تحديد نظام التغذية المناسب في الـ (ماكروبايوتِك)، حيث تصنف الأزمنة بحسب فلسفة العناصر الخمسة. وتبعا للعنصر السائد في الزمن الحالي تُحدد نوعية الأطعمة وطريقة طهيها، والتي تصنف - هي الأخرى - وفقا للعناصر[(٣)]. بينما أدخل بعضهم تفسير الأحلام في نظام الـ (ماكروبايوتِك) فما يراه الإنسان في منامه هو عبارة عن رموز وإشارات تدل على مواضع الخلل في الجسم وما يحتاجه ليحقق التوازن، بالإضافة إلى ما يحمله له المستقبل[(٤)].

ومما سبق يتضح أن الـ (ماكروبايوتِك) فلسفة خطيرة تتضمن عقائد إلحادية وتهدف إلى الاتحاد وإدراك وحدة الوجود، وليست الأطعمة وأساليب التغذية الصحية سوى وسائل لتحقيق هذا الهدف. ولذلك فإن المطلع على كثير من الكتب التي تستعرض الـ (ماكروبايوتِك) وتطبيقاته العملية يجد إشارات إلى هذه المفاهيم الباطلة، تتفاوت في وضوحها وصراحتها من كاتب إلى آخر. فيطلق بعض الكتاب - خاصة المسلمين منهم - ألفاظا عامة موهمة تحتمل السلامة من

ساندیفر، والماكروبيوتك: (٣٥ - ٣٧) - خالد التركي، موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك): (٣٠، ١٠٥ - ١٠٧) - د. أسامة صديق مأمون

وهذان الأخيران (خالد التركي ود. أسامة مأمون) يفسران الـ (ين يانغ) بالزوجية الواردة في الكتاب والسنة غافلين أو متغافلين عن الفروق الجذرية بينهما، رغم أنهما يستخدمان المصطلحات والمفاهيم الشرقية نفسها بل إن التركي استخدم رمز الـ (طايجي) للتوضيح!

(١) (Do -o) يعني الـ (طاو)، (Raku) يعني العيش الممتع.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: (٨٤ - ١٠١) - جورج أوساوا.

(٣) انظر: الماكروبيوتيك وطب الأعشاب: (٢٥ - ٢٨) - د. عبدالمنعم سامي الرملي، والماكوروبيوتيك المعاصر في الصحة والسلامة: (١٩٨ - ٢٠١) - إدوارد إسكو.

(٤) انظر: ماكروبيوتك الغذاء والأحلام - ميشيو كوشي.

المخالفات العقدية إلا أنها لا يمكن أن تحمل إلا على ما تقرر عند روادها ورجالها الكبار. إن نظرة سريعة في كتاب (المبدأ الفريد) لـ جورج **أوساوا** و(زِن ماكروبايوتِك)[1] و(دليل الـ ماكروبايوتِك إلى الحياة السعيدة) للمؤلف نفسه كاف لإظهار الوجه القبيح - والحقيقي - لهذه الفلسفة[2].

الاستشفاء بالـ (ماكروبايوتك)

يزعم أنصار الـ (ماكروبايوتِك) أنه وسيلة ناجعة لمحاربة المرض والهرم والتوصل إلى حالة صحية متميزة. وهو يشتمل على نظام غذائي صارم وتعاليم تنظيمية لأسلوب الحياة مبنية على حِكَم القدماء[3]. يدور النظام - عمومًا - حول استخدام الحبوب الكاملة وتناول بعض الأغذية اليابانية التقليدية - كحساء الميزو[4]- بشكل يومي[5]، وكذلك اتباع بعض العادات الغذائية الخاصة. ومن تلك العادات ما يلي:

- تناول الحبوب الكاملة يوميًا.

---

(١) انظر صـ: ١١٧ - ١١٩، ٢٠١ - ٢٠٤
(زن ماكروبايوتك) هي نوع من الـ (ماكروبايوتِك) الأكثر صرامة، وقد سميت بذلك لتعلقها بطريقة الطهي في بوذية زن والمعتمدة بشكل أساسي على الخُضر.

(٢) انظر صـ: ١٧٧ - ١٧٨، وانظر كذلك: الماكروبيوتيك المعاصر: (٢٥٧ - ٢٥٨) - إدوارد إسكو.
ملحوظة: عندما قام يوسف البدر بترجمة هذه الكتب قام بإجراء بعض التعديلات عليها، كما أدخل عليها بعض المصطلحات والنصوص الشرعية مما قد يلبس على القارئ ويجعل الكتاب متناقضًا في بعض الأحيان. ولذلك نجد على غلاف الكتاب: إعداد **يوسف البدر** وليس ترجمة **يوسف البدر**.

(٣) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: ١ - جون سانديفر، والماكروبيوتيك: ٢٧، خالد التركي.

(٤) الميزو: يصنع من مخلل فول الصويا مع ملح البحر وعدة أنواع من الحبوب، وتعود صنعته إلى قدماء الصينيين قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة. (الماكروبيوتك: ٧٢ - خالد التركي).

(٥) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: ٥٧ - جون سانديفر، وانظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: (٢٩ - ٣٠) - جورج أوشاوا.

- التوقف عن تناول اللحوم الحمراء والدواجن والبيض.
- إبدال السكر بمواد أكثر صحية (كالتمر والدبس).
- التعود على تحضير الحساء وجعله من الوجبات الرئيسة.
- استبدال الألبان ومشتقاتها بمشتقات نباتية أخرى.
- التوقف عن شرب الكافيين.
- اختيار الفواكه المناسبة[١].
- تجنب الأطعمة التي لا تتطلب استخدامًا كاملًا لعملية الهضم.
- تعلم توجيه الوجبة بحكمة وتعقل، وبنسب مناسبة[٢].
- الاستيقاظ المبكر[٣].

لا شك أن في بعض تلك النصائح ما هو نافع حقًا، وجدير بمن يعير صحته اهتمامًا أن يلتفت إليه، غير أنها ليست حكرًا على الـ (ماكروبايوتِك) ولم يأت بها **أوساوا** أو فلاسفة الشرق من عند أنفسهم، بل لم يزل الأطباء والمختصون في شؤون التغذية ينادون بها، وبعضها جاء الشرع بتقريره. ولذلك كان الذي أضافته الـ (ماكروبايوتِك) هو تطبيق مبدأ الـ (ين يانغ) والمفاهيم الشرقية على الأطعمة[٤] وهو ما تميز به هذا النظام عن غيره.

---

(١) الماكروبيوتك: (٥٧ - ٦١) - خالد التركي (مختصرًا)، وانظر: موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك): (٤٦ - ٥٢) - د. أسامة صديق مأمون، وأسرار الطاقة: (١٠٢ - ١٠٣) - حكم الزمان.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٤٥ - جورج أوساوا.

(٣) وذلك نظرًا لانطلاق (تشي) مع شروق الشمس. انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: ١٥٥ - جون سانديفر.

(٤) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٤٦ - جورج أوساوا، والماكروبيوتيك للمبتدئين: ١١ - جون سانديفر.

يتضمن الـ (ماكروبايوتِك) بعض العادات المبالغ فيها كالمضغ المطول والذي يصل إلى ١٠٠ مرة، حيث يعتبر مؤديًا إلى الصفاء الذهني والروحي[١]، بالإضافة إلى بعض الممارسات المرتبطة - بشكل أساسي - بالفلسفات الشرقية كالتأمل والـ (دو إن)[٢].

تنسب العديد من الفوائد إلى الـ (ماكروبايوتِك)، وهي لا تقتصر على النواحي الصحية بل تتعدى ذلك إلى الجوانب العاطفية والأسرية والاجتماعية[٣]. منها ما يلي:

- الشفاء من المرض والوقاية منه وتقوية المناعة.
- تقوية الذاكرة ودرجة الانتباه.
- الاستقرار العاطفي.
- ازدياد الحس والحدس الفطري والتوصل لمرحلة من الوعي الروحاني الجديد.
- إحساس أعظم بالحرية[٤].

ومع هذه القدرات الهائلة للـ (ماكروبايوتِك) فإن الشفاء ليس منسوبًا إلى النظام الغذائي على الحقيقة، بل هو في العقيدة المصاحبة له، يقول **أوساوا**: «ليس

(١) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٣٢ - جورج أوساوا، والماكروبيوتيك للمبتدئين: ١٥٠ - جون سانديفر والماكروبيوتك: ٨٣ - خالد التركي.

(٢) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: (١٦٢ - ١٦٣) - جون سانديفر.

الـ (دو إن): هو طريقة للاسترخاء وتحفيز الصحة من خلال القيام ببعض التمارين الهادئة التي تشبه تمارين التمدد، وتعتمد هي الأخرى على تنشيط سريان الطاقة الكونية في مساراتها. انظر:

Reflexology & Complementary Therapies: (153 - 160) - Geddes & Grosset

(٣) انظر: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة - جورج أوساوا.

(٤) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: ٢ - جون سانديفر.

هناك علاج حقيقي سوى التأمل الذاتي والإدراك بأن المرض هو ذنب المرء نفسه»[١]. ولذلك يعلق الشفاء على مدى «إيمان» المريض بالعلاج، أما من لا يؤمن فمصيره إلى المعاناة[٢]!

ورغم ما يزعمه رواد الـ (ماكروبايوتِك) من إمكانية هذا النظام العجيبة في شفاء الأمراض - حتى الخطيرة منها كالسرطان[٣] إلا أن ذلك لم يثبت في دراسة علمية مقبولة[٤].

نماذج توضيحية:

من أجل توضيح الطريقة المتبعة في الـ (ماكروبايوتِك)، سأضع ثلاثة جداول مختصرة تشكل نماذج للتصنيف:

الجدول الأول: يوضح بعض الصفات التي تصنف من خلالها حالة الإنسان إى (ين) أو (يانغ)[٥].

ين	يانغ
عصبي	عنيد
قلق	متوتر
انطوائي	نشط

---

(١) دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة: ١٦١ - جورج أوساوا.

(٢) انظر: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة: ١٠٥ - جورج أوساوا.

(٣) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٣٩ - جورج أوساوا، والماكروبيوتك: (٢٧، ٤٧- ٤٩) - خالد التركي.

(٤) انظر: The Skeptics Dictionary: 208 - Robert Todd

ومن الملفت للنظر أن زوجة ميشيو كوشي توفيت إثر إصابتها بمرض السرطان.

(٥) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: ١٠ - جون سانديفر.

الجدول الثاني: يوضح بعض الأمثلة لخصائص الأطعمة المعتبرة في تصنيفها[١].

ين	يانغ
سريعة النمو	بطيئة النمو
أكثر ليونة	أكثر صلابة
أوراقها كبيرة الحجم	أوراقها صغيرة الحجم

الجدول الثالث: يظهر فيه التصنيفات التي تندرج تحتها بعض الأطعمة[٢].

ين	يانغ	متوازن
السكر	البيض والدواجن	الحبوب
الفاكهة الاستوائية	الميزو	الخضروات
الحليب	الأسماك	أعشاب البحر

المستويات السبع للصحة

لقد جعل **جورج أوساوا** للصحة سبع مستويات، يمكن تحقيقها من خلال نظام الـ (ماكروبايوتِك). أما المستويات الثلاث الأولى - وهي الخاصة بالجسد - فيمكن تحقيقها في مدة ٣٠ يومًا تقريبًا، وأما المستويات الأخيرة فهي تستغرق وقتًا

(١) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) انظر: زن ماكروبيوتيك: (١٢٥ - ١٣١) - جورج أوساوا، وجوهرة الماكروبيوتيك: (٢١٤ - ٢١٥)، والماكروبيوتيك للمبتدئين: ١٢ - جون سانديفر، والماكروبيوتك: ٤٠ - خالد التركي.

أطول يصل إلى العامين في بعض الحالات حيث لا يقتصر تأثير الأطعمة على الجسد فقط بل يتعدى ذلك إلى «الوعي». ويعد المستوى السابع هو أهم هذه المستويات على الإطلاق[١].

تتضمن مستويات الصحة السبع بعض المعاني الباطنية التي لا يفصح عنها الظاهر، وهي ما يحرص على إخفائه كثير من أنصار الـ (ماكروبايوتِك). تتلخص المستويات في التالي[٢]:

١- **التخلص من التعب والإرهاق:** وليس المراد به الإجهاد الذي يصيب المرء عندما يقوم بعمل شاق، وإنما هو تعبير عن إجهاد مزمن ناتج عن النقص في الطاقة.

٢- **المحافظة على الشهية الجيدة:** وذلك يكون بعدم الإفراط في الشبع.

٣- **الحصول على نوم جيد:** ويختلف مقداره بحسب تفاوت الأحوال والظروف من حيث الـ (ين) والـ (يانغ).

٤- **الحصول على ذاكرة قوية:** والمراد بها الذاكرة الحيوية والإدراك الروحاني. فالذاكرة الحيوية هي المتعلقة بالأفعال الـ لاإرادية للجسم،

---

(١) انظر: زن ماكروبيوتيك: (٢٧ - ٣٥) - جورج أوشاوا، والماكروبيوتيك للمبتدئين: (١٧ - ٢٥) جون سانديفر، موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك): ٣٤ - د. أسامة صديق مأمون.

كما يشار كثيرًا في الـ (ماكروبايوتِك) إلى ثلاث مراحل زمنية يعتمد تحديدها على الوقت الذي يستغرقه الدم في إعادة البناء وتجديد الخلايا بشكل كامل. ففي المرحلة الأولى يتم تجديد البلازما ويستغرق عشرة أيام. وفي المرحلة الثانية يتم تجديد خلايا الدم الحمراء وذلك في ثلاثين يومًا تقريبًا. والمرحلة الأخيرة يجدد فيها خلايا الدم البيضاء بعد ثمانية أشهر تقريبًا. ولذلك لا يعتبر الجسم منتفعًا تمامًا بالـ (ماكروبايوتِك) إلا بعد مرور هذه المدة.

انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: (٣٩ - ٤٢) - جون سانديفر، ودعوة إلى الصحة والسعادة: (٩٨- ٩٩) - جورج أوساوا.

(٢) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئنين: (١٧ - ٢٥) - جون سانديفر.

أما الإدراك الروحاني فهو الإحساس بالوحدة التامة مع النفس والعالم. وقد يدخل في ذلك تذكر الحياة السابقة.

٥- **التخلص من الغضب**: ويعتبر الحقد أعظم سبب للمرض فهو يؤثر على الحيوية الذاتية والقدرة على التعبير والتعامل مع الآخرين. والإنسان الذي يتمتع بصحة جيدة لا يتعرض للغضب أبدا.

٦- **السرعة والحزم في التفكير والإنجاز**: والذي هو دليل على الصحة الجيدة.

٧- **الاستقامة**: وهي إدراك ما يسمى الحقيقة المطلقة أو الوحدة الكونية، يقول **جورج أوساوا**: «الإنسان الذي يعيش حياته في البحث عن الحقيقة الأبدية، متغلبا على الخرافات والتفكير النظري، والذي يحاول إظهار الحقيقة الرائعة والأبدية في العالم النسبي والسريع الزوال، هو إنسان مستقيم»[1].

في ختام هذا المبحث أود الإشارة إلى قضية في غاية الأهمية، وهي أن محاولة تنقية الـ (ماكروبايوتِك) - وغيره من التطبيقات - من اللوثات العقدية المتأصلة فيه أمر غير مجدي، فالفلسفة التي يقوم عليها الـ (ماكروبايوتِك) لا يمكن أن تنقى، كما لا يمكن عزل الـ (ماكروبايوتِك) عن فلسفته الأصلية. ولذلك فإن من يحاول «أسلمة» هذه العلوم يقع في تناقضات كثيرة ويواجه أفواج من التبعات لن يستطيع أن يردها. وقد اطلعت على موقف استوقفني للـ د. **يوسف البدر**[2] تجاه

(١) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: ٢٥ - جورج أوساوا.
ويظهر من خلال كتاباته ماذا يريد بقوله "الحقيقة الأبدية" و"التغلب على العالم النسبي".

(٢) د. يوسف البدر: ولد في الكويت عام ١٩٥٠ للميلاد، حصل على شهادات متعددة في علوم أغلبها في الطب البديل. قام بتأليف وإعداد ٢٧ كتابًا في مجالات الطب البديل المختلفة، منها: علم الطاقات التسع، وجوهرة الماكروبيوتك. نذر نفسه لنقل العلوم والفلسفات الشرقية إلى البلدان العربية عن طريق الترجمة والتأليف. وهو حاليًا عميد أكاديمية الطب التكميلي في دبي. تصفح موقع د. يوسف البدر:
د. يوسف البدر < www.dryousefalbader.com

مريم نور. والـ البدر هو من أبرز الناقلين للفلسفة الشرقية والطب الشرقي خاصة إلى بلاد المسلمين، حيث نذر نفسه لمحاولة تنقيحها وتحويرها لتتماشى مع ديننا وعاداتنا، وجعل هذه المحاولات - غير الموفقة - رسالة يتبناها في هذه الحياة. ولا عجب في ذلك فقد فعله غيره كثير، إلا أن العجيب في الأمر أن د. البدر ذاته يحذر من تعاليم مريم نور التي تحمل على عاتقها الرسالة ذاتها. فكان مما أخذه عليها:

- الانسلاخ من الدين والعبودية التقليدية والحصول على العلوم من خلال التأمل الباطني.
- تولي الإنسان مسؤولية صحته ومستقبله وتحكمه به.
- التحرر من حدود الأخلاق والأدب وغير ذلك[1].

فهو يحذر منها بكل حماسة وانفعال، إلا أن ما وقعت فيه لم يكن سوى نتيجة طبيعية لمقدمات سابقة أسهم هو وغيره - بقصد أو بدون قصد - في نشرها. إن تقديم الفلسفات الشرقية المحوَّرة - والتي ليست في كل الأحوال نقية - هو بوابة تفتح لمن تقبلها ابتداءً لأن ينهل من مصادرها الأصلية، ولا يكتفي بنقولات «محرفة»، وهذا معلوم في طباع البشر. ولم تقترف مريم نور ذنبًا - إن صح التعبير - سوى نقل التطبيقات العلاجية بفلسفاتها الأصلية كما هي - بما فيها من إلحاد صريح وزندقة وإفساد - دون تنقيح لها. وهو - في نظري - أقل خطورة مما يفعله أولئك الذين يقدمون الفلسفات الشرقية في ثوب إسلامي، فإن الأول واضح الفساد وظاهر البطلان وهو ما يلفت الانتباه إلى خطورة هذه المذاهب والتطبيقات الوافدة فيؤثر سلبًا على انتشارها في العالم الإسلامي، وهو ما نريده ونسعى إليه.

---

(١) تصفح: موقع د. يوسف البدر:
تذكير وتحذير < www.dryousefalbader.com

المبحث الرابع

الـ (يوغا)

تطلق الـ (يوغا) (Yoga - योग) على مجموعة من الممارسات الروحية الضاربة في التاريخ، وهي أحد المدارس الست للفلسفة الهندوسية التي ترجع أصولها إلى الڤيدية. كما تعتبر الـ (يوغا) وسيلة مركزية لتحقيق السمو الروحي في البوذية والجينية بالإضافة إلى الهندوسية، وقد استقيت أساسياتها من الكتب الهندوسية المقدسة.

إن الـ (يوغا) الهندية مسلك متشعب له فروع وتعاليم متعددة يصعب حصرها في مثل هذا البحث، ففيها من التفاصيل الفلسفية الشيء الكثير. ومن أجل ذلك، فإني سأكتفي بالعرض المجمل مع الإشارة إلى ما له ارتباط بموضوع البحث دون إسهاب أو إطالة، وهو ما آمل أن أوفق إليه في هذا المبحث الشائك.

معنى الـ (يوغا)

الـ (يوغا) كلمة سنسكريتية تعني «التوحيد، دلالة على توحُّد الذات الفردية بالذات الكوني»[1]، وفيها يقوم الإنسان بممارسة «مجموعة من التمارين الروحية والجسدية بهدف الخروج من عالم الظواهر والتعددية إلى الوحدة المطلقة والذوبان فيها»[2]، ولذلك تعتبر الـ (يوغا) وسيلة عملية لتحقيق الاتحاد بين الخالق والمخلوق[3].

---

(١) الحكمة الهندوسية: ١٤٢ – حلقة الدراسات الهندية.

(٢) المرجع السابق: ١٤٦، وانظر: اليوغا سيطرة على النفس: ١١ – ج. توندريو وب. رئال.

(٣) انظر: الـ (يوغا) والتنفس: ١٩ – محمد عبدالفتاح عليم، وأعمدة اليوغا الثمانية: ٤ – غطاس الحكيم، و An Introduction to Complementary Medicine: 276 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss Practising Yoga: 12 - Geddes & Grosset

يسمى الممارس المتقدم في الـ (يوغا): (يوغي) (योगी - Yogi)، بينما يسمى معلم الـ (يوغا): (غورو) (गुरू – Guru)[١]

تاريخ الـ (يوغا)

تعتبر الـ (يوغا) من أقدم التعاليم الهندية التي تم تناقلها شفهيا عبر الأجيال، إلى أن تم تدوينها من قِبَل **پاتانجالي** في الـ (يوغا سوترا) قبل ٢٤٠٠ سنة تقريبًا، وكل ما سواه من الكتب المختصة بالـ (يوغا) ليست سوى شروح وتعليقات على نص **پاتانجالي** الأصلي[٢]. وقد كان «الهدف من الـ (يوغا سوترا ❊) هو إعطاء درس كامل في الـ (يوغا)، أي: شرح كيفية الوصول إلى الـ (سمادهي) (समाधि - Samadhi)[٣] – الاستغراق المحرر – عبر رحلة داخلية صعبة مكونة من ثماني مراحل»[٤].

ولا يعني القول بأن الـ (يوغا سوترا) هي أول ما دُوِّن في الـ (يوغا) نفي ذكرها في المصادر الڤيدية والهندوسية السابقة لها، فقد كان في الـ أوپانيشاد إشارات كثيرة للـ (يوغا)، جمعت بين النتائج المبدئية لممارستها – كالإحساس بالخفة وصفاء البشرة – وبين الغاية الكبرى منها وهي تحقيق الـ سمادهي[٥]. كما

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١١٧ – غطاس الحكيم، واليوغا سيطرة على النفس: ٢٦ – ج. توندريو وب. رئال.

(٢) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٤٢ – حلقة الدراسات الهندية.

لقد كان أول ذكر للـ (يوغا) في الـ راج فيدا، ولكنها لم تورد بشكل مفصل، كما ذكرت في الـ أوپانيشاد بشكل أكثر تفصيلا حتى قيل إن **پاتانجالي** اعتمد عليه في تدوين الـ (يوغا سوترا).

(٣) من وصل الـ (سمادهي) تحرر من كل الآلام إلى الأبد، لأنه يكون قد دمر سبب الآلام الأساسي في نفسه – الوجود الظاهري – الفاصل عن الجوهر المطلق. (الحكمة الهندوسية: ١٤٣ – حلقة الدراسات الهندية).

(٤) المرجع السابق: ١٤٢.

(٥) انظر: Practising Yoga: (14 - 15) - Geddes & Grosset

الـ (سمادهي): توصف بأنها درجة عالية من الوعي يتحقق خلالها الإحساس بالوحدة مع الكون واتحاد الذات الفردية (أتمان) بالذات الكونية (براهمان).

ذكرت الـ (يوغا) - بأنواعها - في عدة مواضع من الـ (غيتا)، من أهمها النشيد السادس المعنون له بـ: الاتحاد بالله ورياضة الروح، أو الاتحاد عبر التأمل. وقد كان مما ذكر فيه:

- في وصف أخلاق الـ يوغي: «ألا وإنَّ من اتجهت روحه إلى الصديق والعدو وإلى الخاطئ والقديس على السواء كان فائقًا». [٦:٩]
- «فإذا استغرق المرء في الـ (يوغا) مسيطرًا على عقله وحسِّه، فقد أدرك السِّلْم الأعلى والسعادة السميا[١] المنبثقين مني»[٢].[٦:١٥]
- «وليتحد الـ يوغي مع الذات العليا وليخل بنفسه منعزلًا وحيدًا...» [٦:١٠]
- وفي التعريف بالـ (يوغا): «الـ (يوغا) هي الاتحاد والفناء العلويين»[٦:٢٣]
- «من فنا في الـ (يوغا) رأى نفسه في جميع الموجودات ورأى الوجود جميعًا في نفسه، وحمل كل شيء محملًا واحدًا» [٦:٢٩][٣]

أسطورة الـ يوغا:

لقد ذُكر في بعض المراجع ارتباط ممارسات الـ (يوغا) وعلومها الباطنية بأسطورة خرافية ذات دلالات اعتقادية ظاهرة. تحكي الأسطورة بأن الإله **سيفا** كان يتحدث مع زوجته بجانب نهر يحكي لها أسرار الـ (يوغا) العجيبة، فاسترقت سمكة في النهر السمع وتحولت من خلال الـ (يوغا) إلى إنسان (!) ونقلت التعاليم الـ (يوغية) إلى سواحل الهند.

تحمل هذه الأسطورة إشارة قوية إلى هدف الـ (يوغا) في التحول والتجديد،

---

(١) كذا في الترجمة، ولعل المقصود: السامية.

(٢) المتحدث هو الإله كرشنا كما هو معلوم.

(٣) الكيتا: (٦٥ - ٦٨) - ترجمة: د. ماكن شودري، وانظر: الكتاب الهندي المقدس الباجافادجيتا: (٨٦ - ٨٨) - ترجمة: رعد جواد.

فكما تحولت السمكة من حيوان إلى إنسان، فإنه بمقدور الإنسان أن يتحول - من خلال الـ (يوغا) - إلى إله[1].

فلسفة الـ (يوغا)

تهدف الـ (يوغا) - كما هو ظاهر من تعريفها - إلى الاتحاد وإدراك وحدة الوجود. والاتحاد هو وسيلة الخلاص في كثير من الديانات الشرقية التي تعتبر تناسخ الأرواح المصدر الرئيس لشقاء البشرية، فكانت الـ (يوغا) هي الوسيلة الهندوسية ليتحرر الـ (أتمان) من الولادات المتكررة المفروضة عليه بسبب الـ (كارما)، فلا يعود جزءًا من هذا العالم لأنه عاد إلى الكينونة المطلقة الـ (براهمان)[2].

يتدرج التلميذ في ثمان مراحل حتى يصل إلى الهدف الأعلى للـ (يوغا)[3]، وهي كالتالي:

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ٣ - غطاس الحكيم.

(٢) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٤٤ - حلقة الدراسات الهندية، والكامل في الـ (يوغا): (٢٣ - ٢٩) - سوامي فشنو ديفننda، والفلسفة واليوغا في بلاد الهند: (١٢٢ - ١٢٣) - كمال جنبلاط، و

Selling Spirituality: The Silent Takeover of Religion: 114 - Jereme Carrette

يزعم كثير من رواد الـ (يوغا) في الغرب وفي العالم العربي أنها لا تحمل في طياتها أي معتقد فهي حالة روحية لا يلزم معها اعتقاد، وأنها لا تتناقض مع أي دين ولا تختص به! وهذا ربما يصح مع الطوائف الباطنية للديانات المختلفة حيث يتفق الجميع في الاعتقاد بالاتحاد ووحدة والوجود وما يترتب عليه من لوازم، ولكنها تتعارض حتما مع كل دين ينكر الاتحاد ووحدة الوجود- لا سيما الإسلام. أما كونه لا يتعلق بأي دين فمردود بالمصادر الهندوسية التي استقيت منها تعاليم الـ (يوغا)، وهي متمشية مع أبرز معتقداتها ومبادئها.

(٣) انظر: الحكمة الهندوسية: (١٥٠ - ١٥٣) - حلقة الدراسات الهندية، وأعمدة اليوغا الثمانية: ٤٣ وما بعدها - غطاس الحكيم، واليوغا سيطرة على النفس: (٢٩ - ٣٨) - ج. توندريو وب. رئال، فلسفة راجا يوغا: (٤٨ - ٤٩) - راما شاراكا، و

Practising Yoga: (17 - 19) - Geddes & Grosset

١ / التحفظات الأخلاقية (यम - Yamas)، وتتمثل في خمسة مبادئ:

١- الـ لا عنف: ويشمل الامتناع عن قتل أي كائن حي، ولذلك يعتمد الـ (يوغي) نظامًا غذائيًا نباتيًا.

٢- الصدق: وهو ترك الكلام الجارح ولو كان حقيقة.

٣- ترك السرقة.

٤- التبتل: وذلك بهدف تحويل الطاقة الجسدية التي تصرف في اللذة المادية إلى طاقة روحية يتم من خلالها تحقيق مراحل عليا من الوعي والإدراك.

٥- عدم التمسك بالملك وعدم تمني ملك الآخرين.

٢ / الالتزامات الخاصة بتنظيف الجسد من الداخل والخارج، ويكون ذلك بطرق غريبة فيها تنطع ظاهر[1].

٣ / الأوضاع الجسدية (आसन - Asana): ومنها أوضاع الـ (مودرا)[2] التي «يَنسَى» الـ (يوغي) من خلالها جسده ويفنى عن وجوده.

٤ / السيطرة على عملية التَّنفُّس: وتظهر العلاقة بين ضبط النفَس وتحقيق الوحدة أو ما يسمى الـ (سمادهي) في نقطتين:

---

(١) انظر الكامل في اليوغا: (٤١ - ٥٣) - سوامي فشنو ديفننداً.
ومن ذلك إدخال قطعة قماش رفيعة مغموسة بالماء والملح يصل طولها إلى ٥ أمتار وابتلاعها ثم إخراجها ببطء، وشرب الماء عن طريق الأنف!

(٢) راجع صـ: ٨٢ من هذا البحث.
وتذكر الأساطير الهندية أن مصدر هذه الوضعيات هو الإله الموجد حيث كان يأخذ وضعًا مختلفًا عند خلق كل مخلوق جديد، إلا أن هناك أوضاعا أساسية أقل - بالطبع - من عدد المخلوقات. (انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١٢٢ - غطاس الحكيم).

- أن التنفس مرتبط بالعمليات الفكرية التي تولد الشعور بالفردية والحدود الجسدية، وعند إيقاف التنفس تنعدم الفردية وتتحقق الـ (سمادهي).
- أن الـ (پرانا) التي تدخل مع الشهيق تستقر في قاعدة الجذر، ولذلك كان لا بد من حبس النفس لأطول وقت ممكن لاستثارة الطاقة الراقدة[1] هناك[2].

٥ / تعطيل الحواس: حيث يُعتقد أن الحواس هي المحرك الرئيس للفكر، وعند تعطيلها يسكن الفكر ويتحول التركيز على الداخل[3].

٦ / التركيز: ويكون بالتركيز على نقطة واحدة لفترة مطولة، يقصد منه اعتياد الفكر على الهدوء وتهيئته للغرض الأكبر من الـ (يوغا)، وكثيرًا ما يكون التركيز عن طريق التأمل بالـ (شاكرات) والتركيز عليها مع ترديد الـ (مانترا) الخاصة بكل (شاكرا) ذهنيا[4].

٧ / التأمل العميق: بحيث يكون المريد مجرد شاهد على ما يجري حوله، فهو لا يفعل شيئًا ولا يبذل مجهودًا. وكثيرًا ما يتخذ أثناءها أوضاعا جسدية محددة كالـ لوتس.

٨ / الاستغراق العميق: وله تعبيرات عدة كالـ (سمادهي) والتحرر وغيرها، كلها تؤدي إلى معنى واحد، وهو: الاتحاد بالمطلق. وتعرف هذه المرحلة بأنها حالة من الوعي يذوب فيها المريد بالمطلق، فيحصل الانعتاق المحرِّر من حدود الزمان والمكان وتندمج الذات الفردية بالذات الكونية أو الإله

---

(١) الـ (كونداليني).

(٢) انظر: اليوغا والتنفس: (٢٩ - ٣٠) - محمد عبد الفتاح فهيم، وفلسفة الراجا يوغا: (٨٨ - ٨٩) - راما شاراكا (مقدمة المترجم).

(٣) تعد تهدئة الفكر من أهم الأسباب الموصلة لإدراك الوحدة، حيث تعد الأفكار كالأمواج المتضاربة في البحر لا يمكن النظر في عمقه وإدراك كنهه إلا عند سكونها.

(٤) انظر الكامل في اليوغا: (٢٧٨ - ٢٧٠) - سوامي فشنو ديفنندا.

إن مفهوم الإله عند الـ (يوغي) هو ذاته المفهوم الهندوسي، فهو تعبير عن كيان مطلق لا شخصي يختلف تمامًا عن المعنى التقليدي في الديانات السماوية[١]، ولذلك عندما يطلق لفظ «الإله» أو «الله» فهو إنما يطلق تجوُّزا. يقول **سوامي فشنو ديفننندا**[٢] موضحًا حقيقة الإله في الـ (يوغا): «عندما يُعرف الله لا يعود الله، فيبقى دائما غير المعروف الذي لا تحيطه العقول»[٣]، وذلك لأنه ليس له ذات تعرف.

تحاول فلسفة الـ (يوغا) الإجابة عن السؤال عن الهوية، «من أنا؟» ولكنها تقدم جوابا قبيحا فتجعل الـ أنا هي الله في وحدة غير منفصلة ولا متمايزة[٤]، هذه هي الحقيقة والمعرفة المرجوة في هذه الفلسفة الإلحادية الباطلة.

ومن طوام المعتقدات الـ (يوغية) أنه «متى ما وصل تلميذ (مريد) (يوغا) درجة الكمال تغلَّب على كل شيء في الطبيعة، فإذا أمر الأرواح بالهبوط إلى عالمنا هبطت، وإذا أمر الأموات بالظهور ظهرت طواعية. وكل قوى الطبيعة مسخرات له» (!)[٥]. ولا عجب في ذلك فإن الذي يصل إلى «درجة الكمال» هذه لا يكون بشرًا يمثل ذاته الفردية، بل إنه يصبح متحدًا بالإله متجاوزا حدود الزمان والمكان. وبينما هو في طريقه إلى الكمال - وقبل تحصيله - يكتسب المريد قدرات

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١٠٥ - غطاس الحكيم.

(٢) سوامي فشنو ديفانندا: ولد عام ١٩٢٧ م في جنوب الهند، التحق بمعبد في جبال الهملايا حيث عمل وعاش مع معلمه سوامي شيفانندا. أصبح عنده ميول لل (هاثا يوغا) وأتقن أكثر تمارينها صعوبة حتى أعطي لقب المعلم الأول لل (هاثا يوغا). في عام ١٩٥٧ م ذهب إلى الغرب بناء على طلب معلمه. أوجد مراكز عديدة لليوغا في الولايات المتحدة، ثم استقر في كندا. وفي عام ١٩٦٠ م تم نشر كتابه الشهير: الكامل في اليوغا. انظر:
الترجمة العربية لـ الكامل في اليوغا: ٤٣٥.

(٣) انظر الكامل في اليوغا: ٣٣٥- سوامي فشنو ديفننندا.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٢٧.

(٥) فلسفة راجا يوغا: ٤٦ - راما شاراكا.

خارقة لعادات البشر وإن لم تصل إلى الصفات الإلهية كسابقتها[1].

يسلك الهندوسي طرقًا متعددة لتحقيق الاتحاد، تختلف باختلاف طبائع البشر وتتناسب مع ميولهم المتنوعة، بينما تتفق في الغاية والهدف[2]. هذه الطرق هي ما يعرف بطرق الـ (يوغا)، وهي كالتالي[3]:

(١) (بهاكتي يوغا) طريق الحب والتفاني (**Bhakti Yoga - भक्ति योग**)، وهو ما يسمى بالعشق الإلهي.

(٢) (نيانا يوغا) طريق الحكمة (**Jnana Yoga - ज्ञान योग**)، وهي طريق الفلاسفة

---

(١) انظر: الكامل في اليوغا: (٣٠٢ - ٣٠٣) - سوامي فشنو ديفنندا
وقد زعم بعض ممارسي الـ يوغا أنه بإمكان الإنسان أن يبقى معلقًا بين السماء والأرض أثناء التأمل، واعتبروها ظاهرة خارقة فسرت بأن الـ يوغي يتحول إلى كيان عقلي نووي. وقد انتشرت صور لهذا الطيران عبر وسائل الإعلام المختلفة، إلا أنه ثبت أنها صور تلتقط أثناء قفز المريد - وهو في وضعية الـ لوتس - ليظهر كأنه معلق في الهواء. وهذا الأمر مرتبط بالتأمل التجاوزي أحد التطبيقات المعاصرة لـ (يوغا)، وسيأتي تفصيله لاحقًا بإذن الله تعالى. انظر: التخاطر والسحر واليوغا: (١٢٥ - ١٢٧) - راجي عنايت، و
The Skeptics Dictionary: 198 - Robert Todd Carroll

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: (٤٥ - ٤٨) - د. يونج شوون كيم

(٣) انظر: الفلسفة واليوغا في بلاد الحكماء: (٦٥ - ٦٦، ١٢٢ - ١٣٢) - كمال جنبلاط، والكامل في اليوغا: (٣٢ - ٣٣، ٢٥٣ - ٢٥٤) - سوامي فشنو ديفنندا، وأعمدة اليوغا الثمانية: (٢٧ - ٣٤) - غطاس الحكيم، واليوغا سيطرة على النفس: ٣٠ - ج. توندريو وب. رئال، واليوغا والتنفس: (٢٠ - ٢٢) - محمد عبدالفتاح فهيم، والفكر الشرقي القديم: (٤٨ - ٤٩) - د. يونج شوون كيم، و
Practising Yoga: (17 - 19) - Geddes & Grosset
زاد بعضهم يوغا الـ (يانترا) وهي تعتمد على الرموز الهندسية التي تمثل الوحدة بين الله والإنسان (أعمدة اليوغا الثمانية: ٣٠ - غطاس الحكيم).
أما الـ (تانترا) فهو منهج قريب من الـ (يوغا) من الناحية العملية وإيقاظ الـ (كونداليني)، وقريب من الـ (فيدانتا) من الناحية الفلسفية حيث يعتبر الخلاص هو تجاوز وهم العالم الـ (مايا) للوصول إلى وحدة الوجود.

(٣) (كارما يوغا) طريق العمل (**Karma Yoga - कर्म योग**)، وهي القيام بالعمل دون البحث عن المنفعة الشخصية.

(٤) (راجا يوغا) طريق الفكر[1] (**Raja Yoga - राज योग**)، وهي التي تعنينا في هذا البحث لشيوعها وسعة انتشارها. تتفرع الـ (راجا يوغا) إلى ثلاثة فروع:

١- (مانترا يوغا) طريق الصوت (**Mantra Yoga - मन्त्र योग**)، وهي تعتمد على ترديد ألفاظ ومقاطع مقدسة أشهرها (أوم)[2] وأحيانًا بأسماء الآلهة بهدف رفع الطاقة من مركز إلى آخر إلى أن يتم الاتحاد ويذوب الـ (يوغي) بالكوني[3].

٢- (كونداليني يوغا) (**Kundalini Yoga - कुण्डलिनी योग**) تهدف إلى إيقاظ الطاقة الراقدة في أسفل العمود الفقري.[4]

---

(١) تطلق الـ (راجا يوغا) ويراد بها الجانب التأملي (Meditation) من الـ (يوغا)، انظر:
An Introduction to Complementary Medicine: 279 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss

(٢) ويمثلها ما يسمى بـ "التأمل التجاوزي" (Transcendental Meditation) وقد أفردت له مبحثا مستقلا نظرًا لشهرته وسعة انتشاره.

(٣) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٥٣ – حلقة الدراسات الهندية، والكامل في الـ (يوغا): ٣٧٨ – سوامي فشنو ديفننداا.
وصف إيقاظ الكونداليني في كتاب الحكمة الهندوسية: ١٥٣ كالتالي: "المركز الأدنى هو عند قاعدة الجذر وهو مركز الإلهة كونداليني *، وهي ترمز إلى الطاقة الكونية للاوعي. أما المركز الأعلى فهو مقام سيفا *. تقوم التقنية... على إيقاظ الطاقة بواسطة أساليب يوغية تركز على حبس النفس والتركيز على المراكز الروحية وترديد الصيغ البذرية للآلهة يجعلها تصعد من مركز إلى آخر، حتى الرأس فيحصل الاتحاد الصوفي الأسمى بين مبدأي الذكر سيفا* والأنثى كونداليني *، فتفنى الثنائية في جو من الغبطة التي لا توصف مع فيض الكوثر. تنتهي العملية في نوع من التضحية فيذوب اليوغي في الكوني".

(٤) انظر الكامل في اليوغا: (٢٦٥ – ٢٦٦) – سوامي فشنو ديفننداا، وأعمدة اليوغا الثمانية: (٢٠١ – ٢٠٢) – غطاس الحكيم.

٣- (هاثا يوغا) (Hatha Yoga - हठ योग) أو (يوغا) الجسد، وهي أكثر الفروع رواجا في الغرب وفي العالم العربي تبعًا له، وهي المقصودة عند إطلاق الـ (يوغا) في الغالب[١].

ليس بين الطرق الأربع - بفروعها - تعارض، فهي سبل متنوعة لمؤدى واحد، كلها تهدف للاتحاد بين النفس الفردية والنفس الكونية. ولذلك لا يمكن فصلها عن بعض، ومن سلك أحد طرق الـ (يوغا) فكأنما سلكها جميعًا[٢].

الـ (هاثا يوغا)

تتكون كلمة (هاثا) من مقطعين: (ها) ويعني: شمسًا، و(ثا) ويعني: قمرًا، يمثلان الطاقة الموجبة والسالبة في الكون[٣]. ولذلك تسمى الـ (هاثا يوغا) - أحيانًا - طريق الشمس والقمر.

إن مما يتردد كثيرًا كون طريقة الـ (هاثا) ليس لها تعلق بالطرق الأخرى، وأنها مجرد تمارين وأوضاع جسدية، ولكن الواقع خلاف ما يقال فالـ (هاثا يوغا) جزء لا يتجزأ من فلسفة الـ (يوغا) الكلية، وهي الجانب العملي للفلسفة والطريق الموصل إليها المهيء لها[٤]. إن الـ (هاثا يوغا) والـ (راجا يوغا) - خاصة - وجهان لعملة واحدة[٥].

---

(١) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 279 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: (٢٥٣ - ٢٥٤) - سوامي فشنو ديفننda، وأعمدة اليوغا الثمانية: ٣٤ - غطاس الحكيم، وPractising Yoga: 12 - Geddes & Grosset

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٥٦- سوامي فشنو ديفننda، واليوغا سيطرة على النفس: ٣٠ - ج. توندريو وب. رثال، واليوغا والتنفس: ٢٢ - محمد عبد الفتاح فهيم.

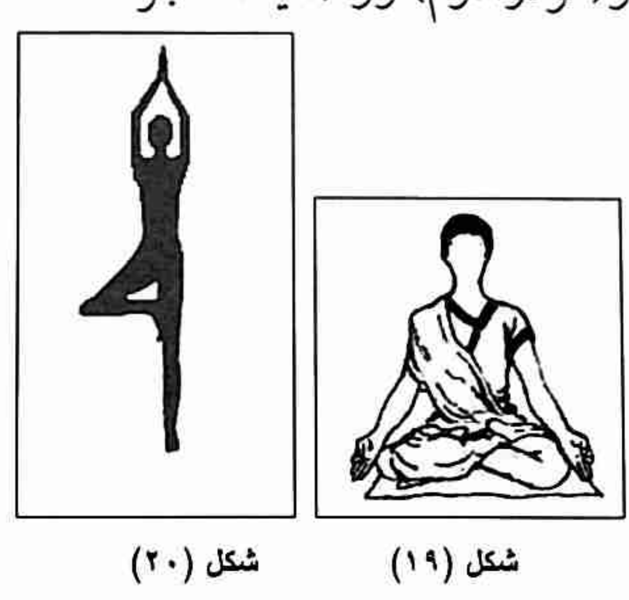
(٤) انظر: الكامل في اليوغا: (٣٢، ٢٦١) - سوامي فشنو ديفانندا، واليوغا سيطرة على النفس: ٩ - ج. توندريو وب. رثال.

(٥) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٦١- سوامي فشنو ديفننda.

إن قضية الاعتناء بالجسد في الـ (هاثا) لا تخرجها عن فلسفة الـ (يوغا) العامة، بل إن ذلك الاهتمام ليس اعترافًا بأن الجسد جزء من الذات أصلًا - بل هو بمثابة اللباس الذي تنزعه الذات إذا بلي وتلبس غيره. ولذلك، فهو ليس سوى وسيلة لبلوغ الهدف «الأسمى» وأداة لتحقيق التحرر الكامل أو الـ (موكشا)»[1]. و«التمارين الجسدية عديمة القيمة إلا بمقدار ما تساهم به في إعطاء الفكر كامل طاقته»[2].

يمكن تصنيف الأوضاع المتضمنة في الـ (هاثا يوغا) إلى أصناف ثلاثة:

- الأوضاع التي تشبه أوضاع بعض الحيوانات وتسمى باسمها. كوضعية الكلب والقط والبقرة والأسد والسمكة.. وغيرها[3].
- الأوضاع التي يستخدمها الهندوس في عباداتهم وتأملاتهم التعبدية كالـ لوتس و(مودرا أوم) ووضعية الشجرة[4].



شكل (١٩) شكل (٢٠)

(١) انظر: المرجع السابق: (٣٩ - ٤٠، ٦٩، ٧٥)، واليوغا سيطرة على النفس: ٩ - ج. توندريو وب. رثال، الحكمة الهندوسية: ١٤٧ - حلقة الدراسات الهندية.

(٢) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٤٧ - حلقة الدراسات الهندية.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: (١٩٧، ٢٢٤) ٩٠ وما بعدها - سوامي فشنو ديفانندا، وأعمدة الـ (يوغا) الثمانية: ١٢٣ وما بعدها، و

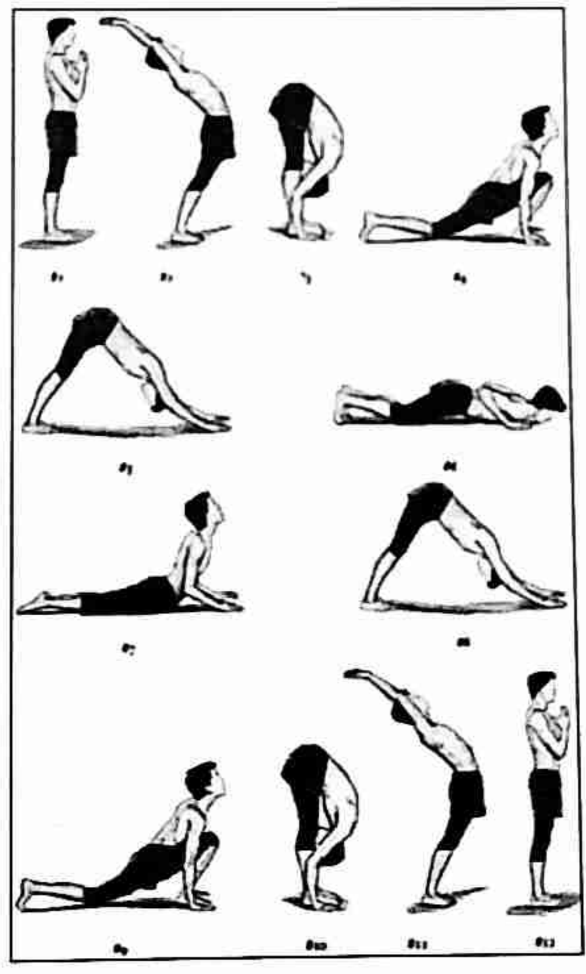
Practising Yoga: (45 75 110 113) - Geddes & Grosset

(٤) انظر: اليوغا سيطرة على النفس: (٦٦ - ٦٧، ٨٥) - ج. توندريو وب. رثال

Practising Yoga: (59 118 - 120) - Geddes & Grosset

- والصنف الأخير هي الأوضاع التي لا تنتمي لأي من القسمين السابقين، فلا يظهر منها سوى كونها تمارين جسدية، وإن كان في كثير منها شيء من الغرابة والتكلف.

يتَّبع الـ (يوغي) نظامًا غذائيًا يعتمد على النباتات والحبوب في الغالب، وهو يشبه نظام الـ (ماكروبايوتِك) إلى حد كبير حتى في قضية التركيز على المضغ[1]. ومما يجدر الانتباه له أن جميع الأوضاع الجسدية المعتمدة في الـ (هاثا يوغا) تُتخذ كتمرين للجسد وإعداد له لمرحلة التأمل[2].



شكل (٢١): الأوضاع المكونة لتحية الشمس

(١) انظر: الكامل في اليوغا: (٢٣٩ - ٢٤١) - سوامي فشنو ديفننذا.
(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٥٤.

تحية الشمس

إن من أهم الأوضاع الجسدية في الـ (يوغا) ما يسمى بتحية الشمس، وهو عبارة عن وضعية مركبة من حركات متعددة. يعني اسمها بالسنسكريتية السجود للشمس بثمانية أعضاء، هي: القدمين والركبتين واليدين والصدر والجبهة[1].

يقول **سوامي فشنو ديفانندا**: «يُدعى هذا التمرين: تحية الشمس؛ لأنه يُمارس في الصباح الباكر باتجاه الشمس. حيث تعتبر الشمس مصدرًا للصحة والمحبة. وكان هذا التمرين يطبق يوميًا في العصور القديمة مع مجمل الطقوس الدينية. وكانت تجري ممارسته ١٢ مرة يوميًا على الأقل مع تلاوة اثني عشر اسمًا لإله الشمس»[2].

ومع ذلك، يجادل بعضهم بأن هذه التحية ليست من جنس العبادات الوثنية، فهي ليست سوى تأمل للشمس المعنوية التي هي - في الواقع - الإله المعبود أو المُعتقد، كما أن الشمس تعتبر رمزًا للضوء الإلهي الذي «انبثق» منه الإنسان ويحاول جاهدا الدنو منه[3].

وفي كلتا الحالتين لا تخرج تحية الشمس عن كونها ممارسة وثنية باطلة، حيث لم يُعرف اتخاذ رمز يمثل الإله تُوَّجه له التحيات والصلوات إلا عند عُبَّاد الأوثان.

---

(١) انظر: اليوغا سيطرة على النفس: (٥٦ - ٥٨) - ج. توندريو وب. رئال، واليوغا في ميزان النقد العلمي: (١٥ - ١٨) - د. فارس علوان، واليوغا والتنفس: (١٤٥ - ١٥٧) - محمد عبد الفتاح فهيم، و

Practising Yoga: (94 - 100) - Geddes & Grosset

ذكر د. **فارس علوان** أن من يمارس هذا التمرين يستيقظ في الساعة الثالثة والنصف ويستمر في فعلها إلى ما بعد السادسة وكذلك في المساء.

(٢) الكامل في اليوغا: ٩٦ - سوامي فشنو ديفانندا.

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١٦٦ - غطاس الحكيم.

أما من يبرر هذا الفعل بكون الشمس ذات منافع متعددة وهي حقيقة أن تشكر عليها، فقوله مردود عليه، حيث إن الشكر يجب أن يُسدى لمن سخر الشمس - وغيرها من النعم - لبني البشر، فله الحمد أولًا وآخرًا ﷻ.

الاستشفاء بالـ (يوغا)

يختلف تفسير الـ (يوغا) للمرض عن التفسير الدارج المعروف، فهو لا يقتصر على الأمراض البدنية والاختلالات الوظيفية بل يشمل الغفلة وعدم الانتباه وقلة التركيز. كما تؤكد الـ (يوغا) على الإمكانية الذاتية للتحكم بالصحة، بل وبالمستقبل، وذلك بترويض النفس والسيطرة على العقل[1].

أما من ناحية الاستشفاء، فإنه غالبًا ما يقصد من خلال ممارسة نوعين رئيسين من أنواع الـ (يوغا)، هما:

١- الـ (يوغا) الجسدية: التمارين والأوضاع.

٢- الـ (يوغا) الـ لا جسدية: التأمل.

يُفسِّر أتباع الـ (يوغا) زوال الأعراض المرضية وفقا لفلسفة الاستشفاء الشرقية، فهي تعمل على تنشيط سريان الطاقة في مساراتها، كما تعمل على فتح الـ (شاكرات) المستقبلة للطاقة مما يعزز قدرة الجسد الذاتية على الشفاء[2]، بينما يراد من الاسترخاء تخزين طاقة الـ (پرانا) والتقليل من استهلاكها[3].

ومن باب الإنصاف، فإنه قد يوجد بعض الفوائد الصحية لشيء من الممارسات الـ (يوغية)، إلا أنها لا تتعلق بالطاقة ولا بالمسارات، بل يمكن

---

(١) انظر: اليوغا سيطرة على النفس: ١٤ - ج. توندريو وب. رثال.

(٢) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٤٩ - حلقة الدراسات الهندية، و

Practising Yoga: 27 - Geddes & Grosset

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٣٠ - سوامي فشنو ديفننذا.

تفسيرها علميا وربطها بأسبابها الحقيقية. وفيما يلي توضيح مختصر للمقصود:

الـ (يوغا) الجسدية: يمكن تفسير ما قد يظهر من نتائج إيجابية على الصحة بالتالي:

- تنشيط الدورة الدموية من خلال الحركة اللازمة لاتخاذ الأوضاع الجسدية[١].
- تحفيز عمل الدماغ، مما يساعد في التخفيف من أعراض الخرف المبكر (ألزهايمرز).
- زيادة سعة الرئتين من خلال تمارين التنفس وحبس النفس، مما يساهم في تخفيف أعراض الربو ومشاكل التنفس.
- زيادة مرونة المفاصل والعمود الفقري، مما يخفف من مشاكل وآلام الظهر[٢].

وجميع ما سبق ليس خاصًا بالـ (يوغا)، بل يمكن تحقيقه من خلال ممارسة أي نوع من أنواع التمارين الرياضية المشابهة.

الـ (يوغا) الـ لا جسدية: غالبًا ما يستخدم هذا النوع في علاج الأمراض الناتجة عن الضغوط؛ نظرًا لأنها تصرف الذهن عن مصادر القلق، ولأنها تعتبر وسيلة للاسترخاء. ولا شك أن ما كان سببه الضغط والإجهاد كان من علاجه الراحة والاسترخاء. وكما ذكر في السابق، ليس هذا خاصًا بتأمل الـ (يوغا)، بل ما يمكن تحقيقه بالـ (يوغا) يمكن تحقيقه بأي تمرين آخر يساعد على الاسترخاء[٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٧٦.

(٢) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 279 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss

Practising Yoga: (127 - 131) - Geddes & Grosset

(٣) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 287 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss

Practising Yoga: (28 - 32) - Geddes & Grosset

ومع ذلك، يرى بعض الأطباء أن «للتأمل» أعراضًا جانبية ضارة، منها الإرباك والتشوش الذهني وفقدان الحس بالمكان والزمان، بالإضافة إلى ضعف الإحساس بالواقع[١].

العلاج بطاقة الـ (پرانا)

تشكل الطاقة الكونية (پرانا) أهمية كبرى في قضية الاستشفاء، وكما هو الحال في كثير من تطبيقات العلاج بالطاقة تُنسب لها قدرات هائلة في شفاء الأمراض، فمجرد أن يضع الـ (يوغي) المعالج يده على موضع الألم من جسد المريض، ويتخيل أن الـ (پرانا) تفيض من يديه إلى ذلك الموضع، يتم الشفاء التام[٢]. كما يدعي محترفو الـ (يوغا) تمكن الـ (يوغي) من شفاء المريض الذي يبعد عنه مسافات كبيرة وذلك من خلال توجيه الـ (پرانا) إليه عن بُعد تمامًا كما يدعيه أتباع الـ (ريكي)[٣].

إن هذه الطاقة العلاجية لا تختلف - عند هؤلاء - عما وهبه الله ﷻ للأنبياء من قدرات معجزة في الشفاء، فهذه المعجزات تحصل - باعتقادهم - من خلال الاتصال بالطاقة الكونية وهو ما أتقنه الأنبياء! يتساءل **سوامي فشنو ديفانندا**: «كيف أمكن للمسيح القيام بالعجائب[٤] مثل إعطاء النظر للأعمى، وشفاء المرض؟» ثم يجيب عن هذا التساؤل قائلا: «إنها ليست بعجائب كما نعتقد، بل هي قانون إلهي. فالمسيح كان بإمكانه إيصال نفسه كليًا بقوة الله الكونية»[٥].

---

(١) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 290 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٩٦- سوامي فشنو ديفننداً، واليوغا والتنفس: (٦٢ - ٦٣) محمد عبدالفتاح فهيم.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: ٢٥٨ - سوامي فشنو ديفننداً.

(٤) يريد المعجزات.

(٥) الكامل في اليوغا: ٢٩٧ - سوامي فشنو ديفننداً، وانظر: اليوغا والتنفس: ٦٣ - محمد عبد الفتاح فهيم.

وبما أن هذا الاتصال متاح لكل من سعى لتحصيله، فقد زعم أن معلمه استطاع محاكاة تلك المعجزات، بل إنه تجاوزها فأصبح بإمكانه الإتيان بها عن بعد!

المبحث الخامس

الفنون القتالية

تشكل الطاقة الكونية (تشي - پرانا) أهمية كبرى في جوانب مختلفة من الحياة في الشرق، يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط:

- الفلسفة.
- الفنون القتالية.
- والاستشفاء[1].

وهي - في الحقيقة - متداخلة إلى حد كبير، فبعض الفنون القتالية تعتمد كليًا على الفلسفة الشرقية، وفي الوقت ذاته تُستخدم للاستشفاء. ولذلك، لا يمكن اعتبارها مجرد وسائل للقتال أو الدفاع عن النفس كما قد يبدو عند مطالعة الظاهر[2]، بل تتعدى ذلك إلى ما هو أخطر بكثير.

سأقتصر في هذا المبحث على نوعين من تلك الفنون، وهما: الـ (طايجي شوان) والـ (تشي كونغ) نظرًا لانتشارهما وللتشابه بينهما وبين الفنون الأخرى. وهاتان الطريقتان تمثلان الصورة الطاوية للـ (يوغا) الهندية[3].

---

(١) انظر: Introduction to Qigong: 18 - Ray Pawlett

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٠.
لها عدة تسميات: الفنون القتالية، الفنون العسكرية، وفنون الدفاع عن النفس.

(٣) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٣٧.
An Introduction to Complementary Medicine: 288 - Simon Borg-Olivier Bianca Machliss.

المطلب الأول: طايجي شوان (Taijiquan - 太極拳)

يندر وجود نصوص دوِّنت في العصور المتقدمة تتضمن أصول الـ (طايجي شوان)، وذلك لأسباب عدة، منها:

- اعتياد الشعوب الشرقية على تناقل العلوم شفهيًا عبر الأجيال.
- وصعوبة الحصول على الأدوات اللازمة للتدوين.
- مع كون التدوين مستهلِكا للجهد والوقت في الأزمنة القديمة.

ولذلك لا يوجد إلا صفحات قليلة مما يمكن اعتباره مصادر أصيلة لهذا الفن تتحدد من خلالها تفاصيله(١)، ولكن الأمر الذي لا جدال فيه هو أن الـ (طايجي شوان) ليس مجرد فن قتالي للدفاع عن النفس، بل إنه متجذر – وبعمق – في الفلسفة الصينية والمعتقدات الطاوية(٢).

معنى الـ (طايجي شوان)

الـ (طايجي) هي كلمة صينية تعني: الوجود النهائي، والتقدم نحو الـ لا محدود. وهو ما يطلق عليه – أحيانًا – المبدأ الفريد(٣). أما الـ (طايجي شوان) فيراد به أعلى مراتب الفنون العسكرية(٤).

---

(١) انظر:

Tai Chi Classics: VIII - translated with commentary by: Waysun Liao

(٢) انظر: The Complete Book of Tai Chi Chuan: 8 - Wong Kiew Kit

(٣) انظر: المبدأ الفريد: ٤٤ – جورج أوساوا.

وقد عبر عنه المؤلف بـ تايكيوكو، المقابل الياباني للـ (طايجي) الصيني.

Tai Chi Classics: 5 - translated with commentary by: Waysun Liao

(٤) انظر: The Dao of Taijiquan: 20 - Jou Tsung Hua

تاريخ الـ (طايجي شوان)

يُنسب تأسيس الـ (طايجي شوان) إلى راهب طاوي عاش في القرن الثالث عشر في أحد جبال الصين المقدسة عند الطاوية. ويُروى أنه رأى رؤيا في إمبراطور دولة **هان** يعلمه أصول الملاكمة[١]، فقام بابتكار مبادئ الـ (طايجي شوان) والتي تُعتبر نوعًا من أنواعها. إلا أن الرواية الأكثر ثبوتا تذكر بأن تفاصيل هذا الفن تشكلت في نهاية القرن الثامن عشر عندما انتقلت مبادئه من أسرة **تشن** إلى أسرة **يانغ** وأضيفت إليها مفاهيم الـ (ين يانغ) الفلسفية ومن ثم أُطلق على مجموعها اسم الـ (طايجي شوان)[٢].

وفي عهد دولة **تشنغ** طلبت الأسرة الحاكمة من أحد معلمي الـ (طايجي شوان) ممن ينتسب إلى أسرة **يانغ** أن يعلمهم فنونه، ولكنه لم يرغب بتعليم أعدائه كيفية السيطرة على الطاقة الكونية وما تجلبه تلك السيطرة من قوة قتالية، فقام بتحريف بعض الحركات وسَلبَها شيئًا من الروحانية الأصلية، فأصبحت مدرسة مستقلة تحمل اسم أسرة **تشنغ**. أما المبادئ الأصلية المعروفة بـ مدرسة **يانغ** فاقتصر في تعليمها على أبناء أسرته. وقد انتشرت كلتا الطريقتين في العالم الغربي[٣].

---

(١) ويذكر أنه شاهد معركة بين ثعبان وطير انتصر فيها الثعبان بحركاته البطيئة مما جعله يبتكر الفن القتالي الهادئ المتمثل في الـ (طايجي شوان).

(٢) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 140 - J.A English-Luek

The Complete Book of Tai Chi Chuan: (19 - 28) - Wong Kiew Kit

The Dao of Taijiquan: (56 - 60) - Jou Tsung Hua

(٣) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٤٤ – ترجمة: محمد شهاب.

يوجد مدارس أخرى للـ (طايجي شوان) لا أود الإطالة في ذكر تفاصيلها، ولكنها تعتمد على الفلسفة ذاتها وهو الذي يهمنا في هذا البحث. انظر:

The Complete Book of Tai Chi Chuan: (25 - 29) - Wong Kiew Kit

وعليه فيمكن تقسيم تاريخ الـ (طايجي شوان) - باختصار - إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة المعلمين القدماء[1].

٢- مرحلة ظهور المدارس الرئيسة، وأبرزها مدرسة الـ (يانغ).

٣- الانتشار العالمي وبروز الصور المعاصرة للفن[2].

فلسفة الـ (طايجي شوان)

لا يمكن فهم الجانب الفلسفي للـ (طايجي شوان) إلا من خلال استحضار المبادئ الأساسية في الفلسفة الشرقية، فهو يعتمد عليها كليا، بل إنه يقوم - بشكل أساسي - على الفلسفة الطاوية وتفسيرها للوجود والكون. ونحن - في هذا المطلب - لسنا بصدد الشرح المفصل لمفردات تلك الفلسفة، حيث سبق التعرض لذلك في الباب الأول، ولكن المقصود هو الإشارة إلى مدى ارتباط الـ (طايجي شوان) بتلك المبادئ.

إن النظرة الطاوية للنشأة الكونية تتمثل عمليا في الحركات القتالية المستخدمة في هذا الفن، فالمتدرب في الخطوات الأولية من الـ (طايجي شوان) يتخذ موقف السكون الذي يمثل الوجود المطلق البدائي، ثم ينتقل إلى الحركة التي تُعتبر رمزا للوجود المُتولِّد عنه. إنها صورة عملية لتولُّد الـ (ين يانغ) المكونة للـ (طايجي) المتولد من الـ (طاو) المطلق[3].

---

(١) يذكر أن الـ (طايجي شوان) كانت من ابتكار رهبان طاويين طوروا طرقهم في التأمل إلى فنون قتالية ودفاعية من أجل الدفاع عن أنفسهم ضد اللصوص. انظر:

An Introduction to Qigong: 20 - Ray Pawlett

The Complete Book of Tai Chi Chuan: 3 - Wong Kiew Kit

(٢) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 140 - J.A English-Leuk

(٣) انظر: The Dao of Taijiquan: (110 127) - Jou Tsung Hua

بعد ذلك تُصنَّف الحركات والسكنات - بل والأفكار وفقًا لفلسفة الـ (ين يانغ)، حيث يلزم الموازنة بينها من أجل تحقيق الهدف المنشود[١]. إن الـ (طايجي شوان) قائم على فلسفة الـ (ين يانغ)، وبدون الـ (ين يانغ) لا يمكن وجود الـ (طايجي شوان)[٢]. كما أن البنية الفلسفية للـ (طايجي شوان) تمثل تشكيلة متنوعة من المعتقدات الشرقية كتثليثات الـ (يي جنغ) والعناصر الخمسة، حيث تصنف أوضاع اليدين والقدمين وفقا لها كذلك[٣].

وكلازم حتمي لاعتماد الفلسفات الشرقية آنفة الذكر، يظهر القول بوحدة الوجود كإحدى أساسيات فلسفة الـ (طايجي)، فهي تنفي الثنائية في الوجود وتؤكد على أن الإنسان والكون الذي من حوله ليسا سوى شيئ واحد[٤]. وتهدف هذه الممارسة الطاوية إلى توحيد الجسد والعقل والروح والطاقة ليصل الإنسان إلى أعلى مستويات الـ (طايجي شوان) ويتجاوز العالم المادي فيحقق الهدف الطاوي بالخلود[٥].

وعليه فإن الـ (طايجي شوان) لا يختلف - من حيث الهدف - عن غيره من التطبيقات العملية للفلسفة الشرقية، كما يتفق معها في الاعتقاد بسريان الطاقة الكونية في الجسم البشري وأن كل خلل فيه ناتج عن نقصها أو تعثر سريانها[٦]، فلا يعتمد الـ (طايجي شوان) - كفن قتالي - على القوة البدنية الخارجية بقدر ما

---

(١) انظر: The Complete Book of Tai Chi Chuan: (13 - 17) - Wong Kiew Kit

(٢) انظر: المرجع السابق: ٩.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٦، و The Dao of Taijiquan: (20 116 - 127) - Jou Tsung Hua

(٤) انظر: The Dao of Taijiquan: 128 - Jou Tsung Hua

(٥) انظر: Understanding Reality: A Taoist Alchemical Text: 14 - Chang Po-Tuan
Philosophers and Religious Leaders: 113 - edited by: Christian D. Von Dehson

(٦) انظر: The Complete Book of Tai Chi Chuan: (32 - 39) - Wong Kiew Kit
The Columbia Encyclopedia 6th: 30462

يركز على تنمية الطاقة الكونية في الداخل والتي تساعد على تقوية الجسد»[١].

«وكما هو الحال مع المظاهر الأخرى للطب الصيني، فإن (طايجي) مرتبطة أصلًا مع الاعتقاد الطاوي، بالرغم من أنها أصبحت - بعد ذلك - على علاقة أكبر بمعابد شاولين البوذية»[٢]. وبعد الاطلاع على مؤلفات متعددة في الـ (طايجي شوان) لم أجد فرقا يذكر بينه وبين الفلسفة الشرقية - والطاوية خاصة، بل إن بعض ما أُلِّف فيه يوضِّح المفاهيم الطاوية - كالـ (طاو) والـ (طايجي) والـ (ين يانغ) - بشكل أوضح وأكثر تفصيلًا من الكتب المؤلفة في الفلسفة ذاتها.

الاستشفاء بالـ (طايجي شوان)

لم يعرف الـ (طايجي شوان) كوسيلة لإطالة العمر والاستشفاء إلا في الأزمنة المتأخرة نسبيا حيث أصبح يعرف كنوع من الفنون القتالية ذي فوائد صحية ضمنية[٣] تتمثل في علاج العديد من الأمراض، منها: الروماتزم والربو والأرق والتهاب المعدة والضغط والصداع النصفي (الشقيقة)[٤].

وكما سبق ذكره في مبحث الـ (يوغا)، فإن ما قد يحصل من الفوائد الصحية بعد ممارسة الـ (طايجي شوان) لا يمكن أن تنسب إلى الفلسفة الإلحادية التي يقوم عليها، وإنما يمكن إرجاعها إلى منافع الرياضة والاسترخاء عمومًا، في حال لم تكن النتائج مفتعلة أو وهمية. أما أن يكون الشفاء بسبب استعادة تدفق الطاقة أو تنميتها وموازنة الـ (ين يانغ) فأمر غير وارد على الإطلاق.

---

(١) انظر: The Complete Book of Tai Chi Chuan: 4 - Wong Kiew Kit

Tai Chi classics: (17 - 18) - Waysun Liao

(٢) كتاب الطب الصيني: ١٤٢ - ترجمة: محمد شهاب، و

معابد شاولن: هي معابد بوذية في الصين تتبنى طريقة (زن) وتهتم بالفنون القتالية.

(٣) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 139 - J.A English-Luek

The Dao of Taijiquan: 20 - Jou Tsung Hua

(٤) انظر: The Complete Book of Tai Chi Chuan: 7 - Wong Kiew Kit

المطلب الثاني: تشي كونغ (Qigong -氣功)

إن الـ (طايجي) والـ (تشي كونغ) متقاربان جدًا في كثير من مظاهرهما. بل إن بعض الباحثين قد اعتبرهما وجهين لظاهرة واحدة[١]. وكما يُعتبر الـ (تشي كونغ) فنا مستقلا، فإنه في الوقت ذاته يشكل جزءًا من جميع الفنون القتالية، وإن لم يكن يسمى باسمه في تلك الأحوال[٢]، فهو بالنسبة لها كالـ (پرانا ياما) بالنسبة إلى الـ (يوغا)[٣]. ورغم أن الـ (تشي كونغ) هو أحد التمارين المستخدمة في الفنون القتالية أصلا، إلا أنه اشتهر كرياضة تستخدم في الجوانب الصحية والاستشفاء في الأزمنة المتأخرة[٤].

يُطلق الـ (تشي كونغ) على مجموعة من التمارين الجسدية وأساليب ضبط التَّنفُّس التي يُقصد منها زيادة وتنشيط الطاقة (تشي)، حيث يُعتقد أن المرض ناتج عن ركودها أو نقصانها[٥]. إن هذه الممارسات لا يراد منها علاج الجانب المادي فحسب، بل تتعدى ذلك إلى الجانب العاطفي - بل والروحي كذلك![٦]. وترتكز فلسفته - كسابقاته - على المسؤولية الذاتية في تحقيق الصحة وإطالة الحياة[٧].

---

(١) انظر: An Introduction to Qigong: 82 - Ray Pawlett

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٠.

(٣) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٣٧ - ترجمة: محمد شهاب، و
Qigong Basics: 15 - Ellae Elinwood

(٤) وقيل: إنه كان في الأصل للاستشفاء ثم غلب عليه الطابع القتالي ومؤخرًا عاد إلى ما كان عليه في الأصل. انظر:
A Complete Guide to Chi-Gung: 51 - Daniel Reid

(٥) انظر: تعلم التشيكونغ: (٥، ١١) - جاي سوانسونغ، وكتاب الطب الصيني: ١٣٧ - ترجمة: محمد شهاب، و
Handbook of Chinese Popular Culture: 142 - J.A English-Luek
An Introduction to Qigong: 12 - Ray Pawlett

(٦) انظر: An Introduction to Qigong: (9 33) - Ray Pawlett

(٧) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: 5 - Daniel Reid

معنى الـ (تشي كونغ)

الـ (تشي كونغ) لفظة صينية مكونة من شقين، هما: (تشي): وهي الطاقة الكونية، و(كونغ): وهي ما يمكن تفسيره بأنه عملية إتقان طريقة معينة[١].

وعليه فيكون معنى الـ (تشي كونغ): العمل على إتقان الطاقة الكونية[٢]، أو تدريبات الطاقة[٣] وما شابه ذلك.

تاريخ الـ (تشي كونغ)

ترجع أصول الـ (تشي كونغ) البدائية إلى زمن **الإمبراطور الأصفر**، حيث يُذكر أنه كان يمارس تمارين وأساليب للتنفس تشبه تلك المستخدمة في الـ (تشي كونغ). وقد وُجِدت أول إشارات مكتوبة في نصوص تَرجِع إلى ٤٠٠٠ سنة تقريبًا، ذُكر فيها الـ (تشي كونغ) كرقصة تشبه حركات الحيوانات تستخدم لطرد الأمراض وتنشيط الطاقة الكونية (تشي). وعلى مر العصور، تأثر الـ (تشي كونغ) بالفلسفات الصينية الأصيلة والوافدة إلى الصين بشكل متفاوت[٤].

استمر الـ (تشي كونغ) يُعامل معاملة التقاليد الاستسرارية في الصين، فكان نساك الطاوية والبوذية يمارسونه بهدوء في معابدهم ويقتصر تعليمه على الخواص إلى أن جاء العصر الحديث فأصبحت تعاليمه في متناول الجميع[٥].

---

(١) انظر: تعلم التشيكونغ: ٥ - جاي سوانسونغ، وكتاب الطب الصيني: ١٣٧ - ترجمة: محمد شهاب، و
Handbook of Chinese Popular Culture: 142 - J.A English-Lueek
An Introduction to Qigong: 7 - Ray Pawlett

(٢) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: 6 - Daniel Reid

(٣) انظر: مذكرة تدريبات الطاقة: ١ - حسن البشل (مذكرة خاصة بالدورات غير مطبوعة).

(٤) انظر: المرجع السابق: (٢٧ - ٤٠)، و
Qigong Basics: 20 - Ellae Elinwood

(٥) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: 1 - Daniel Reid

لقد ظهرت عدة محاولات لمنع ممارسة الـ (تشي كونغ) في منشأه الأصلي الصين، باعتباره من مخلفات الماضي الخرافية، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل نظرًا لتغلغل الفلسفات الشرقية وتطبيقات الطب الشرقي في أذهان صناع القرار[1].

ورغم انتشار الفنون القتالية الشرقية في البلاد الإسلامية منذ زمن ليس بالقصير، إلا أن الـ (طايجي شوان) والـ (تشي كونغ) لم تظهرا إلا في السنوات الأخيرة. وقد كان لظهور بعض مراكز التنمية والطب البديل دور بارز في دعم انتشارها والترويج لها[2].

فلسفة الـ (تشي كونغ)

لقد تكرر معنا كثيرًا ارتباط التطبيقات التي نتناولها بالفلسفات الشرقية، والـ (تشي كونغ) ليس استثناء من تلك المنظومة، فهو مستمد من الطرق الطاوية في ضبط التنفس والتمارين المرتبطة بالفلسفة الصينية في الاستشفاء[3]. وكما سبق أن أشرت، فإنه يعتبر الصورة الصينية للـ (يوغا)[4].

إن أهم ما يعتمد عليه هذا الفن هو الاعتقاد بالطاقة الكونية ومركزيتها في جميع جوانب الحياة. ولذلك تتركز تعاليم الـ (تشي كونغ) على كيفية تنشيطها

---

(١) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: (41 - 42) - Daniel Reid

(٢) لقد أقيمت دورات متعددة في الـ (تشي كونغ) في أنحاء مختلفة من العالم العربي بما فيها منطقة الخليج والمملكة العربية السعودية بتنظيم من مركز الراشد الذي يتبنى كثيرًا من التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية.
تصفح موقع المركز الرسمي: البرامج التدريبية < www.alrashed.net
كما أن من أبرز مدربي الـ (تشي كونغ) والـ (طايجي شوان) في المملكة رجل من أهل مكة اسمه حسن البشل، وقد درس العلوم الصينية على أيدي معلمين صينيين.
تصفح موقعه الرسمي: www.bishil.com

(٣) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 142 - J.A English-Luek

(٤) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٣٧ – ترجمة: محمد شهاب.

واستقطابها لا سيما من خلال التنفس، حيث تعتبر الرئتان - وفقا للفلسفة الطاوية - وسيلة لاستقطاب الطاقة الكونية وتوزيعها على الجسد. كما يظهر التركيز على التنفس البطني (من خلال تمدد منطقة البطن)؛ للاعتقاد بوجود مخزن الطاقة في تلك المنطقة(١). وبالطبع، فإن الطاقة تسري في مسارات اثني عشر(٢) وتستقطب من خلال مراكز الطاقة(٣) كما هو مقرر في الفلسفة الأم.

وبما أن الفلسفات الشرقية يكثر فيها الترابط والتداخل فإن الـ (تشي كونغ) يمثل تشكيلة من الفلسفات المتعددة، منها فلسفة العناصر الخمسة. ولذا يهدف الـ (تشي كونغ) إلى إحداث التوازن بين العناصر المختلفة من خلال ممارسة التمارين الخاصة بالعضو أو الأعضاء الداخلة تحت سيطرة كل عنصر(٤).

---

(١) انظر: تعلم التشيكونغ: ٩ - جاي سوانسونغ، و

An Introduction to Qigong: (28 - 29) - Ray Pawlett

تعتمد الطاوية على المبدأ الذي يقول بأن التشابه في المظهر يعني التشابه في الطاقة، ولذلك كانت الأمعاء تشبه بالمخ، بل كانت تسمى المخ الثاني. فكان المخ العلوي معني بالفكر، بينما المخ السفلي معني بالغريزة. ولذلك كان المحارب الذي يعرف كيفية استخدام الـ (هارا) أمهر بالقتال لأنه يعتمد على حسه الغريزي، بينما يحتاج خصمه إلى تمرير الأفكار في عقله مما يتطلب وقتًا أطول. إن هذا هو نفسه دور المعالج حيث يسعى لإطلاق الطاقة من منطقة الـ (هارا) تمامًا كالمقاتل مع اختلاف المقصد لكل منهما. انظر:

An Introduction to Qigong: 32 - Ray Pawlett

(٢) انظر: تعلم التشيكونغ: (٧ - ٨) - جاي سوانسونغ، و

A Complete Guide to Chi-Gung: (16 - 19) - Daniel Reid

An Introduction to Qigong: (14 20) - Ray Pawlett

(٣) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: (67 - 68) - Daniel Reid

An Introduction to Qigong: (16 - 17) - Ray Pawlett

(٤) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: (15 - 16) - Daniel Reid

An Introduction to Qigong: (31 55 - 57) - Ray Pawlett

فمثلًا: من أجل تقوية القلب الضعيف يقوم المريض بممارسة التمارين الخاصة بتنشيط طاقة عنصر النار لأنه العنصر الذي يسود القلب.

وبلا شك فإن الـ (ين يانغ) هي أحد الفلسفات التي يقوم عليها فن الـ (تشي كونغ)، حيث يعتبر وسيلة للموازنة بينهما. كما أن الأعضاء والأجهزة الحيوية والحركات - بل وجميع جوانب الـ (تشي كونغ) - مصنفة إلى (ين) أو (يانغ)[1].

لقد كان للـ (يي جنغ) أثر كبير في فلسفة الـ (تشي كونغ) ونظرته للكون والوجود، فاعتبرت صحة الإنسان وسعادته ومرضه وحزنه تابعة للتغيرات الدورية للسماء والأرض، كما اعتبرت الحركة والسكون في تمارين الـ (تشي كونغ) وضعين نسبيين غير متمايزان لحالة وجود موحدَّة، تمامًا كالـ (ين يانغ)[2]

إن التمارين الجسدية وأساليب التنفس التي نراها عند النظر إلى من يمارس الـ (تشي كونغ) ليست سوى الجوانب الظاهرية لهذا الفن وهو ما يسمى بـ «العمل الخارجي»، بينما الجزء الأخطر والأهم هو الجانب غير المرئي والمسمى بـ «العمل الداخلي». هناك ثمانية مراحل لممارسة العمل الداخلي تنتهي إلى الهدف الأعلى للفلسفة الشرقية وهو الاتحاد أو كما يعبرون عنه: العودة إلى المصدر[3].

الاستشفاء بالـ (تشي كونغ)

يغلب على من يمارس الـ (تشي كونغ) استخدامه للمحافظة على الصحة واستدامتها، ولكنه قد يستخدم - في بعض الأحيان - لمعالجة الأمراض. فنجد المعالج بالـ (تشي كونغ) يستخدمه لأغراض استشفائية متعددة، منها: الإعداد الذاتي والتهيؤ للمعالجة، بالإضافة إلى التشخيص والعلاج[4]. ويختلف مؤيدوه في

(١) انظر: تعلم التشيكونغ: (٧ - ٨) - جاي سوانسونغ، و
A Complete Guide to Chi-Gung: (11 - 13) - Daniel Reid
An Introduction to Qigong: 13 - Ray Pawlett

(٢) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: (31 - 32) - Daniel Reid

(٣) انظر: المرجع السابق: (٨١ - ٨٥).

(٤) انظر: An Introduction to Qigong: 21 - Ray Pawlett

تفسير ما يُنسب إليه من فوائد صحية، فمنهم من يُرجع ذلك إلى أسباب مادية ناتجة عن التمارين الجسدية والتنفس العميق[١]، ومنهم من يرجعه إلى أسباب ميتافيزيقية مرتبطة بالفلسفات الشرقية الإلحادية وموازنة الطاقات في الجسد[٢].

توجد قائمة طويلة من الأمراض التي يفترض أن الـ (تشي كونغ) يعالجها، وهي - كغيرها - غير منضبطة بضابط. ولذلك نجد ما أدرج فيها يتفاوت ما بين تقرحات المعدة وأمراض خطيرة كالأورام السرطانية، بالإضافة إلى الهدف الشرقي السائد وهو: إطالة العمر[٣].

وعلى كل حال، فإن الاستشفاء بالـ (تشي كونغ) قوبل بتشكك كبير في الأوساط العلمية والطبية - حتى في حال ربطه بالأسباب المادية - نظرًا لعدم وجود الدراسات العلمية المنضبطة والمتجردة التي تثبت جدواه[٤].

مدارس الـ (تشي كونغ)

تتجاوز أساليب الـ (تشي كونغ) الموجودة العد، وهي تقدر فيما بين ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ أسلوب. ولكن رغم اختلافها في التفاصيل، إلا أنها تتفق في المبادئ الأساسية للـ (تشي كونغ)، وهي:

- العمل على تدفق الطاقة الكونية في الجسم.

---

(١) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 146 - J.A English-Luek
ومما يذكر في ذلك أن ممارسة الـ (تشي كونغ) يساعد في تقليل الأعراض الجانبية للعلاج الكيماوي والإشعاعي، وذلك من خلال تحفيز الاسترخاء العصبي والتقليل من استهلاك طاقة الجسد (الجهد).

(٢) انظر على سبيل المثال: An Introduction to Qigong: 11 - Ray Pawlett

(٣) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: (145 - 146) - J.A English-Luek
وقد كان من المزاعم أن ممارسة الـ (تشي كونغ) لمدة أربع ساعات يوميًا كفيل في القضاء على السرطان.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٤٤، و
The Skeptics Dictionary: 24 - Robert Todd Carroll

- الموازنة بين الـ (ين يانغ).
- والموازنة بين طاقات العناصر الخمسة[1].

كما أن لفروع الـ (تشي كونغ) المتعددة خمسة أهداف موحدة، وإن كانت تتفاوت في الأولوية والتقديم، هذه الأهداف هي:

١- «المحافظة على الصحة.

٢- الشفاء من المرض.

٣- إطالة العمر.

٤- تنمية القوة الجسدية والقدرة القتالية.

٥- السعي إلى تحقيق الوعي الروحي، الاستنارة (الإشراق) والتحرر من دورة الوجود المادي»[2].

ثم صنفت المدارس الرئيسة بحسب تركيزها الأكبر على أحد الأهداف، فكانت كالتالي:

(١) **المدرسة الطاوية**: وهي أقدم مدارس الـ (تشي كونغ)، وعليها تعتمد مبادئه الأساسية. تركز هذه المدرسة على تأمل الطبيعة، وتهدف إلى تحقيق الخلود.

(٢) **المدرسة البوذية**: تركز على سيطرة العقل على الجسد، وتهدف إلى إيقاظ الروح وتحقيق الاستنارة.

(٣) **المدرسة الكنفشيوسية**: تركز على الراحة العقلية، وتهدف إلى إيجاد أفراد صالحين في المجتمع.

---

(١) انظر: A Complete Guide to Chi-Gung: 43 - Daniel Reid

(٢) A Complete Guide to Chi-Gung: (43 - 44) - Daniel Reid

(٤) **المدرسة الاستشفائية**: وتهدف إلى تعزيز الصحة والشفاء من المرض

(٥) **المدرسة القتالية**: وتهدف إلى زيادة القوة البدنية من خلال توجيه الطاقة[1].

وبالإضافة إلى ما سبق، توجد مدرسة حديثة نسبيا أثارت انتقاد بعض معلمي الـ (تشي كونغ) التقليديين باعتبارها طريقة مبتدعة، وهي التي تعتبر الـ (تشي كونغ) ممارسة روحية تعمل على تنمية وإظهار القدرات الخارقة للطبيعة البشرية. وهي إلى جانب الفلسفة الإلحادية الأصلية تضيف بعض الممارسات الشامانية كاستحضار الشياطين وإقامة الطقوس التعبدية للآلهة. ولكن مع ما يوجه لهذه المدرسة من انتقاد إلا أنها تتفق مع سابقاتها في الأصول الفلسفية الشرقية، حيث تقوم على إمكانية الشفاء باستخدام الطاقة الكونية وتوجيهها[2]

وضعيات الـ (تشي كونغ)

تنقسم تدريبات الـ (تشي كونغ) إلى ثلاثة أقسام أساسية:

١- (تشي كونغ) الساكن: وهو نوع من التأمل الفكري، وهو ما يعرف بالتدريب النفسي.

٢- (تشي كونغ) النشيط: ويقصد به تمارين التنفس.

٣- (تشي كونغ) النشيط - الساكن: وهو النوع الأكثر شيوعا في الغرب، ويشمل على أوضاع متنوعة من السكون والحركة، ويعرف بالتدريب الجسدي[3]. وينقسم إلى:

---

(١) انظر: تعلم التشيكونغ: ٦ - جاي سوانسونغ،
A Complete Guide to Chi-Gung: (33 - 55) - Daniel Reid
Handbook of Chinese Popular Culture: 145 - J.A English-Luek

(٢) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture: 145 - J.A English-Luek

(٣) انظر: كتاب الطب الصيني: ١٣٨ - ترجمة: محمد شهاب، تعلم التشيكونغ: ٦ - جاي سوانسونغ، و
Handbook of Chinese Popular Culture: 143 - J.A English-Luek

- تمارين المرونة
- التمارين الثمانية المقصَّبة
- الأشكال الحيوانية (المشابهة لحركة الحيوانات)[1].

تبدأ جميع تمارين الـ (تشي كونغ) بوضعية تسمى (وو تشي) (Wu Chi)، يقف فيها الممارس وقفة مستقيمة وقد فرَّق بين قدميه وأسدل يديه إلى جانبيه. إن هذه الوضعية التي تسبق جميع الأوضاع الحركية هي تمثيل عملي للاعتقاد الطاوي بتولد الوجود من الـ لا شيء. والـ (وو تشي) مصطلح صيني يستخدم في التعبير عن ذلك العدم[2].

وفي ختام هذا المبحث، لا بد من الإشارة إلى أن الفلسفة الشرقية متأصلة في كثير من الفنون القتالية[3]، وإنما اقتصرت على الـ (طايجي شوان) والـ (تشي كونغ)؛ لأنهما يستخدمان في الاستشفاء. ولذلك أرى أنه لابد من دراسة الفنون العسكرية الشرقية دراسة عقدية متخصصة لئلا يقع أبناء الأمة الإسلامية في مصائد الفلسفات الشرقية الإلحادية على مرأى ومسمع من أهل الفضل والعلم.

---

(١) انظر: تعلم التشيكونغ: ٩ - جاي سوانسونغ.

(٢) انظر: An Introduction to Qigong: 33 - Ray Pawlett

(٣) ومنها على سبيل المثال: الـ كونغ فو (Kung Fu - 功夫)والـ جو جتسو (Ju Jutsu -柔術) راجع: الكونغ فو: الطريق الذي لا يعرف المستحيل - يحيي فوزي.

المبحث السادس

الـ فونغ شوَي

الـ (فونغ شوَي) (Feng Shui - 風水) هو فن صيني قديم يحدد كيفية ترتيب المساحات بطريقة منسجمة مع الطبيعة، تسمح للطاقة الكونية بالسريان في المكان المحدد بشكل إيجابي مما يؤثر في جميع جوانب حياة ساكنه، ومن ضمنها صحته النفسية والبدنية. تعتمد بعض تعليمات الـ (فونغ شوَي) على قواعد منطقية، ولكن أكثرها مبنية على خرافات واعتقادات باطلة. فالـ (فونغ شوَي) يجمع بين عناصر مختلفة، منها: الفلسفة، الكهانة، التنجيم، التصميم الداخلي والخارجي، والمنطق[1].

ولن أقتصر - في هذا المبحث - على الجانب الاستشفائي للـ (فونغ شوَي)، بل سأعرض لفلسفته بشكل عام وما يُنسب إليه من فوائد، وذلك نظرًا لتداخل الموضوع وعدم إمكانية اقتطاع جزء منه وعزله عن السياق الكلي للفلسفة.

معنى الـ (فونغ شوي)

الـ (فونغ شوَي) عبارة صينية مكونة من كلمتين، هما: (فونغ) وتعني: الريح أو الهواء، و(شوي) وتعني: الماء، وفيه إشارة إلى الاهتمام بالموازنة بين القوى الطبيعية[2].

---

(١) انظر: Feng Shui: 13 - Geddes & Grosset
والمقصود بالمنطق الأمور التي يدركها الإنسان بعقله وتعتبر "منطقية"، وليس المقصود المنطق الاصطلاحي.

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: ٩٣ - د. رفاه وجمان السيد، و
Feng Shui: 9 - Geddes & Grosset
A Little Book of Feng Shui: 5 - Vijaya Kumar

تاريخ الـ (فونغ شوَي)

يذكر أن الـ (فونغ شوَي) استخدم في الصين قبل ٣٠٠٠ عام أو أكثر، ولكنه لم يصل إلى الغرب إلا في نهاية القرن التاسع عشر بفعل الحملات التنصيرية(١).

فلسفة الـ (فونغ شوَي)

يعتبر الـ (فونغ شوَي) وسيلة تربط بين قدر الإنسان وما يحصل في حياته من حيث الحظ والنجاح والصحة وبين محيطه المباشر الذي يعيش فيه(٢). وقد عُرِّف بأنه «طريقة هندسة المكان، بهدف تحسين ورفع مستوى الطاقة الكونية فيه، وهذا ما يؤدي بساكني المنزل إلى حياة فضلى»(٣).

ارتبط الـ (فونغ شوَي) منذ بداياته المبكرة بالكهانة والاعتقادات الخرافية، حيث ابتدأ كطريقة بسيطة لضرب الرمل تحددُ بناءً عليها أماكن واتجاهات القبور، فقد كان يعتقد أنه من الممكن المحافظة على (تشي) الميت من الفساد من خلال التحكم بالماء والريح(٤).

وللـ (فونغ شوَي) ارتباط وثيق بمبادئ الفلسفة الشرقية، بل إنه مبنى عليها قائم على أصولها. وفيما يلي عرض موجز لأبرز الفلسفات التي يتعلق بها:

١ - الـ (طاو): حيث يعتبر الـ (فونغ شوَي) هو أحد الطرق الموصلة للتناغم مع طريق الطبيعة الـ (طاو) ومن ثم الاتحاد به(٥).

---

(١) انظر: Feng Shui: (10 - 11) - Geddes & Grosset

(٢) انظر: A Little Book of Feng Shui: 7 - Vijaya Kumar

(٣) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: ٩٣ - د. رفاه وجمان السيد.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion: 150 - edited by: Vergilius Ferm

Chinese Religions: 209 - Julia Ching

(٥) انظر: Feng Shui: (15 - 18) - Geddes & Grosset

A Little Book of Feng Shui: 10 - Vijaya Kumar

٢- **الطاقة الكونية (تشي)**: وهي أبرز اهتمامات الـ (فونغ شوَي)، حيث يهدف - بشكل أساسي - إلى إدخال الطاقة إلى الموقع بهدوء وإخراجها من الجهة الأخرى، وذلك من خلال توزيع المساحات وترتيب الأثاث بشكل يحقق التوازن بين الإنسان وبيئته ويجلب له السعادة والصحة(١).

وبناء على فلسفة الـ (فونغ شوَي) فإن للطاقة الكونية (تشي) تمر بثلاث حالات أو مراحل:

- (شِنغ تشي) (Sheng Chi): أو الطاقة الصاعدة، وهي النوع الموجب من الـ (تشي). ويزعمون أن الراحة التي يحس بها الإنسان في بعض الأماكن هو بسبب وجود (شنغ تشي) فيها بشكل مكثف، ومنها: الحدائق والغابات. كما يعتبر البدر المكتمل (شِنغ).
- (سي تشي) (Si Chi): وهي عكس السابقة، حيث تعتبر طاقة سالبة تتواجد في الأماكن التي تفتقد الترتيب، وهي تعود على الناس بالفقر والمرض والكآبة. ويعتبر الهلال الوليد (سي).
- (شا تشي) (Sha Chi): أو الطاقة الضارة. وهي تظهر عند الغضب، وفي المحيط السلبي سواء فوق الأرض أو تحتها. وتعتبر الأماكن المنخفضة - مثلًا - من الأماكن التي تكثر فيها (شا تشي). تتنقل (شا تشي) بخطوط مستقيمة وتتسبب في المرض والقلق وفشل العلاقات الخاصة والاجتماعية(٢).

---

(١) انظر: فنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (البيت): ١ - رانية مشلب، (الترقيم من الباحثة فصفحات الكتاب غير مرقمة في الأصل)
Feng Shui: (9 18 - 20) - Geddes & Grosset
A Little Book of Feng Shui: 5 - Vijaya Kumar

(٢) انظر: Feng Shui: (21 - 27) - Geddes & Grosset
A Little Book of Feng Shui: (16 - 17) - Vijaya Kumar

وفي الـ (فونغ شوَي) يتم العمل على استقطاب طاقة (شِنغ) والتخلص من (سي) و(شا) وذلك من خلال ترتيب فتحات الأبواب والنوافذ وأماكن المرايا والسلالم وتنسيق الإضاءة، كل ذلك مبني على قواعد محددة لاستقطاب الطاقات «الخيرة» والتخلص من الطاقات «الشريرة»[(١)].

٣- الـ (ين يانغ): تصنف جميع مكونات البيئة الخاصة وفقًا لهذه الفلسفة، ومن ثم يكون التصميم والترتيب على وجه يؤدي إلى توازن الـ (ين) والـ (يانغ) في المحيط الشخصي والانسجام مع الكون واستجلاب الحظ الحسن[(٢)].

٤- **العناصر الخمسة**: يرتبط كل عنصر من العناصر الخمسة بأشكال وألوان معينة، وتحصل المشاكل والأمراض عند اختلال التوازن بين العناصر أو

---

(١) انظر: Feng Shui: (102 - 103) - Geddes & Grosset

فمثلًا: لا بد أن يكون مدخل المنزل متناسبًا مع حجمه، فلو زاد لسمح بدخول (تشي) الضارة، ولو نقص حجمه لم يسمح بالقدر الكافي من (تشي) النافعة للدخول. كما يعتقد أن المرايا تعكس الطاقة (تشي) لتتردد في الغرفة وتزيدها حيوية، وترد الأرواح الشريرة (!). انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ١٠٠ - د. رفاه وجمان السيد، و

A Little Book of Feng Shui: (88 - 96) - Vijaya Kumar

(٢) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٦١ - ٦٦) - د. رفاه وجمان السيد، الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: ٩٤ - د. رفاه وجمان السيد، وفنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (البيت): ٤ - رانية مشلب، و

Feng Shui: (28 - 34) - Geddes & Grosset

A Little Book of Feng Shui: (10 - 11) - Vijaya Kumar

يقول مؤلفا كتاب الوجوه الأربعة للطاقة عند الحديث عن الـ (ين يانغ) كمبدأ أساسي للـ (فونغ شوَي): "في بداية الأمر لم يكن هناك سوى الذي هو، فأراد أن يُعرف لأن الشيء إذا لم يُعرف فكأنه غير موجود، فأفاض الكون، فأصبح الكون هو وهنا وهناك والذي ليس هنا وليس هناك أي (العدم)" الوجوه الأربعة للطاقة: ٦١ - د. رفاه وجمان السيد.

طغيان أحدها بسبب الأشكال والألوان الموجودة في المحيط. كما تتحدد الأمراض بحسب العنصر السائد في الإنسان والعنصر السائد في محيطه، يحكم ذلك كله ما يعرف بعمليات الهدم والبناء التي سبقت الإشارة إليها في موضع سابق[١]. إن التفصيل في هذا الموضوع يطول، وهو ما لا يحتمله المقام، ولذلك سأقتصر على ذكر المثال التالي ليتضح المقصود:

- إذا كان المبنى ينتمي إلى عنصر الخشب (كالمباني الطويلة) ويقع في بيئة معدنية (كالهضاب المستديرة) فإن العلاقة بينهما علاقة هدم لأن المعدن يهدم الخشب، ولذلك فإن النشاط التجاري في مثل هذا المبنى سيئول إلى الفشل[٢]. فالـ (فونغ شوَي) يُستخدم للموازنة بين العناصر المتصادمة، وذلك بإضافة ما يمثل العنصر الأضعف - أو العنصر الوسيط بينهما - إلى المحيط البيئي[٣].

٥- **التنجيم**: اقتُبست كثير من قواعد الـ (فونغ شوَي) من التنجيم الصيني، حيث تحدد مواقع الأبواب والنوافذ وقطع الأثاث من خلال حسابات معينة تتعلق بتاريخ الولادة، وبعضها يعتمد على البرج الصيني للساكن[٤].

٦- **الحيوانات الرمزية**: وهي الحيوانات التي توضع على أقطاب البوصلة الصينية، كل منها يمثل طاقة محددة. هذه الحيوانات هي:

- النمر: ومكانه اليمين أو الغرب[٥]، ويرمز لتعزيز القوة الجسمانية، والمنطق والعمل.

---

(١) انظر: Feng Shui: (34 - 46 49 - 72) - Geddes & Grosset

(٢) انظر: المرجع السابق: (٢٠ - ٢١)، و
A Little Book of Feng Shui: (20 - 21) - Vijaya Kumar

(٣) انظر: Feng Shui: (65 - 72) - Geddes & Grosset

(٤) انظر: A Little Book of Feng Shui: (54 - 57) - Vijaya Kumar

(٥) إن البوصلة الصينية تعتبر مقلوبة بالنسبة للبوصلة المعتادة، فالشرق إلى اليسار والغرب إلى اليمين.

- التنين: مكانه اليسار أو الشرق، ويرمز للحكمة واتخاذ القرارات.
- السلحفاة: ومكانها الخلف أو الشمال، وترمز للشعور بالحفظ الأمان
- والطير الأحمر: ومكانه الأمام أو الجنوب، ويرمز للرؤية المستقبلية الواضحة واستغلال الفرص.

كل واحد من هذه الحيوانات يتعلق بفصل، وجهة، ولون، ومشاعر محددة، ولذلك يراعى في تصاميم الـ (فونغ شوَي) ما ترمز له طاقة الحيوان وأثرها. فمن أجل تعزيز القوة الجسمانية - مثلًا - يحرص المصمم على وضع اللون المتوافق مع النمر في الجهة الغربية من المنزل[1]. ومن خرافات الـ (فونغ شوَي) أن أرواح الحيوانات الرمزية تحيط بالمكان لحمايته من الجهات الأربع، ولا بد من الانسجام والتوازن بينها. ولكل واحد من هذه الحيوانات ما يمثلها في الطبيعة أو ما ينوب عنه اصطناعيا (فالجبل الذي يمثل السلحفاة يمكن استبداله بمبنى طويل) ويجب وجوده في جهة الحيوان. وبمجموع هذه الترهات يكون التأثير على حياة الساكن[2].

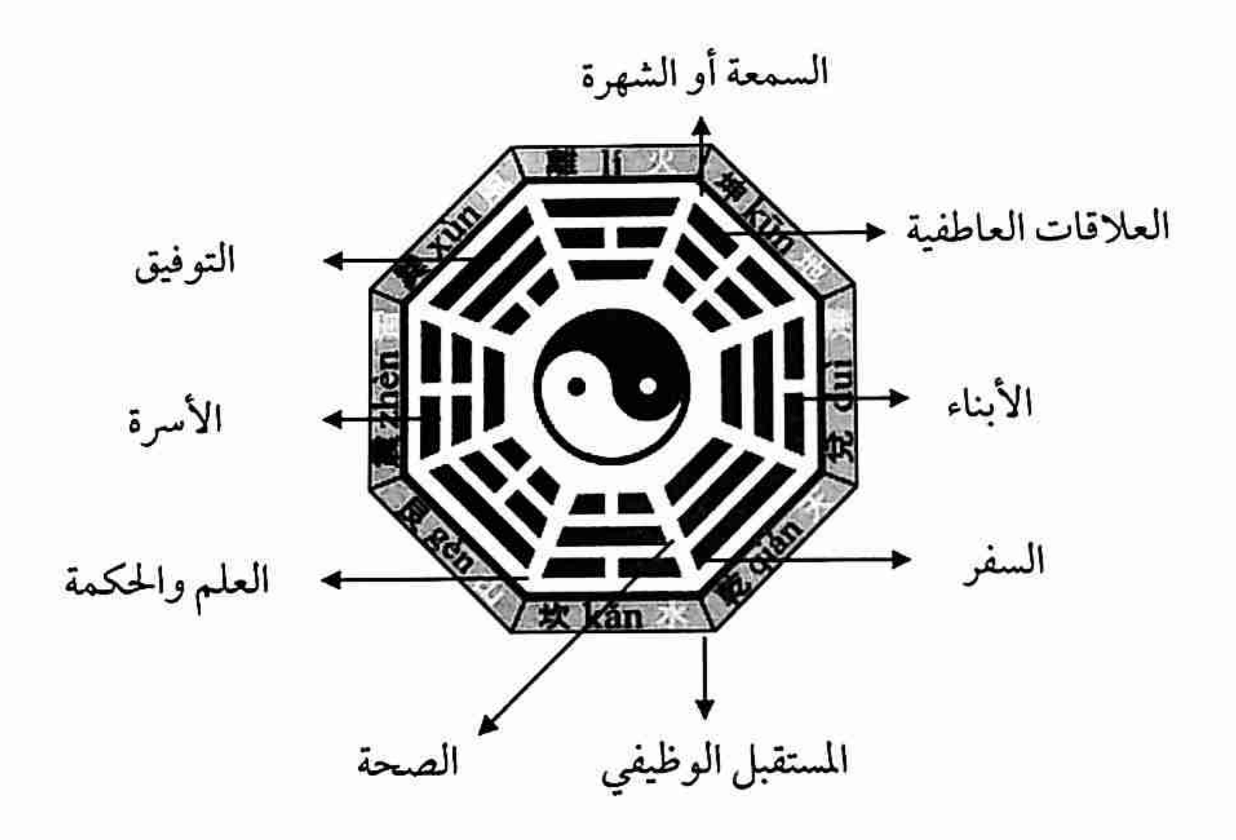
٧- **تثليثات الـ (يي جنغ)**: وهي طريقة معقدة لم تشر إلى تفاصيلها كثير من كتب الـ (فونغ شوَي)، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أنها تستخدم في ترتيباته فحسب، ولكن يمكننا تلخيصها كالتالي: تُشكِّل التثليثات شكلًا ثمانيًا يُطبَّق على الموقع (المبنى، الغرفة.. الخ)، وتُمثِّل كل من

---

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٨٢ - ٩٦) - د. رفاه وجمان السيد، الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: (١٠٩ - ١١٠) - د. رفاه وجمان السيد.
يزيد بعضهم الثعبان في الوسط (انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٨٢)

(٢) انظر: A Little Book of Feng Shui: (57 - 59) - Vijaya Kumar

الجهات الثمان - بالإضافة إلى الوسط - أحد جوانب حياة الإنسان (الأسرة، الصحة.. الخ). فإذا أراد الإنسان التأثير على ذلك الجانب من حياته فعل ذلك من خلال التأثير على الجهة المرتبطة بالموقع والمرتبطة بالمربع السحري الآتي ذكره[1]. ولعله يتضح ما سبق من خلال الشكل التالي:



٨- **المربع السحري** الـ (باغوا) (**Bagua -八卦**)، وهو طريقة مبسطة لتمثيل الشكل الثماني للتثليثات، وفيه الاسم الخاص بكل تثليث بالإضافة إلى جانب الحياة المختص بتلك الجهة من الموقع. يمثل كل واحد من

---

(١) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: (٩٦ - ٩٧، ١١٤ - ١١٧) - د. رفاه وجمان السيد، و

A Little Book of Feng Shui: (23 - 28 77 - 87) - Vijaya Kumar

Feng Shui: (88 - 94) - Geddes & Grosset

وقد وجدت اختلافات يسيرة بين الكتاب بالنسبة لتحديد تأثير الجهات فأثبت أحدها حيث أن المقصود هو إيضاح المبدأ العام دون الإسهاب في التفاصيل والخلافات.

المربعات اتجاه في البوصلة. أما الأرقام فقد وُضِعَت بحيث يكون مجموعها ١٥ في أي اتجاه يتم جمعها، وكل رقم مرتبط بلون وصفة وعنصر وفرد من أفراد الأسرة وغيرها[١].

٢ طاقة التراب (حجر، اللون الأصفر أو الوردي)	٩ طاقة النار (نور وضوء، اللون الأحمر)	٤ طاقة الهواء (نافورة، قطع نقدية، اللون الأخضر)
٧ طاقة البحيرة (أشياء متحركة، اللون الأبيض)	٥ الطاقة الكامنة (اللون الأصفر)	٣ طاقة الرعد (ماء، اللون الأخضر)
٦ طاقة المعدن (أصوات، اللون الأبيض)	١ طاقة الماء (مرآة، سمك، اللون الأسود)	٨ طاقة الجبل (رسومات جبال، اللون الأصفر)

شكل (٢٣) مربع (باغوا) فيه الرقم المحدد

وبعض ما ينصحون بوضعه في المكان من أجل تحسين الجانب المتعلق به

ويُعالج المكان بالألوان والأشكال بناء على الجهات المذكورة في الـ (باغْوا)[٢].

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٨٧ - د. رفاه وجمان السيد، والاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: (١١٧ - ١١٩) - د. رفاه وجمان السيد، وعلم الطاقات التسع: (٩٧ - ٩٨) - ميتشيو كوشي وإدوارد إسكو، و

Feng Shui: (95 - 98) - Geddes & Grosset

A Little Book of Feng Shui: (53 - 57) - Vijaya Kumar

التسميات الوارد ذكرها في المربع (الرعد، البحيرة.. الخ) هي التسميات الخاصة بالتثليثات كما وردت في كتاب التغيرات: الـ (يي تشنغ).

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي: (١٠١ - ١٠٧) - د. رفاه وجمان السيد. فمثلا: لو أراد الإنسان أن يحسن مستقبله الوظيفي فإنه يضع مرآة أو حوض سمك في الجهة الشمالية من منزله أو مكتبه.

ومما يُذكر في أثر المحيط على الحياة والمستقبل ما يلي:

- وضع تمثال الضفدع ذو الثلاثة أرجل في المنزل يجلب الحظ[١]
- أن المياه المتحركة تأتي بالمال[٢]
- وضع الإضاءة في الزاوية الجنوبية الغربية يحسن الحياة الاجتماعية[٣]

هذه أمثلة سريعة على بعض ما تحتويه كتب الـ (فونغ شوَي)، وإلا فهي تغص بأعداد هائلة من «النصائح» الخرافية المشابهة التي لا يمكن حصرها هنا ولا حتى الإشارة إليها[٤].

إن تطبيق الـ (فونغ شوَي) يكون من خلال العمل بمجموع الفلسفات السابقة والموازنة بينها، وهو ما يتطلب سعة فهم واطلاع على معادلاتها المعقدة وتفاصيلها التي لا تنتهي، غير أن من يمارس الـ (فونغ شوَي) في الواقع لا يفي بتلك المتطلبات في غالب الأحيان. ولذلك، كان الاعتماد - في الجملة - على الخبراء في هذه الفلسفة أو الكتب التي توضحها بالأمثلة العملية، وقد ترتب على ذلك جهل كثير ممن يلجئون إلى الـ (فونغ شوَي) في تصميم منازلهم أو مكاتبهم بحقيقة القواعد الشركية التي أُسِّس عليها[٥].

إن وجود بعض النصائح المنطقية في تعاليم الـ (فونغ شوَي) لا يجعله بأية حال علمًا نافعًا أو حتى مستندًا إلى السببية المادية، فالحرص على وجود النباتات في المنزل - مثلًا -ليس من أجل تنقية الهواء من ثاني أكسيد الكربون بالطبع، وإنما هو

---

(١) انظر: فنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (البيت): ٩ - رانيا مشلب.

(٢) المرجع السابق: ١٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٨.

(٤) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ١٠٠- د. رفاه وجمان السيد، وفنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (المكتب): رانيا مشلب.

(٥) انظر: فانغ شوي المدراء.

من أجل استقطاب الطاقات الموجبة وحسن الحظ! وعليه، فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أن الـ (فونغ شوَي) يتعدى كونه خرافات أثرية أو مجموعة من الطرق البدائية لعلم النفس البيئي.

الاستشفاء بالـ (فونغ شوَي)

إن قضية الاستشفاء ليست قضية منفردة في الـ (فونغ شوَي)، بل هي جزء من المنظومة الحياتية التي يُنسب إلى الـ (فونغ شوَي) معالجتها. ويمكن استعراض الجانب الاستشفائي في الـ (فونغ شوَي) من خلال النقاط التالية:

- الطاقة الكونية: إن عمل الـ (فونغ شوَي) على استقطاب الطاقة الكونية الموجبة إلى المنزل أو المقر يجعل منه - بحسب اعتقادهم - مكانًا معززًا للصحة البدنية والنفسية، بينما الأماكن التي تتكثف فيها الطاقات السالبة تكون سببًا في مرض ساكنها وتعاسته. ولذلك يتمكن المريض من شفاء مرضه من خلال تغيير بيئته الخاصة ومحيطه المباشر.
- أنه بموازنة الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة تتحقق الصحة للإنسان، فإنه عند وجود بيئة يسودها عنصر هادم لعنصر ساكنها أصابه السوء من جوانب عدة من ضمنها الصحة. ولذلك يلجأ المريض إلى الموازنة بين عنصره وعنصر محيطه عن طريق تعاليم الـ (فونغ شوَي) ليشفى من مرضه.
- أنه من خلال تطبيق تثليثات الـ (يي جنغ) والمربع السحري على المكان يتضح أن المنطقة الوسطى هي المتعلقة بالصحة، فكل خطأ مخالف لقواعد الـ (فونغ شوَي) سيجلب للساكن المرض، بينما معالجة المكان بالألوان والأشكال والقطع المناسبة يشفيه ويجلب له الصحة.

- ومما يذكر في قواعد الـ (فونغ شوَي) أن الأحداث التي تحدث في موقع ما تؤثر على ساكنه في المستقبل. فلو مرض ساكن منزل ثم تركه وسكنه شخص آخر بعده كان من المتوقع أن يمرض الأخير مثل سابقه نظرًا لما تركه الأول من طاقات سالبة في ذلك المنزل. ويمكن تخليص المنزل من شؤم الماضي من خلال التنظيف «الأثيري» المكون من عدة طرق، منها:
  - إشعال الشموع والبخور
  - استعمال الموسيقى والأصوات الجميلة كأصوات الطيور
  - وضع الملح في زوايا الغرف ثم كنسه من الغد[1].

وبعد هذا العرض الموجز، لا أظنه يخفى على منصف ما يحمله هذا «الفن» من أخطار جسيمة تهدد التوحيد، وهو ليس - كما يعتقد البعض - فنا من فنون التصميم الداخلي والخارجي فحسب، إنه تطبيق عملي لفلسفة تعج بالخرافات والشركيات ولا يستقيم معها اعتقاد مسلم.

---

(١) الوجوه الأربعة للطاقة: ١٠١ - د. رفاه وجمان السيد (بتصرف يسير).

المبحث السابع

التأمل التجاوزي

التأمل التجاوزي (Trancsendental Meditation®)[1] هو «عملية مناقضة لعملية التفكير»[2]، وهو نوع من أنواع التأمل الهندوسي الذي يوصف بأنه تقنية عقلية تتيح للعقل تجربة مراحل «أنقى» من الفكر تدريجيًا إلى أن يصل إلى مصدر الفكر (الوعي الخالص). تحدد (مانترا) مخصصة لكل فرد، يصل المتدرب من خلال ترديدها إلى مراحل متقدمة من الوعي، وهو الهدف الأساسي للتأمل، بينما تعد الفوائد الصحية من الأمور التي تأتي تبعًا[3].

تاريخ التأمل التجاوزي

تعود أصول التأمل التجاوزي إلى عصور ضاربة في التاريخ، فهو مستمد من النصوص الڤيدية المقدسة عند الهندوس، كما يعتبر إحياء لفلسفة الـ ڤيدانتا الواحدية[4]. وبحسب ما يقرره **مهاريشي يوغي**[5] (مبتكر التأمل التجاوزي) فإن

---

(١) وهو مسجل بعلامة تجارية، فمؤسسة مهاريشي هي منظمة تجارية تحفظ من خلال تسجيل منتجها (الذي هو التأمل) حقوقها القانونية والمالية، فلا يسمح لأحد تعليم التأمل التجاوزي والكسب من ورائه إلا من خلال مؤسسة مهاريشي.

(٢) **مهاريشي يوغي**، في مقابلة أجرتها معه قناة العربية في ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٤ م.
تصفح الموقع الرسمي للقناة: www.alarabiya.net/Articles/2004/11/25/8220.htm

(٣) انظر: Mosby's Complementary Medicine: 168 - Freeman & Lawlis

(٤) الواحدية نسبة إلى القول بوحدة الوجود.

(٥) **مهاريشي يوغي**: لا يُعرف الكثير عن المراحل المبكرة من حياة مهاريشي، ولكن أكثر المصادر تشير إلى أنه راهب هندوسي ولد في عام ١٩١١ م. وبعد أن توفي معلمه **غورو ديڤ** عام ١٩٥٢ م دخل **مهاريشي** في عزلة تامة لمدة عامين، قام بعدها بتنظيم حركة تقوم بنشر التأمل التجاوزي في أنحاء العالم. واجتهد في نشر اعتقاداته إلى أن استطاع أن ينشئ مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء متعددة من أوروبا وأمريكا. ومازال **مهاريشي** حيًا عاملًا. انظر:
Philosophers and Religiuos Leaders: 120 - edited by: Christian D. Von Dehsen
Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (14 - 16) - Ronald L. Carlson

إحياء هذه الفلسفة قد حصل أربع مرات خلال التاريخ:

١- في تعاليم **كرشنا** لـ **أرجونا** في الـ (غيتا)

٢- في تعاليم **بوذا** في القرن السادس ق.م

٣- في تعاليم **شانكارا**(١) أحد مؤسسي مدرسة الـ ڤيدانتا

٤- وأخيرا في تعاليم **غورو ديف**(٢) المعلم الخاص لـ **مهاريشي**، الذي كان يخبر بوجوب إيصال «الاستنارة» الهندوسية إلى البشرية جمعاء.

وبعد وفاة المعلِّم قام **مهاريشي** بحمل رسالته، فابتكر طريقة التأمل التجاوزي لتحقيق هدف الاستنارة العالمية، والتي هي - في الحقيقة - عودة بالبشر إلى ضلالات وحدة الوجود. فقام بالتدريس في جنوب الهند لمدة عامين، بث فيها اعتقاداته حول الاتحاد بـ «الوجود»(٣) وإمكانية ذلك خلال تقنيات التأمل التجاوزي.

وفي عام ١٩٥٨ م أعلن **مهاريشي** عزمه على نشر رسالته الهدامة حول العالم، فكانت البداية في الولايات المتحدة. أدرك **مهاريشي** أن الأوضاع في أميركا مختلفة عنها في الهند، حيث لم تكن الدعوات ذات الطابع الديني مقبولة على الصعيد الرسمي، فاضطُر إلى إطلاق التسميات الموهمة ليضمن رواج دعوته، وقد نجح في ذلك حتى فُتح له الطريق للإلقاء في أشهر الجامعات الأميركية.

---

(١) **شانكارا**: فيلسوف هندي كان المعلم الأكبر للـ فيدانتا (الـ لا ثنوية المطلقة) علَّم بين ٧٨٨ - ٨٢٠ م، وكان يطوف في الهند لينشر مذهبه. توفي وعمره اثنين وثلاثين سنة. (انظر: موسوعة أعلام الفلسفة: ١٩٣ - ١٩٤ - محمد أحمد منصور).

(٢) **غورو ديف**: هو سوامي براهماننداً ساراسواتي، ولد في عام ١٨٦٩ م وقضى غالبية عمره في التنسك الهندوسي، وقد اشتهر بين الهندوس بالقديس المستنير. توفي عام ١٩٥٢ م. انظر:

Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (13 - 14) - Ronald L. Carlson

(٣) يستخدم مهاريشي كلمة "الوجود" (Being) للتعبير عن المطلق، وقد صرح أنه هو الـ (براهمان) المذكور في الـ أوبانيشاد، والـ (پرانا) هي أحد مظاهره ومتولدة عنه. انظر:

Science of Being and Art of Living: (16 - 18) - Maharishi Mahesh Yogi

بعدها انتشرت مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء الولايات المتحدة وتأسست (جامعة **مهاريشي** العالمية)، وهي جامعة قائمة على فلسفته تعمل على تخريج مدربين للتأمل التجاوزي. كما أُنشأت معاهد وقنوات تلفزيونية وكتب ومنشورات تقدر بملايين الدولارات، أُخذت من جيوب الأمريكان السُذَّج اللاهثين وراء السعادة[١]. ورغم التعتيم الذي تحرص عليه الحركة ما زال كثير من الباحثين الغربيين يرون أن المهاريشية حركة دينية جاء بها **مهاريشي** إلى الغرب[٢].

لقد صُنِّفت حركة **مهاريشي** على أنها من الحركات الباطنية الاستسرارية، فهي تحتكر علومها على فئة معينة فقط، وهم الذين يلتحقون بالتنظيم فيدفعون الرسوم ويمرون بطقوس التأهيل. وهي - بالنسبة لغيرها من الحركات الباطنية - تبوح بالأسرار في مستويات متقدمة نسبيًا[٣].

وقد قام **مهاريشي** بتوجيه دعوته إلى الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٤ م، زاعمًا أنه بتجنيد ثمانية آلاف شخص للتدرب على التأمل ستُحل جميع مشاكل المنطقة المزمنة، وطرح اقتراحه على أنه الخيار الوحيد أمام أبناء الشرق الأوسط وإلا فليس أمامهم سوى «الصواريخ والدمار»[٤]!

وتجدر الإشارة إلى وجود مركز يحمل اسم (مركز **مهاريشي** الصحي الثقافي) في لبنان، وقد أنشئ عام ١٩٩٥ م. بينما كانت (حركة التأمل التجاوزي) قد تأسست منذ عام ١٩٧٣ م في البلد نفسه[٥].

---

(١) انظر: Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (11 - 24) - Ronald L
TM Wants You A Christian Response: (11 - 17) - David Haddon & Vail Hamilton
Philosophers and Religiuos Leaders: 120 - edited by: Christian D. Von Dehsen
Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions: (94 - 95) - James Randy

(٢) انظر: The Oxford Handbook of New Religious Movements: 448 - edited by: James R. Lewis

(٣) انظر: المرجع السابق: ٤٥٧.

(٤) تصفح مقابلته مع قناة العربية على موقعهم الرسمي.

(٥) تصفح الموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي:

برامج التأمل التجاوزي

يُطلق على تعاليم مهاريشي الهندوسية كلمة «برامج» (TM Programs) أو تقنيات التأمل لإضفاء الصفة الـ لا دينية عليها، وهو أمر يحرص على تأكيده المنظمون والمروجون[١].

تُستفتح «برامج» التأمل التجاوزي ببرنامج تعريفي مكون من سبع مراحل، يتخللها دفع رسوم الالتحاق في المرحلة الرابعة، ثم يستمر التدريب الفعلي للتأمل خلال فترة تمتد إلى أربعة أيام تسبقها طقوس التأهيل (Initiation Ceremony) بالمنظمة، وهي طقوس هندوسية وثنية[٢] يحصل فيها المتدرب على الـ (مانترا) الخاصة به[٣]. ثم تستمر المتابعة والتدريبات ليومين أو ثلاثة، بعدها يترك

الحركة في لبنان < معلومات عن الموقع < التأمل التجاوزي - عربي < www.maharishitm.org
كما يوجد في لبنان: جامعة مهاريشي الفيدية، جامعة مهاريشي أيورفيدا، معهد مهاريشي للإدارة، شركة منتجات مهاريشي الـ أيورفيدية، وجمعية مهاريشي أيورفيدا. (تصفح الموقع السابق).

(١) انظر: Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: 23 -Carlson

(٢) لا يمكن لمن يريد الالتحاق بأحد برامج التأمل التجاوزي أن يدفع رسوم الالتحاق ويُعطى الـ (مانترا) "السرية" التي يتأمل بها دون أن يمر بما يسمى "طقوس التأهيل". يؤمر فيها المتدرب بجلب ستة ورود حديثة القطف، وثلاث حبات من الفواكه، ومنديل أبيض. يدخل المتدرب إلى غرفة خافتة الإضاءة في وسطها منصة عليها بعض الشموع وصورة للـ غورو ديڤ ويقدم قربانه! عندها يقوم المدرب بتلاوة ما يسمى (پوجا) (puja) وهي ترنيمة تعبدية باللغة السنسكريتية. إن هذه الطقوس والترانيم لا تُظهر للعامة، ومن المفترض أن لا يعرفها إلا من التحق بالبرنامج. وقد ترجمها بعض المدربين المعتزلين فكانت عبارة عن أدعية موجهة للآلهة الهندوسية (براهما، كرشنا.. الخ) ولمعلم مهاريشي الـ غورو ديڤ. انظر:

Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (55 -67) - Ronald L. Carlson

TM Wants You A Christian Response: (45 - 52) - David Haddon & Vail Hamilton

The Oxford Handbook of New Religious Movements: 452 - edited by: James R. Lewis

(٣) عند بداية قبول المتدرب وإعطائه الـ (مانترا) السرية يخبر بأنها (مانترا) خاصة به وحده، ويطالب بإبقائها سرًا وإلا فقدت تأثيرها. ولكن كما هو متوقع، ليس كل من استحفظ سرًا حفظه، فكانت النتيجة اتضاح حقيقة الـ (مانترا) المعطاة وأنها ليست خاصة على الإطلاق بل إنها تتكرر بحسب الجنس والفئة العمرية. انظر:

The Oxford Handbook of New Religious Movements: 457 - edited by: James R. Lewis

المتأمل وتأمله يمارسه لمدة عشرين دقيقة في اليوم مرتين.

يُنصح المتدرب بحضور محاضرات خاصة بعد انتهائه من البرنامج وهي التي يعتبرها **مهاريشي** «خطوة عملاقة نحو التحول الذاتي»، وفي هذه المحاضرات يُكشف للمتدرب عن الجوانب الفلسفية والعقدية لتعاليم **مهاريشي**، وهو ما يظهر في عناوين بعض المواضيع المطروحة: كـ «البحث عن المطلق» و«فهم الوعي الكوني من خلال التجربة الشخصية»[١].

يعتبر برنامج التأمل التجاوزي (سِدْهي) (Sidhi) امتدادًا للبرنامج السابق، وهو برنامج متقدم يَعِدُ من يلتحق به بتحقيق أمور خارقة لطباع البشر المعتادة كالطيران والاختفاء، وذلك في مقابل ٣٠٠٠ دولار فقط! يحدث ذلك عندما يتوصل المتدرب إلى مرحلة تسمى النشوة المحضة (Pure Bliss)، وهي مرحلة يكتسب فيها التلميذ العلم كله وتنفتح أمامه جميع الإمكانات[٢].

وقد طُبع في إحدى المجلات المؤيدة للحركة مقال يقول بأنه بالتأمل التجاوزي يتم تحقيق السلام العالمي، وكان هناك رسم كرتوني رُسم فيه رجل باسم «رجل الـ (سدهي)» وقد كتبت عبارة: «قام فعاتب الريح وقال للبحر سلامًا اسكن. وسكنت الريح وكان هناك سكون رهيب. وخافوه كثيرًا وقالوا لبعضهم: أي نوع من البشر هذا، الذي تطيعه البحار والرياح؟[٣]» أظنه الرجل الذي أصبح الإله!

---

(١) انظر: Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (24 - 26) - Ronald L. Carlson

TM Wants You A Christian Response: (43 - 47) - David Haddon & Vail Hamilton

Philosophers and Religiuos Leaders: 120 - edited by: Christian D. Von Dehsen

(٢) انظر: Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions: (99 - 104) - James Randy

Science of Being and Art of Living: (xviii - xviv) - Maharishi Mahesh Yogi

The Oxford Handbook of New Religious Movements: 453 - edited by: James R. Lewis

(٣) انظر: Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions: 108 - James

لا شك أن لـ **مهاريشي** علاقة وطيدة بأصوله الهندوسية، بل إنه قد قدم شرحًا للـ راج ڤيدا (الكتاب الهندوسي المقدس) الذي يعتبره أزلي غير مخلوق، ولذلك فإن المقاطع اللفظية الواردة فيه - الـ (مانترا) - التي تعتبر تجسيدًا للحركة والسكون الأزليين هي التي يستخدمها في تأمله التجاوزي. فالحروف ليست مجرد حروف بل إن لها معان باطنية ذكرت في الڤيدات، وهي - في الغالب - أسماء للآلهة أو زوجاتهم وما يتعلق بهم[1]

فلسفة التأمل التجاوزي

يحرص المسوقون للتأمل التجاوزي على إخفاء ملامحه الفلسفية والدينية ويؤكدون على أن التأمل التجاوزي ليس دينًا ولا فلسفة ولا علاقة له بهما، ويكررون ذلك مرارًا وتكرارًا في إعلانات البرامج، وهو أمر غير معتاد ومثير للريبة.

تشكل طقوس التأهيل بالبرنامج والـ (مانترات) المستخدمة فيه مراسم دينية ظاهرة، ولكن الواقع - الذي لا شك فيه - هو أن تأمل **مهاريشي** قائم على الفلسفة الهندوسية كليًا في الباطن، ولجهل كثير من الناس بجوانبها لم يتمكن من التعرف عليها سوى أهل الاختصاص.

إن الأصول الهندوسية التي يعتمد عليها التأمل التجاوزي كثيرة ومتشعبة، ولكن أبرزها ما يلي:

١- عدم التركيز على الاعتقاد في مقابل السلوك. وهو ظاهر في دعوة **مهاريشي** حيث لا يأمر أتباعه بتغيير أديانهم، وإنما عليهم دمج تعليماته فيها[2].

---

(١) انظر: أقدم كتاب في العالم ريك ڤيدا: (١٠٣ - ١١١) - د. لويس صليبا، و Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (69 - 86) - Ronald L. Carlson

(٢) انظر: TM Is It Only Meditation ?: (10 - 11) - Harold J. Berry

٢- أن الحقيقة لا يمكن أن تعرف ولكن لا بد أن تختبر (تُحس أو تُجرب)، فلا يُكتفى بمعرفة الحقيقة بل لا بد أن تكون أنت وهي شيئًا واحدًا.

٣- وحدة الوجود: يخبر **مهاريشي** بأن كل ما في الوجود واحد وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل التجاوزي[1].

إن القول بوحدة الوجود والسعي إلى إدراكه في التأمل التجاوزي ليس أمرًا يستلزم السبر والاستنتاج، بل إنه ظاهر ومصرح به في مؤلفات **مهاريشي**، وهو يذكر في شرحه لـ (غيتا) أن «أهداف كل من النظامين (الـ فيدانتا والـ يوغا) تُحقَّق من خلال التأمل التجاوزي»[2]. وهل لـ (يوغا) والـ فيدانتا هدف أعلى من الاتحاد بالمطلق ووحدة الوجود؟ وقد جعل **مهاريشي** للوعي سبعة مستويات[3]:

١- «اليقظة.

٢- الحلم.

٣- النوم.

٤- الوعي المتجاوز.

٥- الوعي الكوني.

إن الهدف من التأمل التجاوزي هو تحقيق السعادة والتوصل إلى الإله، وهي أهداف لا تتحقق إلا من خلال الدين، ولذلك يظهر أن عدم اهتمام برامج التأمل بالدين هو من باب انعدام العقيدة المركزية وليس من قبيل الـ لا دينية.

(١) انظر: المرجع السابق: ٩، و
Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?: (46 - 47) - Ronald L. Carlson
The Oxford Handbook of New Religious Movements: 104 - edited by: James R. Lewis

(٢) On the Bhagavad -Gita: 494 - Maharishi Mahesh Yogi

(٣) ولا يعرف عند علماء النفس سوى ثلاثة مستويات للوعي، هي: اليقظة، المنام، الحلم.
انظر: Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions: 94 - James Randy

٦- الوعي الإلهي.

٧- الوعي الواحدي (بالوحدة)»[١].

إن هذا المستوى الأخير من الوعي هو ما يسمى الـ (موكشا) في الهندوسية، وهو الإدراك بأن كل ما في الوجود واحد. إنه مرحلة متقدمة من الوعي تحصل عند التخلص من الـ (كارما) وتسكين العقل من خلال التأمل[٢].

لن أطيل كثيرًا في فلسفة التأمل التجاوزي، فقد سبق ذكرها بالتفصيل عند الحديث عن الهندوسية في الباب الأول.

الاستشفاء بالتأمل التجاوزي

رغم أن أنواعًا من التأمل كانت موجودة في كثير من المجتمعات البدائية في العصور القديمة إلا أنه لم يتم تقديمها كوسيلة علاجية في الغرب إلا خلال الخمسة وعشرون عامًا الماضية[٣].

ونظرة **مهاريشي** للمرض هي ذاتها المقررة في الفلسفات الشرقية، حيث يرى أن سبب المرض هو عدم الانسجام مع القانون الكوني، وأنه من خلال استعادة الانسجام يتم الشفاء من المرض[٤]. ولذلك لا يمكن معالجة المرض على المستوى المادي فحسب، بل لا بد من الموازنة بين العقل والوجود المطلق للقضاء عليه[٥].

تشمل منافع التأمل التجاوزي المفترضة جميع جوانب حياة الإنسان: العقل، العلاقات، العمل، والصحة. ومن الآثار الصحية المنسوبة لطريقة **مهاريشي** ما يلي:

---

(١) Science of Being and Art of Living: xvi - Maharishi Mahesh Yogi

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٣ – ٢٦.

(٣) انظر: Mosby's Complementary Medicine: 168 - Freeman & Lawlis

(٤) انظر: Science of Being and Art of Living: xxxi - Maharishi Mahesh

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٨٠ – ١٨٣.

١- معالجة ضغط الدم المرتفع.

٢- التخفيف من أزمات الربو.

٣- خفض معدل الكولسترول في الدم[١].

يدعم المسوقون للتأمل التجاوزي مزاعمهم بالوصول إلى حالة عالية من الوعى (وما يتبعها من فوائد) بأعداد كبيرة من الدراسات «العلمية» والرسوم البيانية التي تؤيد ما يذهبون إليه[٢]، إلا أنها - في الغالب - لا تعدو كونها دراسات تسجل الفوائد المترتبة على الاسترخاء أيًا كان نوعه. ولم يبق ما يميز التأمل التجاوزي (الذي يحمل علامة مسجلة) سوى الـ (مانترا) وطقوس التأهيل السرية وعقيدة وحدة الوجود[٣].

لقد اعترض على هذه الحركة العديد من العلماء والأطباء في الغرب ونظروا إليها على أنها نصب واحتيال؛ حيث إن ما يهمهم - في الغالب - هو الحصول على مقابل يستحق المدفوع. وهذا وإن كان يهمنا كمسلمين، إلا أن الأهم هو ما تتضمنه هذه الحركة من مخالفات شرعية وتشبه بالديانات الوثنية. ولذلك لا يعنينا - خاصة في هذا البحث - تفنيد ما يقدمونه من براهين تدل على نجاح البرنامج في تحقيق الفوائد المرجوة منه، فليس كل ما ثبت نفعه كان مباحًا في

---

(١) تصفح الموقع الرسمي لبرامج التأمل التجاوزي: www.tm.org > discover the benefits

(٢) ومما يذكر عن مهاريشي قوله بأن كل ما يدعيه سيثبته العلم في المستقبل مع مرور الزمن، وهو ما يعلمه المعلمون الهندوس المستنيرون منذ زمن طويل. فإن كان الأمر لم يثبت بعد في رأيه، فماذا تعني القوائم المطولة من الدراسات المؤيدة؟!

انظر:

The Oxford Handbook of New Religious Movements: 104 - edited by: James R. Lewis

(٣) انظر: Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions: (95 - 97) - James Randy

Mosby's Complementary Medicine: (169 - 170) - Lyn W. Freeman & G. Frank Lawlis

The Skeptics Dictionary: 381 - Robert Todd Carroll

وتصفح: www.tm.org > scientific research

الشرع[١]، لا سيما إذا كان مبنيًا على أسس باطلة ومفض إلى عقائد إلحادية!

ومع ذلك، فلا بأس من استعراض بعض التفسيرات العلمية لما يحصل للمتأمل في برامج **مهاريشي**:

١- إن التركيز الشديد على شيء ثابت يفقد الإنسان القدرة على رؤيته وهو ما يسمى ظاهرة الإفراغ (Blank-out Phenomenon)، بينما يُفسَّر في تقنيات التأمل على أنه مرحلة متقدمة من الوعي المتجاوز للحس.

٢- يعد ترديد الـ (مانترا) - أيًا كانت - سببًا في تهدئة الأعصاب، وهو أمر مجرب عند محاولة تهدئة الأطفال الرضع مثلًا، ويسمى في العلم الحديث الأثر الإيقاعي (Rhythm Effect)[٢].

ولقد كان لـ **مهاريشي** تركيز على الطرق العلاجية المستقاة من الـ ڤيدات، وخاصة الـ (أيورڤيدا)[٣]، وهو ما سنتطرق له في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

---

(١) يأتي تفصيل المسألة في الباب الثالث بإذن الله.

(٢) انظر: Mosby's Complementary Medicine: 171 - Lyn W. Freeman & G. Frank Lawlis

TM Wants You A Christian Response: (40 - 41) - David Haddon & Vail Hamilton

(٣) انظر: Science of Being and Art of Living: xxxiii - Maharishi Mahesh Yogi

المبحث الثامن

الـ أيورفيدا

تعد الـ (أيورڤيدا) من أقدم الأنظمة العلاجية في التاريخ، وهي نظام «لا ينحصر بالجسم فقط، بل يتخطاه إلى إعادة التوازن إلى مستويات الكائن الحي. ويتضمن نظاما غذائيا، وتقنيات للتخلص من السموم، وأصول الجراحة»[1].

إن الـ (أيورڤيدا) خليط من عناصر مختلفة، كالفلسفات الهندوسية، والخرافات والكهانة، والأدوية الوهمية، وشيء من الوصفات العشبية النافعة. وفي هذا المبحث - بإذنه تعالى - سأعرض لأبرز جوانب هذا النظام مبينة أصوله الدينية وأسسه الفلسفية.

معنى الـ (أيورڤيدا)

الـ (أيورڤيدا) (Ayurveda - आयुर्वेद) هي كلمة سنسكريتية مؤلفة من شقين، (أيور) وتعني الحياة، و(ڤيدا) وتعني: العلم. فكانت الـ (أيورڤيدا) بمعنى: علم الحياة أو: فن الحياة[2]. بينما يرى بعضهم أن الترجمة الصحيحة لها هي: علم إطالة العمر[3].

---

(١) أقدم كتاب في العالم ريك فيدا: (٤٩ - ٥٠) - د. لويس صليبا، وانظر: الحكمة الهندوسية: ١٠١ - حلقة الدراسات الهندية.

(٢) انظر: أقدم كتاب في العالم ريك فيدا: ٤٩ - د. لويس صليبا، و

An Introduction to Complementary Medicine: 15 - edited by: Terry Robson Diped

Spiritual Healing: 167 - Martin Daulby & Caroline Mathison

The Hidden Secret of Ayurveda: 10 - Robert E. Svoboda

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 44 - Robert Svoboda & Arnie Lade

Ayurveda for Health and Well-being: 9 - Sally Morningstar

(٣) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 15 - Robert E. Svoboda

تاريخ الـ (أيورڤيدا)

تُرجَع أصول الـ (أيورڤيدا) إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، حيث كانت بمثابة الملحق للـ (أتهارڤا ڤيدا)، الدليل الڤيدي للسحر والشعوذة(١). وقد كان الجانب العلاجي منه نتاج حدس الرجل الهندي البدائي ومراقبته في زمن لم يكن أكثر من ذلك متاحا. سُجِّلت هذه الملاحظات في الأذهان وحفظت في الصدور على مدى سنين طويلة، حتى دوِّنت وتحددت معالمها في كتاب (شاراكا سامهيتا) (Charaka Samhita) فيما بين القرن الثامن والعاشر قبل الميلاد(٢).

ويُذكر في الروايات الهندية أن نشأة الـ (أيورڤيدا) كانت بسبب رغبة الـ ريشيز) (Rishis - ऋषि) أو «المبصرون» في إعداد تلاميذ أصحاء يمكنهم استقاء العلوم من الـ ڤيدات بشكل جيد(٣)، فكان أن أوحى إليهم الإله الهندوسي **براهما**(٤) بتعاليمها بينما هم في تأمل عميق(٥). ولذلك يُعتقد أنه لا يمكن لغير «المبصرين» أن يدركوا الـ (أيورڤيدا) بشكل كامل(٦).

تطورت الـ (أيورڤيدا) بعد زمن بوذا، فأصبح التلاميذ يقومون بتشريح الجثث، ويتدربون على الدمى في إجراء العمليات الجراحية. وفي عهد **أشوكا** أقيمت المشافي والمصحات وانتشر الطب وازدهرت الـ (أيورڤيدا). وبعد الفتح الإسلامي ومن بعده الاحتلال البريطاني قل العمل بها حتى كادت تندرس

---

(١) انظر: Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 44 - Robert Svoboda & Arnie Lade
Ayurveda for Health and Well-being: 8 - Sally Morningstar

(٢) انظر: Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 44 - Robert Svoboda & Arnie Lade
The Hidden Secret of Ayurveda: 22 - Robert E. Svoboda

(٣) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 16 - Robert E. Svoboda
Ayurveda for Health and Well-being: 8 - Sally Morningstar

(٤) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 16 - edited by: Terry Robson Diped

(٥) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٠١ - حلقة الدراسات الهندية، وأقدم كتاب في العالم ريك فيدا: ٤٩ - د. لويس صليبا، واختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): (٢٨ - ٢٩) - بيل غوتليب.

(٦) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 20 - Robert E. Svoboda

معالمها، إلا أنه تم بعثها - هي وجملة الموروثات الثقافية - مع ظهور الحركات القومية الهندية في بدايات القرن العشرين، وهي اليوم واحدة من ست أنظمة علاجية معترف بها بشكل رسمي في الهند(١).

لقد كان لـ **مهاريشي يوغي** دور كبير في نقل تعاليم الـ (أيورڤيدا) إلى الغرب من خلال حركة (مهاريشي أيورڤيدا) التي أنشأت عام ١٩٨٠ م، وأصبح لها مراكز ومنشآت في أماكن متعددة في العالم الغربي والعربي(٢).

فلسفة الـ (أيورڤيدا)

تشكل فلسفة الـ سامكهيا الهندوسية الأسس الفلسفية التي تعتمد عليها الـ (أيورڤيدا) في كثير من فرضياتها(٣)، فهي تَعتَبِر تعاسة الروح البشرية بسبب ارتباطها الوهمي بالجسد وعدم وعيها بالحقيقة، وكل شيء في الكون - وفقًا للـ سامكهيا - صادر عن الحقيقة المطلقة (بوروشا) (Purusa - पुरुष)(٤) أو الروح

---

(١) انظر:
Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: (44 - 46) - Robert Svoboda & Arnie Lade

(٢) انظر: Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: 169 - Christopher Wanjek
The Skeptics Dictionary: 45 - Robert Todd Carroll
تصفح الموقع الرسمي لـ (مهاريشي أيورڤيدا):
www.mapi.com > the Maharishi Ayurveda story
والموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي في لبنان:
www.maharishitm.org/ar/ayurvedar.htm
ومما يلفت الانتباه أن مواقع مهاريشي تعمل على تسويق المنتجات التي يقرر أنها ضرورية لتحصيل الصحة. وهي ظاهرة منتشرة بين مروجي الـ (أيورڤيدا) مما يدل على الأغراض المادية خلف نشر هذه المعتقدات البائدة.

(٣) انظر: Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 47 - Robert Svoboda & Arnie Lade

(٤) و(بوروشا) هو وعي بلا صفات متجاوز للزمان والمكان ولا يمكن للعقل تصوره أو إدراكه، منه تنبثق الحقيقة النسبية. والفرق بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية هو أن المطلق يدرك أنه هو الكون بينما الحقيقة النسبية تظن نفسها مفارقة للمطلق. (انظر: الفكر الشرقي القديم: ٩٣ - جون كولر).

الكونية، بينما تشكل (براكروتي) (Prakruti – प्रकृति) المادة الكونية. وحسب تعاليم الـ سامكهيا فإن (براكوتي) - وهو الحقيقة النسبية المنبثقة من الحقيقة الكلية - له ثلاث صور أو صفات تسمى النزعات الكونية الثلاث (Three Universal Tendencies):

١- (ساتفا) (**Sattva - सत्त्व**)، مبدأ التناغم الجالب للسعادة.

٢- (راجاس) (**Rajas - रजस**)، مبدأ النشاط الجالب للألم.

٣- (تاماس) (**Tamas - तमस**)، مبدأ الخمول الجالب لتبلد الإحساس.

للصور الماضية أهمية كبرى في فهم الـ (أيورڤيدا) حيث إن سيادة الـ (راجاس) أو الـ (تاماس) في العقل أو الجسد يعد سببًا في المرض النفسي والجسدي[١].

إن الـ (أيورڤيدا) - كما هو ظاهر - تقوم على الاعتقاد بوحدة الوجود، وأن العالم صورة نسبية للحقيقة المطلقة، حتى قيل إن «كل إنسان هو تجسيد فريد للطاقة المبدعة للكون»[٢]. وقد كان الهدف الأولي من الـ (أيورڤيدا) هو تحويل الإنسان الفاني إلى كائن خالد، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا «بتجاوز حدود الزمان والمكان»[٣]. كما «يتضمن الـ (أيورڤيدا) تقنيات فكرية ووضعيات جسدية مأخوذة من الـ (يوغا)، تؤدي لمعرفة الإنسان لأعمق مستويات ذاته حتى يصل إلى اختبار الوعي المطلق»[٤] فيتحد به.

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: (٩٢ - ٩٣) - جون كولر، والحكمة الهندوسية: ١٠١ - حلقة الدراسات الهندية، و

An Introduction to Complementary Medicine: (18 - 19) - Terry Robson Diped

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 47 - Svoboda & Lade

(٢) The Hidden Secret of Ayurveda: 17 - Robert E. Svoboda

(٣) انظر: المرجع السابق: (١٥ - ١٦).

(٤) الحكمة الهندوسية: ١٠٣ - حلقة الدراسات الهندية.

لا تقتصر الـ (أيورڤيدا) على القول بوحدة الوجود، بل تضيف إليه من الاعتقادات الخطيرة والأفكار المنحرفة ما يجعلها مَجْمعًا للباطل وبؤرة له. وفيما يلي عرض لأبرز القواعد التي تقوم عليها الـ (أيورڤيدا):

- أن كل موجود في العالم الخارجي (كالشمس والقمر والنجوم والرياح) له ما يقابله في العالم الداخلي (جسم الإنسان)، ولذلك يعتبر لأي تغيُّر في العالم الخارجي أثر فيما يقابله من العالم الداخلي[١].
- أن كل زيادة أو نقصان لأحد العناصر الخمسة[٢] في العالم الخارجي يُحدث تأثيرًا مماثلًا على ما يقابله في الجسم البشري[٣].
- تشكلت من العناصر الخمسة ثلاث مجموعات مركبَّة، هي مظاهر للعناصر الخمسة مما يعني أنها مظاهر للطاقة الكونية، وهي:
  - الهواء: يشمل عنصري الهواء والأثير، ويسمى (ڤاتا) (**Vata - वापि**).
  - النار: يشمل عنصري النار والماء، وتسمى (پيتا) (**Pitta - पित्ता**).
  - الماء: يشمل عنصري الماء والتراب، ويسمى (كافا) (**Kapha**).

استخدم «المبصرون» هذه الحالات الثلاث كأساسيات لعلومهم الطبية، وأُطلق على كل منها - بالسنسكريتية - (دوشا) (Dosha - दोष)[٤].

---

(١) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 25 - Robert E. Svoboda

(٢) وهي بحسب الفلسفة الهندية: التراب - الماء - النار - الهواء - الأثير (أو الفراغ).

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢٥ - ٢٦.

(٤) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٠٢ - حلقة الدراسات الهندية، واختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): (٣٠، ٣٣) - بيل غوتليب، و

An Introduction to Complementary Medicine: 20 - edited by: Terry Robson Diped

Spiritual Healing: (168 - 170) - Martin Daulby & Caroline Mathison

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 54 - Svoboda & Lade

The Hidden Secret of Ayurveda: 27 - Robert E. Svoboda

- إن الـ (دوشات) الثلاث هي التعبير المادي عن النزعات الكونية الثلاث:
  - فالـ (تاماس) نزعة الكسل أو الخمود تتمثل بالـ (كافا).
  - والـ (راجاس) نزعة التهيج تتمثل بالـ (ڤاتا).
  - والـ (ساتڤا) نزعة التوازن تتمثل بالـ (پيتا)(١).
- يصنف الإنسان تبعا لأحد الـ (دوشات) الثلاث الطاغية على الآخرين، وهذا الاختلال البسيط في التوازن هو أمر دائم وملازم للإنسان، يرثه الولد عن أبويه. وبناء عليه تتحدد الأمراض التي قد يتعرض لها الإنسان والأدوية المناسبة لصنفه(٢).
- ولا تختلف الـ (أيورڤيدا) عن بقية التطبيقات التي سبق التطرق لها من حيث الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية ودورها في الصحة والشفاء. وهي التي يمكن تحصيلها - هنا -بطريقتين: التنفس والتغذية، حيث تقوم الأمعاء الغليظة بامتصاص الـ (پرانا) الناتجة عن الغذاء المهضوم. وتعتبر الـ (پرانا) - في الـ (أيورڤيدا) - التغذية اللازمة للجسم الطاقي. وهي تتنقل عبر مسارات الطاقة والـ (شاكرات)(٣).
- تعتبر الـ (أيورڤيدا) هي الفرع العلاجي لفلسفات الهند الروحية كالـ (فيدانتا) والبوذية والـ (تانترا)، وهي تستمد نظرتها للحياة من هذه الفلسفات حيث ترى أن الجسد هو نتيجة لـ (كارما) الحيوات السابقة، وأن الطبيعة الحقيقية للإنسان هي خالدة ومطلقة يعبر عنها بالوعي أو

---

(١) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 28 - Robert E. Svoboda

(٢) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: (30 - 31) - Robert E. Svoboda

(٣) انظر: Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: (59-64) – Svoboda & Lade

الـ (أتمان)[1]. ليس للـ (أيورڤيدا) وجود مستقل كوسيلة علاجية، بل إنها تمثل جزءًا لا يتجزأ من منظومة العلوم الڤيدية، ولها تعلق كبير بالـ (يوغا) حيث تركز الـ (يوغا) على الجوانب الروحية من تعاليم الـ (أيورڤيدا)[2].

- تهدف الـ (أيورڤيدا) بالإضافة إلى الأهداف الصحية كإطالة العمر وشفاء الأمراض إلى تحقيق أهداف الحياة الأربعة المعروفة في الهندوسية، وهي: (دهارما)، (كارما)، (أرثا)، و(موكشا)[3]. فهي لا تقتصر على قضية الاستشفاء، بل تعتبر وسيلة لفهم الوجود الإنساني ككل، منذ الولادة وحتى الممات بجميع جوانبه الروحية والمادية والعاطفية[4].

الاستشفاء بالـ (أيورڤيدا)

للـ (أيورڤيدا) فروع متعددة، أحدها هو العلاج الـ (أيورڤيدي) وهو أكثرها انتشارا. بل إنه عند إطلاق الـ (أيورڤيدا) فإن الاستشفاء بها هو المقصود في الغالب، ولذلك تسمى الـ (أيورڤيدا) في الهند بـ «أم الشفاء»[5].

وللعلاج الـ (أيورڤيدي) عدة فروع، هي:

١- التغذية.

٢- الجراحة.

---

(١) انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): ٣٠- بيل غوتليب، و
An Introduction to Complementary Medicine: 30 - edited by: Terry Robson Diped
Dictionary of Religion and Philosophy: 51 - Geddes MacGregor

(٢) انظر: Ayurveda for Health and Well-being: 10 - Sally Morningstar
An Introduction to Complementary Medicine: 16 - edited by: Terry Robson Diped
وإن كانت الـ (يوغا) نفسها تستخدم في الاستشفاء، وإنما المراد هنا هو الفلسفة الـ (يوغية).

(٣) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: 17 - edited by: Terry Robson

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٥.

(٥) انظر: المرجع السابق: نفس الصفحة.

٣- التنجيم.

٤- علم النفس.

٥- تقنيات التطهر والتنظيف[١].

تستخدم هذه الفروع مجتمعة أو كل منها على حدة بحسب المعالج والحالة والمريض، وإن كانت الـ (أيورڤيدا) تعتمد - بشكل أساسي - على قضية التغذية في معالجة المرض، حيث يعتبر الغذاء هو الدواء والدواء هو الغذاء[٢]. ولكن الـ (أيورڤيدا) لا تعتمد على نظرية الفيتامينات والمجموعات الغذائية، بل تصنف الأطعمة بحسب الـ (دوشات). فيتحدد النمط الغذائي للشخص بحسب الـ (دوشا) الخاصة بطبيعته و(دوشا) الأطعمة التي يتناولها[٣]. إنها تكاد تكون الصورة الهندية لنظام الـ (ماكروبايوتِك).

تتلخص فلسفة الـ (أيورڤيدا) في مسائل المرض والشفاء بإرجاع أسباب المرض إلى مخالفة القانون الكوني وعدم الانسجام معه، بينما يكون العلاج من خلال استعادة ذاك الانسجام[٤]، ولذلك يعتبر مبدأ التوازن مبدءا أساسيا في فلسفة الـ (أيورڤيدا). فعندما تكون الـ (دوشات) الثلاث في حالة متوازنة تتحقق الصحة البدنية والعقلية، بينما يعد اختلال توازنها سببًا في المرض[٥]. وقد يحدث الخلل في التوازن بسبب المؤثرات الخارجية أو الداخلية التي تنشط بسببها أحد الـ (دوشات) فتسود البقية منها، ومن تلك المؤثرات:

---

(١) انظر: Ayurveda for Health and Well-being: (10 - 11) - Sally Morningstar

(٢) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: 43 - Robert E. Svoboda

(٣) انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): ٣٤ - بيل غوتليب، و Spiritual Healing: (170 - 171) - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٤) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: (11 - 12 21) - Robert E. Svoboda

(٥) انظر: An Introduction to Complementary Medicine: (22 - 24) -Terry Robson Diped
Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: 169 - Christopher Wanjek
The Skeptics Dictionary: 45 - Robert Todd Carroll

١- الزمن: ويراد به أوقات اليوم وفصول السنة، وما يسمونه الأوقات السماوية المتعلقة بحركات الكواكب والأجرام السماوية وتأثيرها في ظهور بعض الأمراض. ففي الـ (أيورڤيدا) يتم ربط أجزاء الجسد بالكواكب، بحيث يؤثر الكوكب على ذلك الجزء[1].

٢- التغذية: حيث يعد الطعم، والحرارة من العوامل المصنفة بحسب الـ (دوشات) ومن ثم فهي مؤثرة فيها[2].

وتتم عملية العلاج باستكمال النقاط التالية:

(١) تصنيف المريض وفقا للـ (دوشات):

يمكن تصنيف الناس - بحسب طبائعهم - على أساس الـ (دوشا)، أو الأطباع الثلاث، إلى ثمانية أصناف:

١- صنف الـ (ڤاتا).

٢- صنف الـ (پيتا).

٣- صنف الـ (كافا).

٤- صنف الـ (ڤاتا - پيتا).

٥- صنف الـ (پيتا - كافا).

٦- صنف الـ (كافا - ڤاتا).

٧- صنف الـ (ڤاتا - پيتا - كافا) وهو نادر.

---

(١) انظر: Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: 169 - Wanjek

Ayurveda for Health and Well-being: (14 - 15) - Sally Morningstar

(٢) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: (33 - 43) - Robert E. Svoboda

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: 67 - Svoboda & Lade

٨- صنف تفقد فيه جميع الـ (دوشات) قوتها[١].

ويمكن معرفة الـ (دوشا) الخاصة بشخص ما عن طريق معرفة الصفات الخاصة بكل (دوشا) ومقارنتها بصفات ذلك الشخص[٢] بالإضافة إلى النظر في حركة الكواكب والمجموعة الشمسية التي تحدد صنف الإنسان ونقاط الضعف التي ولدت معه الموافقة لبرجه[٣]. كما يصنف الجسم بأعضائه ووظائفه بحسب الـ (دوشات) الثلاث[٤].

(٢) تشخيص المرض وفقا للـ (دوشات)

يتم التشخيص من خلال فحص ملامح المريض: أظفاره، جلده، عيونه، لسانه، بوله، وجس النبض في أماكن مختلفة من جسده. وكل من الأعراض المرضية مرتبط بـ (دوشا) معينة، يحدد المعالِج المرض على أساسها[٥].

---

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٠٢ - حلقة الدراسات الهندية، و

An Introduction to Complementary Medicine: 22 - edited by: Terry Robson Diped

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: (65 - 66) - Robert Svoboda & Arnie Lade

(٢) انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): (٣١ - ٣٣) - بيل غوتليب، و

The Hidden Secret of Ayurveda: (70 - 71) - Robert E. Svoboda

Ayurveda for Health and Well-being: 21 - Sally Morningstar

(٣) انظر: Ayurveda for Health and Well-being: 11 - Sally Morningstar

(٤) انظر: The Hidden Secret of Ayurveda: (28 - 29) - Robert E. Svoboda

(٥) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٠٢ - حلقة الدراسات الهندية، و

An Introduction to Complementary Medicine: (25 - 26) - Terry Robson Diped

The Hidden Secret of Ayurveda: (29 - 30) - Robert E. Svoboda

Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: (71 - 73) - Robert Svoboda & Arnie Lade

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة التحقيق العلمي في دعاوى خوارق العادات (CSICP) أجرت اختبارات محكمة لمعالجي الـ (أيورڤيدا) ١٩٩٨ م ولم يتمكن أحد منهم النجاح في التشخيص الدقيق بنسبة تزيد على النسبة الحاصلة مع التخمين. انظر:

Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: 170 - Christopher Wanjek

(٣) تحديد العلاج وفقًا لـ (دوشا) المريض والمرض

فبحسب (دوشا) المرض يتحدد العلاج، وذلك لتتم الموازنة بينها[١].

ركز الـ (أيورڤيدا) على المسؤولية الذاتية في الشفاء واتقاء المرض، وذلك من خلال موازنة الطاقات الشخصية، وتفادي طغيان أحد الـ (دوشات) أو تعطل عمل (آغني) في العمليات الهضمية[٢].

يَستخدِم المُعالِج بالـ (أيورڤيدا) طرقًا علاجية متعددة، يمكن إدراجها تحت ثلاثة عناوين رئيسة:

١- العلاج الجسدي (العضوي)، ويشمل استخدام الأطعمة والأعشاب، العلاج بالروائح[٣] والألوان، التدليك باستخدام الزيوت المشبعة بالأعشاب والذي يعتمد على نقاط محددة يكون من خلالها التنشيط اليدوي لسريان الطاقة الكونية (پرانا) في الجسد.

٢- العلاج النفسي، ويشمل العلاج بالموسيقى، وبعض أوضاع التأمل،

---

(١) انظر: Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda: (74 -77) - Robert Svoboda & Arnie Lade

(٢) انظر:

An Introduction to Complementary Medicine: (24 - 26) - Terry Robson Diped

إن (آغني) هو المسيطر على العملية الهضمية في الـ (أيورڤيدا)، وإذا اختل عمله ظهرت السموم في جسم الإنسان. و(آغني) كلمة سنسكريتية تعني النار، وهي في الوقت ذاته اسم لأحد أشهر الآلهة الفيدية. وفي الـ (أيورڤيدا) يحتمل أن يراد أي منهما.

(٣) يوجد نوعان من العلاج بالروائح، أحدهما لا يعتمد على فلسفة معينة، بل هو طرح افتراضي يفتقر إلى دليل، وهو لا يعنينا في هذا البحث. والآخر يعتمد على فلسفة الطاقة الكونية بأحد شقيها: الصيني فتكون الروائح وسيلة للموازنة بين الـ (ين يانغ)، أو الهندي بحيث تكون جزءًا من فروع الـ (أيورڤيدا) وتسعى للمعادلة بين الـ (دوشا). انظر: اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل): (٢٢ - ٢٧) - بيل غوتليب، و

Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: (174 - 175) - Wanjek

Aroma Therapy: 8 - Sumeet Sharma

وكذلك ترديد الأصوات والألفاظ المقدسة واستخدام الـ (مانترات) المختلفة.

٣- والعلاج الروحي، ويكون في الحالات التي لا يوجد للمرض فيها سبب ظاهر، فيتم اللجوء إلى الطقوس الدينية والسحر من أجل موازنة الطاقة السالبة. ومن ذلك إشعال النيران، والرحلة إلى أماكن مقدسة، وتقديم القرابين، وتلاوة الـ (مانترات)(١).

إن العمل بالـ (أيورڤيدا) - إن صح أنه طب تقليدي - عودة إلى الوراء، إلى زمن لم يكن الإنسان يعرف الأسباب الحقيقية للمرض، وربط لها بفلسفات غيبية ليس لها أي ارتباط بالواقع ولا العلوم التشريحية الحديثة. فالقول بنفعها دعوى تفتقر إلى دليل، خاصة وأننا لا نجد طول عمر متميز عند الهنود وممارسي الـ (أيورڤيدا).

ومن العجيب أن الـ (أيورڤيدا) أصبح شبه مهجور في أرض منشأه في الهند بين الطبقات المتعلمة والغنية، حيث يلجأ كثير منهم إلى الطب الحديث والأمصال. بينما يبقى الفقراء - نظرًا لقلة ذات اليد - لا يستطيعون سوى اللجوء إلى الـ (أيورڤيدا)(٢)، وفي الوقت نفسه تأخذ هذه العلوم البائدة بالانتشار في بلدان لها حظ وافر من العلم وأخرى لها حصن حصين من الشرع.

---

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٠١ - حلقة الدراسات الهندية، و

An Introduction to Complementary Medicine: (26 - 27) - Terry Robson Diped

(٢) انظر:

Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed: 173 - Christopher Wanjek

المبحث التاسع

العلاج بالألوان والأحجار الكريمة

لقد انتشر في الآونة الأخيرة العلاج بالألوان والأحجار الكريمة والتي يتم استخدام كل منها في العلاج الـ (أيورڤيدي)، كما يستخدمان في تطبيقات أخرى أقرب منها إلى الفلسفة الصينية. وسأعرض في هذا المبحث - بإذن الله - للعلاج بالألوان والأحجار الكريمة ضمن إطار الفلسفة الشرقية.

المطلب الأول: العلاج بالألوان

يعتبر العلاج بالألوان من الطرق الاستشفائية التي روجت لها جماعة «العصر الجديد» في الأزمنة المتأخرة ضمن المنظومة العلاجية المستوردة من الشرق[1]، وإن كانت في الأصل داخلة في جملة ممارسات الـ (أيورڤيدا)[2].

لا يمكن تحديد تاريخ محدد لنشأة العلاج بالألوان؛ حيث لا أعلم له وجودًا مستقلا عن التطبيقات الأخرى. ولكن لما كثر الحديث عنه وأُلِّفت فيه مؤلفات مستقلة أفردت له مبحثًا أو جزءًا من مبحث.

ولما كان العلاج بالألوان مُتضمّنًا في كثير من التطبيقات المعاصرة للفلسفة الشرقية لم يكن بالإمكان تحديد فلسفة مفردة يقوم عليها في جميع تطبيقاته، ولذلك سأذكر استخدام الألوان في كل فلسفة يتعلق بها على حدة.

أولًا: الألوان والـ (شاكرات)

يرتبط العلاج بالألوان بفلسفة الـ (شاكرات) الهندية، حيث تعتبر الألوان

---

(١) انظر: Children of the New Age: 175 - Steven J. Sutcliffe

(٢) انظر: Ayurveda for Health and Well-being: (29 39 47) - Sally Morningstar

مؤثرة فيها، وكل (شاكرا) لها لون محدد يساهم في فتحها وتنشيطها لتستقبل الطاقة الكونية بشكل سليم[١]. وقد سبقت الإشارة إلى الألوان الخاصة بكل (شاكرا) في الباب الأول، وفيما يلي عرض موجز لها مع شيء من الأمراض الذي يفترض أنها تعالجه[٢]:

الجذر	العجز	الضفيرة الشمسية	القلب	الحلق	الحاجب	التاج
الأصفر	البرتقالي	الأحمر	البنفسجي	النيلي	الأزرق	الأخضر
الحمى والتهاب الكبد	السكري وفقر الدم	ضعف القلب	الروماتيزم والأمراض الجلدية	اضطراب الغدد الصماء	الزكام ونزلات البرد	الاضطرابات العقلية

ثانيًا: الألوان والهالات

يعتقد المعالجون بالألوان أن للألوان طاقات[٣] وأنها تساهم في شحن طاقة الهالات (الأجسام) المحيطة بالجسم المادي بالإضافة إلى الـ (شاكرات)[٤]. فعندما تضعف الطاقة في الهالة يقوم المريض بلُبس اللون الذي بإمكانه تنشيطها[٥].

---

(١) انظر: الصحة والعلاج باللون: ١٨ - ماري أندرسون، وأسرار الطاقة: (٦٩ - ٧٠) - حكم الزمان، والعلاج بالألوان: ١٣ - د. قيس غوش، و
Hands of Light: 195 - Barbara Brennan

(٢) انظر: العلاج بالألوان: (١٤، ٢٢) - د. قيس غوش، الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢٥٣ - د. أحمد توفيق، و
Hands of Light: 239 - Barbara Brennan
يعتبر الجدول نموذجًا مما يطرح، وإلا فقد توجد اختلافات بين الألوان والأمراض التي تعالجها.

(٣) انظر: أسرار الطاقة: (٦٩ - ٧٢) - حكم الزمان.

(٤) انظر: Hands of Light: (237 239) - Barbara Brennan

(٥) انظر: Light Emerging: 121 - Barbara Brennan

كما تستخدم الألوان في تشخيص الهالة، حيث ينظر المعالج (صاحب القدرات الخارقة) إليها بعينه الثاقبة (!)، فيعلم من خلال ما يراه من طبقات الألوان مكان العلة ونوعيتها[١].

ثالثًا: الألوان والـ (دوشات)

سبق أن ذكرنا أن العلاج بالألوان يدخل ضمن العلاج الـ (أيورڤيدي)، وهو في ذلك يعتمد على فلسفتها في التقسيم الطبعي. فكل (دوشا) لها ألوان مخصصة تنعشها وتدعمها، ولذلك فإن المريض يعالج - وفق هذه الفلسفة - بالألوان التي تساهم في استعادة التوازن بين الـ (دوشات) الثلاث[٢].

يتعدى الاعتقاد بالألوان كونها صفات لا تدرك إلا بالبصر، أو وسائل جالبة للراحة النفسية والاطمئنان، إلى معان إلحادية خطرة. فتوصف - عند بعض المعالجين - بأنها الصفة الثالثة المتولدة عن المطلق (بعد الضوء والحركة)، وأنها قوة بلا حد، بل قال بعضهم إن الألوان هي الحقيقة[٣]. كما استخدمت الألوان في بعض التطبيقات لتحقيق الهدف الشرقي الأول، فاعتبر اللون الأسود المخملي وسيلة للاتحاد بالخالق[٤]! أما في قضية العلاج، فقد يستعين المعالج بتحضير الأرواح من أجل معرفة اللون الذي يحتاجه المريض[٥].

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢٥٤ - د. أحمد توفيق، و

Hands of Light: (238 - 239) - Barbara Brennan

Spiritual Healing: (134 - 136) Martin Daulby & Caroline Mathison

(٢) انظر: العلاج بالألوان: (١٢ - ١٣) - د. قيس غوش، و

Ayurveda for Health and Well-being: (29 39 47) - Sally Morningstar

(٣) انظر: Healing With Crystals & Gemstones: (1 - 2) - Daya Sarai

(٤) انظر: Hands of Light: 241 - Barbara Brennan

(٥) انظر: المرجع السابق: ٢٣٧

الأساليب المستخدمة في العلاج بالألوان

توجد طرق متعددة لإيصال اللون إلى المريض؛ ليتم العلاج من خلاله، منها ما يلي:

١- **اللباس**: ارتداء الملابس ذات اللون المناسب، والالتفاف بالأقمشة الملونة(١).

٢- **الغذاء**: ويكون بطرق متعددة، منها:

- تعريض الماء للون، وذلك بوضعه في كوب ملون أو تغطيته بورقة ملونة أو قطعة قماش ملونة لمدة من الزمن، ومن ثم شربه(٢).
- تناول الأغذية التي تتصف باللون الذي يحتاجه، فمن يحتاج الأخضر يتناول: السبانخ، والبرتقالي: الجزر، والأزرق: العنب... الخ(٣).

٣- **المصابيح الملونة**: حيث يسلط مصباح ضوئي ملون باللون المناسب على العضو المريض لمدة من الزمن، وقد يكون ذلك في غرفة مغلقة ومضاءة بالمصابيح الملونة أو ما يحل محلها كالشاشات ذات الألوان المختلفة(٤).

٤- **تصور الألوان**: وهذه الطريقة بالذات تعتمد على العامل النفسي والخيال وليس لها أية علاقة حقيقية بالألوان. وليس المطلوب من المعالج ولا المريض تخيل اللون أو التفكير به، وإنما المطلوب أن يستشعر

---

(١) انظر: الشفاء بالطاقة: ٢٥٣ - د. أحمد توفيق

(٢) انظر: الصحة والعلاج باللون: ٤٩ - ماري أندرسون، و
Ayurveda for Health and Well-being: (29 39 47) - Sally Morningstar

(٣) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ١١٠ - غادة المعايطة الدلابيح.

(٤) انظر: الصحة والعلاج باللون: ٤٨ - ماري أندرسون، و
Spiritual Healing: 142 - Martin Daulby & Caroline Mathison

اللون وإيحاءاته وما يجلبه له من مشاعر؛ ليتمكن من نقله للمريض، فيكون المعالج هو اللون[١].

ينقسم العلاج بتصور الألوان إلى قسمين رئيسين، هما:

- معالجة الذات: ويشمل من يريد معالجة نفسه ومن يستعد لمعالجة شخص آخر. يكون بتصور اللون وأنه يتنفسه، ويتدرج في الألوان كلها ليكتشف أيها الذي ينقصه ويتخيل أنها تملأ هالته[٢]. فالمسألة قائمة على التخيل تمامًا.
- معالجة الآخرين: ليس على المعالج إلا أن يتصور أنه ينقلها للآخرين[٣]!

٥- **الأحجار الكريمة**: وهو ما سنتطرق له في المطلب التالي بإذن الله.

المطلب الثاني: العلاج بالأحجار الكريمة

الأحجار الكريمة هي معادن أرضية تتميز بالجمال والجاذبية، وهي قليلة بالنسبة لغيرها من المعادن، تتم تنقيتها وصقلها لتستخدم للزينة أو لأغراض أخرى. ومن الأحجار ما يكون أصله عضوي كاللؤلؤ والمرجان، ومنها ما يكون اصطناعيا كالأحجار المقلدة التي تشبه الأحجار الطبيعية[٤].

---

(١) انظر: Hands of Light: (237 - 238) - Barbara Brennan
Spiritual Healing: 143 - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٢) انظر: الصحة والعلاج باللون: (٤٩ – ٥٠) – ماري أندرسون، و
Hands of Light: 195 - Barbara Brennan

(٣) انظر: الصحة والعلاج باللون: (٥٠ – ٥١) – ماري أندرسون.

(٤) انظر: الشفاء بالأحجار الكريمة: ٨ – أضواء هادي، والعلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ٩ – حسان جعفر.

إن العلاج بالأحجار جزء لا يتجزأ من الطب البديل وهو أحد فروعه[١]، كما أنه ذو تعلق بالعلاج بالألوان حيث إن الأحجار عادة ما تتصف بألوان مختلفة.

تاريخ العلاج بالأحجار الكريمة

ترجع أصول العلاج بالأحجار الكريمة[٢] إلى بعض الشعوب البدائية في العصور القديمة، حيث بَهَرت أشكالها وألوانها الأنظار فظنوا أن لها قدرات عجيبة، فاستخدمت في الطقوس الدينية والاستشفاء[٣].

كما أنها استخدمت في العلاج الـ (أيورڤيدي) في الهند القديمة، في جملة العلاجات الخرافية التي كان يُلجأ إليها آنذاك، ثم أعيد إحياؤها عند انتقال الفلسفات الشرقية إلى الغرب عبر حركة «العصر الجديد» وغيرها من الحركات.

فلسفة العلاج بالأحجار الكريمة

تختلف المبادئ التي يعتمد عليها المعالجون بالأحجار من معالج إلى آخر، منها:

١- الفلسفة الشرقية للاستشفاء، وهو الذي يعنينا في هذا البحث.

٢- التنجيم، وبعضه داخل في الفلسفة الشرقية - خاصة الـ (أيورڤيدا) - وبعضه ليس له تعلق بها.

٣- اعتقادات باطلة بنفع الحجر لا تعتمد على أساس ظاهر، لا الفلسفات الغيبية ولا الدلائل العلمية[٤].

---

(١) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ٩ - د. حسان جعفر.

(٢) عندما أطلق الأحجار الكريمة فإن البلورات الصخرية تدخل فيها ضمنًا.

(٣) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: (٩، ١٥) - د. حسان جعفر.

(٤) انظر: الشفاء بالأحجار الكريمة: ٦٥ وما بعدها - أضواء هادي.

لا يختلف العلاج بالأحجار الكريمة عن غيره من التطبيقات المعاصرة للفلسفة الشرقية، حيث تعتبر الأحجار أحد تجسيدات الطاقة وصورها، يقول أحدهم: «في البداية كان الحجر، والحجر طاقة، والطاقة نور وقدرة وحيوية ونشاط وهدى وعنفوان ومقاومة»(١).

وكما هو الحال في التطبيقات الأخرى، فإن الأحجار تستخدم فيما يلي:

- إعادة توازن الطاقة الكونية التي يُعد اختلالها سببًا في المرض(٢).
- تنشيط سريان الطاقة، وإزالة الانسدادات التي تعيقها في مساراتها(٣).
- كما تستخدم في تنشيط الهالة واستمرارها بالنبض أثناء الفحص والمعالجة، وتنقية الهالة مما قد يعلق بها من نفايات(٤) وموازنتها عن طريق وضع الأحجار على مواضع الـ (شاكرات)(٥).
- ووفقا للفلسفة الشرقية، فإنه يحدد لكل (شاكرا) حجر معين لتُعالج به الأمراض المرتبطة بها من خلال إعادة التوازن إلى الـ (شاكرا)(٦). وهو ما يمكن توضيحه بالجدول التالي(٧):

---

(١) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ٥ - د. حسان جعفر.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٤.

(٣) انظر: Spiritual Healing: 144 - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٤) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ٤٣٣ - د. حسان جعفر
Hands of Light: (202 - 203) - Barbara Brennan

(٥) انظر: Healing with Crystals & Gemstones: 36 - Daya Sarai Chocron

(٦) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ٤٢٣ - د. حسان جعفر
Spiritual Healing: 144 - Martin Daulby & Caroline Mathison

(٧) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٤ - د. حسان جعفر، و
Spiritual Healing: (145 - 147) - Martin Daulby & Caroline Mathison
وهذا الجدول هو مثال وإلا فإن الاقتران يختلف بين الكُتّاب

الجذر	العجز	الضفيرة الشمسية	القلب	الحلق	الحاجب	التاج
الأميتيست	الأوبال الناري	الزبرجد الأصفر	الياقوت الوردي	الأمازونيت	اللازورد	العقيق الأحمر

- يُعتقد أن الأحجار الكريمة تبعث مجالات من الطاقة تساهم في رفع المستوى الطاقي في الجسم، وهذه الطاقة هي المحفزة على الشفاء الذاتي، كما يُفترض أن تُحدِث الأحجار تناغما وتوازنا بين الجسد والروح والمجالات الأثيرية(١).

- التنجيم: للأحجار الكريمة صلة وطيدة بالتنجيم والكواكب والأبراج، فكل برج من الأبراج يرتبط بحجر معين. ويحدد المنجمون الحجر المناسب للإنسان باحتساب تاريخ الميلاد(٢). كما يرتبط كل حجر بأحد أيام الأسبوع والكواكب وأصابع اليد، فكل أصبع يتعلق بأجزاء محددة من الجسم البشري. ولذلك يحدد لبس الحجر بأصبع معين(٣).

- وفي العلاج الـ (أيورڤيدي) يقوم المنجم بتحديد الحجر المناسب لكل شخص وفقًا لبرجه وتاريخ مولده والـ (دوشا) الخاصة به. فيقوم

---

(١) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: (٨١ – ٨٢) – د. زكريا هيمي،
Perspectives on the New Age: 80 - edited by: James R. Lewis & J. Gordon Melton

(٢) يقوم ذلك على الاعتقاد بأن برج الإنسان (الذي يتحدد بتاريخ ولادته) داخل تحت سيطرة كوكب معين، وكل كوكب يرتبط بحجر معين، ومن خلال لبس الإنسان لذلك الحجر يقوم باسترضاء الكوكب ليكون أثره على برجه إيجابيًا وبالتالي على حياته! فيزول الضرر الذي كان قد تسبب في حدوثه، ومن ذلك: المرض.
انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: (٤٣٥ – ٤٣٧) – د. حسان جعفر، و
The Healing Power of Gemstones: 20 - Harish Johari

(٣) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: ٨٥ – د. زكريا هيمي، والشفاء بالأحجار الكريمة: (٩٥ – ١٠٢) – أضواء هادي، والعلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: (٤٢٣ – ٤٣٢) – د. حسان جعفر

المريض بلبسها أو شرب ماء نقيعها لتحصل له الصحة والتوفيق[١].

- **الاتحاد بالمطلق**: تستخدم الأحجار في التأمل حيث تساعد على «الاتصال بالمصدر» فتوضع على العين الثالثة أثناء الاستلقاء[٢] مما يسمح «بالدخول الأعمق في كنه الأشياء»[٣]. كما تستخدم في بعض أنواع التأمل الـ (يوغي) الذي يمكن معه - بالتركيز على الحجر - التنبؤ بالأحداث الماضية والمستقبلية[٤]!

الاستشفاء بالأحجار

يُنسب للأحجار فوائد علاجية متعددة تشمل الأمراض النفسية والجسدية[٥]، كما يُعتقد أنها تعطي قدرة على مقاومة الأمراض، وتحفظ الإنسان من السحر والعين ولدغة الثعابين[٦].

وتكون خطوات العلاج كالتالي:

- يختار المعالج الحجر المناسب بعد استجواب المريض عن تاريخ ميلاده وبرجه وأسماء والديه (!)[٧]
- يمكن فحص مناسبة الحجر عن طريق التجربة، فيمسكه المريض بيده ليرى المُعالِج مدى مناسبته لطاقة الإنسان وكيفية تأثيره عليها[٨].

---

(١) انظر: Ayurveda for Health and Well-being: (30 -31 40 48) - Sally Morningstar
The Healing Power of Gemstones: (201 - 202) - Harish Johari
(٢) انظر: Healing with Crystals & Gemstones: 36 - Daya Sarai Chocron
(٣) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٣ - د. حسان جعفر.
(٤) انظر: Healing with Crystals & Gemstones: 37 - Daya Sarai Chocron
(٥) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٥ - د. حسان جعفر.
(٦) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: ٢٣ - د. زكريا هميمي.
(٧) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٢ - د. حسان جعفر.
(٨) انظر: Light Emerging: 121 - Barbara Brennan

- تعريض الحجر لأشعة الشمس أو ضوء القمر عندما يكون بدرًا لينقيها ويشحنها ويزيد من طاقتها العلاجية[١]، ويمكن وضعها تحت أشعة الشمس للغرض ذاته[٢].
- وقد توضع الأحجار على نقاط الضغط الموجودة على مسارات الطاقة مما يحفز سريانها وينشطها[٣]
- بعد الكشف على مراكز الطاقة في الجسم - الـ (شاكرات) - لمعرفة مكمن الداء، يوضع الحجر على الـ (شاكرا) المرتبطة بالعضو المعطوب[٤].
- وقد يتم ابتلاع مسحوق الأحجار الكريمة من أجل التأثير على الجسم الطاقي[٥].
- أما الطريقة الأشهر والأكثر استخداما فهي التَّخَتُّم بالأحجار وفقا لنوع المرض وبرج المريض. ومن الأمثلة على تلك الوصفات «العلاجية» أن من كان يعاني من لحمية الأنف - مثلًا - فإنه يلبس خاتمًا يحتوي نحو خمس غرامات من المرجان الأحمر في البنصر[٦].

إن الأحجار الكريمة قد تعتبر ضارة في منظور المعالجين بالأحجار، حيث يُعتقد أنها تحمل الصفات السلبية لمالكها السابق، فقد يمرض الإنسان إذا لبس مجوهرات

---

(١) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: ٨٢ - د. زكريا هميمي، والعلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٧ - د. حسان جعفر.

(٢) انظر: Healing with Crystals & Gemstones: 30 - Daya Sarai Chocron

(٣) انظر: The Healing Power of Gemstones: 206 - Harish Johari

(٤) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١١ - د. حسان جعفر.

(٥) انظر: Perspectives on the New Age: 80 - edited by: James R. Lewis & J. Gordon Melton

(٦) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: ٩٠ - د. زكريا هميمي.

مستخدمة من قِبَل أناس لا تتوافق طاقاتهم مع طاقته، أو من شخص تعيس أو مريض. ولذلك كان لا بد من «تنظيفها» عن طريق نقعها في الماء والملح[١]! كما يُذكر أن بعض الأحجار تعمل على استقطاب الأمراض الكامنة في الهالات[٢].

يعزو بعض المؤمنين بالأحجار ما ينسب إليها من فوائد إلى ما يرون أنها تمتلكه من خصائص. ويقدمونها كحجة «علمية» تؤيد ما يذهبون إليه من الأباطيل والشركيات. ومن تلك الخصائص ما يلي:

- أن للأحجار الكريمة قوى مغناطيسية لها قدرة علاجية.
- أو أنه ينبعث منها العديد من الإشعاعات والترددات التي تؤثر على جسم الإنسان[٣].

ومع ذلك فإنه يُشترط للانتفاع بالحجر وجود التقبل والاستعداد النفسي لهذه الطريقة العلاجية، ولذلك فإن الشخص «السلبي» الذي لا يتقبله ذهنيًا لن ينتفع به[٤]. إن مثل هذا القول مما يؤكد على اعتمادها كليًا على التأثير الوهمي (Placebo Effect) كما هو الحال في كثير من علاجات الطب البديل الخرافية.

إن هذا الاعتقاد بنفع الحجر قد تعدى حدود السببية إلى مراحل لا أظنها تسلم من الشرك، يقول أحدهم بهذا الخصوص: «الحجر الكريم يعطي أثره الكلي إذا ترافق مع الإيمان (!)...، فكلما ازداد إيمانك كلما تضاعفت تأثير طاقته المعالجة وكثرت فوائده»[٥]

---

(١) انظر: Healing with Crystals & Gemstones: 35 - Daya Sarai Chocron

(٢) انظر: المرجع السابق: ٥١.

(٣) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: (٨١ – ٨٢) – د. زكريا هميمي، Perspectives on the New Age: 80 - edited by: James R. Lewis & J. Gordon Melton

(٤) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: (١٣، ١٦) – د. حسان جعفر.

(٥) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٧ – د. حسان جعفر.

ليس هذا القول - في نظري - سوى صورة حديثة لعبادة الأحجار، فالحجر هو الشافي الممرض المسعد المشقي، وهو محل الإيمان.

الأحجار الكريمة والعلاج بالطاقة: تستخدم الأحجار الكريمة لاستقطاب أكبر قدر من الطاقات الشافية في تطبيقات الطاقة، فهي عامل مساعد للمعالج[١]، حيث يقوم بشحن البلور أو الحجر بالطاقة وإرساله إلى المريض ليستشفي به[٢].

الأحجار الكريمة والـ (فونغ شوي): يكثر استخدام الأحجار الكريمة والبلورات في الـ (فونغ شوي)، حيث توضع في أركان المنزل من أجل المحافظة على طاقاته، ولكن لا بد من التأكد من مناسبتها لطاقات جميع أفراد الأسرة لكيلا تضر أحدًا منهم[٣]!

أود أن أختم هذا المبحث بكلمات وجدتها في أحد كتب العلاج بالأحجار الكريمة، كتبها المؤلف كمقدمة لكتابه. وفيها يظهر مدى الانحراف الذي تقود إليه مثل هذه الأمور التي قد يتساهل في تقبلها بعض المسلمين. يقول المؤلف:

«امنحه رضاك وموافقتك، وسلِّم بطاقته، وقم بتلبية دعوته، وسر على هدى القول المأثور: آمن بالحجر تبرأ! ولندرك أن تحررنا من الاستلاب المادي والنفسي يتم عبر العودة إلى أحضان الطبيعة، إلى الذبذبات السحرية للأحجار الكريمة البهية، إلى حيث السكينة الداخلية والطمأنينة الخارجية، إلى اخضرار الطب البديل والاتحاد بالخالق والتوحد مع طاقة الكون الـ لا محدودة والـ لا نهائية!..»[٤]

وإن لم تكن هذه عبادة الأحجار، فلست أدري كيف تكون؟

---

(١) انظر: Light Emerging: 111 - Barbara Brennan

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٧٢.

(٣) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٧ - د. حسان جعفر، و Light Emerging: 111 - Barbara Brennan

(٤) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٧ - د. حسان جعفر.



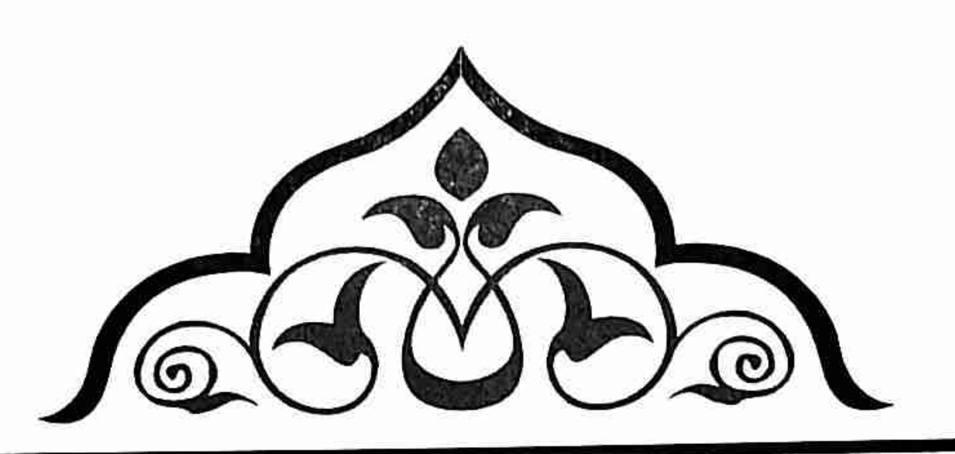
الباب الثالث

المخالفات العقدية في فلسفة الاستشفاء الشرقية وتطبيقاتها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المخالفات العقدية في فلسفة الاستشفاء الشرقية.

الفصل الثاني: الأحكام المتعلقة بالفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية الحادثة.



الفصل الأول

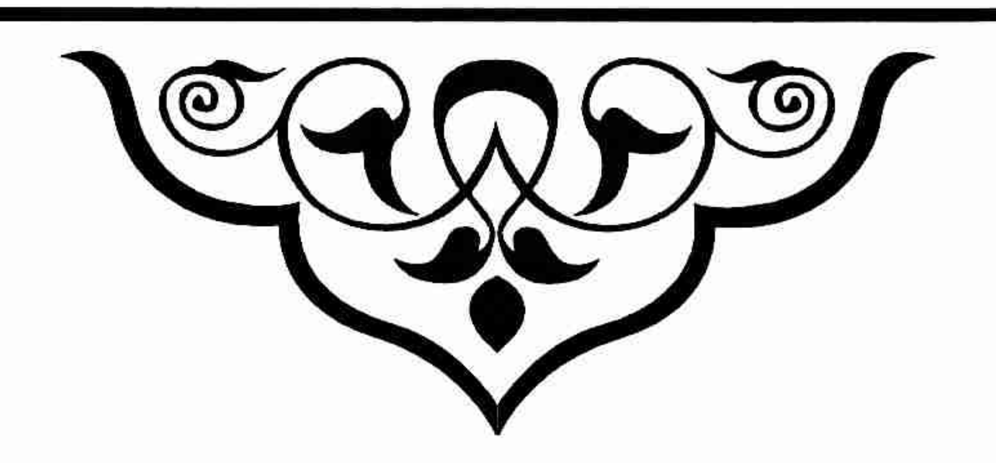
المخالفات العقدية في فلسفة الاستشفاء الشرقية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالله.

المبحث الثاني: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية لبقية أركان الإيمان.

المبحث الثالث: الآثار العقدية الناتجة عن تطبيقات الفلسفة الاستشفائية الشرقية.



تمهيد

لا شك أنه من خلال استعراض البابين السابقين اتضح - ولو مبدئيًا - مدى مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية وتطبيقاتها للعقيدة الإسلامية الصافية، وذلك أنها قائمة على أُسس فلسفية إلحادية لا يمكن فصلها عن صورها الحديثة وتطبيقاتها العملية مهما حاول بعضهم إظهار ذلك. كما أن الذين يتبنون هذه الفلسفة وتطبيقاتها في الغرب لا يألون جهدًا في إخفاء معالمها القبيحة عن المبتدئين، وينتهجون النهج الباطني في نشر مبادئهم الهدامة لكل دين[1].

وقد حاولت في هذا الفصل أن أُجمِل أبرز المخالفات العقدية في الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها بالإضافة إلى الآثار المنحرفة الناتجة عن ممارساتها العملية، ولكن قبل الشروع في المقصود، لا بد من التنبيه إلى أمرين:

١- أن هذه المخالفات هي ما ظهر لي أثناء القراءة والاطلاع على ما كُتب أو أُلِّف في الفلسفة والتطبيقات، وإني لا أزعم أني قد أحطت بها أو أحصيتها، فإنه قد يظهر لمتعمق في القراءة راسخ في العلم غير ما ذُكر في هذا الفصل، ولكنه جهد مُقِلٍّ لعله يفي بالمطلوب.

---

(١) وقد ذكر الغزالي وصفًا للأساليب الباطنية وحيلهم الممتدة عبر مرور الزمان، فجعلها على تسعة مراتب: "الزرق والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع، ثم السلخ". **والزرق**: وهو انتقاء المدعو إلى الضلال، **والتأنيس**: موافقة المدعو في أفعال يتعاطاها، **والتشكيك**: هز المعتقد والأحكام الراسخة وزعزعتها، **والتعليق**: تعليق الشكوك فلا يوجد لها إجابات ومن ثم إخباره بأنها أسرار لا يطلع عليها إلا الخواص، **والربط**: ربط المدعو من خلال الوعود الموثقة والأيمان المغلظة على إبقاء السر مكتومًا، **والتدليس**: التدرج في البوح بالأسرار لئلا يفاجأ المدعو بهول الباطل، **والتلبيس**: التقديم بالمقدمات الصحيحة مع التوصل إلى النتائج الباطلة، **الخلع والسلخ**: وهما خلع الشرع وسلخ الاعتقاد.
انظر: فضائح الباطنية: ٢٩ - ٣٧.

٢- أن ما ذُكر في هذا الفصل من المخالفات العقدية - خاصة ما يتعلق بالفلسفة الأصلية - هو ما عليه أنصارها في الشرق[1] والغرب، ولا يلزم أن تنطبق على كل من تأثر بهم وأخذ عنهم من أهل الإسلام، بل أجزم أن بعض من يروِّج لهذه الفلسفات الوافدة لو أدرك مدى فسادها وما بُنيت عليه من الباطل لما رضي أن ينسب إليه شيء منها.

وقد تطرقت للأخطار العقدية المتعلقة بالموضوع من جانبين:

الجانب الأول: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية لأركان الإيمان

وفيه تظهر خطورة هذه الفلسفة الضالة على عقيدة المسلم، وأنها تُزلزل الإيمان الذي قامت العقيدة الإسلامية على أصوله الستة. وهي التي أشار إليها رسول الله ﷺ في قوله: [**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**][2]، بينما ذُكرت في كتاب الله ﷻ في موضعين، في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[4]. ولو اختل واحد من هذه الأركان لانهدم إيمان صاحبه، ولو كذَّب الإنسان بأحدها لكان كمن كذب بها جميعًا ولخرج من دائرة الإسلام، فكيف بفلسفة تتعارض مع أصول الإيمان الستة، أيحل لمسلم أن يتبناها أو أن يزعم إمكانية توافقها مع الإسلام؟

---

(١) أقصد بالشرق: البلدان التي نشأت فيها فلسفة الاستشفاء الشرقية لا البلاد العربية أو الإسلامية.

(٢) أخرجه: البخاري: ١/ ٢٧ برقم: ٥٠، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة. ومسلم: ١/ (٣٦ - ٣٧) برقم: ٨، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإسلام والإيمان والإحسان.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) القمر: ٤٩.

ولا شك أن لعقيدة وحدة الوجود التي تقوم عليها الفلسفة الشرقية دورًا بارزًا في نسف أركان الإيمان، فقد قال **شيخ الإسلام** واصفًا أهل وحدة الوجود: «وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحقيقة أمرهم جحد الخالق، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع»[1].

الجانب الثاني: الآثار العقدية المترتبة على تطبيقات فلسفة الاستشفاء

وفيه إبراز لبعض الآثار العقدية الخطيرة الناتجة عن تطبيقات الفلسفة الشرقية، وهذه المخالفات هي نتيجة حتمية لانحراف الأسس التي قامت عليها، فالأصل الفاسد لا يصح فرعه، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2]. وهي - كما سيتضح بإذن الله - متفاوتة في الخطورة يصل بعضها إلى حد الشرك.

أما الجانب الأول فسيكون تفصيله في المبحثين الأول والثاني، وأما الجانب الثاني فقد أفردت له المبحث الثالث. والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) مجموع الفتاوى: ١١/ ٢٣٥ - ابن تيمية.

(٢) الأعراف: ٥٨.

المبحث الأول

مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالله

إن الإيمان بالله هو أول أركان الإيمان، ولا يُتصوَّرُ الإيمان بشيء من الأركان دون الإيمان به ﷻ، فهو الذي خلق الملائكة وأرسل الرُّسل وأنزل الكتُب وإليه المعاد وعليه الحساب وهو الذي قدَّر الأقدار كلها تبارك اسمه وتعالى جده.
ويشمل الإيمان بالله ﷻ أربعة أمور:

- الإيمان بوجوده الذي لم يُسبق بعدم ولا يُعقب به، وفي الحديث: [**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**][1]
- الإيمان بربوبيته.
- الإيمان بأسمائه وصفاته.
- والإيمان بإلوهيته[2].

ويمكن إجمال الجوانب الأربعة للإيمان بالله في نوعي التوحيد، وهو التقسيم الذي اعتمدته في هذا المبحث:

- **فتوحيد المعرفة والإثبات** يشمل: الإيمان بوجود الله وربوبيته وأسمائه وصفاته

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٨٤ برقم: ٢٧١٣، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) انظر: فتح الباري: ١/ ١٦٥ - ابن حجر، وشرح أصول الإيمان: (١٣ - ٢٤)- ابن عثيمين، وتعليقات على العقيدة الواسطية: ٥ - نفس المؤلف، وأعلام السنة المنشورة: ٥٠ - حافظ الحكمي.
ملحوظة: إن الإيمان بوجود الله متضمن في الإيمان بربوبيته وكذلك بقية أقسام التوحيد، ولكن لما حصل الانحراف في ذلك أفردته من باب التفصيل في الرد، كما هو الحال في تقسيم التوحيد أصلًا، فرغم أن توحيد الربوبية متضمن في توحيد الإلوهية إلا أنه أفرد عنه من أجل ما حصل فيهما من انحراف.

- وتوحيد القصد والطلب يشمل: توحيد الإلوهية أو توحيد العبادة.(١)

جمع الله ﷻ بين نوعي التوحيد في مواضع متعددة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٢).

وقد اشتملت الفلسفة الشرقية على ما يخالف نوعي التوحيد وجوانب الإيمان بالله التي يتضمنها كل منهما.

المطلب الأول: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية لتوحيد المعرفة والإثبات

وهو - كما سبق - يتضمن الإيمان بوجود الله وربوبيته وأسمائه وصفاته.

أولًا: وجود الله ﷻ

لا يمكن أن يستقيم لمرء إسلام ولا إيمان ما لم يؤمن بوجود الله، وهو ما اتفقت عليه جميع الأديان ذات الأصول السماوية. ولكن يتميز المعتقد الإسلامي عن غيره من العقائد المنحرفة باعتقاد كمال الوجود الإلهي، فوجوده ﷻ: قائم بذاته، غير مسبوق بعدم، متميز عن وجود غيره، غير حال فيه ولا مختلط به ولا هو إياه(٣). وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجود الرب ﷻ بعدة أدلة، منها: الشرع والفطرة والحس والعقل(٤).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٥/ ١٦٤ - ابن تيمية، والفتاوى الكبرى: ٥/ ٢٥٠ - نفس المؤلف

(٢) البقرة: ٢١ - ٢٢.

(٣) انظر: العقيدة الواسطية: (٤٣ - ٤٥) - ابن تيمية.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٣/ (٣٦٥ - ٣٦٦) - ابن تيمية، وشرح أصول الإيمان: (١٣ - ١٧) - ابن عثيمين.

أما المقابل الفلسفي لمفهوم الإله فهو ما يُعبَّر عنه بـ «المطلق»[١]، وتختلف مُسَمَّياته باختلاف الخلفيات الفلسفية، فهو الـ (طاو) عند طاوية الصين، وهو الـ (براهمان) عند الهندوس والبوذيين. ولكن الاعتقاد بـ «المطلق» لا يتطابق مع الإيمان بالإله - بل إنه يتنافى مع الاعتقاد بوجوده، ولو رجعنا إلى ما ذُكر في الباب الأول[٢] لظهر التعارض بينهما جليًا، فإنه عندما تقارن صفات «المطلق» بالصفات الإلهية للرب يظهر قطعا أنه ليس هو، وإذا كان المطلق - الذي ليس هو الإله الحق - يُنسب إليه التدبير والإيجاد والقِدَم، كانت النتيجة هي إنكار وجود الإله الحق أو على أقل تقدير إثبات خالق معه. ومع ذلك، فإن هذه النتيجة ليست بحاجة إلى ما ذُكر من المقدمات، فقد أشار غير واحد من فلاسفة الشرق إلى عدم تضمن فلسفتهم إثبات وجود الإله - بل من المعلوم إنكارها له.

ليس هناك أدنى شك في كون «المطلق» الشرقي لا يُعبِّر عن الإله الذي يعبده أتباع الرسل، وفي المقابل، يرى فلاسفة الشرق أن «المطلق» لا يمكن أن «يقيَّد» بمفهوم الرب أو الإله المعبود، فهو - في اعتقادهم - يتجاوز الإله[٣] ووجوده سابق لوجوده[٤]. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وعلى كل حال، فإن من يتبنى الفلسفة الشرقية أو شيئًا من تطبيقاتها لا يمكن أن تخرج نظرته للـ «مطلق» عن أحد تصورين:

التصور الأول: أن يعتقد أن الـ (طاو) أو الـ (براهمان) هو تعبير عن مفهوم الإله بلغة القوم، وهذا - كما أسلفنا - لا يصح، فإن للـ «مطلق» صفات مغايرة تمامًا لصفات الإله. ويحسن - وإن كان سبق ذكرها - إيجازها هنا ليتضح المقصود:

---

(١) والمراد أنه أسمى صور الوجود عندهم كما أن الإله هو الأسمى والأعظم عند أهل الأديان، وليس المقصود أن المطلق عند فلاسفة الشرق يكون بمعنى الإله حقيقة.

(٢) راجع على سبيل المثال صـ: ٢٢، ٥٧.

(٣) انظر: Lao-Tzu and the Tao-Te-Ching: (215 - 216) - Livia

(٤) انظر: Tao-Te-Ching A New Translation and Commentary: 61 - Ellen M. Chen

- فالـ (طاو) لا يمكن تسميته، أما الله تعالى فله الأسماء الحسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١].

- الـ (طاو) لا يُرى ولا يُسمع، أما الله ﷻ فهو يُسمع، ويُرى في الآخرة. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٣] وأكد رسول الله ﷺ هذا المعنى بقوله: [**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته**][٤].

- الـ (طاو) والـ (براهمان) لا يمكن وصفهما ولا التعبير عنهما أو تعريفهما، أما الله ﷻ فله الصفات العلى التي استفاض ذكرها في الكتاب والسنة.

- الـ (طاو) غامض مظلم محيرٌ، كتلة منتجة بلا علم ولا إرادة، وهي صفات لا يمكن أن يوصف بها الله ﷻ.

- صغير متناه في الصغر، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٥]، دائم الرغبة والـ لا رغبة، دوامة من فراغ، يغذي الأشياء وليس سيدها، ولا يعتبر نفسه عظيمًا، أبدي ليس فاعلًا وغيرها من صفات النقص والتناقض.

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) النازعات: ١٥ - ١٦، والنداء يكون بالصوت المسموع (انظر: البرهان في بيان القرآن: ٨٨ - ابن قدامة).

(٣) القيامة: ٢٢ - ٢٣.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري: ١/ ٢٠٣، برقم: ٥٢٩، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر. ومسلم: ١/ ٤٣٩، برقم: ٦٣٣، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٥) الحج: ٦٢.

- إن العلم بالـ «مطلق» يكون من خلال «تجربته» والفناء فيه، والعلم بالله ﷻ يكون من خلال الوحي[١].
- وقد أُضفي على «المطلق» بعض صفات المعدومات، فهو الـ لا شيء الذي نتجت عنه الأشياء[٢]، فهو ليس فاعلًا ولا مفعولًا ولا فعلًا، ولا خالقًا ولا مخلوقًا[٣]، ومن المعلوم أن سلب النقيضين ممتنع[٤].

قال **الغزالي**[٥] رحمه الله في وصف إله من يشبه مذهب هؤلاء: «لا يوصف بوجود ولا عدم... فلا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع»[٦] - بل قد صرح هؤلاء بنفيه، «وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم، وهذا تجوُّز عندهم لا حقيقة، لأن الفاعل مريد لما يفعله، وعندهم أن العالم ظهر ضروريًا، لا أن الله فعله»[٧]، والإله الشخصي الذي قد يعترف به بعض أتباع الفلسفة الشرقية، ليس سوى صورة من صور الوجود المطلق، فلا فرق بينه وبين الإنسان والحيوان والنبات، فكلها - في نظرهم - تجليات متنوعة لحقيقة واحدة.

---

(١) لصفات الـ (طاو) والـ (براهمان) راجع صـ: ٧٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: Tao-Te-Ching A New Translation and Commentary: 177 - Ellen M. Chen

(٣) راجع صـ: ٥٦ من هذا البحث.

(٤) انظر: التدمرية: (٣٦ - ٣٩) - ابن تيمية، ونقض أساس التقديس: (٥٦ - ٥٧) - نفس المؤلف.

(٥) **الغزالي**: هو أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أحد أئمة الأشاعرة. ولد في عام ٤٥٠ هـ. له مصنفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، وتهافت الفلاسفة، وفضائح الباطنية. توفي عام ٥٠٥ هـ. انظر:
سير أعلام النبلاء: ١٩/ (٣٢٢ - ٣٤٦) - الذهبي، والبداية والنهاية: (٣٧٩ - ٣٨٠) - ابن كثير.

(٦) فضائح الباطنية: ٤٤ - أبو حامد الغزالي.

(٧) تلبيس إبليس: ٧٢ - ابن الجوزي، وانظر: تهافت الفلاسفة: ٨٧ - الغزالي.

الصورة الثانية: أن يعتقد أن الـ (طاو) والـ (براهمان) من مخلوقات الله. وعلى هذا القول اعتراضان:

١- أن هذا القول يخالف ما ذُكر في نصوص الفلسفة الشرقية الأم، فـ «المطلق» فيها أزلي غير مخلوق، بل هو متجاوز للإله وسابق لوجوده.

٢- أن قائل هذا القول لا يَسلَمُ به اعتقاده، فمجرد القول بأن الـ (طاو) أو الـ (براهمان) مخلوق لا يكفي لتحقيق التوحيد، وإن كان - في الظاهر - سلم صاحبه من الإلحاد. وذلك أنه لو افترضنا - جدلًا - أن الـ (طاو) أو الـ (براهمان) من مخلوقات الله لم ينتف بذلك محذور الشرك، فإن الاعتراف بأحدهما - كما وصفًا في الفلسفة الشرقية - يوقع الإنسان في شرك الربوبية حيث أُشرِكا مع الرب في بعض خصائصه.

وفي الواقع، لا تمثل أي من هاتين الصورتين حقيقة الفلسفة الشرقية، وإنما مَثَّلتُ بهما جدلًا وتنزلا، وذلك أن الفلسفة الشرقية فلسفة واحدية لا تقر بالتعددية أو التباين، فالكل عندهم واحد، الرب والمربوب والخالق والمخلوق. ولا شك في أن عقيدة وحدة الوجود هذه مفضية إلى إنكار وجود الإله الخالق المنفصل عن الكون.

ثانيًا: ربوبية الله ﷻ وأسماؤه وصفاته

تتضمن ربوبية الله إثبات ثلاث صفات إجمالية: الخلق، والملك، والتدبير. وأنه لا منازع له ﷻ في معاني ربوبيته ولا أسمائه وصفاته[1]. وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به البشرية جمعاء إلا جاحد ظالم أو مكابر ملحد، قال الله تعالى

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢: ٧٠٣ - ابن تيمية، وتجريد التوحيد: ٩ - المقريزي، أعلام السنة المنشورة: ٥٥ - حافظ الحكمي، وشرح أصول الإيمان: ١٧ - ابن عثيمين.

مخبرا عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[١]. بل إن مشركي العرب قد صرحوا بإيمانهم بالربوبية، يقول تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٢]. إلا أن الفلسفة الشرقية خرقت هذا الإجماع البشري، فنسبت خصائص الربوبية لغيره فتمثل فيها أخبث أنواع الشرك الذي هو شرٌّ من شرك اليهود والنصارى - بل وعُبَّاد الأصنام[٣].

وللشرك في الربوبية ضروب متعددة، فمنه: شرك التعطيل كشرك فرعون وما وقع فيه شرذمة من الملاحدة قديما وحديثا، ومنه: القول بوحدة الوجود[٤]، وهو الأساس الذي تقوم عليه الفلسفة الشرقية. قال **شيخ الإسلام** رحمه الله: «القائلون بوحدة الوجود يقولون بقدم العالم»[٥]، والقول بالقدم هو قول بأن هذا الوجود ليس له رب، و«حقيقة قولهم: لم يخلق شيئًا ولا أبدعه ولا برأه ولا صوَّره، لأنه لم يكن وجود إلا وجوده، فمن الممتنع أن يكون خالقا لوجود نفسه، ولا بارئًا لذاته فإن العلم بذلك من أبين العلوم وأبدأها للعقول أن الشيء لا يخلق نفسه»[٦].

وإن من تمام معرفة الله والإيمان به إثبات أسمائه وصفاته، ويكون ذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف[١][٧]، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نزَّهه عنه

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) انظر: تجريد التوحيد: ١٨ - المقريزي.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ٩٢ - ابن تيمية.

(٥) درء تعارض العقل والنقل: ٣/ ١٦٥ - ابن تيمية.

(٦) مجموع الفتاوى: ٢/ ٢٤٨ - ابن تيمية.

(٧) التعطيل: في أسماء الله وصفاته هو جحدها وإنكار قيامها بذاته ﷻ ونفي ما دلت عليه صفات من الكمال، وهو أنواع: تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة، وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله وهو تعطيل الجهمية نفاة الصفات، وتعطيله عن أفعاله وهو - أيضًا - تعطيل الجهمية. (انظر: إغاثة اللهفان: ٦١٢ - ابن القيم، والتحفة المهدية: ٣٢ - فالح آل مهدي).

نبيه ﷺ من صفات النقص والعجز التي لا تليق بملك الملوك ﷻ. وقد كان من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته وصف غيره وتسميته بها لا يصح إلا له ﷻ[٢].

لقد بُنيت الفلسفة الشرقية على مبادئ إلحادية فاسدة تتعارض مع أساسيات التوحيد وخصائص الربوبية التي هي: الخلق والملك والتدبير.

- فقضية الخلق التي هي أخصّ خصائص الربوبية لا ينسِبُها فلاسفة الشرق إلى الله تبارك وتعالى - بل هي تعتمد على الاعتقاد بالتَّنسُل والتَّولُد غير المقصود. و«الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه؛ إذ الخلق فرع العلم، فلا يمكن الخلق إلا بعد العلم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٣]»[٤]. وقد كفَّر سلف الأمة من أنكر علم الله، ولو انتسب المُنكر إلى الإسلام[٥].

التحريف: إزالة اللفظ عما دل عليه من المعنى، وهو نوعان: تحريف اللفظ وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: العدول عن جهته إلى غيرها إما بزيادة، وإما بنقصان، وإما بتغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية. أما تحريف المعنى: فهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر لقدر مشترك بينهما (انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١٦٥ - ابن تيمية، ومختصر الصواعق: ٣٨٧ - ابن القيم، والتحفة المهدية: ٣٢ - فالح آل مهدي).

التمثيل: نوع من التشبيه، يقال مثل الشيء بالشيء إذا ساواه به وجعله مثله، فإما أن يشبه الخالق بخلقه، أو أن يشبه الخلق بالخالق (انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٥٩ - ابن أبي العز، والتحفة المهدية: ٣٢ - فالح آل مهدي).

التكييف: هو البحث عن كنه الصفات وحقيقتها. ومعرفة كيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. (انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١٦٧ - ابن تيمية، والتحفة المهدية: ٣٢ - فالح آل مهدي).

(١) انظر: العقيدة الواسطية: ٤٠ - ابن تيمية، والعقيدة الأصفهانية: ٢٥ - نفس المؤلف، والصواعق المرسلة: ٤/ ١٢٨٦ - ابن القيم.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٣٦١ - ابن القيم، وأعلام السنة المنشورة: ٧٦ - حافظ الحكمي.

(٣) الملك: ١٤.

(٤) التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية: ١١٧ - عبدالعزيز الرشيد.

(٥) انظر على سبيل المثال: السنة: ١١٩ - عبدالله بن أحمد بن حنبل، والسنة: ٥٦٢ - الخلال، والفرق بين الفرق: (٢٥ - ٢٧) - عبدالقاهر البغدادي، وحاشية كتاب التوحيد: ٣٦٥ - ابن قاسم.

كما أن فلسفتي الـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة تعتمد على مبدأ النشوء المعتمد على غيره، فليس هناك شيء ناشئ عن العدم - وهو المخصوص بالخلق - بل الكل متولد عن سابق[1]. فالـ (ين يانغ) تولدت من الـ (طاو) (أو الطاقة الكونية) والعناصر الخمسة تولدت من الـ (ين يانغ)، ومن العناصر الخمسة تولدت جميع الكائنات. وقد شابه قول القائلين بالعناصر الخمسة قول الطبائعيين[2] الذين يعتقدون أن الكائنات إنما تُخلق من اجتماع هذه العناصر واعتبروها هي الفاعلة[3]، و«الكائنات والظواهر - في الفلسفة الشرقية - هي عبارة عن توازنات حيوية متنوعة، لا شيء ثابت ولا مندثر في الكون، كل شيء في حركة لا تتوقف، لأن القطبين - الـ (ين يانغ) -، مصدر الكائنات، هما بدون بداية ولا نهاية»[4]! ولا شك أن الاعتقاد بوجود من شارك الله ﷻ في إيجاد الكون أو انفرد بذلك دونه إلحاد في آيات الله الكونية[5]. وحتى من زعم - من فلاسفة الشرق - أنه يؤمن بالإله فقد جعل الكون جزءًا منه، وليس الإله مُنشِئًا له من العدم. ولذلك فإن التمييز بين الخالق والمخلوق ليس واردًا عند هؤلاء مطلقًا كما هو الحال عند أهل الوحدة جميعًا.

---

(١) وهذا القول يختلف عن القول بجواز وجود حوادث لا أوّل لها الذي لا يعني أنها قديمة، ولا أنها لن تفنى، فكل حادث مسبوق بعدم نفسه، وليس كل حادث متولد من وجود مسبق. أما قولهم هذا فيجعل المخلوق مماثلا لله ﷻ في صفة الأولية التي لم تُسبق بعدم، والعناصر الخمسة لم تكن معدومة يومًا ما وإنما كانت موجودة بصورة مغايرة للصورة التالية وهكذا. وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض المخلوقات التي تخلق من وجود سابق لها كخلق الملائكة من نور، والجان من نار، وغيرها ولكن تعميمه على الموجودات أجمع هو الذي يوقع في المحذور.

(٢) نسبة إلى الطبائع الأربع: التراب، الماء، النار، والهواء التي يعتقدون أنها أصول كل شيء.

(٣) انظر: تلبيس إبليس: ٦٨ - ابن الجوزي.

(٤) المبدأ الفريد: ٤٥ - جورج أوشاوا.

(٥) انظر: تعليقات على العقيدة الواسطية: (١٠ - ١١) - ابن عثيمين.

- وكما يستلزم الخلق علمًا وإرادة، فكذلك التدبير، حيث لا يُتصوَّر مدبِّر غير عالم ولا مريد، وهو ما نفته الفلسفة الشرقية عن مدبِّر الكون فنسبت التدبير والتسيير إلى قانون الـ (طاو) وإلى الطاقة الكونية أو الـ (ين يانغ)[1].
- أما المُلك، فلا يكون إلا بين متمايزين يملك أحدهما الآخر، وهو ما لا وجود له في الفلسفة الشرقية القائمة على القول بوحدة الوجود.

هذا، وإن في الاعتقاد بوحدة الوجود تعطيل ظاهر للصفات الإلهية، الفعلية منها والذاتية. فكيف يكون الرب في العلو، مستو على العرش، يجيء وينزل وهو في كل مكان لا يخلو منه محل؟! وكيف يكون له ذات ووجه ويدان وهو منتشر في أرجاء الكون غير مباين للعالم ولا متميز عنه؟! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[2]. إنه الإلحاد بصفات الرب الذي ليس بعده إلحاد، والانحراف الجلي عما كان عليه سلف هذه الأمة من الاعتقاد.

لقد تمثل الشرك في المعرفة والإثبات في فلسفة الاستشفاء الشرقية في صورتين بارزتين، هما: تأليه الذات، والتنجيم.

(١) تأليه الذات

لم يكن الـ (طاو) ولا الطاقة الكونية وحدهما اللذان أُلبسا لبوس الربوبية، بل كان للنفس البشرية من ذلك نصيب. تعتمد الفلسفة الشرقية بفرعيها - الصيني والهندي - على أن الإنسان عبارة عن شرارة إلهية وجزء من الكل الإلهي، ولذلك فهو يمتلك قدرات إلهية مدفونة بداخله يمكنه تنميتها والرقي بها عن طريق

---

(١) راجع صـ: ٢٢٢ من هذا البحث.

(٢) وقد تورع كثير من السلف عن حكاية مذهب الحلولية وأهل وحدة الوجود لما فيهما من القبح ومخالفة الفطر السوية، فضلًا عن الكتاب والسنة. (انظر: الشريعة: ٢٥٥ - الآجري).

بعض التقنيات التي أحيتها حركة «العصر الجديد»(١). إن هذه القدرات المزعومة لا يحدُّها حد، ولدى جميع البشر القدرة على تحقيق الكمال الذي ليس فيه ضعف(٢)، وبهذا الكمال يصبح الإنسان ربًّا بيده الإسعاد والإشقاء والمرض والشفاء - بل والموت والحياة! فماذا - يا ترى - بقي للرب من خصائص الربوبية التي لا يشاركه فيها غيره؟

(٢) التنجيم

التنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، ويعتبر من السحر المحرم بالإجماع(٣). قال ﷺ: [**من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**](٤)، وقال **قتادة**(٥): «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه»(٦).

---

(١) البدع والروحانيات الجديدة: ٢٩ - روبير عيد اليسوعي (بتصرف).

(٢) انظر: المرجع السابق: ٤٠.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى: ٥/ ٥٣٦ - ابن تيمية، ومجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٩٧ - نفس المؤلف

(٤) أخرجه أبو داود ٤/ ١٥ برقم: ٣٩٠٥، كتاب: الكهانة والتطير، باب: في النجوم، وابن ماجة ٢/ ٢٨ برقم: ٣٧٢٦، كتاب: الأدب، باب: تعلم النجوم. وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٠٧٤.

(٥) قتادة: هو قتادة بن دعامة السدوسي أحد علماء التابعين ولد عام ٦٠ هـ. حافظ عصره، وقدوة المفسرين والمحدثين، يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال عنه الإمام أحمد: هو أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئًا إلا حفظه. روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه. توفي عام ١١٧ هـ. انظر:
سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٦٩ برقم: ١٣٢ - الذهبي، والبداية والنهاية: ٧/ ٢٩ - ابن كثير

(٦) ذكره البخاري في صحيحة ٣/ ١١٦٨ معلقًا بصيغة الجزم.
وانظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٦٨ - ابن تيمية.
وقد استُنبطت هذه الحِكَم من القرآن الكريم:

- في كونها زينة ورجوما للشياطين: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٧]، وغيرها من الآيات.
- وفي كونها علامات: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

تنقسم علوم النجوم إلى ثلاثة أقسام[١]:

١- **قسم حسابي**: كعمل التقاويم، ومعرفة التواريخ، وما شابه ذلك.

٢- **قسم طبيعي**: وهو الاستدلال بانتقال الشمس بين الأبراج الفلكية على دخول الأبراج. أو الاهتداء بها ومعرفة أسمائها ومعرفة مواقيت الصلاة بظهورها وأفولها.

وهذان القسمان هما ما يسمى بعلم التسيير، قال **البغوي**[٢] رحمه الله: «فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم، الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نُهي عنه»[٣]. وقال **ابن رجب**[٤]: «وأما علم التسيير، فتعلم ما يحتاج إليه من الاهتداء، ومعرفة القبلة، والطرق جائز عند الجمهور»[٥].

٣- **قسم وهمي خرافي**: وهو اعتقاد أن النجوم والأجرام السماوية مؤثرة تأثيرًا مباشرًا على العالم السفلي. وهو - أيضًا - ينقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد: (٤٤١ - ٤٤٩) - سليمان بن عبدالله، وكشف الظنون: ٢/ ١٩٣٠ - حاجي خليفة.

(٢) **البغوي**: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، والبغوي نسبة إلى بلدة بخراسان. له مصنفات كثيرة من أشهرها: معالم التنزيل في التفسير، قال عنه الذهبي: "كان على منهاج السلف حالًا وعقدًا وله القدم الراسخة في التفسير، والباع المديد في الفقه". توفي رحمه الله في خراسان عام ٥١٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٣٩ - الذهبي، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٥٧ - نفس المؤلف.

(٣) شرح السنة: ٦/ ٢٧٧ - البغوي.

(٤) **ابن رجب**: هو الحافظ الفقيه المحدّث المؤرخ الواعظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، نزيل دمشق. ولد في بغداد سنة ٧٣٦ هـ، ولازم ابن القيم رحمه الله إلى أن توفي. له مؤلفات عديدة منها: جامع العلوم والحكم، وأهوال يوم القيامة. توفي في رمضان سنة ٧٩٥ هـ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق. انظر:
طبقات الحفاظ: ١/ ٥٤٠ - السيوطي، وطبقات الحفاظ (ضمن تذكرة الحفاظ): ٥/ ١٨٠ - محمد بن فهد المكي، والأعلام: ٣/ ٢٩٥ - الزركلي.

(٥) تيسير العزيز الحميد: (٤٤٨ - ٤٤٩) - سليمان بن عبدالله، وفيض القدير: ٣/ ٢٥٦ - المناوي

أ- اعتقاد أن النجوم والكواكب مدبرة فاعلة مختارة بذاتها، وهو كفر بإجماع المسلمين.

ب- الاعتقاد بأن الخالق المدبر هو الله تعالى، ولكنه جعل مسير الكواكب دلائل على الحوادث قبل حدوثها أو أسبابا لها ولا ريب في تحريم ذلك، قال **شيخ الإسلام**: «صناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة - بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل»(١). واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، فرجح الشيخ **سليمان بن عبدالله**(٢) القول بكفره قائلا: «وينبغي أن يُقطع بكفره، لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه بما لا يدل على ذلك»(٣). وهذا القسم هو المسمى علم التأثير.

وسبق معنا في الباب الأول(٤) العلاقة الوثيقة بين الفلسفة الشرقية والكواكب، كما ظهر ذلك جليا عند استعراض تطبيقاتها. وعلم النجوم المتعلق بالفلسفة الشرقية هو علم التأثير، وفيه مخالفة لتوحيد الربوبية من جانبين:

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٩٢ - ابن تيمية.

(٢) سليمان بن عبدالله: هو الشيخ الفقيه المحدث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. ولد في الدرعية عام ١٢٠٠ هـ وقد توجه إلى العلم مبكرًا وتفوق فيه. من أشهر مشايخه الشيخ حسين بن غنام والشوكاني. له عدة مؤلفات، أشهرها: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. تكلم فيه الوشاة عند إبراهيم باشا فقتله ضربا بالرصاص حتى تمزق لحمه في عام ١٢٣٣ هـ وعمره ٣٣ سنة وليس له عقب. انظر:

علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٢/ (٣٤١ - ٣٤٩) - عبدالله البسام.

(٣) تيسير العزيز الحميد: ٤٤٢ - سليمان بن عبدالله.

(٤) راجع مثلًا صـ: ١٤٧.

١- اعتقاد تأثير النجوم في الحوادث الأرضية وأحوال الناس، فهي تؤثر في الصحة والسعادة والثروة. ولقد وردت الأدلة على بطلان هذا التأثير(١) كقول النبي ﷺ: [**إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس**](٢). وقوله: [**من اقتبس علمًا من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**](٣).

٢- أن الذي ينظر في النجوم (الكاهن أو المنجم) يزعم أنه يعلم بتحركاتها ما يمكن أن يحدث في المستقبل، وفي هذا ادعاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

وعلى هذا تكون المخالفة في جانب التصرف في الكون من جهة، وفي ادعاء علم الغيب من الجهة الأخرى.

ومن المخالفات اللطيفة في باب الربوبية، والتي قد لا ينتبه إليها كل أحد، أن

---

(١) وهذا لا يدخل فيه التأثير الطبيعي الثابت بالحس، كتأثير الشمس في الحرارة واليبوسة، وأثرها في النباتات وأبدان الحيوانات وكذلك ما ينسب من تأثير جاذبية القمر على قضية المد والجزر (إن ثبت)، ومع ذلك فيقال: إنها جزء من السبب المؤثر وليست كله لوجود العوامل الأخرى المؤثرة والموانع من التأثير. أما المنفي فهو تأثيرها في السعادة والتعاسة والصحة والتوفيق وهذا يختلف عن ذاك، فالأول تأثيره عام أما الثاني فتأثيره مخصوص بلا مخصص.
انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/ (١٦٠ - ١٦٦) - ابن القيم.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٣٥٦ برقم: ١٠٠٠، كتاب: الكسوف، باب: هل يقول كسفت الشمس أو خسفت. ومسلم (واللفظ له) ٢/ ٦٢٨ برقم: ٩١١، كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء لصلاة الكسوف بالصلاة جامعة.
وفي الحديث ذكر أن كسوف الشمس ليس دليلًا على موت عظيم كما كان يُظن، وهذا - في الغالب - لا يكون من باب كون الشمس هي التي أماتته أو حتى أنها سبب في موته وإنما على أنها دليل وقرينة تدل على الموت، ومع ذلك أبطلها رسول الله ﷺ ونفى أي نوع من أنواع الاقتران بين الحادثين. وهذا واضح في إبطال ما هو أشد منه، فنفيه ﷺ لكونه دليلا أو قرينة، يستلزم - بلا شك - نفي السببية ومن باب أولى نفي الفعل.

(٣) سبق تخريجه في صـ: ٤٦٣.

كل ما ورد في الفلسفة الشرقية حول النشأة الكونية وانبثاق الواحد من الفوضى والاثنين من الواحد والعناصر الخمسة ودورها في تطور الوجود، كل هذه الأمور من الغيب الذي يعد علمه من خصائص الرب، لا يشاركه في الاطلاع عليها أحد من البشر، إذ لا وسيلة إلا التوصل إلى شيء من ذلك بالحس ولا بالعقل، ولم يبق إلى معرفته سبيل إلا عن طريق الخبر الصادق أو الوحي. ومما هو معلوم أن هذه الفلسفات والفرضيات لم تكن مما استفيد من مصادر الوحي، وإنما هي من مصادر أخرى. ولذلك كان في الاعتقاد بها على سبيل الجزم ادعاء شيء من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ومنازعته فيما اختص به من الربوبية والصفات.

المطلب الثاني: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية لتوحيد القصد والطلب

توحيد القصد والطلب هو توحيد الإلوهية: وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، فلا يجوز صرف شيء منها لغيره[1]، وحقيقته «أن نعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتَّقى إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق»[2]، وهذا النوع من أنواع التوحيد هو المقصود بكلمة الشهادة: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[3]. والشرك فيه هو: «أن يُجعل لله ندًا - أي مِثلًا - في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته. فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة»[4]. وقد ضلَّ في هذا الباب خلقٌ كثير، فأشركوا مع الله شركاء في العبادة مع إقرارهم بانفراده في الخلق والتدبير، وهو تناقض ظاهر، حتى

---

(١) انظر: تجريد التوحيد: ٩ - المقريزي، واقتضاء الصراط المستقيم: ٢: ٧٠٣ - ابن تيمية.

(٢) منهاج السنة النبوية: ٣/ ٢٠٦ - ابن تيمية.

(٣) الأنبياء: ٢٥.

(٤) مجموع الفتاوى: ١/ ٩١ - ابن تيمية.

قيل إن توحيد القصد والطلب هو من لوازم توحيد المعرفة والإثبات. ولذلك فإن مَن أخلَّ في إثبات الربوبية كان إخلاله في الإلوهية أولى، إذ كيف يُفرد الله تعالى بالعبادة وهو لم يفرده ﷻ بالخلق ولا الملك ولا التدبير؟

إن تأليه الذات المتقرر في الفلسفة الشرقية ووضعها في مصاف الربوبية مفضٍ - بلا شك - إلى تعطيل لوازم الألوهية، وفيه تعزيز للاستغناء الذاتي المنافي لافتقار العبد وذلِّ العبودية. ولذلك نجد اهتمام الواحد منهم منصبًا على استخراج ذاته الإلهية المدفونة، وتحريرها من رق المادية، فتغيب عنه معاني العبودية شيئًا فشيئا، بدءًا بالأعمال القلبية كالخوف والرجاء والمحبة والاستعانة والاستغاثة والتوكل، إلى أن تنتهي بالتحرر من جميع قيود التعبد العملية عندما يتوصل السالك إلى المراحل المتقدمة من الوعي بالواقع ويدرك أنه هو والمعبود شيئًا واحدًا، حيث لا يبقى للعبادة - عنده - معنى.

وهذا يتضح جليًا في قضية الاستشفاء، حيث أن المرض من المواطن التي تُسفِر عن حقيقة الضعف البشري، فيتقرب العبد من ربه، ويُظهر له ذله وفقره، وحاجته إليه وعجزه. وهكذا كان حال أنبياء الله عليهم السلام، فقد قال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1] ونادى أيوب ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[2]. وهكذا ينبغي أن يكون أتباع الأنبياء، يلجأ أحدهم إلى ربه بأنواع القربات والعبادة طلبًا للشفاء، فيرجو ويستغيث ويدعو ويتصدق، ويبذل ما شرعه الله تعالى من الأسباب. ولكن الانحراف العقدي الذي أفرزته الفلسفة الشرقية للاستشفاء يحيد بأصحابها عن هذا المنهج النبوي السليم إلى تعظيم النفس والتعلق بالقدرات البشرية الخارقة والأسباب الوهمية المضلة، فيغفل الإنسان عن التعلق بربه ويصرف التوكل والاستعانة إلى نفسه الضعيفة التي بين جنبيه!

---

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) ص: ٤١.

إن هذا التأليه للنفس البشرية هو مكمن الداء، وهو الخلل المُتَجذِّر الذي تفرعت عنه مخالفات عقدية متعددة في هذا الباب، ولكننا نرجئ الحديث عنها إلى محلها في المبحث الثالث من هذا الفصل بإذن الله.

المبحث الثاني

مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية لبقية أركان الإيمان

المطلب الأول: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالملائكة

إن الركن الثاني من أركان الإيمان هو الإيمان بالملائكة، والملائكة هم خلق عظيم من خلق الله تبارك وتعالى ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١) ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾(٢). خلقهم الله تعالى من نور، بدليل قوله ﷺ: [خُلِقَت الملائكة من نور](٣)، لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وتزيد، ولا يحصي أعدادهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(٤). لهم ذوات حقيقية، فهم ليسوا قوى معنوية أو نفسية. ورغم مكانتهم العالية إلا أنهم لا يملكون من خصائص الربوبية ولا الإلوهية شيئًا. يشمل الإيمان بهم أربعة أمور:

١- الإيمان بوجودهم.

٢- الإيمان بمن عُلم اسمه منهم كجبريل عليه السلام، ومن لم يعلم اسمه فالإيمان بهم على وجه الإجمال. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(٥)

٣- الإيمان بما عُلم من صفاتهم، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) الأنبياء: ٢٠.

(٣) أخرجه: مسلم: ٤/ ٢٢٩٤، برقم: ٢٩٩٦، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة.

(٤) المدثر: ٣١.

(٥) البقرة: ٩٨.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾[1].

٤- الإيمان بما عُلم من أعمالهم، كما في قوله ﷻ: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2][3].

لم يرد في الديانات الشرقية - فيما اطلعت عليه - شيء يذكر عما يشبه الملائكة[4]، ولذلك فليس لديهم اعتقاد محدد يمكن مقابلته بالاعتقاد الإسلامي، إلا أن مبادئ الفلسفة الشرقية - عمومًا - تتناقض مع المعتقد الصحيح في الملائكة الكرام.

إن من مسلمات الفلسفة الشرقية وحدة مادة الكون، فكل ما في الوجود هو في الأصل طاقة، وتختلف الكائنات باختلاف كثافتها وتوازن العناصر الخمسة التي هي صور من تجلياتها. ولا شك أن في هذا القول تكذيب لما جاء في الحديث الصحيح من خلق الملائكة من نور، فهو ليس أحد العناصر الخمسة. ولو كان الأمر كما يقولون لما كان هناك مدعاة لذكر اختلاف أصول الإنس والجن والملائكة، فالكل أصله طاقة.

هذا، وإن من أبرز مبادئ الفلسفة الشرقية إنكار العالم الأخروي - وسيأتي بإذن الله ذكره - مما يتضمن تعطيل جميع ما ورد من أعمال الملائكة الأخروية والمتعلقة بها. فلا الكرام الكاتبون يكتبون، إذ ليست الحسنات والسيئات هي

---

(١) فاطر: ١.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٤٠٥ - ابن أبي العز، ومجموع الفتاوى: ٧/ ٣١٢ - ابن تيمية، وفتح الباري: ١/ ١٥٦ - ابن حجر، وشرح أصول الإيمان: (٢٥ - ٢٦) - ابن عثيمين.

(٤) وأقرب مفهوم للملائكة هو ما يسمونه الـ (ديفا) (Diva)، وهي الآلهة الصغيرة التي تكون في منزلة دون الإله الأكبر. وهذه الآلهة ليست منزهة عن المعاصي ولا تتميز بالعبادة عن غيرها، وهي - كغيرها من الموجودات - تجليات للحقيقة المطلقة، كما أنها داخلة ضمن دائرة التناسخ.

مقياس الفلاح، ولا ملك الموت يقبض الأرواح فهي تجول من جسد إلى آخر، ولا عمل لخزنة الجنة ولا النار؛ إذ ليس لهما وجود حقيقي. بل ليس ثمة حاجة إلى جبريل أمين الوحي، فإن السالك يتصل بـ «الله» مباشرة من دون وسيط تنتقل من خلاله الأخبار.

وكما سبق، فإن في عقيدة وحدة الوجود جحود لتباين المخلوقات وتمايزها عن بعضها البعض، فكلها في الحقيقة شيء واحد وما الملائكة والشياطين - في اعتقادهم - سوى وجهين لعملة واحدة.

المطلب الثاني: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالكتب

الركن الثالث من أركان الإيمان هو الإيمان بالكتب. والكتب هي تلك التي أنزلها الله ﷻ على رسله عليهم صلوات الله وسلامه لهداية البشر. ويتضمن الإيمان بها أربعة أمور:

١- الإيمان بأنها منزلة من الله على رسله.

٢- الإيمان بما سُميَّ منها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وما لم يُسمَّ يكون الإيمان به على وجه الإجمال.

٣- تصديق ما صح من أخبارها.

٤- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها. وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن، فلا يُعمل بشيء منها إلا بما أقره القرآن[1].

أما الفلسفة الشرقية فهي تعتمد على مصادرها الخاصة في الإخبار عن الحوادث والمغيبات، وهي - نفسها - الكتب المقدسة في الهندوسية والطاوية

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٤٢٥ - ابن أبي العز، ومجموع الفتاوى: ٧/ (٣١٢ - ٣١٣) - ابن تيمية، وفتح الباري: ١/ ١٥٦ - ابن حجر، وشرح أصول الإيمان: (٣٠ - ٣١) - ابن عثيمين.

والبوذية. فمن الـ فيدات والـ سوترات والـ (طاو طي جنغ) تُستقى المبادئ لا أقول الطبية فحسب - بل والعقدية كذلك، ففلسفة الاستشفاء الشرقية ليست مجرد تجارب بدائية في الطب الشعبي، إنما هي جزء من منظومة فلسفية متكاملة يُفسَّر من خلالها الكون والوجود. ومن أجل المكانة القدسية التي تحظى بها هذه النصوص في الشرق فإن ما يُذكر فيها يؤخذ على جهة القطع والتسليم، وهذا لا يُستنكر عندما يكون من أحد أبنائها الذين لم يعرفوا يومًا نور الإسلام ولا هَدي النبوة أو شفاء القرآن، ولكن العجب كل العجب أن ينهل من علومها[1] العكرة مَن بين يديه العذب الزلال، كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

إن هذه الكتب هي نتاج خوض أجيال من العقول البشرية فيما لا تُحسن، والتجارب الباطنية في العالم المجهول. وقد رأى النبي ﷺ مع **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه[2] كتابًا أصابه من أهل الكتاب فغضب ﷺ وقال: [**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو كان موسى صلى الله عليه وسلم حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**][3]. لقد جاء كلام المصطفى - عليه أفضل الصلاة والتسليم - معنفًا لعمر رضي الله عنه على البحث في كتب ذات أصول صحيحة، رخص النبي

---

(١) " ومن الكلام ما يسمى علمًا وهو جهل، مثل كثير من علوم الفلاسفة وأهل الكلام والأحاديث الموضوعة والتقليد الفاسد وأحكام النجوم ولهذا روى أن من العلم جهلًا ومن القول عيًا ومن البيان سحرًا".
الاستقامة: ٢/ ١٦٠ - ابن تيمية.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات وكان عند المبعث شديدًا على المسلمين ثم أسلم فكان إسلامه فتحًا لهم وفرجًا من الضيق. يضرب به المثل رضي الله عنه في العدل والزهد والورع. توفي عمر رضي الله عنه مقتولا عام ٢٤هـ وعمره ٦٣ سنة، طعنه أبولؤلؤة المجوسي وهو في صلاة الفجر، ودفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر.
انظر: الإصابة: ٤/ (٢٧٩ - ٢٨٠): ٥٧٣١ - ابن حجر، وأسد الغابة: ٤/ (١٤٤ - ١٨١): ٣٨٢٤ - ابن الأثير، الاستيعاب: (٤٧٣ - ٤٨٠): ١٦٩٧ - ابن عبدالبر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٣٨٧، برقم: ١٥١٩٥. وحسنه الألباني رحمه الله في إرواء الغليل: ١٥٨٩.

ﷺ في التحديث بما فيها من الأخبار فقال: [**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**][1]، وقال ﷺ: [**لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبُوهم**][2] فكان شرط التصديق بما جاء في كتب أهل الكتاب أن يكون موافقًا لما جاءت به الشريعة الإسلامية، ولكن هذه الرخصة لا يمكن تعميمها على جميع النصوص التي يُقدسها أهل الأرض من أتباع الديانات المختلفة، لا سيما كتب ملاحدة الشرق. فهي ليست من النصوص التي يُتوقف في صحتها كما هو الحال مع كتب أهل الكتاب - بل هي في الأصل باطلة لا يربطها بالكتب السماوية أدنى علاقة، فليس فيها ذكر لآدم أبي البشر وبداية حياته في الأرض، ولا فيها ذكر لإبليس ولا الملائكة، وليس فيها ذكر طرف من قصص الأنبياء، ولا شيء من أحوال القيامة أو الجنة أو النار[3]. والواقع أنها مليئة بالترانيم الوثنية وتعليمات تقديم القرابين للآلهة المتعددة، وفي النصوص المتأخرة نسبيًا تقرير لعقيدة الاتحاد ووحدة الوجود. ولذلك، فإن قياسها على كتب أهل الكتاب فاسد، دع تقبُّل ما فيها من المغيَّبات بالتسليم، بل حتى ولو كان ذلك متعارضًا مع ما جاء بالوحي الصحيح في بعض الأحيان[4]!

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري: ٣/ ١٢٧٥، برقم: ٣٢٧٤، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) أخرجه البخاري: ٢/ ٩٥٣، برقم: ٢٥٣٩، كتاب: الشهادات، باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة.

(٣) وهذا هو الحال في الأعم الأغلب وإن كان قد ورد أن في بعضها ما يشبه أقوال الرسل كما ذكره البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة حول كتاب باتنجال، أما الـ (طاو طي جنغ) والـ فيدات فليس فيها شيء من ذلك.

(٤) ومن أمثلة ذلك ما جاء في الـ (طاو طي جنغ) وغيره من المصادر الطاوية عن بدء تكوُّن السماوات والأرض، حيث ذُكر أن الوحدة الأولية انفصلت إلى قوتين هما: الـ (ين) والـ (يانغ)، الأنثى والذكر، فصعد الـ (يانغ) لتتكون منه السماء وهبطت الـ (ين) لتتكون منها الأرض. وهما - وفق هذه الفلسفة - ذكر وأنثى، بينما صرح القرآن الكريم بتأنيث السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ثم إن العناصر الخمسة تشكلت - حسب فلسفتهم - من الـ (ين يانغ)، وأول تجسد للـ (ين يانغ) كان في السماء والأرض،

لقد تقرر عند أهل الإسلام أن ما غاب عن المشاهدة والحس فهو من أمور الغيب[١]، ومن الأمور الغيبية ما لا يمكن معرفته إلا من خلال مصادره الصحيحة، وما عداها فهو من الطرق الباطلة وتعدٍّ على خصائص الرب ﷻ. ولا شك أن ما يتعلق بمنشأ الكون ومبدأه هو من علوم الغيب الماضية[٢]، إذ لا يمكن لأحد من البشر التوصل إلى معرفة تفاصيله بالحس أو العقل، ورغم ذلك فإن الفلسفة الشرقية تتناول هذا الأمر في نصوصها بشكل متكرر، ويتقبله منهم بعض أبناء هذا الدين، وقد لا يُدرك الواحد منهم أن مبدأ الـ (طاو) أو الـ (ين يانغ) أو العناصر الخمسة ذات تعلق بأمور غيبية ليس لها مُستند إلا في كتاب الـ (طاو طي جنغ) أو نصوص الـ ڤيدات[٣]، أو قد يكون ممن تقبل تلك المصادر كمصادر معتمدة!

وقد نص القرآن الكريم على أن الماء - الذي هو أحد العناصر الخمسة - كان موجودًا قبل السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. فما الذي سيُقدَّم منهما؟ كتاب الله ﷻ أم ما جاء في كتب الشرق؟ إن هاتين المسألتين وأمثالهما لا تمثلان الخلاف المتأصل بين ديننا والفلسفة الشرقية، وليسا سوى مثالين يسيرين على الخلافات الفرعية. إن المشكلة الرئيسة هي في التسليم لما في هذه الكتب، وتقديمه في كثير من الأحيان على ما جاء به الشرع، أو لي أعناق النصوص الشرعية لتتوافق مع ما جاء في النصوص الشرقية.

(١) انظر: جامع البيان: ١/ ١٣٤ - الطبري، وتيسير الكريم الرحمن: ١/ ٤١ - ابن سعدي، ومختار الصحاح: ٢٠٣ - الرازي.

(٢) انظر: مناهل العرفان: ٢/ (٢٥٨ - ٢٥٩) - الزرقاني.

(٣) ولا يمكن أن يجادل في هذا منصف، ولا حجة لمن قال هي مما يوافق الشرع أو العلوم التجريبية، وإلا فليأت بنص من الكتاب أو السنة تُذكر فيه الـ (شاكرات) أو الـ (كوندليني)، وليأت بما يثبت أن هذه المصطلحات هي من مصطلحات العلم التجريبي الحديث. فهو - قطعًا - لن يجد ما يحيل إليه سوى الـ (يوغا سوترا) أو كتاب (شوانغ تزي) وما شابههما. أما ما يذكره أنصار الفلسفة الشرقية من أن هذه الفلسفات تتوافق مع ما جاء به الشرع أو ما ثبت في العلم التجريبي فإن هذا - إن سلمنا به جدلًا - لا يجعلها مصادر لهذه الفلسفات، وإنما هي كالأمور التي يستأنس بها أنصار الفلسفة الشرقية ويقوون بها حججهم، كما يفعله بعض الباحثون في الإعجاز العلمي للقرآن!

المطلب الثالث: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالرسل

الركن الرابع من أركان الإيمان هو الإيمان بالرسل. والرسول: هو رجل أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه[١] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾[٢]. أولهم **نوح** عليه السلام وآخرهم **محمد** ﷺ. وهم بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الإلوهية شيء، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٣]، وقد تجلّت هذه العبودية الخالصة فيما ذكره الله سبحانه وتعالى من قول خليل الرحمن **إبراهيم** عليه السلام في وصف ربه جل جلاله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[٤]. وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى جميع الأمم، فقال جل من قائل: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[٥]، وختم الرسالة بمحمد ﷺ، وجعلها عامة لجميع الأمم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٦]. والرسالة اصطفاء واختيار، لا تُنال بكسب ولا باجتهاد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٧].

يشمل الإيمان بالرسل أربعة أمور:

١- الإيمان برسالات أنبياء الله جميعًا.

٢- الإيمان بجميع الرسل الذين قصهم القرآن، ومن لم يقصصه يكون

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ١٥٥ - ابن أبي العز، وفتح الباري: ١١/ ١٣٥ - ابن حجر.

(٢) يوسف: ١٠٩.

(٣) الأعراف: ١٨٨.

(٤) الشعراء: ٧٨ - ٨٠.

(٥) فاطر: ٢٤.

(٦) سبأ: ٢٨.

(٧) آل عمران: ٣٣.

الإيمان بهم على وجه الإجمال، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾(١).

٣- الإيمان بما صح عنهم من الأخبار.

٤- العمل بشريعة من أُرسل إلى هذه الأمة، وهو **محمد** ﷺ(٢).

إن منزلة الرسل في الأديان عالية، ومكانتهم عند أتباعهم رفيعة، فهم نقَلة الوحي ومبلغو الرسالة، ولا يمكن نيل رضى الرب ﷻ إلا باتِّباع نهجهم واقتفاء خطاهم. ولما كان الأنبياء معصومون فيما يخص الرسالة، كانت لهم الطاعة المطلقة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(٣)، وليس لأحد سواهم من البشر طاعة - إلا مقيدة بطاعة الله. ولا يمكن معرفة شيء من الأمور الغيبية إلا من خلالهم وما أطلعهم الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾(٤). غير أن هذه الخصوصية التي منحها الله ﷻ للرسل والأنبياء تبطلها الفلسفة الشرقية من أصولها.

إن المعرفة عند فلاسفة الشرق لا يمكن أن تُدرك بالتعلُّم، وإنما تتأتى بالاختبار والتجربة، وهي متاحة لكل أحد. ولذلك فإنه ليس للرسل ميزة على غيرهم ولا خصيصة إذ أنه من الممكن للجميع الحصول على ما يحصل عليه النبي - بل أكثر. فالنبي يُخبر عن الإله، والسالك يتحد به فيصبح هو والإله شيئًا واحدًا! وقد كفَّر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله قائل ذلك فقال: (إن من يدعي

---

(١) غافر: ٧٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٧/ ٣١٣ - ابن تيمية، وفتح الباري: ١/ ١٥٧ - ابن حجر، وشرح أصول الإيمان: (٣٢ - ٣٥) - ابن عثيمين.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الجن: ٢٦ - ٢٧.

أن لأحد طريقًا إلى الله تعالى لا يحتاج فيها إلى محمد ﷺ فهو كافر ملحد)[١].

وقد تشابهت نظرة فلاسفة الشرق لآيات الأنبياء (المعجزات) مع النظرة السائدة عند كثير من الفرق الباطنية[٢]، فالمعجزات النبوية تُعتبر - في رأيهم - نتيجة حتمية للاتصال بالنفس الكلية أو الطاقة الكونية أو أي من التسميات المختلفة الدالة على ذلك المعنى الموحد. وهذا الاعتقاد ظاهر عند كثير من رواد الفلسفة الشرقية في العصر الحديث كسوامي **فشنو ديفانندا**[٣] **وميكاو يوسوي**[٤].

لقد عُرِّفت المعجزة عند أهل السنة بأنها: «أمر خارق للعادة[٥] مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»[٦]، ولكن لما فسرت تلك الآيات بأنها نتيجة الاتصال بالطاقة الكونية، لم تعد حكرًا على الأنبياء، ولا كانت دليلًا على صدقهم، بل قد يحاكيها كل من يتقن الاتصال بطاقة الكون! وبذلك تُسلب المعجزات كل ما يميزها عن غيرها من أفعال البشر فلا تبقى سالمة من المعارضة، ومن ثم لا تقوم بها الحجة، ويُبطَل أحد دلائل النبوة[٧]. وقد قالت بعض الفرق القديمة بهذا القول حتى جوزوا محاكاة معراج **محمد** ﷺ وفرق البحر **لموسى** عليه السلام[٨]. ولا شك أن مثل هذا القول يخالف ما يشهد

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ١٩٥ - ابن تيمية (بتصرف يسير).

(٢) انظر: فضائح الباطنية: ٤٦ - أبو حامد الغزالي.

(٣) راجع صـ: ٣٧٠ من هذا البحث.

(٤) راجع صـ: ٢٩٨ من هذا البحث.

(٥) إن مسمى "خرق العادة" لا يسلم من اعتراض، فإن ما يكون خارقًا عند بعض الناس قد يكون معتادًا عند بعضهم الآخر، وما يأتي به الساحر - مثلًا - مما يسمى خرقًا للعادة هو من عادة أبناء جنسه من السحرة والمشعوذين (انظر: النبوات: ٣٣٤ - شيخ الإسلام ابن تيمية). ولكن قد يقال: إن المقصود ما كان خارقًا لعادة عوام البشر دون إعانة أو استعانة علوية أو سفلية.

(٦) أعلام السنة المنشورة: ٩٢ - حافظ الحكمي، وانظر: مجموع الفتاوى: ١١/٣١١ - ابن تيمية، والنبوات: ١٥ - المؤلف نفسه.

(٧) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية: ١٣٧ - شيخ الإسلام ابن تيمية.
وقد أشار شيخ الإسلام إلى أن المعجزات هي من دلائل النبوة، ولكنها ليست وحدها كذلك.

(٨) انظر: النبوات: (١٧ - ١٨) - شيخ الإسلام ابن تيمية.

عليه الواقع وما جاء به الشرع، حيث تقرر أن المعجزة هي خارقة للسببية المطردة، وهي تتجاوز قدرات وإمكانيات المخاطبين من إنس أو جن. ولذلك، فإنه - وإن وجد ما يمكن أن يشبه المعجزة في الظاهر - لا يمكن أن يوجد ما يماثلها في الحقيقة، وقد ظهر هذا المعنى في قصة تحدي سحرة فرعون **لموسى** عليه السلام، فإن سحرهم لم يتعد ما هو مقدور للإنس أو الجن، ولذلك آمن حذاق السحرة لما رأوا آية **موسى** عليه السلام وعلموا - مما يعلمونه من السحر - أنها ليست من جنس ما يعملون[1].

إن القول بإمكانية محاكاة معجزات الأنبياء ناتج عن الاعتقاد بالقدرات البشرية غير المحدودة، ولا عجب، فإن نظرة الفلسفة الشرقية للإنسان هي نظرة تأليه، وبذلك تكون محاكاة الأنبياء - بل وتجاوزهم - أمر متاح للسالك المجتهد.

بقي أن يقال إن «الاستنارة» في الفلسفة الشرقية هي نظير العصمة، وقد تتعداها إلى التأليه، حيث إن المستنير قد اتحد بالكلي وأصبحا شيئًا واحدًا[2]. وهذا الاتحاد المزعوم قد أضفى عليهم شيئًا من القدسية ومُنحوا الطاعة المطلقة، حتى جُعلوا في مصاف الأنبياء. إن تعاليم **لاو تزي** و**بوذا** تنقض أساسيات الديانات السماوية كبقايا التوحيد أو الإشارة إلى البعث أو اليوم الآخر مع ما فيها من الإلحاد وإنكار الخالق، ولم يرد فيما دُوِّن مِن سيرهم أن أحدًا منهم ادعى النبوة أو حتى أشار إليها من قريب أو بعيد. ورغم كل ذلك، نجد من أبناء المسلمين من يشير إلى احتمالية كونهم من الأنبياء الذين لم يقصصهم الله تعالى في القرآن[3]، أما الذين لا ينتمون إلى هذا الدين فإن قال **بوذا** وقال **لاو تزي** عندهم كقال الله وقال رسوله عند المسلمين.

---

(١) انظر: المرجع السابق: (٢٠ - ٢١، ٣٢).

(٢) إن هذه النظرة للعالم المستنير أشكلت على البسطاء من أتباع الفلسفة الشرقية، فلم يكن منهم إلا أن عبدوا بوذا ولاوتزي على الطريقة الوثنية الساذجة.

(٣) هذا مع أن علامات الرسل جلية وأبرزها منابذة الشرك والدعوة إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، أما الدعوة إلى الأخلاق الحميدة والسلوك القويم فليس فيه دلالة على النبوة، فهي من المشتركات البشرية التي فُطر الناس عليها ويبقى الداعي إليها على أصل البراءة فلا يقال هو نبي.

المطلب الرابع: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء، ويتضمن الإيمان به ثلاثة أمور:

١- الإيمان بالبعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(١).

٢- الإيمان بالحساب والجزاء بعد البعث، قال جل من قائل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٢).

٣- الإيمان بالجنة والنار، قال الله تعالى مخبرا عنهما: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٣)(٤).

«ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت»(٥) من عذاب القبر وفتنته ونعيمه. وقد أجمع المسلمون على أن من كذّب بالبعث كفر، قال تعالى في منكري البعث: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٦).

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) هود: ١٠٦ - ١٠٨.

(٤) شرح أصول الإيمان: (٣٧ - ٤٠) - ابن عثيمين (مختصرا)، وانظر: مجموع الفتاوى: ٧/ ١١٣ - ابن تيمية، وفتح الباري: ١/ ١٥٧ - ابن حجر.

(٥) العقيدة الواسطية: ٥١ - ابن تيمية.

(٦) الرعد: ٥.

لقد كانت مخالفة الفلسفة الشرقية لهذا الأصل العظيم من أصول الإيمان مخالفة جذرية ومتأصلة، حيث تتنافى هذه الفلسفة مع أبسط مبادئ الإيمان باليوم الآخر. فاليوم الآخر يبدأ بالقيامة الصغرى وهي موت الإنسان ومفارقة روحه لجسده، ومن ثم ما يواجهه من فتنة القبر وما يليها من عذاب أو نعيم، وانتهاء ببعث الأجساد والأرواح يوم القيامة للحساب والجزاء بدخول الجنة أو النار، والفلسفة الشرقية تتعارض مع جميع تلك المراحل الأخروية بلا استثناء.

يعد الموت - في اعتقاد المسلم - هو انتهاء مرحلة العمل وانتقال إلى مرحلة الحساب والجزاء، وهذه الحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة - التي لا تتكرر - لتحقيق الخلاص الأخروي وتقديم العمل المنجي من العذاب. إن هذا الشعور بمحدودية الزمان هو من أهم المحفزات على العمل الصالح واغتنام العمر قبل فوات الأوان. وفي المقابل، نجد أن الفلسفة الشرقية تحيد عن هذا المبدأ الهام، وتخبر بما يناقضه تمامًا، فالحياة لا تنتهي بالممات، والفرص في تحقيق الخلاص تمتد إلى ما لا نهاية، حيث تتجول الروح بين الأجساد في دورة تناسخية مستمرة، متيحة الفرصة بعد الفرصة للتوصل إلى النجاة[1].

أما عن وسائل تحقيق النجاة في الفلسفة الشرقية، فليس لها تعلق بالعمل الصالح أو الاعتقاد الصحيح وإنما تتحقق بـ «عدم العمل» المفضي إلى عدم الجزاء، وانعدام الرغبات[2] المؤدي إلى التخلص من تكرار الولادات. ولذلك فإن مسألة

---

(١) " القول بانتقال الروح من جسم إلى آخر هو قول أهل التناسخ، وهم من أكفر الناس، وقولهم هذا من أبطل الباطل" (فتاوى اللجنة الدائمة: ٢/ (٢٠٨ - ٢٠٩) - جمع: أحمد الدويش)

(٢) كثيرًا ما يعتمد الشارع على تعزيز الفطر والغرائز الطبيعية التي جُبل عليها الإنسان في عملية تقويم السلوك الإنساني. ولذلك كان للترغيب والترهيب دور أساسي في الدعوة إلى الله والدار الآخرة، ولم يعب الله ﷻ على أنبيائه - وأفضل خلقه - رغبهم ورهبهم في دعائهم وتعبدهم فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الذنْب محجّمة إلى حد كبير، إذ لا وجود لإله يُرجع إليه للحساب، والإنسان وحده يدفع ثمن أخطائه من خلال الـ (كارما)[1] الشخصية، فلا محفِّز على الطاعة أو العمل الصالح لأنها - من وجهة نظر فلاسفة الشرق - لا تختلف كثيرًا عن العمل السيئ، وكلاهما مفض إلى تكرار الولادات وجولان الروح. وبالجملة، فإن العقيدة لا تشكل أهمية كبرى في الخلاص الأبدي، ولا يترتب عليها جزاء، بينما تشكل العقيدة الصحيحة شرطًا للنجاة في الدين الإسلامي الحنيف.

لا تقتصر مخالفة الفلسفة الشرقية للعقيدة الإسلامية في مبدأ الحياة والموت أو الوسائل الموصلة إلى الخلاص فحسب، بل تمتد إلى حقيقة ذلك الخلاص وطبيعته. إن الخلاص الذي يسعى لتحقيقه فلاسفة الشرق ليس هو الجنة التي يرجوها المسلمون ويعملون من أجلها ولا هو رضا الله الذي يرتجي به المؤمن ثوابه، وإنما هو مرحلة من «الوعي المتقدم» يدرك فيه الإنسان «حقيقته الإلهية» الموهومة، فيتحد بالمطلق أو «الإله» - أو بتعبير أدق - يُدرك أنه هو والإله واحد. لا وجود للجنة ولا النار الحقيقيتين في الفلسفة الشرقية، وإنما هو تعذيب بجولان الروح وخلاص بانقطاعه وهو ما يُعبَّر عنه بالـ (نيرفانا) عند أصحاب **بوذا** أو الـ (موكشا) عند الهندوس أو الاتحاد بالـ (طاو)[2]. ولا شك أن حمل هذه المصطلحات الفلسفية على المفاهيم الإسلامية - كأن يقال المقصود بها الجنة - أمر في غاية الخطورة، فهو يشبه فعل الباطنية في تأويلهم للأخبار الغيبية[3]، وقد يفضي

---

(١) انظر: البدع والروحانيات الجديدة: ٤١ - روبير عيد اليسوعي

Essential Reiki: 130 - Diane Stein

Transcendental Meditation: Is It Only Meditation ?: 9 - Harold J. Berry

(٢) أما في التطبيقات المعاصرة للفلسفة الشرقية فإنها تحمل اسم الفلسفة الأكثر تأثيرًا بها أحيانًا، وأحيانًا أخرى يستحدث لها أسماء مختلفة، فمثلًا: في الـ (ماكروبايوتِك) تسمى (نيرڤانا) لتأثره بالبوذية، وفي الـ (يوغا) (سمادهي) أو (موكشا) تبعًا للهندوسية.

(٣) الذي عليه أهل السنة فيما ورد من وصف الجنة أنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، وهذا يعني نفي التماثل بين ما نراه في الدنيا وما وعد الله به المؤمنين في الآخرة وإن كانت موافقة لها في مسميات الحقائق. (انظر: التدمرية: ٤٧ - ابن تيمية).

إلى ما تبعه من تأويل الأوامر والنواهي ومن ثم الانسلاخ من الشرع كليًا.

إن السعادة الأبدية في العقيدة الإسلامية مشروطة بالاعتقاد الصحيح المقترن بانضباط السلوك، وهو ما ذكره القرآن بمسمى الإيمان والعمل الصالح. أما السعادة الدنيوية الحقيقية فهي مرهونة بالتوحيد والعبادة، وهي تختلف عن الفرح المؤقت أو السرور العابر، بل إن الإنسان قد يكون سعيدًا رغم عدم وجود شيء من مقومات السعادة المعتادة لما يجده من اكتمال مقوماتها الداخلية، وقد مثَّل **شيخ الإسلام** ابن تيمية رحمه الله ذلك السموّ في مقولته الشهيرة: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري. إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة)[1]. ومع عناية الشارع بتحصيل أسباب السعادة الحقيقية - الموصلة إلى السعادة الأبدية - إلا أنه لا يمنع من اتخاذ وسائل تحقيق السعادة الدنيوية - بل يحث عليها - ما لم يكن فيها تعارض مع الشرع أو مخالفة للمفهوم الحقيقي للسعادة.

وفي المقابل، لا يشترط لتحصيل «السعادة الأبدية» في الفلسفة الشرقية توحيد ولا عبادة، وتحقيقها يكون من خلال ممارسة بعض السلوكيات والرياضات الموصلة - بزعمهم - إلى الاتحاد بالكلي، وهناك تكمن السعادة المطلقة وكل سعادة سواها فهي وهم! ولذلك، فليس ثمة رابط بين السعادة والطاعة ولا بين التعاسة والمعصية، بل كل ذلك منوط بالـ أنا الوهمية التي يرون لزوم تحطيمها.

---

(١) الوابل الصيب: ١/ ٦٩ - ابن القيم.

المطلب الخامس: مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية للإيمان بالقدر خيره وشره

الركن السادس والأخير من أركان الإيمان هو الإيمان بالقدر خيره وشره. والقدر هو: هو تقدير الله لمقادير الخلائق منذ الأزل، وعلمه بأوقات حدوثها، وكتابته ﷻ لذلك كله، ومشيئته لحدوثه، ووقوعه كما قدَّر[١]. ويتضمن الإيمان بالقدر أربع مراتب:

١- **العلم**: أي علم الله تعالى بما سيكون وما الخلق عاملون.

٢- **الكتابة**: وتعني كتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ. ومما يدل على هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

٣- **المشيئة**: أن كل ما يكون في الكون لا يكون إلا بمشيئته ﷻ، ودليلها قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٣].

٤- **الخلق**: فالله خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال عباده[٤]، وقد ثبت خلق الله تعالى للأعيان والأفعال في أدلة متعددة، عقلية ونقلية، منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦] وفيها تصريح بأن الأعمال هي من

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية: (٦١ – ٦٦) – ابن تيمية، وشفاء العليل: ٢٩ – ابن القيم.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) انظر: العقيدة الواسطية: (٦١ – ٦٦) – ابن تيمية، وشفاء العليل: ٢٩ – ابن القيم، وشرح السنة: ١/ (١٤٠ – ١٤١) – البغوي، وجامع العلوم والحكم: ١/ ١٠٣ – ابن رجب.

(٥) غافر: ٦٢.

(٦) الصافات: ٩٦.

خلق الله تبارك وتعالى، والأدلة على ذلك كثيرة، لا يتسع المقام لذكرها[١].

فأهل السنة يقرّون بأن كل ما يحدث في هذا الكون فهو بعلم الله وكتابته وإرادته وخلقه، وليس شيئًا مما يكون هو من خلق البشر وإن كانوا فاعلين حقيقة[٢]، وقد حكموا على من أنكر علم الله بالمقادير بالكفر، ومن ادعى بأن العبد يخلق فعله بالبدعة والضلال[٣].

يعيش المؤمن مطمئنًا في هذه الحياة الدنيا، يستحضر قول النبي ﷺ: [**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**][٤] كلَّ ما أصابه شيء من البلاء أو المرض، ويعلم أنه بتقدير الله ﷻ فيرضى ويطمئن. أما في فلسفة الشرق فإن ما يصيب الإنسان من الأسقام والأوجاع فهو نتيجة لـ (كارما) الإنسان وما اقترفه في حيواته السابقة. إن هذه النظرة الجائرة للأسباب الكامنة وراء البلاء هي مما عزز الطبقية المقيتة في المجتمع الهندوسي، فالفقير والمريض والمعاق والوضيع كل منهم مستحق لما يصيبه جان على نفسه مطلقا، بينما الغني الصحيح صاحب الجاه قد ترقّى في دورة التناسخ بفعل يده. ولذلك، فإن هذا الاعتقاد يصيب المريض بالهم والغم، حيث يُعاقب على ذنب قد لا يعرفه ولا يذكره ولا سبيل إلى التوبة منه. ولا يصح حمل هذه النظرة المجحفة على ما ورد في الشرع من كون المصائب تصيب العبد بذنبه كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٥] أو قوله

(١) راجع: الاعتقاد: (١٦٠ - ١٦٥) - البيهقي، والشريعة: (١٧٨ - ١٨٠) - الآجري، والسنة: (٥٢٩ - ٥٣٣) - الخلال.

(٢) انظر: العقيدة الواسطية: ٦٤ - ابن تيمية.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٨٥ - ٣٨٦) - ابن تيمية، وشفاء العليل: ١١٣ - ابن القيم.

(٤) أخرجه: الترمذي ٤/ ٤٥١ برقم: ٢١٤٤، كتاب القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٥/ ٥٦٦ برقم: ٢٤٣٩.

(٥) الشورى: ٣٠.

تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[١] أو قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[٢]، فإن الذنب الذي يُعاقب عليه الإنسان هو ذنبه، والتقصير من عند نفسه، يعِيَه ويعلمه. ثم إن أسباب البلاء الذي يصيب الإنسان ليست محصورة في العقاب، فقد يبتلى المؤمن تكفيرًا لما اقترفه من المعاصي، وقد يبتلى اختبارًا وامتحانًا، وقد يُبتلى رفعا للدرجات واستزادة من الحسنات[٣]. وقد أدرج **البخاري**[٤] رحمه الله تحت باب: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول) قوله ﷺ: [**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**][٥]. وهذا - بلا شك - ليس من أجل أن الأنبياء أعظم ذنبًا من غيرهم، وإنما هو رفعة لدرجاتهم ومنازلهم في الدار الآخرة. كما أنه من المشاهد وجود أفراد من البشر يتقلبون في أنواع من النعيم، قد بُسط لهم الرزق، وأُلبسوا لبوس العافية مع إقامتهم على الذنوب ومبارزتهم الله بالمعاصي، فهل يظن عاقل أن هذا النعيم الذي يعيشه أحدهم هو دليل على رضى الرب عنه؟ أو أنه لم يقترف ما يستحق به العقاب؟ إنما هو استدراج وامتحان، يمهله الله تعالى حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر.

---

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان: (٥٥٨ - ٥٦٣) - ابن القيم.

(٤) **البخاري**: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبدالله البخاري، إمام الحفاظ وصاحب أصح كتاب في السنة. ولد عام ١٩٤ هـ ونشأ يتيمًا في كنف أمه. كان رحمه الله عالمًا عابدًا ورعًا كريمًا وآية في الذكاء. روى عن أبي عاصم، ومكي بن إبراهيم وغيرهم، وروى عنه أبو عيسى الترمذي وابن خزيمة وخلق كثير. له مصنفات عدة، منها: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير والأوسط والصغير، وكتاب الضعفاء وغيرها. توفي عام ٢٥٦ هـ وعمره ٦٢ سنة تقريبًا. انظر:
سير أعلام النبلاء: (٣٩١ - ٤٧١) - الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ (٥٥٥ - ٥٥٧) رقم: ٥٧٨ - نفس المؤلف.

(٥) أخرجه البخاري: ٥/ ٢١٣٩، برقم: ٥٣٢٤، كتاب: المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول. ومسلم ٤/ ١٩٩١ برقم: ٢٥٧١: كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من هم أو حزن.

والمقصود: أن الذنب هو أحد أسباب البلاء، وليس هو السبب الوحيد له، وفي سياق الآيات موعظة للمؤمنين ودعوة لأن يراجع أحدهم نفسه عند وقوع البلاء فيتوب إلى ربه، فإنه قد أصاب ذنبًا لا محالة.

هذا من جهة، وفي مقابلها تشير الفلسفة الشرقية إلى إمكانية التحكم التام بالمستقبل، وهي نتيجة طبيعية لتحميل الإنسان المسؤولية الكاملة عما يحدث له، فكما أنه مسؤول عما يعانيه في الحاضر، فهو مسؤول عما سيحصل له في المستقبل. إن هذا التعظيم للقدرات البشرية راجع - بالطبع - إلى الاعتقاد بالطبيعة الإلهية للإنسان، وأنه ليس سوى تجسيد للإله. ولذلك نجد في كثير من التطبيقات الاستشفائية لهذه الفلسفة التركيز على الاعتماد على الذات في استجلاب العافية وتحصيل كل مرغوب، وانتشر ما يسمى قانون الجذب[1]

---

(١) **قانون الجذب** (Law of Attraction): يزعم أنصاره أنه قانون كوني يُمكّن الإنسان من اجتذاب كل ما يريده من الحياة (الصحة، السعادة، الثروة، الحب..) إلى نفسه. يعتمد هذا القانون على الاعتقاد بأن التركيز على شيء ما يبعث إليه ذبذبات من طاقة الإنسان، ومن ثم فهو الذي يحصل عليه بغض النظر عن إرادته له، ولذلك يتم التدريب على كيفية التركيز على ما يريده الإنسان من الأقدار لتوجه إليها الطاقة فتجذبها. وعلى هذا القول الفاسد يكون الله ﷻ ليس سوى وسيلة يحصل الإنسان من خلالها على ما يريد، ليس له إرادة ولا اختيار ولا حكمة يعطي على أساسها ويمنع. تعالى الله عن هذا القول وتقدس.

(انظر: The Law of Attraction: (9 - 16) - Micheal J. Losier).

يقول مؤلف الكتاب السابق موضحًا هذه الفلسفة: "إن الكون ليس ذكيًا ولكنه مطيع، فهو لا يميز إن كانت الذبذبات التي ترسلها نافعة لك أو مضرة، أو إن كنت تريد الأمر أو لا، أو إذا كان نافعًا لصحتك أو مضرًا لها، إنه مطيع (!)، ولذلك سمي القانون".

تصفح موقع المؤلف: www.lawofattractionbook.com/seminars.php

وقانون الجذب هو أحد تطبيقات العصر الجديد المبنية على فلسفة وحدة الوجود الهندوسية.

(انظر: The Science of Getting Rich: (5 - 6) - Wallace D. Wattles)

يستخدم قانون الجذب غالبًا في تدريبات البرمجة اللغوية العصبية وليس في تطبيقات الاستشفاء، وإن كانت تدريباتها تتداخل أحيانًا؛ ولذلك، لن أطيل كثيرًا في ذكر الاستدلالات الشرعية لأنصاره من أبناء المسلمين (وعلى رأسهم صلاح الراشد) ولا الردود على تلك الشبه، وإن كنت أرى أن المسألة تستلزم مزيدًا من العناية والبحث من أهل العلم الاختصاص.

في صورة جديدة لمذهب المعتزلة القدرية[1] نفاة القدر.

(١) **المعتزلة**: وهم أصحاب واصل بن عطاء، يلقبون بالقدرية. اختلف في سبب تسميتهم وأظهر الأقوال أنه بسبب اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول الأول بالمنزلة بين المنزلتين. من أبرز مبادئهم: القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، تخليد مرتكب الكبيرة - الذي لم يتب - في النار، والقول بأن العبد خالق لأفعاله. وقد تفرقوا إلى فرق عديدة كالواصلية والهذيلية والنظامية.
انظر: الملل والنحل: (٣٨ - ٣٩) - الشهرستاني، والفرق بين الفرق: (١١٢ - ١١٥) - عبدالقادر البغدادي.

المبحث الثالث

الآثار العقدية المترتبة على تطبيقات الفلسفة الاستشفائية

لقد ظهر في المبحثين السابقين مدى خطورة الفلسفة التي يعتمد عليها الاستشفاء الشرقي بشكل عام، وما تنطوي عليه من مخالفات لأصول الاعتقاد، إلا أن كثيرًا ممن يسعون إلى ترويج تطبيقات تلك الفلسفة ينكرون وجود التلازم بينهما أو - على الأقل - يقولون بإمكانية عزل الفرع عن الأصل. وقد أشرت مرارا في طيات هذا البحث إلى أن الفصل بينهما - في نظري - يستحيل، وذلك نظرًا لما بين الفلسفة الأصلية وتطبيقاتها من تداخل وارتباط وثيق، بل إن تطبيقات الفلسفة الشرقية لا يمكن أن تفهم إلا من خلال فهم الفلسفة الأم. ومع ذلك، فلم تخلُ التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية - نفسها - مما يخلُّ بالعقيدة الإسلامية الصافية، مهما بُذل من جهودٍ في «أسلمتها» أو تأصيلها تأصيلًا شرعيا، حيث نتج عن ممارستها آثار عقدية خطيرة.

إن هذه الآثار هي ما سأحاول بسطة في هذا المبحث بإذن الله، لتتضح الخطورة التي تكمن في التطبيقات الاستشفائية للفلسفة الشرقية، وأبرز ما قد ينتج عنها من انحرافات. وقد أوجزت تلك الآثار في أربع نقاط رئيسة، هي:

- الشرك.
- البدع والابتداع.
- القول بوحدة الأديان.
- التشبه بالكفار.

هذا، وإن ما سأذكره في هذا المبحث لا يعني - بالضرورة - وقوع جميع من مارس الطريقة العلاجية في المحذور المذكور، بل إن ذلك يتفاوت من شخص إلى آخر. ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هو إبراز ما تتضمنه التطبيقات من أخطار كامنة غالبًا ما تكون مرتبطة بالأصول الفلسفية، وهو مما يزيد من احتمالية ظهورها كلما تقدم الممارس في المراحل العملية أو ازداد تعمقا في الفلسفة الأصلية.

أولًا: الشرك

إن أعظم الذنوب على الإطلاق هو الإشراك بالله، وهو الذنب الذي لا يغفره الله تعالى أبدا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، ولا يزال الإنسان على خير ما لم يصب من الشرك شيئًا. ولكن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء[2]، له ألوان وصور متنوعة قد لا يتنبه لها المسلم في بادئ الأمر، فيقع فيه دون علم أو قصد، وقد كانت تطبيقات الفلسفة الشرقية - التي هي في ظاهرها مجرد فروع للطب البديل - إحدى الوسائل التي أسهمت في نشر بعض الاعتقادات الشركية بين أبناء المسلمين، والتي كان من أبرز مظاهرها ما يلي:

(١) الكهانة والتنجيم

لقد سبق أن تطرقنا لمسألة التنجيم في المبحث الأول من هذا الفصل، وتبين معنا حكمه في الشرع ومدى تعلُّق الفلسفة الشرقية به[3]. ومما تجدر الإشارة إليه أن التنجيم والاعتقادات الباطلة بالكواكب ليست حكرًا على الفلسفة الأصلية

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) وإن كان المقصود به الشرك الخفي، ولكنه ينطبق على الشرك الأكبر والأصغر إذا كان خفيًا ملتبسًا على الناس. انظر: تيسير العزيز الحميد: باب الخوف من الشرك - سليمان بن عبدالله.

(٣) راجع صـ: ٤٦٣ من هذا البحث.

فحسب، بل إن مبادئه ظاهرة - وبشكل ملحوظ - في تطبيقاتها المعاصرة، لا سيما ما كان منها ذو ارتباط مباشر بفلسفة العناصر الخمسة المتعلقة بالكواكب والأبراج(١). ولذا فإننا نجد التنجيم الصريح في بعض تطبيقات الـ (ريكي)(٢)، وفي الـ (أيورڤيدا)(٣)، وخاصة في العلاج بالأحجار الكريمة والبلورات(٤)، وغيرها من تطبيقات الطاقة(٥).

أما الكهانة، فهي جزء لا يتجزأ من الـ (يي جنغ) أو كتاب التغيرات الذي ترتبط به كثير من التطبيقات، فهو جزء من المنظومة العامة لفلسفة الاستشفاء الشرقية تتحدد من خلال تثليثاته تطورات الصحة والمرض بالإضافة إلى غيرها من الأمور الغيبية(٦). وهذا الكتاب، وإن لم يكن ذو ارتباط مباشر بالطرق العلاجية، إلا أنه مقارن لها في كثير من الأحيان، ومن له أدنى اطلاع على تطبيقات الفلسفة الشرقية يدرك مدى ترابطها وتداخلها بحيث يندُر أن يمارس الإنسان أحدها دون أن يخوض تجربة في شيء آخر. ثم إن التطبيقات - هي الأخرى - لا تخلو من نوع من الكهانة، فكثير من المعالجين يدَّعون إمكانية التنبؤ بوقوع المرض

---

(١) راجع العناصر الخمسة والتنجيم في صـ: ٢٠٥ من هذا البحث.

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ٢٧ - مهى نمور، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١٠٧ - عبدالتواب حسين.

(٣) انظر: Ayurveda: 19 - Sally Morningstar

The Hidden Secrets of Auyerveda: 36 - Robert E. Svoboda

(٤) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: (٨٥ - ٨٨) - د. زكريا هميمي، والعلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: (٤٣٥ - ٤٣٨) - د. حسان جعفر، و

Healing With Crystals and Gemstones: (21 - 25) - Daya Sari Chocron

The Healing Power of Gemstones: (15 - 34) - Harish Johari

وقد سبق التفصيل فيه عند الحديث عن العلاج بالأحجار الكريمة في الباب الثاني، راجع صـ: ٤٣٦ من هذا البحث.

(٥) انظر على سبيل المثال: أسرار الطاقة: ٢٣٣ - حكم الزمان.

(٦) راجع صـ: ١٢٠ من هذا البحث.

قبل وجوده أو أي شيء من أعراضه وذلك من خلال تفحص هالات الإنسان الأثيرية[١] أو من خلال الاستعانة بـ «الوسطاء»[٢] الذين يزعمون أنهم يخبرونهم بحقيقة أمراضهم أو غير ذلك من الأمور المغيبة[٣]. ولا شك أنه قد يتحقق بعض ما يتكهن به هؤلاء علما أن «إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية. ونعني بالجاهلية كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب... وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا أو عرافًا أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد»[٤]، وهو المذكور في قوله ﷺ: [**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**][٥] وفي قوله عليه الصلاة والسلام: [**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**][٦].

ولذلك فإنه «لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدَّعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب أو يستعينون بالجن ليستعينوا بهم على ما يريدون»[٧].

---

(١) راجع صـ: ٢٤٠ من هذا البحث.

(٢) وهم يدعّون أنها أرواح لأموات يعينون الأحياء، والذي يظهر أنها - إن لم تكن هلوسات أو دجل - جن قد استعان بهم المعالج أو فُتن بهم.

(٣) انظر: Light Emerging: (54 - 55) - Barbara Brennan

(٤) فتح المجيد: (٢٨٦ - ٢٧٧) - عبدالرحمن بن حسن. وهو مستفاد من كلام ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٥١ برقم: ٢٢٣٠، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٤٩ برقم: ١٥ كتاب الإيمان، وقال: صحيح على شرطهما جميعًا ووافقه الذهبي.

(٧) رسالة في حكم السحر والكهانة: ٤ - عبدالعزيز بن باز.

ومع وضوح الحكم الشرعي في كل من الكهانة والتنجيم إلا أنها قد أُلبست - في بعض الحالات - الصبغة الشرعية لئلا ينفر منها عوام المسلمين، وأخرجت من حيز التخرص والرجم بالغيب إلى حيز الدلالات والقرائن الحسية. يقول د. **يوسف البدر** في مقدمة كتابه المعنون بـ «علم الطاقات التسع»[(١)]:

«إن علم الطاقة بتأثيره على الحياة البشرية لا يُعدُّ تنجيمًا أو علمًا بالغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله ﷻ. ولكن معرفة التوقعات الناجمة عن تأثير الطاقة الموجودة في الكون على حياتنا اليومية - مثل توقع الطقس والأحوال الجوية - لا يعد تنجيمًا. فطاقة النهار الصاعدة تمدنا بالنشاط والقوة والعمل، بينما طاقة الليل وهي انحدارية، لا تجعلنا نعمل، بل تجعلنا أميل إلى الهدوء.»[(٢)]

والمتأمل في هذا النص يجد فيه تضليلًا كبيرًا و- ربما - سوء فهم لحقيقة التنجيم المحرَّم في الشرع، حيث لا يمكن مقارنته بتوقع الطقس والأحوال الجوية الذي يعتمد على مقدمات حسية كاتجاه الرياح وكثافة السحب. وقد أخبر الله تعالى بما يدل على جواز هذا النوع من الاستدلال في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾[(٣)]، ومع ذلك فإن الجزم بالمُتوقَّع لا يصح، وإنما يبقى في دائرة الظن أو غلبته.

---

(١) تكملة عنوانه: "دليلك إلى الحب والعلاقات والصحة والسفر والنجاح"!

(٢) علم الطاقات التسع: ٦ - ميتشو كوشي وإدوارد إسكو (إعداد: د. يوسف البدر).
وهو بذلك يرى أن حركات الأجرام السماوية هي "دلالات" على الحوادث الأرضية، ولكن لو تأملنا هذا القول لوجدنا أن هذه "الدلالات" تخبر عن الصحة والمرض والشقاوة والسعد والتوفيق في العلاقات العاطفية والاجتماعية والأعمال الوظيفية المناسبة لمواليد كل برج ومقادير الأرزاق والأوقات المناسبة للتجارة والسفر. السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا بقي من علم الغيب لم يجعل له "دلالة" ليختص الله ﷻ به؟!

(٣) الأعراف: ٥٧.

هذه هي الطريقة المشروعة لتوقع الأحوال الجوية، أما ربط الطقس بالأنواء فحكمه - في الغالب - كحكم التنجيم، فإن كان المقصود أنها فاعلة كان كفرًا، وإن كان بمعنى أنها أسباب كان شركًا، وإن كان المقصود الارتباط الظرفي كان ذلك داخل في حكم المباح[1]؛ إذ أن الأنواء مرتبطة بأزمنة محددة بعضها - مثلًا - يُعتبر من مواسم المطر، فلو قيل: (مطرنا في نوء كذا) للظرفية كان كقول: (مطرنا في فصل الشتاء)، وذلك أن مجرد الاقتران لا يدل - بالضرورة - على تأثير السبب[2].

ولكن في كتاب د. **يوسف البدر**[3]، لا ترتبط التوقعات المستقبلية بأي أمر حسي، بل تعتمد على أباطيل الفلسفة الشرقية التي لا تستند إلى حس ولا عقل[4]. وقد صرح مؤلفه - في غير موضع - بثبوت تأثير الكواكب على أحوال الأرض[5] وعلى أعضاء

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٤٥٩ - سليمان بن عبدالله، والقبس (ضمن موسوعة شروح الموطأ): ٦/ ٤٦٤ - ابن العربي، وفتح الباري: ١٠ (١٩٦ - ١٩٧)، والتنجيم والمنجمون: (٣٣٩ - ٣٤٨) - د. عبدالمجيد المشعبي.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ (٧٠٩ - ٧١٠) - ابن تيمية.

(٣) علما أن مؤلف الكتاب هو ميتشو كوشي وإنما قام البدر بإعداده.

(٤) أما بالنسبة لمن استدل على صحة تأثير الكواكب بما ورد عن النبي ﷺ في تحديد أيام الحجامة وذكروا أنها من أجل تأثير القمر على الدم وفورانه، فالرد من عدة أوجه:

١- أن الروايات الواردة في تحديد أوقات الحجامة لم تربطها بمنازل القمر وإنما غاية ما ذكر فيها "تبيُّغ الدم"، فالربط بالمنازل إنما جاء من كلام الشراح وبعض الباحثين في الطب النبوي.

٢- أنه لو افترضننا ثبوت الارتباط بين هيجان الدم ومنازل القمر فمن أين لنا أن الارتباط سببي لا ظرفي؟

٣- ولو صح الارتباط السببي بين تبيغ الدم ومنازل القمر لما صح تعميم ذلك على جميع الأجرام السماوية لتكون أسبابًا في المجريات الأرضية، فالحكم خاص في حالة محددة ثبتت عن طريق الشرع، وليس بالنظر والتجربة فحكمها حكم الأسباب والوسائل الشرعية والنص فيها جاء كالاستثناء من النفي العام [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد**] *. والله أعلم.

* الحديث أخرجه البخاري: ١/ ٣٥٣ برقم: ٩٩٣، كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس، واللفظ له. ومسلم: ٢/ ٦١٨ برقم: ٩٠١، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف.

(٥) انظر: علم الطاقات التسع: ١٨ - كوشي وإسكو.

الجسم المختلفة[1]، وهذا القول هو عين التنجيم المنهي عنه. كما تُذكر فيه خصائص محددة لمواليد كل برج - كما هي عادة المنجمين - من حيث المواصفات الشخصية والمهن النموذجية والتوافق في العلاقات العاطفية والاجتماعية[2]! ولا يقتصر الكتاب على التنجيم فحسب، بل يشتمل على ضروب من الكهانة[3] فيُخبر بنجاح المشاريع التي تقام في أوقات محددة[4] وما هو الوقت المناسب للسفر[5].

ولعله من المناسب إيراد نصٍ من كتاب د. البدر ليكون نموذجًا يظهر من خلاله - دون أدنى شك - ما يشتمل عليه من أباطيل تناقض ما ذكر في مقدمته، يقول المؤلف:

«وفيما خص الصحة، ستكون متقلبة، وعليك الوقاية من الإصابة بنزلات البرد وأمراض الدم والتهاب الشعب وحوادث السير. واحذر كل الحذر من الأماكن المرتفعة. أما في الحب والعلاقات الغرامية، فستتخبط ما بين أوجهها السلبية كما الإيجابية. وإذا ما انسقت وراء العدوانية، سيغلب عليك الجانب السلبي. وهذا العام، قد تتلقى فجأة شخصًا عرفته في الماضي. ومن شأن الأطعمة الحلوة كالقرع والملفوف والبصل والجزر أن تساعدك على الاستقرار أثناء هذه الفترة، والله أعلم (!)»[6]

لا شك أن كتاب «الطاقات التسع» ليس هو موضوع بحثنا، ولسنا بصدد دراسته ولا تحليله، ولكنه من أوضح النماذج التي تبين ما يمكن أن تفرزه الفلسفة الشرقية من خلال تطبيقات «العصر الجديد». وهذا الكتاب هو أحد أجزاء سلسة

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣٠، ٤٣، ٥٩ ومواضع متعددة من الكتاب.

(٣) وليس المقصود هو الأخذ عن الجن مسترقي السمع، وإنما المراد التكهن بالأمور الغيبية عمومًا بغض النظر عن مصادرها.

(٤) انظر: علم الطاقات التسع: ١٠٤ - كوشي وإسكو.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١١٠.

(٦) علم الطاقات التسع: ١١٢ - كوشي وإسكو.

متجددة تحمل اسم: «مكتبة الـ (ماكروبايوتِك)»[١] تنتشر في مكتبات العالم العربي والإسلامي.

وجدير بالذكر أن تأثير الكواكب على شيء من مجريات الأرض لا يمكن أن يثبت إلا بأحد أمور أربع:

الخبر الصادق: وهو غير موجود - بل الموجود إبطاله كما سبق.

- الحس: وهو ما يشترك فيه جميع الناس، وهو غير موجود.
- العقل: وهو غير موجود كذلك.
- التجربة والنظر: وهو غاية استدلالهم وقد ثبت في الواقع بطلانه[٢]، فإن الرجلين يولدان في اليوم نفسه ومن الرحم نفسه ويتربيان في بيت واحد ومع ذلك يكون الفرق بينهما واضح، سواء في الطباع أو الرزق أو السعد والشقاوة. وقد ذكر **القرطبي**[٣] ما يؤيد هذا المعنى فقال رحمه الله: «قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم وتبايُن رتبهم... مع اختلاف طوالعهم وتبايُن مواليدهم ودرجات نجومهم، فعمَّهم الغرق في ساعة واحدة، فإن قال المنجِّمُ - قبَّحه الله - إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون مقتضى ذلك أنّ الطالع أبطل أحكام الطوالع الأخرى على

---

(١) ومن إصدارات هذه السلسلة: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة، وزن ماكروبيوتيك، والحقيقة الخفية لأمراض العصر، والمبدأ الفريد وغيرها..

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/ ١٣١ - ابن القيم.
وقد بسط رحمه الله الرد عليهم في باب خطأ التجربة ما لا يتسع المقام لذكره فليراجع في محله.

(٣) **القرطبي**: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين، صالح متعبد، رحل إلى الشرق فسكن مصر وتوفي فيها. له عدة مؤلفات، منها: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة. توفي عام ٦٧١ هـ. انظر:
شذرات الذهب: ٥/ ٣٣٥ - ابن العماد، والأعلام: ٥/ ٣٢٢ - الزركلي.

اختلافها عند ولادة كلّ واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبدًا من عمل المواليد ولا دلالة فيه على شقيٍّ ولا سعيد ولم يبقَ إلاَّ معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم. وقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجِّم أنّ طالع مولدي يقضي عليَّ بميتة الغرقِ!

قل للمنجم: صحبة الطوفان هل وُلد الجميع بكوكب الغرق؟!»[١]

(٢) الطيرة

«الطيرة اسم مصدر من تطيَّر طيرة، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما»[٢]، ويُحمل التطيُّر على كل تشاؤم بمرئي أو بمسموع أو بمعلوم[٣]. وقد ورد النهي عنه صريحًا في السنة النبوية، قال النبي ﷺ: [**ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سحر أو سُحر له**][٤] وقال: [**الطيرة شرك**][٥]، وقال ﷺ: [**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**][٦] يريد بذلك بطلانها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٩ - القرطبي.

(٢) قرة عيون الموحدين: ٢٠٢ - عبدالرحمن بن حسن، وانظر: مقاييس اللغة: ٣/ ٤٣٦ - ابن فارس، ولسان العرب: ٨/ ٢٣٩ - ابن منظور، وكتاب التعريفات: ١٤٢ - الجرجاني.
والسانح: هو ما ولاك يمينه، **والبارح**: هو ما ولاك يساره (انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١١٤ - ابن الأثير، وفتح الباري: ١٠/ ٢٦٢ - ابن حجر).

(٣) انظر: القول المفيد: ١/ ٥٥٩ - ابن عثيمين.

(٤) رواه الطبراني المعجم الكبير: ١٨/ ١٦٢ برقم: ٣٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٥٦ برقم: ٥٤٣٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٤/ ١٧ برقم: ٣٩١٠، كتاب الطب، باب: في الطيرة. وابن ماجه: ٢/ ١١٧٠ برقم: ٣٥٤٨، أبواب: الطب، باب: كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٢/ ٧٩١ برقم: ٤٢٧.

(٦) أخرجه البخاري: ٥/ ٢١٥٨ برقم: ٥٣٨٠، كتاب: الطب، باب: الجذام. ومسلم ٤/ ١٧٤٦ برقم: ٢٢٢٤، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم واللفظ له.

أو نفي استقلال تأثيرها[1].

ولما كانت التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية مبنية على أصول فاسدة كانت نتائجها كذلك، فظهرت فيها بعض مظاهر التطير المنهي عنه في الشرع والذي يُعتبر نوعًا من أنواع الشرك لما فيه من منافاة للتوكل وتعلق بما لا حقيقة له[2]. فنجد ربطًا بين بعض الأحداث أو الظواهر أو الصفات وبين توقع حدوث مكروه في المستقبل دون أدنى رابط من الحس أو العقل.

فمن ذلك ما يُذكر في قواعد الـ (فونغ شوي) من كون بعض أنواع التصاميم الداخلية للمنزل أو المكتب تنذر بقدوم الحظ السيئ والأمراض لساكنها، بل إن إصابة ساكن المنزل السابق بمرض ما يجعل ذلك المنزل مشئومًا، وقد يصاب النازل الجديد بالمرض بسببه، وبالطبع، ليس شيئ من ذلك مرتبطًا بالأسباب الكونية المعروفة كانتقال العدوى أو الأجسام الدقيقة الضارة، فهم لا يشيرون إلى هذا من قريب ولا من بعيد، بل السبب المعتمد - عندهم - هو وجود الطاقة السالبة التي يتركها المريض في مسكنه بعد أن يرحل عنه أو لأن تصميم المنزل وطريقة ترتيبه تستقطب الطاقات الشريرة وتنذر بسوء الحظ[3]. ومن ذلك التشاؤم

الهامة: هي طير كان العرب يتشاءمون به إذا وقع على بيت أحدهم يقولون: (نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري). وقد قيل هو البومة. (انظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٨٢ - ابن الأثير).

صفر: كانت العرب تزعُم أن في البطن حيَّة يقال لها الصَّفَر تُصيب الإنسان إذا جَاع وتُؤذيه وأنها تُعدي فأبطَل الإسلامُ ذلك. وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يَفعلونه في الجاهلية وهو تأخيرُ المُحرَّم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله (النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣٥ - ابن الأثير).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٣٤ - ابن القيم، وشرح مسلم: ٥/ ٢١٣ - النووي، وفتح الباري: ١٠/ ١٩٦، وقرة عيون الموحدين: ٢٠٤ - عبدالرحمن بن حسن.

(٢) انظر: حادي الأرواح: ١/ ٨٩ - ابن القيم، وقرة عيون الموحدين: ٢٠٩ - عبدالرحمن بن حسن، والقول المفيد: ١/ (٥٥٩ - ٥٦٠) - ابن عثيمين.

(٣) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية والفونغ شوي: ١٢٥ - رفاه وجمان السيد، و Feng Shui: 22 - Goddes & Gresset

ببعض معالم الأرض حيث يُعتقد أن التلال في مقدمة المنزل - مثلًا - تنذر بمواجهة مصاعب ضخمة في المستقبل(١). ومنه، التشاؤم ببعض الألوان التي يُظن أنها تجلب الأمراض وتتسبب في الكآبة والقنوط للابسها وللناس من حوله(٢).

فالمسلم لا ينبغي أن يرده مثل ذلك عن حاجته، بل يمضي فيما كان عازمًا عليه دون الالتفات إلى ما يجلب التشاؤم، فقد قال النبي ﷺ: [**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**] قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: [**أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**](٣).

(٣) تعلُّق التمائم وما شابهها

التميمة: هي شيء يُعلَّق على الأولاد ليدفع عنهم العين والمرض(٤)، وتشمل كل ما يعلقه الإنسان أو يتقلَّده بغرض الاستشفاء أو دفع البلاء مما ليس له ارتباط حسي ثابت بالمقصود. وقد ورد في الشرع تحريم ذلك واعتباره من الشرك، قال رسول الله ﷺ: [**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**](٥)، وقال ﷺ: [**من علق تميمة فلا**

ومن أجل التخلص من طاقات المنزل السالبة تُتَبَعُ المزيد من الخرافات فيُترك الملح في زوايا الغرف ثم يُكنس في اليوم التالي كنوع من التنظيف "الأثيري".

(١) انظر: فونغ شوي البيت: ١٧ - رانيا مشلب.
وقد امتلأ هذا الكتاب بمثل هذه الخرافات، فضلًا عن العبارات الكفرية الصريحة، كقولها في صـ ١٠٧: "ادع آلهة الثراء إلى منزلك: للصينيين عدة آلهة للثراء يبرزونها في منازلهم لاجتذاب حظ النجاح. والإله الأفضل هو (تساي شن يه) القابع على ظهر نمر. إن صعب العثور عليه الجأ إلى (كوان كونغ) أو إلى آلهة الثلاث نجوم (فول) و(لوك) و(ساو)، وهم يجلبون الثراء والنجاح"! نسأل الله العافية.

(٢) انظر: العلاج بالألوان وأشعة الشمس: (٤٦ - ٤٧) - د. قيس غوش.

(٣) رواه الإمام أحمد ٢/ ٢٢٠ برقم: ٧٠٤٥. صحح الألباني الجزء الأول منه في صحيح الجامع: ٢/ ١٠٧٥ برقم: ٦٢٦٤، والجزء الثاني في السلسلة الصحيحة: ٣/ (٥٣ - ٥٥) برقم: ١٠٦٥

(٤) انظر: كتاب التوحيد: ٤٢ - محمد بن عبدالوهاب.

(٥) أخرجه أبو داود ٤/ ٩ برقم ٣٨٨٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٢/ ٦٤٨ برقم: ٣٣١.

أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له][1]، وفي رواية: **[من تعلق تميمة فقد أشرك]**[2]. وقد رأى النبي ﷺ رجلًا في يده حلْقة من صُفر، فقال: **[ويحك ما هذه؟]** قال: من الواهنة. فقال: **[أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا، انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا]**[3] وفي أمره ﷺ بإزالتها بقوة مبالغة في الإنكار، حيث اعتقد لابسها بأنها تزيل المرض أو ترده عنه فأخبره ﷺ بأن النفع الذي يرجوه منها لن يتحقق، بل إنه سيُعامل بنقيض قصده لأجل ما وقع فيه من الشرك. واستُدل بقوله ﷺ: [ما هذه؟] على أن المقاصد معتبرة، وعلى أن النهي مخصوص بنية الفاعل، فلو كان الغرض لُبس الحلقة من أجل الزينة - مثلًا - دون قصد التحرز أو الاستشفاء لم يُعد ذلك من الشرك[4] بل كان من قبيل المباحات[5]. إلا أنه لا بد من التَّنبُه إلى أن هذا الحكم خاص فيما لم ينتشر بين الناس استخدامه للاستشفاء أو دفع الضر، فإن

التولة: شيء يعلقه الزوجان ليجلب بينهما المحبة (انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٠٠ - ابن الأثير). وقد يأخذ الخاتم الذي يسمى في العرف "دِبلة" حكمها عند من يعتقد فيه ذلك. (انظر: القول المفيد: ١/ ١٨١ - ١٨٢ - ابن عثيمين).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٠ برقم: ٧٥٠١، وقال: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
الودعة: هي شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في رقاب الصبيان مخافة العين.
لا ودع الله له: أي لا جعله في دعة وسكون. (النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٦٧ - ابن الأثير)

(٢) رواه الإمام أحمد ٤/ ١٥٤ برقم: ١٦٧٨١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٢: ٨٨٩ برقم: ٤٩٢.

(٣) رواه الإمام أحمد ٤/ ٤٤٥، واللفظ له. والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٠ برقم: ٧٥٠٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
صُفر: نحاس (مختار الصحاح: ١٥٣ - الرازي)، **الواهنة**: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيرقي منها. وقيل: هي مرض يأخذ بالعضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء. (النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٣٣ - ابن الأثير).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١٥٧ - ١٥٨) - سليمان بن عبدالله، وفتح المجيد: ١١٣ - عبدالرحمن بن حسن.

(٥) ما لم يقترن به أمر آخر يؤدي إلى التحريم كالإسراف المحرم أو التشبه بالكفار أو الجنس الآخر..

كان الحال كذلك مُنع سدًا لذريعة الشرك، وإن لم يعتبر - في ذاته - شركًا، «وإذا تدبرت الشريعة، وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات... فنهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين، لكونه ذريعة إلى أن يسبوا الله ﷻ عدوًا وكفرًا على وجه المقابلة. وأخبر النبي ﷺ أن من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال ﷺ: [**نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**](١)»(٢)

ولا شك أن العلاج بالأحجار الكريمة يدخل في حكم التمائم الشركية دخولا أوليا، فهي إنما تُعلق على النحور ويُتختَّم بها لا من أجل الزينة والتحلي ولكن من أجل استجلاب الصحة والسعادة(٣)! وقد أنكر جماعة من السلف(٤) تعليق شيء من القرآن بغرض التحرز أو الاستشفاء، لعموم النهي عن تعليق التمائم وسدا لذريعة تعليق غيره، فإن كان هذا في كلام الله الذي ثبت في الشرع والقدر أنه سبب في الشفاء ودفع البلاء فكيف بما لم يثبت - بل عارضه النقل الصحيح والعقل الصريح؟!(٥)

وقد نسب إلى الأحجار قدرات عجيبة، فهي - بزعمهم - تحفظ من الأعين والأنفس الخبيثة(٦)، وتبرأ بها الأمراض وتسكن الأوجاع وتندمل الجراح(٧). إن

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٢٨ برقم: ٥٦٢٨، كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه. ومسلم ١/ ٩٢ برقم: ٩٠، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ٣٥٤ - ابن القيم.

(٣) راجع صـ: ٤٣٨ من هذا البحث.

(٤) منهم: ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة من عامر وابن عكيم. وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود وهي رواية عن الإمام أحمد.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١٦٧ - ١٦٨) - سليمان بن عبدالله.

(٦) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: ٧٦ - د. زكريا هميمي.

(٧) انظر: المرجع السابق: ٨١، ومواضع متفرقة من العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة - د. حسان جعفر، و

Healing With Crystals and Gemstones: Daya Sarai Chocron

The Healing Power of Gemstones - Harish Johari

هذه الخواص التي تُنسب للأحجار الكريمة لا يمكن تفسيرها تفسيرًا علميًا صحيحًا، وليس لدى هؤلاء المُدَّعين سوى الحديث عن «الطاقات الإيجابية» للأحجار والذبذبات المنبثة منها[١] وإسهام تلك الذبذبات في موازنة الطاقات البشرية. وهي دعوى عريضة لا تستند إلى دليل مُعتبر حيث إن التفسيرات تفتقر - هي نفسها - إلى دليل يثبتها، فكيف تكون دليلًا لغيرها؟

إن الحديث عن «الذبذبات» المؤثرة في الصحة والمرض ليست سوى وسيلة بائسة لإضفاء الطابع «العلمي» على بعض ما نُهي عنه في الشرع واعتبره من الشرك المخالف لكمال التوحيد أو أصله[٢]. ولو سلمنا - جدلًا - بوجود الذبذبات المزعومة في الأحجار الكريمة، فما الذي يمنع من وجودها في الحِلَق والتمائم والودع؟ وبذلك تُرد النصوص المانعة منها - بل لا يبقى شيء على وجه الأرض إلا ويصح تعلقه والاستشفاء به لاحتمال الحُجَّة ذاتها فالادعاء قائم لكل أحد إذ لا وسيلة لقياس تلك «الذبذبات» أو ضبطها غير التجارب الفردية التي لا تخلو من اضطراب وانحياز مسبق.

وعليه، فإن تعلُّق الأحجار الكريمة والتختم بها بغرض الاستشفاء يبقى من الأسباب الشركية الممنوعة في الشرع، وقد يفضي هذا الاستشفاء المحرم إلى تعلق قلبي يشبه كثيرًا ما عليه عباد الأصنام، وقد أورد أحد المروجين لهذا النوع من الاستشفاء المقولة الشركية الخطيرة: «آمن بالحجر تبرأ»[٣]! و«قول القائل: (لو

---

(١) يعتمد القائلين بفوائد ذبذبات الأحجار الكريمة على سوء فهم (وربما تحريف) لبعض الخصائص الثابتة لها علميا، فقد اكتُشف في عام ١٨٨٠ م أن بعض الصخور البلورية تولِّد تيارًا كهربائيًا عندما تتعرض للضغط، وهو ما يسمى (piezoelectric effect)، إلا أنه لم يثبت لهذا التيار أي ارتباط بما ينسب للأحجار من القدرات الوقائية والشفائية الهائلة. انظر:

The Skeptics Dictionary: 91 - Robert Todd Carroll

(٢) وهي تعتبر مُناقضة لأصل التوحيد إذا اعتُقد أنها فاعلة نافعة بذاتها، وهي مناقضة لكماله إذا اعتُقد أنها سبب في إزالة الضرر أو دفعة والفاعل هو الله ﷻ. (انظر: القول المفيد: ١/ ١٦٥ - محمد العثيمين).

(٣) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: ١٧ - د. حسان جعفر.

أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به)[١] هو كلام أهل الشرك والبهتان، فإن عُبَّاد الأصنام أحسنوا ظنهم بها فكانوا هم وإياها من حصب جهنم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[٢]»[٣].

ومما يُلحق في هذا الباب - وإن لم يكن في الأصل منه - ما يوضع في المنازل وأماكن التعليم والعمل مما يُعتقد أن له تأثيرًا إيجابيًا على الإنسان، فيَدفع عنه سوء الحظ والأسقام ويستجلب له الصحة والسعادة. ففي الـ (فونغ شوي) - على سبيل المثال - يُنصح بوضع اللون الأصفر في وسط البيت من أجل النهوض بالصحة العامة لأفراد المنزل[٤]، كما يعتبر وضع مجسم لضفدعة ذات ثلاث قوائم في أي ناحية من نواحي المنزل معززًا للحظ المتعلق بالصحة[٥].

إن مثل هذه الاعتقادات لا تختلف كثيرًا عن تعليق التمائم وإن اختلفت صورها، فكلها تعلق بأمور محسوسة لم يجعلها الله تعالى سببًا في الشرع ولا في القدر. قال الشيخ **سليمان بن عبدالله** في مثل هذه الاعتقادات الباطلة: «وهذا من جنس فعل الجاهلية الذين يعتقدون البركة والنفع والضر فيما لم يجعل الله فيه شيئًا من ذلك»[٦].

(٤) الاستعانة والاستغاثة بغير الله

الاستعانة: هي طلب المعونة من الغير، والاستغاثة: هي طلب النجدة والغوث[٧]، وللاستعانة بغير الله نوعان:

---

(١) قال العجلوني: "قال ابن تيمية: كذب، ونحوه قال الحافظ ابن حجر: لا أصل له" (كشف الخفاء: ٢/ ١٩٨).

(٢) الأنبياء: ٩٨.

(٣) مجموع الفتاوى: ١١/ (٥١٣ - ٥١٤) - ابن تيمية.

(٤) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: ١١٩ - د. رفاه وجمان السيد.

(٥) فنغ شوي البيت: ١٠٦ - رانية مشلب.

(٦) تيسير العزيز الحميد: ١٥٥ - سليمان بن عبدالله.

(٧) انظر: مختار الصحاح: ١٩٤، ٢٠٢ - الرازي.

- استعانة مباحة: وهي الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه.
- استعانة محرَّمة: وهي الاستعانة المطلقة كالواردة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، أو الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق[2].

أما الاستغاثة فـ «تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية، في قتال، أو إدراك عدو أو سبُع أو نحوه، كقولهم: يا لزيد، يا لقومي، يا للمسلمين.... بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل. أما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد، كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يذكر فيها غيره»[3].

والاستعانة أو الاستغاثة المشاهدة في تطبيقات الفلسفة الشرقية هي - بلا شك - من النوع الممنوع، ولعلي أوجز أبرز مظاهرها في النقاط التالية:

١- **الاستعانة بالطاقة**: إن الطاقة الكونية هي العامل الرئيس - دون منازع - في التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، ولها أهمية كبرى في العقائد والفلسفات التي بُنيت عليها، ولذلك فإنه يعوَّل عليها في كثير من الحاجات والنوائب، ومن ثم تكون الاستعانة بها أمرًا متوقعًا. فمن ضمن التحضيرات الأولية للعلاج بالـ (ريكي) - مثلًا - طلب حضور الطاقة الكونية، وهذا الطلب هو من أجل الإعانة في الجلسة العلاجية بدليل ختمها بشُكر الطاقة التي حضرت[4].

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ (١١٣، ٣٧٠) - ابن تيمية، والاستغاثة: (١٨٤ - ١٨٦، ٢٠٥ - ٢٠٥) - نفس المؤلف.

(٣) سيف الله على من كذب على أولياء الله: ٤٠ - صنع الله الحنفي، وانظر: الاستغاثة: (١٧٤ - ١٧٥) - ابن تيمية.

(٤) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٥١، ٥٤، ٥٧) - د. رفاه وجمان السيد.

إن الطاقة في الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها ليست كائنا عاقلا يمكنه الاستجابة بمشيئة وإرادة، بل هي وجود مطلق لا يحمل شيئًا من الصفات المحسوسة(١)، فالاستعانة بها - علي أي حال كان - استعانة بما لا يعلم ولا يُدرِك، وهي استعانة شركية - بلا شك - إذ العلم من شروط الإعانة(٢). وقد ظهرت هذه الاستعانة في بعض ما أُلف في العلاج بالطاقة، فقال أحدهم: «استعن بالطاقة الحامية التي توفرها المعالم الصلبة كالتلال.. وإن زُرعت الأشجار أو ارتفعت الأرض خلف منزلك، منحتك سلحفاة السماوات حمايتها» (!)(٣)، ويقول أحدهم متحدثا عن طاقة الـ (ريكي): «يمكنك الاعتماد على الـ (ريكي) في أي وقت، إنه موجود ليساعدك على تحقيق كل ما في نفسك ببساطة ويسر»(٤). ولقد تفاقم هذا الأمر واستفحل حتى تحول في بعض الحالات إلى استعانة ببعض الجمادات التي يُعتقد أنها تنضح بكميات كبيرة من الطاقة، فقال أحد الكُتاب: «ويبدو أنه يمكن أن تحصل على نتائج أفضل بأن تطلب شفهيا من الشجرة أن تساعد الشخص المريض لأن يُشفى»(٥)!

٢- **الاستعانة بالأرواح المحُضَّرة**: والمقصود بها استدعاء أرواح الأموات للتعرف على حقيقة المرض الذي يعاني منه المريض والطريقة المثلى في مُعالجته من خلال تطبيقات الطاقة، فيقوم المعالج بمخاطبة ما يسمى

---

(١) راجع صـ: ٢٢٢ من هذا البحث.

(٢) وليس المقصود هنا هو الاستعانة بمعنى التقوِّي - أو ما شابهه - بالشيء، كالاستعانة بالعصا على القيام، أو الاستعانة باللباس على اتقاء البرد، فهذا النوع لا يلزم معه علم المُستعان به، وإنما المقصود بالاستعانة هنا هو طلب الإعانة، وهذا النوع يلزم معه علم المستعان به.

(٣) فنغ شوي البيت: ١٧ - رانية مشلب (بتصرف يسير).

(٤) الريكي للمبتدئين: ٩٦ - ديفيد إف فينلس.

(٥) الشفاء بالطاقة الحيوية: ٣٤ - د. أحمد توفيق.

بـ «الوسيط» الذي يُفترض أنه روح أحد الأموات أو ملَكٌ من الملائكة - عند بعضهم - ليدله على مكان الداء ويعينه على تحديد المواضع التي ينبغي أن توجه إليها الطاقة. وقد تُبدأ الجلسة بنداء تلك الروح وطلب حضورها سواء كانت لـ **يوسوي** أو لأحد الملائكة أو الأنبياء أو أي من «أهل الغيب»، وقد يقوم بعضهم بالاستعانة بالله ﷻ من جملة المُستعان بهم[1]! ولا شك أن الاستعانة أو الاستغاثة بالأموات محرمة - بل هي من الشرك[2].

تستخدم هذه الطريقة في بعض تطبيقات علاج الهالة الأثيرية[3] وغيرها من ممارسات الطاقة[4]. والذي يظهر أن «ما يدعيه هؤلاء الدجالون من تحضير الأرواح إنما هي أرواح شياطين[5] يخدمها بعبادتها وتحقيق مطالبها وتخدمه بما يطلب منها كذبًا وزورا في انتحالها أسماء من يدعونه من الأموات، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ

---

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٧) - د. رفاه وجمان السيد.

(٢) انظر: الاستغاثة: ٢٣٩ - ابن تيمية.

(٣) انظر: Light Emerging: (54- 55) - Barbara Brennan

Hands of Light: 237 - Barbara Brennan

(٤) انظر: مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: (١٣٧ - ١٣٨) - عبدالتواب حسين، وأسرار الطاقة: ١٧٦ - حكم الزمان.

يقول **حكم الزمان**: «وعلم استحضار الأرواح فسر للناس أشياء كثيرة مما كانوا فيه يختلفون»!!.هـ فأصبح وحي الشياطين عنده كوحي ملك الملوك ﷻ وتقدست أسماؤه الذي جعل كلامه تبارك وتعالى هو الفاصل فيما يختلف فيه الناس، فقال جل من قائل سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

أما عبدالتواب حسين فيعتقد بوجود وسيط اسمه د. هوم يستطيع بإرادته أن يُنقص أو يزيد من قوة الجاذبية الأرضية.

(٥) **يقول شيخ الإسلام فيما يعتقد أنه روح ميت: "وهو شيطان تمثّل في صورته فيظنونه إياه"** (انظر: جامع الرسائل: ١/ ١٩٥).

ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[١]... ولو فرضنا أن هؤلاء الإنس لا يتقربون إلى الأرواح التي يستحضرونها بشيء من العبادة[٢] فإن ذلك لا يوجب حِلّ ذلك وإباحته لأن سؤال الشياطين والعرافين والكهنة والمنجمين ممنوع شرعًا، وتصديقهم فيما يخبرون به أعظم تحريما وأكبر إثما بل هو من شعب الكفر»[٣].

٣- **الاستعانة بالآلهة الشرقية**: وهذا النوع من الاستعانة قد يكون بعلم الفاعل أو بغير علمه، حيث تتضمن بعض تطبيقات الفلسفة الشرقية ترديدا لألفاظٍ مأخوذة من اللغات الهندية أو الصينية والتي لا يعلم الناطق بها - في الغالب - معناها، خاصة مع حرص القائمين على هذه الممارسات المشبوهة على إخفاء تلك المعاني. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يُفعل في «طقوس التأهيل» بمنظمات التأمل التجاوزي[٤]، حيث يقوم المدرب بسرد أسماء عدد من الآلهة الهندوسية وبعض الأشخاص الذين يُعتبرون تجسيدات للإله مستحقين للعبادة[٥].

كما أن الـ (مانترا) التي يرددها الممارس في كل من التأمل التجاوزي[٦]،

---

(١) الأنعام: ١١٢ - ١١٣.

(٢) والواقع أن كثيرًا من هذه الأمور مبني على الدجل والكذب، فهي مجرد ادعاءات تُستخرج بها أموال السفهاء.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ٣/ ٣١٢ - عبدالعزيز بن باز، وانظر: الفرقان: ٣٢٩ - ابن تيمية.

(٤) سبق تفصيلها في حاشية صـ: ٤٣٠ من هذا البحث.

(٥) انظر: TM Wants You: (47 - 50) - David Haddon & Vail Hamilton

(٦) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ١٣٧ - د. أحمد توفيق،
The Science of Art and Being: 290 - Maharishi Yogi

والـ (يوغا)[١]، والـ (ريكي)[٢]، هي - في الغالب - أسماء لبعض آلهة الهندوس أو غيرهم مما يعبد من دون الله[٣]، وقد قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في الرقى الأعجمية التي لا يعرف لها معنى: «وكذلك الرقى والعزائم الأعجمية، هي تتضمن أسماء رجال من الجن يُدعون، ويُستغاث بهم ويُقسم عليهم بمن يعظمونه فتعطيهم الشياطين بسبب ذلك بعض الأمور. وهذا من جنس السحر والشرك»[٤]. ولذلك مُنعت الرقية بالألفاظ الأعجمية وما لا يعلم معناه خشية أن يكون فيها شيء من الشرك[٥]، فكيف إذا علم ذلك أو غلب على الظن؟

ومن العجيب أن أحد التعليمات الموجهة إلى المعالجين بالطاقة هي عدم الجهر بهذه الشركيات (من استعانة بالأموات وغيرهم) أمام المريض - بل يكتفي المعالج بذكرها في نفسه من غير صوت مسموع[٦].

وفي الختام، أشير إلى معنى لطيف في مسألة الاستعانة وهو أن من عبد الله ﷻ ثم أعرض عن الاستعانة به كان ذلك نقصا في دينه وضعفا في إيمانه، فكيف إذا كانت الاستعانة والاعتماد على غيره وهو ما ينتج عن هذه التطبيقات التي - في أقل أحوالها - تسوِّغ الاعتماد على الذات والتعلق بالأسباب[٧].

---

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٥٣ - حلقة الدراسات الهندية.

(٢) انظر: الـ (ريكي) للمبتدئين: (١٧٨ - ١٧٩) - ديفيد إف فينلس، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: ٧٠ - د. رفاه وجمان السيد.

(٣) راجع صـ: ٨٢ من هذا البحث.

(٤) مجموع الفتاوى: ١/ ٣٦٢ - ابن تيمية، وانظر: شرح السنة: ٦/ ٢٥٨ - البغوي، وشرح مسلم: ٦/ ١٦٩ - النووي.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١٩/ ٦١ - ابن تيمية، وفتح الباري: ١٠/ (٢٤٠ - ٢٤١) - ابن حجر.

(٦) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ٥٤ - د. رفاه وجمان السيد.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١٢٥، ١٠/ ٣٢ - ابن تيمية.

ثانيًا: البدع والابتداع

البدعة في الاصطلاح الشرعي هي: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[١]، وقد نهى النبي ﷺ عن الابتداع في الدين وشدد في التحذير منه، فقال ﷺ: [**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**][٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: [**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**][٣]. وقد كان لتطبيقات الفلسفة الشرقية أثر كبير في ظهور البدع الجديدة في مجتمع كان - في الأصل - منها نقي، وقد أجملتها في جانبين: البدع العملية وهي المتعلقة بالأقوال والأفعال، والبدع العلمية وهي ما كان في الأفكار والآراء. وفيما يلي توضيح للمقصود:

(١) البدع العملية

إن خطر الفلسفات الوثنية الوافدة إلى البلاد الإسلامية قد لا يكون متمثلًا في اعتناق المسلمين لها أو ردتهم عن دينهم ردة صريحة، فإن ذلك يعد أمرًا نادرًا، وإنما يكون في تأثيرها على التوجهات ذات الطابع الإسلامي، حيث تحرفها الفلسفات الوافدة عن مسارها الصحيح فتنشأ من جراء ذلك آراء منحرفة ومذاهب شاذة[٤].

لقد ولَّدت تدريبات الطاقة الباطنية بدعا دينية خطيرة، وقد كان للطرق الصوفية الباطنية نصيب الأسد من بدعيات التطبيقات المعاصرة لفلسفة

---

(١) الاعتصام: ١/ ٤٨ - الشاطبي.

(٢) أخرجه أبو داود ٤/ ٢٠٠ برقم: ٤٦٠٧، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة. وابن ماجه ١/ ١٥ برقم: ٤٣، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ٥٢٦ برقم: ٢٧٣٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢/ ٩٥٩ برقم: ٢٥٥٠، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم ٣/ ١٣٤٣، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٢/ (٨٤ - ٨٥) - ابن تيمية.

الاستشفاء الشرقية، لما بينها وبين الفلسفة الشرقية من توافق وانسجام، بل إن من أكثر الناس ترويجًا لهذه التطبيقات هم الصوفية ومن تأثر بأفكارهم، وهذا ظاهر جدًا عند استعراض المؤلفات التي أُلِّفت في هذا المجال.

لقد ساهمت تطبيقات الفلسفة الشرقية - عند «أسلمتها» - في نشر ممارسات وأذكار لا تختلف عن الأوراد الصوفية المبتدعة في شيء، ولما كان من الممارسات الدينية الشرقية ترديد أسماء آلهة الشرق إلى أن يصل الإنسان إلى مرحلة الوحدة، كان المقابل «المؤسلم» كذلك! فظهر ما يسمى بالتسبيح الإنساني، والتسبيح الملائكي، والتسبيح المحمدي، والتسبيح الإلهي(١)، وهذا الأخير فيه ترديد للفظ الجلالة «الله» مع كل شهيق، وكلمة «هو» مع كل زفير(٢)!

كما تظهر الآثار الصوفية واضحة في كثير من مؤلفات الطاقة، وفي ذلك دلالة بيِّنة على أن هذه التطبيقات هي باب شر ووسيلة ميسرة لترويج الخرافات الصوفية التي لم تكن لتروج لولا تخفيها خلف ستار الطب البديل والوسائل العصرية لتحقيق الصحة والسعادة. يقول أحدهم معبرا عن الحب الإلهي المطبوع بالخاتم الصوفي: «كن على ثقة بأن الله ليس بحاجة لشيء منك، واشعر بوجوده في حياتك اليومية كصديق تحبه ويحبك، تحبه لا رغبة في جنة أو رهبة من نار، بل لأنه يملأ حياتك فرحًا وطمأنينة ومحبة»(٣). إنها الأفكار الصوفية البالية تُبعث في ثوب عصري جديد.

---

(١) وهي عبارة عن أذكار (تسبيح، تكبير، حوقلة... الخ) يرددها الإنسان مع تخيل كرة من النور تنتقل بين مراكز الطاقة ويزداد حجمها تدريجيًا. وهي طريقة للتوصل إلى مرحلة الاتحاد.

(٢) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (١٢٨ - ١٤٣) - د. رفاه وجمان السيد.

(٣) الوجوه الأربعة للطاقة: ١٥١ - د. رفاه وجمان السيد، وانظر: أسرار الطاقة: ٢١ - حكم الزمان
كما يكثر استخدام الألفاظ الصوفية في هذه المؤلفات كعالم الشريعة وعالم الحقيقة (مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١١٢ - عبدالتواب حسين) ومرحلة الوجد (المرجع السابق: ١٤٦)، وقد وصَف هذه المرحلة بقوله "وبحسب ما تبلغه الروح من وجد، فإن العطايا الممنوحة لها تكون أعظم، حتى تبلغ إلى درجة يعجز عنها الوصف، وتنخرق لها كل العادات، ولا تعجزها المسافات، وتذل لها الصعاب، ولا يوصد دونها الأبواب".

ومن الأمثلة على البدع الناتجة عن تطبيقات الطاقة ورقة انتشرت بين الناس في الفترات المتأخرة، في منتديات الإنترنت، وفي منشورات مصورة ومطبوعة تُنسب إلى مهندس مصري[1]، وفيها وصف لطريقة مبتدعة في العلاج بـ «طاقة الشفاء» الموجودة في أسماء الله الحسنى، وبالطبع ليست هذه الطريقة تلاوة لآيات من القرآن فيها ذكر أسماء الله ﷻ ولا هي دعاء وتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وإنما هي مجرد ذكر للاسم وترديده بغرض زيادة طاقة الشفاء وتحسين المسارات. وقد حدد - وبشكل دقيق - اسم الله المقترن بكل عضو من أعضاء الجسد فالعظام - مثلًا - تعالج باسم النافع، والعمود الفقري باسم الجبار والركبة باسم الرؤوف وهكذا، فلو كسر عظم أحدهم قبع في مكانه وأخذ يردد «النافع.. النافع.. النافع..» حتى يجبر الكسر ويشفى المريض بطاقة ذلك الاسم! ويزعم الرجل أنه اكتشف هذا الوسيلة من خلال «أساليب القياس الدقيقة المختلفة في قياس الطاقة داخل الجسم»[2] وهي أساليب ليس لها وجود في الواقع إذ لا يوجد وسيلة حسية معتبرة لقياس الطاقة الكونية باعتراف أبرز روادها. وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية بالمنع من هذا الفعل وأنه من الطرق البدعية المحرمة، وفيها: «وهذا العمل باطل لأنه من الإلحاد في أسماء الله، وفيه امتهان لها. لأن المشروع في أسماء الله دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وإثبات ما تتضمنه من الصفات العظيمة لله. لأن كل اسم منها يتضمن صفة لله عز وجل، ولا يجوز أن تستعمل في شيء من الأشياء غير الدعاء بها إلا بدليل من الشرع، والزعم بأنها تفيد كذا وكذا أو تعالج كذا وكذا بدون دليل من الشرع قول على الله بلا علم... فالواجب إتلاف هذه الورقة، والواجب

---

(١) واسمه: إبراهيم كريم.

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: (٣٥ - ٣٨) - د. رفاه وجمان السيد.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

على المذكورين التوبة إلى الله من هذا العمل، وعدم العودة إلى شيء منه مما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية»[١].

ومما يأسف له القلب ويحزن اختلاط خرافات الطاقة بالرقية الشرعية عند بعض المعالجين، فهناك ما يسمى بـ «شحن الماء»، وهو عبارة عن طريقة مخترعة لشحن الماء بالطاقة الكونية واستخدامه للاستشفاء من خلال حركات غريبة تفعل بالأيدي والأصابع مع خفضها ورفعها وغمسها في الماء، كل ذلك مع التفكير والتركيز وقراءة الآيات المناسبة للحالة المراد علاجها[٢]. ومن هذا الباب ما انتشر مؤخرًا من تشخيص بعض الرقاة لما أسموه «الأمراض الروحية» (ويريدون بها المس والعين والسحر وما شابهها) بناء على أشكال تتشكل بها أصابع يد المَرقيّ يربطها بعضهم بمسارات الطاقة، ويصفون للمصاب برامج علاجية تتضمن المداومة على بعض الأذكار بعد الصلوات مع التزام وضعيات معينة «لفتح بوابات الطاقة»!![٣]

ليس ما ذُكر هو كل ما هنالك، ولكنه كفيل - بإذن الله - ببيان المقصود. ولا أظنه يخفى على متأمل ما يمكن أن يحصل في المجتمعات الإسلامية لو فتح المجال لرواج هذه البدع والخرافات، فهي لا تظهر بمظهر العبادة التي اعتاد الناس على رفض البدع فيها، ولكنها تظهر بمظهر الطب والعلاج الذي لا يفطن الناس إلى ورود البدعة فيه.

---

(١) فتوى اللجنة الدائمة رقم: ٢١٨٠٢ بتاريخ ٧/ ١/ ١٤٢٢ هـ برئاسة: سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل الشيخ، وعضوية كل من: فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان.

(٢) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: ٦٣ - سليم بيك علاء الدين.

(٣) انظر: حوار مع عبدالرحمن السالم في مجلة "نون": العدد ١٣ (٨٢ - ٨٣).

(٢) البدع العلمية

وقد أدرجت ما تيسر لي جمعه في هذا الموضوع تحت عنوانين رئيسيين:

أولًا: ربط الكرامات والمعجزات بالطاقة الكونية

وقد سبق التطرق لشيء من ذلك عند الحديث عن المخالفات العقدية لفلسفة الاستشفاء الشرقية(١) وهو في تطبيقاتها أظهر. فقد كانت نشأة الـ (ريكي) مبنية على محاولة محاكاة معجزات عيسى عليه السلام الشفائية - بل زعم **يوسوي** أنه قد توصل إليها من خلال الاتصال بالطاقة الكونية بعد أن خلا في قمم الجبال مواصلًا الصيام والسهر(٢). وقد انتشر مثل هذا في كثير من تطبيقات الطاقة، فلم تعد المعجزة ولا الكرامة - عند هؤلاء - إكرامًا من الله ولا دليلًا على ولايته إذ هي ممكنة لكل أحد بقليل من التدريب والجهد في تدريبات الطاقة. ففُسِّر تسبيح الحصى بين يدي الرسول ﷺ وحنين الجذع له عليه السلام على أنه من قبيل التخاطب باللغة الكونية: لغة الطاقة (؟!) وهو- في اعتقادهم - ناتج عن مرحلة متقدمة من العلاقة بالكون تجعل تلك العلاقة تحمل بعدًا روحانيًا يسمح للإنسان بالتخاطب مع أفراده(٣) - بل إن الإسراء والمعراج اعتُبر أثرًا من آثار الطاقة(٤) ووصف ما حصل من كرامة **لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه أثناء خطبته(٥) - إن ثبتت - بأنه نوع من

---

(١) راجع صـ: ٤٧٩ من هذا البحث.

(٢) وقد قال الإمام الذهبي مفسرًا ما يحصل لمثل **يوسوي**: "ثم العابد عري العلم متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابًا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، ويعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى" (سير أعلام النبلاء: ٩٠ - الذهبي).

(٣) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: (٦٣ - ٦٤) - د. رفاه وجمان السيد.

(٤) انظر: أسرار الطاقة: (١٩٠ - ١٩١) - حكم الزمان.

(٥) وملخصها: أن عمر رضوان الله عليه قال على المنبر: يا **سارية** بن زنيم الجبل! فلم يدر الناس ما يقول، حتى قدم سارية المدينة على عمر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، كنا محاصري العدو، وكنا نقيم الأيام لا

التخاطر الطاقي الحاصل من خلال العين الثالثة[١]، كما فسرت آية **الطفيل بن عمرو** رضي الله عنه[٢] بأنها أحد مظاهر الطاقة[٣].

أما ما قد يكون لهؤلاء مما يظهر أنه من خوارق العادات، فهو لا يخرج عن حالتين:

١- أن لا يكون خارقًا للعادة أصلًا، وإنما يكون من الحيل الطبيعية التي تخفى على كثير من الناس، فيظنونه خارقًا للعادة وهو في الواقع ليس كذلك بل هو متمش مع القواعد الفيزيائية التي يعرفها أهل الاختصاص، وقد يخفيها الفاعل ليُظن أن له ميزة. وهذا النوع يخطئ بعض طلبة العلم في التسرع في الحكم عليه ويجعلونه من القسم الثاني الذي يلزم معه لوازم تجعله محرمًا أو عملا من أعمال الشياطين، وهذا الخطأ - أقصد عدم التمييز بين الخارق الحقيقي وما يظن أنه خارق - كان السبب فيما يُذكر من تحريم بعض الناس للمذياع وللساعة في زمن خفيت على المفتي الآلية التي تعمل بها هذه الأدوات، فظنها من أعمال الشياطين. ولذلك لزم التحري قبل الحكم على

يخرج علينا منهم أحد، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال، فسمعت صائحًا ينادي بكذا وكذا: يا **سارية بن زنيم** الجبل! فعلوت بأصحابي الجبل، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا. (انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (١٧٢ - ١٧٣) - ابن الجوزي).

(١) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ٩ - د. أحمد توفيق، العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٦٣ - غادة الدلابيح، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١١٤ - عبدالتواب حسين

(٢) **الطفيل بن عمرو**: هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة الدوسي. أسلم بمكة ورجع إلى بلاد قومه حتى الهجرة فقدم على النبي ﷺ وأقام معه إلى أن قبض. يذكر أنه أول ما أسلم سأل النبي ﷺ أن يجعل له آية يهتدي بها قومه فكان له نور بين عينيه، فقال الطفيل: إني أخاف أن يقولوا مثلة! فتحولت إلى طرف سوطه فكانت تضيء الليلة المظلمة. قتل مع المسلمين في اليمامة رضي الله عنه وأرضاه. انظر:
الإصابة: ٣/ ٢٩٩ برقم: ٤٢٩٩ - ابن حجر، والاستيعاب: (٣٦٤ - ٣٦٦) برقم: ١٢٧٢ - ابن عبدالبر.

(٣) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: (١٧ - ١٨) - سليم بيك علاء الدين.

أي من هذه الأمور المستجدة، للتأكد من عدم وجود تفسير علمي لتلك الظاهرة الغريبة.

٢- ما كان خارقًا حقيقيًا، بمعنى أنه لا يمكن تفسير حدوثه علميًا، فهذا على نوعين:

أ- أن يكون الخارق معجزة أو كرامة، فأما المعجزة فتستحيل إذ هي خاصة بالأنبياء والرسل وقد انقطعت الرسالة بعد محمد ﷺ، وأما الكرامة فهي لا تكون إلا لأولياء الله، ومن هم على منهج صحيح، كما يسعى صاحبها إلى إخفائها في العادة حرصًا منه على الإخلاص وخوفًا من فتنة العجب والرياء[1].

ب- أن يكون الخارق شيطانيًا، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

- ما كان بعلم الفاعل وتعمد منه. وهذا يحصل بالسحر والاستعانة بالشياطين والتقرب إليهم في مقابل خدمتهم.
- أن لا يكون بعلم من الفاعل، بل يكون فتنة من الشيطان وتلبيسًا، وهذا ينبغي أن يتنبه له إذ ليس كل من لم يتعمد الاستعانة بالشياطين يخلو من إعانتهم[2].

ولذلك كان لا بد من التنبه إلى أن ما يظهر على أنه خارق للعادة ليس بالضرورة دليلًا على صدق صاحبه أو جدوى طريقته وحلها، فإن هذا الذي أعطيه مهما عظم شأنه لا يتعدى كونه من حطام الدنيا التي يعطيها الله لمن يشاء ممن يريدها ولو لم يكن له عند الله قدر ولا شأن، وقد قال تعالى في كتابه العزيز:

---

(١) انظر: حلية الأولياء: ١٠/ ٣٤٧ - الأصبهاني.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٢/ (٣٣٨ - ٣٤٣) - ابن تيمية، والفرقان: (٣٦٤ - ٣٦٥، ٣٦٧ - ٣٦٩) - ابن تيمية.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[١]، وذكر **شيخ الإسلام** في أصناف من النساك من مشركي الهند وغيرهم ممن لا يتبعون الرسل أن «هؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتتنزل عليهم، فيكاشفون ببعض الأمور ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر»[٢].

ومما يجدر ذكره أن هؤلاء الذين تعينهم الشياطين بغير علمهم قد لا يخطر ببالهم أن هذا من فعلهم[٣] فهم إنما يظنون أن ما يحصل لهم هو نتيجة للتدريب على الاتصال بالطاقة أو الترقي في مراتب الوعي، ويظنونه حجة لهم في إثبات صدق دعواهم وصحة طرقهم، والواقع أنهم قد لُبس عليهم فلبسوا على غيرهم، والله المستعان.

ثانيًا: تنزيل النصوص الشرعية على المفاهيم الشرقية وتفسير المصطلحات الشرقية بما ورد في الشرع

إن تنزيل النصوص الشرعية على ما لا يتوافق مع معانيها الأصلية يعد - بلا شك -من الابتداع في الدين، وهو من جنس التفسير الباطني المبتدع أو التفسير الإشاري[٤] بحسب اعتقاد المفسر في الظاهر. «وهذا، لو كانت تلك المعاني

---

(١) الإسراء: ١٨.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (٨٣ - ٨٤) - ابن تيمية.

(٣) المرجع السابق: ٣٦٥.
وقال رحمه الله: "فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، ومنهم من يخاطبه الشجر والحجر..." إلى أن قال رحمه الله: "وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد، من غير حركة منه في الظاهر...، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان" (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (٣٥١ - ٣٥٣) - ابن تيمية).

(٤) **التفسير الباطني** هو الذي يرفض الأخذ بظاهر القرآن، ويقول إن للقرآن ظاهر وباطن، وأن المراد باطنه لا ظاهره. **والتفسير الإشاري**: هو تأويل القرآن على غير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، مع الاعتراف بدلالة الظاهر. (انظر: مناهل العرفان: (٢/ ٦٣، ٦٦ - ٦٧) - الزرقاني).

التي يذكرها الفلاسفة صحيحة ما جاز، بل كان من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ أن يقال: أنه أرادها. فكيف وأكثر تلك المعاني باطلة ومضطربة»[(١)]، ولذا كان من اللازم التحذير من هذا الفعل «لئلا يغتر بذلك من قد ينازع في ذلك، أو يرتاب فيه، أو لا يخطر بقلبه لحسن ظنه بمن يتكلم بالعبارات الإسلامية النبوية أنه لا يريد بها ما يعنيه هؤلاء المتفلسفة... وبسبب هذا ضل طوائف ممن لم ينكشف لهم حقيقة مقاصد الناس، فلا يفهمون ما يقصده الأنبياء والرسل ولا ما يقصده هؤلاء حتى يقابلوا بين هذه المعاني وتلك... بل قد يحرفون ما جاءت به الرسل حتى لا يفهم من المعاني التي قصدوها المنافية لما هم عليه»[(٢)].

إن كثيرًا ممن ينتهجون هذا النهج يعتبرونه نوعًا من التأصيل الشرعي لهذه الفلسفات الوافدة، ولا شك أن هذا المسلك لا يعتبر تأصيلًا بقدر ما يعتبر تضليلا. فإن المخالفة واقعة في المعنى الذي يدل عليه المصطلح الشرقي وليست في المصطلح فقط، وبتغيير المصطلح الأصلي إلى مصطلح ذي صبغة شرعية إيهام بشرعية المعنى وكونه هو المقصود في الشرع[(٣)]. ومثله تفسير المصطلحات الشرقية بالمعاني الشرعية أمر في غاية الخطورة، وفيه من التلبيس والتدليس الشيء الكثير، فالمصطلحات الشرقية لم توضع - قطعا - للتعبير عن المعاني الإسلامية بل وضعت لمفاهيم شرقية هي مقترنة بها، شاء المحرف أم لم يشأ. وهذا الإطلاق هو نوع من الابتداع في الدين، إذ الأصل الالتزام بالألفاظ الشرعية للتعبير عن معاني الشرع. أما الألفاظ والمصطلحات الدخيلة التي لم ترد في الشرع فالمنهج الصحيح تجاهها هو: الاستفصال. فإن كان معناها حق، أُثبت المعنى ولم يقبل في اللفظ،

---

(١) بغية المرتاد: (٣٩ - ٤٠) - ابن تيمية.
وقد أورد الإمام نصر المقدسي بابًا بعنوان: "إثم من تكلم في القرآن بغير ما ورد في الشريعة مما لم ينزل الله في كتابه" (انظر: مختصر الحجة على تارك المحجة: ٢/ ٥٥٢).

(٢) المرجع السابق: (٢٢ - ٢٣).

(٣) انظر: تمهيد في التأصيل: (٨٩ - ٩١) - د. عبدالله الصبيح.

وإن كان المعنى باطلًا رد هو ولفظه[١]. ومثال هذا النوع ما ذكره بعضهم من اعتبار «الـ (ريكي)» الذي يعتمد على فلسفات وثنية هو نفسه «الرقية» الشرعية نظرًا للتشابه في الأسماء ولاستخدام الأيدي في الاستشفاء[٢]. ولو طبقنا على هذا المنهج الصحيح في الألفاظ التي لم يرد بها الشرع لقلنا إن كان القائل يريد الرقية المعروفة في الشرع مما جاء بالكتاب والسنة دون الإضافات الشرقية، قلنا هذا الرقية شرعية ولكننا لا نقبل هذا اللفظ الحادث. وإن كان المراد تلك الممارسات المنحرفة المرتبطة بالطاقة الكونية وفلسفات الشرق الإلحادية، فهذا العمل مردود هو ومسماه، وهو ليس ما يعرفه المسلمون من الرقية. وهكذا في قول بعضهم إن المراد بالـ (تشي) ما يعرف عند المسلمين بالبركة[٣] وغيرها.

أما تفسير النصوص الشرعية على ضوء الفلسفة الشرقية، فالحديث عنه يطول والأمثلة عليه كثيرة. وتفسير النصوص بما لا يدل عليه ظاهرها نوعان:

١- أن يكون المعنى المذكور باطلًا. فهذا هو في نفسه باطل، فلا يكون الدليل عليه إلا باطلًا، وهو افتراء على الله وقول عليه بغير علم. ومن هذا النوع يكون تفسير النصوص الشرعية بمبادئ الفلسفة الشرقية، إذ هي في أصلها باطله فيكون حمل النصوص الشرعية عليها باطلًا.

٢- أن يكون المعنى في نفسه حقًا لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك. فإن قيل: إن المعنى مراد باللفظ، كان افتراء على

---

(١) انظر: التدمرية: (٦٥ - ٦٨) - ابن تيمية.

(٢) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٢٦ - غادة الدلابيح، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: (٣٤٨ - ٣٤٩) - عبدالتواب حسين، والمساج بدون لمس: ١١ - إ. كوبيتوف.

(٣) انظر: نشرة نادي السعادة (٢٨) في مجلة فواصل: ٦٣ - إشراف: د. صلاح الراشد - عدد: ١٢٤ - ٢٠٠٣/٩/١ م.

الله، وإن قيل: هو نوع من القياس، فمنه صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك[١].

ولعله من المناسب ذكر بعض الأمثلة ليتضح من خلالها المقصود ولتظهر مدى خطورة هذه التطبيقات وما ينتج عنها من البدع والخرافات.

فمن ذلك تفسير الزوجية الواردة في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢] بالـ (ين يانغ) الشرقية[٣] التي هي - في الواقع - صورة قطبية لعقيدة وحدة الوجود.

بل تجاوز ذلك إلى تفسير بعض الأمور الغيبية في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤] وفي قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٥] وفقًا للفلسفة الشرقية، ففسر نور المؤمنين واسوداد وجوه الكافرين بأنه من مظاهر تلون الهالة[٦].

أما ما ورد في حديث النبي ﷺ: [**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا**][٧] فقد فسروه بطريقة قبيحة ملتوية، فجعلوا

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/ (٢٤٠ - ٢٤٢) - ابن تيمية (بتصرف).

(٢) الذاريات: ٤٩.

(٣) انظر: موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (الجزء الأول): (١٠٥ - ١٠٦) - د. أسامة صديق، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٥٢ - غادة الدلابيح، وأسرار الطاقة: ٢٨ - حكم الزمان، وزن ماكروبيوتيك: ٢٠ - جورج أوساوا - إعداد: يوسف البدر.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) الزمر: ٦٠.

(٦) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: (١١٧ - ١١٨) - غادة الدلابيح، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: (٩٨ - ٩٩) - عبدالتواب حسين.

(٧) أخرجه مسلم ١/ ٦٢ برقم: ٣٤، كتاب الإيمان، باب: أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

الضغط على العين الثالثة (شاكرا الجبين) عند السجود تزيد من إفراز اللعاب حلو المذاق[١]. وأعظم من ذلك جعلوا ترديد النبي ﷺ لبعض الآيات أثناء قيام الليل نوع من التأمل المؤدي إلى الاسترخاء العميق (؟!)[٢].

وجعل بعضهم الخواص الشفائية لمياه زمزم هي بسبب احتفاظها بذبذبات طاقة جبريل عليه السلام حين ضربها بجناحه أول مرة[٣]، كما حملوا ما ذكره بعض علماء المسلمين من أن للإنسان جزءًا مائيًا وجزءًا أرضيًا وجزءًا هوائيًا[٤] على فلسفة العناصر الخمسة[٥].

ولا أغفل المحاولات المنحرفة للإقناع بجدوى أركان الصلاة العملية من خلال مقارنتها بأوضاع الـ (يوغا)، وأن صلاة المسلمين لا تقل عن صلاة الهندوس بشيء![٦] وأن كثيرًا من تلك الحركات الواجبة في الصلاة هي في الواقع تمارين للطاقة[٧]. أما الوضوء فهو إحدى وسائل تنشيط سريان الطاقة الكونية في

---

(١) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: (٥٦ - ٥٧) - غادة الدلابيح، وانظر ما يشبهه في: المعالجة بالطاقة الحيوية: ٣٣- سليم بيك علاء الدين.

(٢) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٥٦ - غادة الدلابيح.

(٣) انظر: مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ٣٥٥ - عبدالتواب حسين، وأسرار الطاقة: ١٧٩ - حكم الزمان.

(٤) راجع كلام ابن القيم في الطب النبوي: ٤٥- ٤٦.

(٥) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ٥٣ - غادة الدلابيح.
رغم أن التي ذكرها ابن القيم ثلاثة عناصر في مقابل خمسة في الفلسفة الشرقية.

(٦) انظر: المرجع السابق: ٥٧.

(٧) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: (٨٢ - ٨٤) - غادة الدلابيح، وموسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (الجزء الأول): (١٢٣، ١٥٣) - د. أسامة صديق، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: (١٨١ - ١٩٢) - عبدالتواب حسين.

ويختم عبدالتواب حسين مبحث الصلاة بحديث النبي ﷺ: [من عادى لي وليًا..] * تحت عنوان: جائزة الترقي، ولست أجزم أنه يريد الاتحاد بالله تبارك وتعالى - وإن كان هو المتوقع عند الترقي في تدريبات الطاقة - حيث أنه لم يصرح بذلك، لكن سياقه لهذا الحديث في هذا الموضع موهمًا، فقد يُفهم من قول الرب جل جلاله: [كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله

مساراتها[(١)]، بل إن أوقات الصلاة عند المسلمين متعلقة بنظام الطاقة المرتبط بزوايا سقوط الشمس[(٢)]".

هذا، ولو استقصينا جميع الأمثلة على هذا الانحراف في تطبيقات الفلسفة الشرقية لطال بنا المقام والمقال، ولكن نكتفي بما ذُكر من الأمثلة لعلها تفي ببيان المقصود.

إن ما سبق من الانحرافات العقدية البدعية ناتج - في الغالب - عن محاولات غير موفقة للتوفيق بين تطبيقات الفلسفة الشرقية والشرع، فعندما يجد أحدهم شيئًا من التشابه بين ما ورد في نصوص الكتاب والسنة أو تحدث به أحد علماء المسلمين مع بعض ما جاء في تطبيقات الفلسفة الشرقية جعل ذلك دليلًا على صحتها وموافقتها له. وهذا خطأ كبير، فالاشتراك بينهما في بعض الأمر ثابت في الواقع[(٣)]، إذ الفلسفة الشرقية جهد بشري لا يخلو من بعض الصواب، ولكن

التي يمشي بها...] هذا المعنى الباطل، خاصة عند من له قراءة مسبقة في تطبيقات الفلسفة الشرقية.
وقد ذكر ابن حجر رحمه الله الجواب على من أشكل عليه هذا الحديث من عدة أوجه، فيكون معناه: "أن كليَّته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به"، أو: "كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه".
(راجع: فتح الباري: ١١/ ٤١٨ - ابن حجر).
* الحديث أخرجه البخاري ٥/ ٢٣٨٤ برقم: ٦١٣٥، كتاب: الرقاق، باب: التواضع.

(١) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: (٨١ - ٨٢) - غادة الدلابيح، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١٠٧ - عبدالتواب حسين، وموسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (الجزء الأول): (١٢٣، ١٥٣) - د. أسامة صديق.

(٢) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: ١١٣ - غادة الدلابيح، ومبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١٧٨ - عبدالتواب حسين.
والعجيب أن مبادئ الطاقة التي لم يثبتها عقل ولا شرع تستخدم كدليل على أن ما جاء به الشرع هو الحق من الله!

(٣) مثل ما ورد في بعض التطبيقات من توجيهات أخلاقية تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، أو بعض النصائح الصحية العامة كالحث على التقليل من الطعام والترغيب في النوم المبكر، وما إلى ذلك من الأمور العامة التي تشترك فيها كثير من الأنظمة الأخلاقية والغذائية.

عندما يجعل ما جاء في الفلسفة الشرقية هو نفسه ما جاء به الشرع للاشتراك في بعض الأمر يكون الخطأ والخلل، فكون جزء ضئيل من الطرف الأول يشبه جزءًا ضئيلًا من الطرف الثاني لا يجعلهما شيئًا واحدًا، خاصة والاختلاف بينهما أكبر من الاشتراك.

وقد تمثل هذا الخلط فيما ذكره صاحب موسوعة العلاج والاستشفاء الطبيعي حول الجمع بين القرآن والسنة والـ (ماكروبايوتِك)، فقال: «والكثير مما ورد بعلم الـ (ماكروبايوتِك) متوافق مع القرآن والسنة ولذا كان الاستشهاد بالقرآن والسنة وأقوال علماء المسلمين من أمثال **ابن القيم**[1] في تثبيت مفاهيم الـ (ماكروبايوتِك)»[2].

إلا أن المسألة أعمق من ذلك بكثير، فهي ليست مجرد أنظمة غذائية أو تدريبات وقائية أو استشفائية، إنها فلسفة شاملة تخترق حمى الدين وصحيح الاعتقاد، ولذلك يقول المؤلف السابق نفسه عن الـ (ماكروبايوتِك): إنه «طب تعليمي فلسفي أكثر منه طبًا علاجيًا» و«هو رؤية الحياة بالمعنى المطلق لها، وبمفهومها الأوسع والأكثر عمقا»[3].

إن المتأمل فيما سبق يدرك خطورة هذه التطبيقات حيث تتلون بحسب حال المخاطب، بل إن من الحيل الباطنية قديمًا وحديثًا مخاطبة كل فئة بما تميل إليه

---

(١) **ابن القيم**: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، شمس الدين أبو عبدالله ابن القيم، سمع من أبي الحجاج المزي، وتفقه على مذهب أبي العباس ابن تيمية ودرس بالصدرية، وأمَّ بالجوزية. كان رحمه الله جريء الجنان واسع العلم عارفًا بالخلاف. صنف تصانيف كثيرة جدًا في أنواع من العلوم منها: زاد المعاد، والصواعق المرسلة، ومدارج السالكين. توفي عام ٧٥١ هـ. انظر:
ذيل طبقات الحنابلة: ٤/ ٤٤٧، والأعلام: ٦/ ٥٦ - الزركلي.

(٢) موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (الجزء الأول): ٢٢ - د. أسامة صديق، وانظر: (١٥٣ - ١٥٨) من المرجع نفسه.

(٣) المرجع السابق: ٢٨.

نفوسهم، ولو كانت عبادة أو طاعة، فهم يجارون المدعو على مذهبه ويظهرون حرصهم على التزامه[١]، وكما قال ابن تيمية رحمه الله: «الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه»[٢].

ولا شك أن الأمة الإسلامية قد ذاقت الأمرين بعد أن تأثرت طوائف منها بالفلسفة اليونانية في عصور مضت، فكان أن ظهرت البدع الكلامية والفرق المنحرفة التي لا نزال نعاني تخبطها حتى اليوم. ولا يسوغ بعقال الأمة أن يخلوا بين عوامها وبين ملاحدة الشرق إذ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ويكون المسلمون كالإمعة، يتبعون فلاسفة الشرق تارة وتارة فلاسفة الغرب.

ثالثًا: القول بوحدة الأديان

وحدة الأديان: «هو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة»[٣]، «وقد أجمع الدارسون على أن من نتائج القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان»[٤]. وقد سبق معنا أن القول بوحدة الوجود جزء لا يتجزأ من الفلسفة الشرقية[٥]، وهو كذلك في تطبيقاتها الاستشفائية، إذ يشير إليه كثير من المروجين لتلك التطبيقات صراحة في مرات، ومبطنة ملتوية في مرات أخرى[٦].

---

(١) انظر: فضائح الباطنية: (٣٠ - ٣١) - الغزالي.

(٢) النبوات: ٣٣٦ - ابن تيمية.

(٣) دعوة التقريب بين الأديان: ١/ ٣٣٩ - د. أحمد القاضي.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٣٨٤، وانظر: مجموع الفتاوى: ٢/ (١٩٢ - ١٩٣) - ابن تيمية، و
Transcendental Meditation: Is It Only Meditation ?: (10 - 11) - Harold J. Berry
وقد اقتصرتُ على وحدة الأديان في العنوان دون وحدة الوجود لما سبق من تفصيله في مواضع سابقة، ولأنه جزء من الفلسفة أكثر من كونه ناتجًا عن تطبيقاتها.

(٥) راجع ص: ٢٦٢ من هذا البحث.

(٦) وفيما يلي من النصوص أمثلة على ذلك:

وبالإضافة إلى عقيدة وحدة الوجود، يمكن إرجاع القول بوحدة الأديان – خاصة عند ذوي الميول الباطنية – إلى وجود ما يعرف بالعلوم الأزلية السابقة لجميع الديانات[1]، وهي التي تُستفاد من خلال الممارسات الباطنية التي يزعمون اشتراك الأديان جميعًا في مبادئها. ولذلك ليس عند هؤلاء أي إشكال في بقاء كل

- «وعندما تدرك أنك موجود في كل الوجود... وحينها ستصبح الناظر والمنظور، والقارئ والمقروء... المتعبد مع الله واحد، الطالب والمطلوب واحد" (أسرار الطاقة: (١٦٦ – ١٦٧) – حكم الزمان).
- الناس يظنون خطأ أن "الإنسان منفصل عن خالقه ليس فيه النفحة الإلهية" والحقيقة هي "أنهم غير منفصلين عن الله بل فيهم تلك النفحة الإلهية" (الوجوه الأربعة للطاقة: (١٥٤ – ١٥٦) – د. رفاه وجمان السيد).
- "إن الله ليس شخصًا، بل هو في كل الوجود، وفي كل الأشكال، وفي كل ما ترى وما لا ترى، وعبادة الله ليست بالحرب بل بالحب، ليست بالصوت بل بالصمت". (أسرار: ٦٥ – مريم نور)
- "الأضداد متكاملات ووجهان لعملة واحدة" (موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (الجزء الأول): ١٠٦ – د. أسامة صديق).
- "إذا جمعت بين العوالم الثلاثة – عالم الثوابت وعالم الإرادة وعالم الوسط – ذُبت عن نفسي وعلِمتُ أن كل ما في هذا الوجود ليس إلا مظاهر مختلفة لشيء واحد" (الاستشفاء بالطاقة الحيوية: ١٢٦ – د. رفاه وجمان السيد).
- "باستطاعة الإنسان الوصول إلى جوهر الوعي والحقل الموحد، حقل الذكاء والإبداع الذاتي، المرجعية للطبيعة. هذا الحقل أو هذا الوعي الذي يخلق كل التعددية من خلال تحوله الذاتي. وبتثبيت وعي الفرد على هذا المستوى، يصبح الإنسان سيد كل التحول، ويعرف ويدرك الروح التي نفخها الله في كيانه، كما يكتسب القدرة الإدارية والطاقة التي بواسطتها تدير الطبيعة حركة هذا الكون (!)" (الشفاء بالطاقة الحيوية: ٢١ – د. أحمد توفيق)، "عندما يدخل الإنسان في جو من السكينة والهدوء، وينفصل مؤقتا عن المألوف والمعروف، ويترك لوحده ليرى ذاته الحقيقية كما هو حقيقة، فإنه يقف وجها لوجه مع الله سبحانه" (المرجع نفسه: ١٤٤) وفي الكتاب إشارة إلى هذا المعنى في مواضع متعددة.
- ".. ندرك في هذه اللحظات كم نحن ضئيلين ولا نعرف إلا القليل عن جوهر الـ (ريكي)، تمامًا كحبة المطر بالنسبة للمحيط لهما نفس الطبيعة وفي النهاية يمتزجان معا ويصبحان شيئًا واحدًا" (الريكي للمبتدئين: ١٣١ – ديفيد إف فينلس).
- أما الـ (ماكروبايوتك) فهو "إحدى الطرائق الثماني للوصول إلى... الـ (نيرفانا)" (دعوة إلى الصحة والسعادة: ٢٦ – جورج أوساوا).

(١) انظر: Essential Reiki: 16 - Diane Stein

إنسان على دينه ما دام يعتنق الأفكار الباطنية الصوفية التي تجعله جزءًا من الصورة الأكبر للوجود والحياة.

أما الحركات الباطنية الغربية المعاصرة فقد تأثرت بشكل رئيس بدعوة سوامي **فيفكانادا**، أبرز ناقلي الهندوسية إلى الغرب، حيث كان من أتباع المدرسة القائلة بوحدة الأديان، يقول **فيفكانادا**: «كل نفس هي إلهية بالفعل. هدفنا أن تظهر القوة الإلهية التي في داخلنا عبر السيطرة على الطبيعة الخارجية والداخلية. لنبلغ ذلك بالعمل، بالعبادة، بالسيطرة على الفكر، أو بالفلسفة، بطريق واحدة من هذه الطرق أو بجميعها، ولنكن أحرارًا. هذا هو الدين كله، فليس العقائد والمبادئ والطقوس والكتب والمعابد والأشكال سوى تفاصيل ثانوية»[١]، ولذا كان هذا التوجه هو الأغلب عند رواد الفلسفة الشرقية من الغربيين[٢]، التي انتقلت من خلالهم إلى العالم العربي والإسلامي. وقد قال **صلاح الراشد**[٣] في معرض كلام يذكر فيه مزايا الولايات الأميركية المتحدة: «... وأفضل النظريات والفلسفات تتطور فيها، ولم نعرف بحياتنا شيء[٤] عن الشرق حتى تحدثت عنه أمريكا، فلا (تاي تشي) ولا (تشي كونغ) ولا (يوغا) ولا (كونغ فو) ولا غيرها حتى ظهرت في أمريكا، ولم نعرف شيئًا عن كثير من الأديان كالبوذية والطاوية

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية: ٢٤ - غطاس الحكيم.

(٢) راجع صـ: ٨٨ من هذا البحث.

(٣) **صلاح الراشد**: هو من أبرز الدعاة إلى تطبيقات فلسفة الاستشفاء الشرقية في الخليج العربي، ويحمل العديد من الشهادات التي تؤهله لذلك، منها: في البرمجة اللغوية العصبية، والعلاج بالتنويم والعلاج بخط الزمن. وهو رئيس مركز الراشد للتنمية البشرية الداعم الرئيس للتطبيقات في الخليج، تنتشر مراكزه في أنحاء مختلفة من العالم العربي من القاهرة إلى مكة المكرمة. يذكر أن له معلمًا سريًا اسمه عليم الدين يأخذ عنه علومه وأفكاره. له العديد من الإصدارات حول التنمية والقوى الذاتية، أحدها بعنوان: "قانون الجذب".
تصفح: الموقع الرسمي لمركز الراشد - من هو د. صلاح الراشد www.alrashed.net >

(٤) كذا، والصواب: شيئًا.

وغيرها حتى ظهرت في أمريكا (!)»[١]. ولذلك فإن التوجهات الشرقية التي يتبناها الغرب هي التي تنقل إلينا، ومن ذلك القول بوحدة الأديان. بل إن حركة «العصر الجديد» التي تمثل الجانب الغربي للفلسفة الشرقية، تدعي أنها خلاصة كل الأديان وأن كل الطرق الروحية تؤدي إلى إله واحد[٢].

وإن مما يزيد من خطر هذه التطبيقات كثرة الحديث في الأزمنة المتأخرة عن التعايش والتسامح بين أتباع الديانات المختلفة، وذلك من خلال وسائل الإعلام المتعددة، دون تمييز لما يمكن أن يقبل من ذلك وما لا بد أن يُردّ. ودون تمييز بين التعايش المنضبط بضوابط الشرع وبين قبول الباطل وتمييع الدين.

وفي الدعوة إلى وحدة الأديان خطر كبير على اعتقاد المسلمين فهي «دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة بمحمد ﷺ، فهي نظرية مرفوضة شرعًا محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة وإجماع وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان»[٣]، كما «يجب على كل مسلم اعتقاد كفر من لم يدخل في هذا الإسلام... وتسميته كافرًا، وأنه عدوٌّ لنا، وأنه من أهل النار»[٤]، وأن المسلمين «على الحق وحدهم»[٥].

---

(١) نشرة نادي السعادة (٢٩) في مجلة فواصل: ٦٦ - إشراف صلاح الراشد - عدد: ١٢٦ - ١/١٠/٢٠٠٣م.

(٢) البدع والروحانيات الجديدة: ٣٧ - روبير عيد اليسوعي (بتصرف يسير).

(٣) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان: (٣٥ - ٣٦) - الشيخ بكر أبو زيد.

(٤) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان: ٩٣ - الشيخ بكر أبو زيد.

(٥) المرجع السابق: ٩٢.

للدعوة إلى وحدة الأديان في تطبيقات الفلسفة الشرقية أربع صور، ويمكن اعتبارها أربع مراحل:

أولها: الدعوة إلى المحبة والتسامح وغياب ملامح الولاء والبراء، يقول أحدهم: إن الله ﷻ طلب منا «منح هذا الحب بالمقدار الذي منحه لنا، دون تحديد الجنس أو اللون أو العرق أو الدين أو الانتماء. فكلنا نندرج تحت اسم أحباب الله»[1] مستدلا بقوله ﷺ: [**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**][2]! ويقول **جورج أوساوا** رائد الفلسفة الشرقية في العصر الحديث وواضع نظام الـ (ماكروبايوتِك) متحدثا عن الطريق إلى السعادة: «إذا كان على وجه الأرض إنسان واحد أو شيء واحد لا تحبه، فلن تكون سعيدًا أبدًا»![3]. فكان على المسلم - ولا بد - أن يحب رؤوس الكفر والضلال وأن لا يبغض شيئًا على وجه الأرض ولو كان الله يبغضه ويمقته ليحقق السعادة المنشودة، والحق أن السعادة الحقيقية منوطة بالإيمان وكيف يؤمن من يوادّ من حاد الله ورسوله؟ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[4]، بل إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله. أما **مريم نور** فتقول: إن «الله مع الجماعة (!)، هذه هي العائلة المقدسة والمكرسة، كلنا إخوة في الله، نحترم جميع المخلوقات بكل تصرفاتها»[5].

ثانيها: التهوين من الشعائر الظاهرة للأديان[6] والتي تميز كل دين عن الآخر. وقد صرح **أوساوا** بالحقائق القبيحة المغيبة لفلسفته قائلا: «إن كل دين مزعوم

(١) أسرار الطاقة: ١٢٦ - حكم الزمان.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٤ برقم: ١٣، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٣) زن ماكروبيوتيك: ٣٩ - جورج أوساوا.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) أسرار: ١٨ - مريم نور.

(٦) انظر: أسرار الطاقة: (١٢٣، ٢٠٨، ٢١١) - حكم الزمان.

يتطلب طقوسا خاصة، والتقيد بها وعقوبات وجنة وجحيما وآلهة خاصة وصلوات... الخ. أو إنه لا ينكر فائدتها فهو دين ينتمي إلى العالم المرئي ويُعتبر كشبه دين في فلسفة الشرق الأقصى، فهذه الفلسفة تعتبر الدين الحقيقي هو الدين الذي لا يحتاج إلى كل تلك الأمور لإنقاذ البشرية من كل أنواع المعاناة والآلام إنقاذا تاما. التوحيد والوثنية هي اصطلاحات تصلح للاستخدام فقط في عالم المعرفة المرئي، ولا يصح استخدامها إطلاقًا في الـ تايكيوكو[1]»[2]. ويقول في موضع آخر: «إن من يشعر بالكون الحقيقي... في كيانه لا ينتمي إلى أي دين، أو أي طائفة. إن المريدين والأتباع هم الذين يأتون بالديانات والطوائف ويخسرون على الدوام الروح الحقيقية لـ أنا الصغير والعالم الخفي لـ أنا الكبير»[3]. بينما تتساءل **مريم نور** «لماذا بنوا المعابد؟ فالطبيعة تسبح الله وليس لها معابد!»[4].

ثالثها: التشكيك في وجود حقيقة مطلقة وأن الحق أمر نسبي. كما في قول أحدهم: «خذ ما يرضيك منهم؛ لأن الأمر يهمك وحدك، وعصيانك لك وحدك، ولا تسخر من أحدًا، ولا تكفر أحدًا، لأن العلم عند الله وحده»[5].

وأخيرًا: التصريح بأن جميع الديانات مؤداها واحد لا فرق بين أحد منها إلا كالفرق بين الطرق المتعددة الموصلة إلى مقصود موحد. وقد استشهد مؤلف كتاب أعمدة الـ (يوغا) الثمانية بأبيات **ابن عربي**[6] الشهيرة:

---

(١) هو المصطلح الياباني لـ (طاي جي).

(٢) المبدأ الفريد: ٦٩ - جورج أوشاوا.

(٣) المرجع السابق: ٦٧، وانظر: Essential Reiki: 129 - Diane Stein

(٤) الخفايا: ١٠ - مريم نور.

(٥) أسرار الطاقة: ١٧٣ - حكم الزمان.

(٦) **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر، الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية. ولد في الأندلس عام ٥٦٠ هـ. كان إمام القائلين بوحدة الوجود. له نحو ٤٠٠ مؤلف ما بين كتب ورسائل، من أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. طاف البلاد الإسلامية واستقر في دمشق وفيها توفي عام ٦٣٨ هـ. انظر:
سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٤٨ - الذهبي، والأعلام: ٦/ ٢٨١ - الزركلي.

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلًا كل صورة	فمرعى لغزلان وديرًا لرهبان
وبيتًا لنيران وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني[1]

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتجاوزه في بعض الحالات إلى ما يسمى: توحيد الأديان، وهو: «دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعًا، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الجديد»[2] فيظهر دين ملفق من حطام الديانات المختلفة في مزيج متهتك نشاز. وهو الذي يظهر على أتباع طائفة الـ (عصر الجديد)، وقد تعد مريم نور أحد نماذج ذلك في عالمنا العربي[3].

رابعًا: التشبه بالكفار

إن مسألة تشبه المسلمين بالكفار هي من المسائل العقدية الهامة، ولذا يحسن التعرض لحكم التشبه بالكفار في الشرع عمومًا، لنصل إلى حكم ما قد يرد في تطبيقات الفلسفة الشرقية من ذلك.

ينقسم التشبه بالكفار إلى قسمين رئيسين: مشابهتهم فيما هو من ديننا[4]، ومشابهتهم فيما ليس من ديننا. أما الأول فلا خلاف أنه غير مُعتبر، وإنما المعتبر ما أمر به الشرع - وجوبًا أو استحبابًا - دون الالتفات إلى اشتراك جماعات من

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية: ١٠٣ - عطاس الحكيم.

(٢) دعوة التقريب بين الأديان: ١/ ٣٤٣ - د. أحمد القاضي.

(٣) فهي تخلط بين تعاليم ديانات مختلفة كالإسلام والنصرانية والبوذية والهندوسية والطاوية، ثم تأتي بما يناقضها جميعًا. انظر - على سبيل المثال - كتابها: الخفايا.

(٤) ومن ذلك صيام عاشوراء فهو مشترك بين المسلمين واليهود.

الكفار مع المسلمين فيه. يبقى القسم الثاني، وهو التشبه بالكفار فيما ليس من ديننا، وفيه التفصيل الذي يمكن إيجازه في التالي:

أولًا: أن يكون العمل من خصائص دينهم، فلا يخرج فاعله عن إحدى حالتين:

- أن يكون عالمًا بأن ذلك العمل من خصائص دينهم، ويكون فعله:
  - إما لمجرد موافقتهم، وهو قليل.
  - وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل.
  - وإما لشبهة فيه تخيِّل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة.

  وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر وقد يصير كفرًا بحسب الأدلة الشرعية.

- أن لا يكون عالمًا بأن العمل من خصائص دينهم، وهذا يكون لفعله صورتان:
  - أن يكون الفعل على الوجه الذي يفعلونه.
  - أو يكون مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك، وهو غالب ما يبتلى به العامة وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك.

  فهذا يعرَّف صاحبه حكمه، فإن لم ينته صار من القسم الأول.

ثانيًا: أن لا يكون من خصائص دينهم ولا هو في الأصل مأخوذًا عنهم ولكنهم يفعلونه كذلك، فهذا ليس فيه محذور المشابهة ولكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: (٤٩١ - ٤٩٢) - ابن تيمية (بتصرف).

ومن خلال ما سبق، نرى أن كثيرًا مما في تطبيقات فلسفة الاستشفاء الشرقية يعتبر من خصائص ديانات الشرق ومأخوذ في الأصل عنهم، سواء كان من اصطلاحهم وتعبيراتهم أوما كان من أفعالهم التعبدية أو الروحية، ولذلك فإن حكمها - في أقل الأحوال - التحريم. ويمكن تلخيصها في ثلاثة جوانب:

(١) المشابهة في الألفاظ والمصطلحات.

ومشابهة أهل الديانات الشرقية في مصطلحاتهم أمر دارج في تطبيقات الفلسفة الاستشفائية وظاهر لكل أحد، سواء أطلقت على المفاهيم الشرعية أو الطبية. فكل من الـ (پرانا)، والـ (تشي)، والـ (شاكرات) وغيرها، مصطلحات جاءتنا من العالم الشرقي بلا شك، ولا يُنكر منصف أنها مبنية على عقائد إلحادية ومذاهب باطلة، ومن ثم لا يصح أن يقال إنها كلمات يمكن حملها على حق وباطل، بل الصحيح أنها مصطلحات يبقى تفسيرها حقًا لواضعها، كما هو الحال في سائر المصطلحات. فهذه الألفاظ ليست مجرد كلمات مستوردة من لغات أخرى - مع ورود النهي عن ذلك في الشرع[1] - ولكنها تحمل مع ذلك أبعادًا فلسفية خطرة. ولو فرضنا أنه يمكن حمل هذه المصطلحات على معان حقة، فهل يمكن تجريدها من المعاني الباطلة؟ وكيف يضمن لنا أصحابها أنه بعد. أن تروج وتنتشر لن تكون سبيلا إلى تبني معانيها الحقيقة التي وضعت من أجلها أصلًا؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى - وهي الأخطر - في مشابهة ملاحدة الشرق ترديد الألفاظ أو الـ (مانترا) المستخدمة في كثير من التطبيقات الاستشفائية المعاصرة للفلسفة الشرقية والتي ليست سوى ألفاظ طقسية تردد في العبادات الهندوسية[2]. وقد أسلفنا أن هذه الألفاظ غالبًا ما تكون تعبيرًا عن أسماء الآلهة

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٤٦١ - ابن تيمية.

(٢) انظر: Transcendental Meditation: Relaxation or Religion ?: (70 - 86) - Ronald L. Carlson
Encyclopedia of New Age Beliefs: 17 - John Ankerberg & John Weldon

راجع صـ: ٤٤ من هذا البحث.

الهندوسية أو غيرهم من الشخصيات المقدسة[١]. ومن أشهر تلك الـ (مانترات) هي كلمة: «أوم»، وقد أكد **أوساوا** على الأبعاد الدينية للـ (مانترا) بقوله: «تم اختصار كل الفلسفة البوذية - والتي تنشر في عدد لا يحصى من الكتب - تم اختصارها في ستمائة مجلد... والتي بدورها اختصرت فيما يقارب مئتي كلمة وهذه أيضًا تم تكثيفها إلى ثمان عشر مقطعًا صوتيًا وهذه اختصرت أيضًا في تسمية من سبعة أو ثلاثة مقاطع صوتية وحتى في كلمة واحدة من مقطع صوتي واحد هو (أوم)»[٢].

والـ (مانترا) تستخدم في كثير من التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، كالـ (ريكي)[٣]، والـ (يوغا)[٤]، وفي أنواع التأمل[٥].

(٢) المشابهة في الأوضاع والحركات

تتشابه كثير من الأوضاع المستخدمة في تطبيقات الفلسفة الشرقية مع ما يفعله الهندوس والبوذيون في معابدهم وفي رياضاتهم الروحية، لا سيما الأوضاع الخاصة بالـ (يوغا). غالبًا ما تحمل أوضاع الـ (يوغا) سمة خاصة تميزها عن غيرها من التمارين[٦]، إلا أن بعض هذه الأوضاع هي من خصائص الديانة الهندوسية - وأحيانًا البوذية - التي يمارسها الـ (يوغيون) في دور العبادة والتي

---

(١) راجع صـ: ٤٠٠ من هذا البحث.

(٢) المبدأ الفريد: ١٩ - جورج أوشاوا.

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ١٨٠ - ديفيد إف فينلس.
وقد ذكر المؤلف أحد الـ (مانترات) الشهيرة وهي (أوم ماني بادوم هوم) التي سبق الحديث عنها، وتحمل معان متعددة منها إمكانية التحول من إنسان غير نقي إلى "بوذا".

(٤) انظر: الحكمة الهندوسية: ١٥٣ - حلقة الدراسات الهندية.

(٥) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: ١٣٧ - د. أحمد توفيق، و
The Science of Art and Being: 290 - Maharishi Yogi

(٦) وهو كاف للمنع منها حيث أن الـ (يوغا) - ككل - هي في الأصل مدرسة هندوسية فما كان منها متميزا عن غيره بحيث أن الناظر إليه يعلم أنه من أوضاع الـ (يوغا) مُنع من أجل المشابهة بالهندوس.

تعتبر تعبيرات جسدية ورموزًا لبعض المعتقدات والأفكار. وقد ذكر عن تحية الشمس أنها تمارس «جماعات وأفرادًا في الميادين العامة، باحترام شديد وقدسية عالية، تشابه ما عليه المسلمين في تأديتهم صلاتهم جماعات في المساجد وأفرادًا في المنازل»[١]، والـ (يوغا) بشكل عام لا تخرج عن مفهوم العبادة ولذا عرفها بعضهم بأنها «رياضة جسدية فكرية يخضع فيها الإنسان جسده... إلى محض إرادته. وبواسطتها تتصل روح الإنسان بخالقه تعالى. فهي صلة الوصل بين الإنسان وخالقه، كما في الصلاة والذكر والدعاء»[٢].

فإن قيل: إنما هي تمارين ورياضات نستخدمها للمحافظة على الصحة والاسترخاء، ولا نريد بها العبادة، وهي إنما كانت عبادة عند الهندوس من أجل نيتهم، فإذا انعدمت النية انتفت المشابهة. قيل: إن المحذور كان من أجل التشبه بعبادة اختص بها الكفار، وهي ليست من الأمور المشتركة التي لا تخصص إلا بالقصد، وإنما هي على أوضاع وهيئات محددة لا تجتمع إلا في تلك العبادة المعينة. فلو جاء رجل بوذي - مثلًا - إلى مجتمعه بطريقة جديدة للاسترخاء، تتكون من حركات منظمة ومحددة تبدأ برفع اليدين حذو المنكبين والتكبير وتنتهي بالتفاتتين وتسليم، وبين هذه وتلك تتضمن تسبيحًا مع الركوع والسجود وقراءة باللغة العربية. ثم يحيل ذلك الرجل إلى القرآن والسنة لمزيد قراءة واطلاع، ويسمي هذا التمرين «صلاة». فهل يقول عاقل إن هذا مجرد تمرين للاسترخاء، قد جربه القوم فوجدوا نفعه؟! ولا يمكن تشبيهها بعبادة المسلمين؛ إذ البوذي لا يعترف **لمحمد** ﷺ بالرسالة، ولا ينوي بها التعبد؟ إن القضية هنا - وخاصة في الـ (يوغا) - مماثلة تمامًا، فهي مأخوذة مباشرة من الـ (يوغيين) الهندوس - أو بواسطة الغربيين - ثم

---

(١) مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: ١٧٣ - عبدالتواب حسين.

راجع الكلام حول تحية الشمس في ص: ٣٦٦-٣٦٧ من هذا البحث.

(٢) الشفاء بالطاقة الحيوية: ١٩٧ - د. أحمد توفيق.

هي مماثلة لما يفعلونه هم لتحقيق غرضهم في الاتحاد بنفس الأوضاع والهيئات، ويُرجع فيها إلى كتب الهندوس وتسمى باسمها عندهم. فكيف يمكن أن يقال: هذه غير تلك؟!

ومما يعد تشبها بما هو من خصائص الكفار حركات الأيدي والأصابع التي تستخدم في أنواع التأمل وترمز للاعتقادات الشرقية كنفي الذات ووحدة الوجود، وهي ما يسمى غالبًا بالـ (مودرا)، وكثيرًا ما تقترن بتدريبات ضبط التنفس[1].

ولا شك أن المشابهة في الظاهر تورث تناسبًا بين المتشابهين في الباطن[2]، وقد اعترف د. **يوسف البدر** بهذا المعنى حيث قال متحدثًا عن الـ (ماكروبايوتِك):

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١٩٤ - غطاس الحكيم، والوجوه الأربعة للطاقة: ١٢٦ - د. رفاه وجمان السيد، Reiki the Healing Touch: ii63 - William Lee Rand

ومن أشكال الـ (مودرا) ما يلي:



مودرا "أوم" ترمز لوحدة الوجود

وهي ترمز للتخلي عن الرغبات الدنيوية

وهذه ترمز إلى المعرفة الروحانية

(مودرا) ترمز للطرد والإبعاد

وهي ترمز للإنذار وغضب الآلهة

وهذه وضعية الدعاء

وهذه (مودرا) التأمل يستخدما الـ بوذا المعالج

وهذه ترمز للكمال

هذه الـ (مودرا) ترمز للحماية من الشرور

تصفح: www2.bremen.de/info/nepal/Icono/Mudras/Mudras.htm

وانظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ١٩٤ - غطاس الحكيم.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٧٩ - ابن تيمية.

«ويشبه هذا النظام الغذائي، إلى حد بعيد، الطعام الذي اتبعه هؤلاء القادة الحكماء السالفون. وبمجرد اتباعه، فإن أحوالنا ومفاهيمنا وتفكيرنا ونظرتنا للحياة ستشابه الأوضاع الحياتية الغابرة ووجهات النظر التي كانت سائدة حينها»(١).
وهذا هو الذي نخافه ونخشاه.

ومما يلحق بهذا الباب، ما يكون من تطبيقات الفلسفة الاستشفائية مما يشابه العبادات الإسلامية، أو قد يستعاض عنها بها، يقول صاحب كتاب الاستشفاء بالطاقة الحيوية:

«في الصباح والمساء، اجلس وادعُ بقلبك، وبصوت واضح بهذه المبادئ - مبادئ الـ (ريكي) - يتعافى جسمك وتطيب نفسك»(٢)

وكأنها أوراد الصباح والمساء التي جاءت في الكتاب والسنة، وتلك من التعاليم المتكررة في الـ (ريكي)، كما تقترن عند بعضهم بـ (مودرا) الدعاء!(٣). بل إن من الناس من قد استبدل قيام الليل بتحية الشمس، حيث يستيقظ في الساعة الثالثة فجرًا، ويستمر في ممارستها إلى ما بعد طلوع الشمس(٤). يقول **شيخ الإسلام** فيما يشبه هذه الأفعال: «فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلَّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره. بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته ومنفعته به، ويتِمُّ دينه، ويكمُلُ إسلامه... ومن أدمن على أخذ الحكمة من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع»(٥) كما يقول متحدثًا عن كتب الفلسفة

---

(١) علم الطاقات التسع: ١٤ - ميتشيو كوشي وإدورد إسكو.
(٢) الاستشفاء بالطاقة الحيوية: ٨٤ - د. رفاه وجمان السيد.
(٣) انظر: Reiki the Healing Touch: D2 - William Lee Rand
Reiki Fire: 30 - Frank Arjava Petter
(٤) انظر: اليوغا في ميزان النقد العلمي: ١٧ - د. فارس علوان.
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ (٤٨٣ - ٤٨٤) - ابن تيمية.

والافتتان بها: «وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب، مضمومًا إلى ما حصل من التفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، حتى صار ما مُدح في الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة - اليونانية - أو نحوها من الأمم كالهند وغيرهم»[1]

(٣) المشابهة في الوسائل والغايات.

لا شك أن الأهداف والغايات التي يسعى إليها المسلم تختلف عن أهداف الهندوسي والبوذي والطاوي. إلا أن هذا التمايز أخذ يتلاشى شيئًا فشيئًا مع الانغماس في تطبيقات الفلسفة الشرقية، ولنأخذ قضية التأمل كمثال يوضح هذا التوجه والانحراف.

لا شك أن التأمل والاسترخاء وسيلة مهمة تعود على الإنسان بالنفع الصحي والنفسي، وتقيه - بأمر الله - من كثير من أمراض العصر وأسقامه الناتجة عن التعب والإجهاد. وإن في الإسلام وسائل شرعية يمكن من خلالها تحقيق ذلك، كالصلاة. وقد ثبت نفع الصلاة كوسيلة للراحة والاسترخاء في سنة المصطفى ﷺ الفعلية والقولية، فقد قال ﷺ لمؤذنه: [أرحنا بها][2]، ومن تلك الوسائل الشرعية: التفكر والتأمل في مخلوقات الله، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3]. هذه الوسائل الشرعية تهدف إلى غايات شرعية كذلك؛ كزيادة الإيمان، واستشعار عظمة الخالق

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٢٣ - ابن تيمية.

(٢) أخرجه: أبو داود ٤/ ٢٦٩ برقم: ٤٩٨٥، كتاب: الأدب، باب: في صلاة العتمة. وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٣٠٧ برقم: ٧٨٩٢.

(٣) آل عمران: ١٩٠ - ١٩١.

وتفوقه ﷻ على مخلوقاته. ثم أصبح الاسترخاء والراحة ينشد في غير محله من خلال جلسات من التأمل الشرقي الذي يغيب فيه عقل الإنسان عن الوعي حتى يلتبس عليه التمييز بين الخالق والمخلوق(١).

فالتأمل الشرقي ليس مجرد وسيلة للراحة والاسترخاء، ولكنه وسيلة إلى تحقيق السعادة الأبدية وفقا لفلسفتهم. يقول أحد أنصار هذا التأمل: «عندما نتأمل يوميا سنجد أن السعادة هي حالة من حالات العقل، وأنه كل ما توفرت لنا الفرصة لكي نوجد حالات عقلية إيجابية عن طريق التأمل والصلاة والـ (ريكي)(٢)، فإن هذا هو المفتاح للسعادة الأبدية، كما أن معرفة وفهم ذلك هو الحكمة بعينها»(٣). إن محاولة التوصل إلى ما يسمونه مراحل متقدمة من الوعي يؤدي إلى تشوش الرؤية وإدراك الحقائق، بحيث لا يكون في الواقع ولا في الشرع أي دلالات قطعية، بل إن الأمور كلها نسبية وغير حقيقية(٤).

وهذا التأمل لا يمكن أن يكون هو التأمل النبوي، فالمسلم في عبادته لا يسعى لإزالة جميع الأفكار من ذهنه - بل إنه كثيرًا ما يحتاج إلى استحضارها ليسألها - ولو لم تكن دنيوية كرغبته في الجنة وخوفه من النار. ولا بد أن يستشعر العبد ضعفه وفقره أثناء تعبده فهو أحرى للإجابة. والواقع أن إخلاء القلب من كل رغبة أو رهبة وإخلاء العقل من كل تصور أو فكرة ليس سوى تقديم ورقة بيضاء ينقش فيها الشيطان ما يشاء(٥)!

والمقصود: أن الممارس لتطبيقات الفلسفة الاستشفائية تختلط عليه الوسائل والغايات، فتكون الوسيلة الأنجع هي تلك التي جاءت من الشرق، والغاية منها:

---

(١) انظر: الاعتقاد: (٣٢ - ٣٩) - البيهقي.
(٢) لاحظ اقتران التأمل والـ (ريكي) بالصلاة أو الدعاء مما يوحي باعتبارها من الصنف ذاته.
(٣) الريكي للمبتدئين: ١٨٥ - ديفيد إف فينلس.
(٤) انظر: Encyclopedia of New Age Beliefs: 17 - John Ankerberg & John Weldon
(٥) انظر إغاثة اللهفان: ١٢٨ - ابن القيم.

هي ذات الغاية التي يريدها أبناء الشرق. إن الهدف هو الوصول إلى مراحل متقدمة من الوعي، والتخلص من جميع الرغبات والمخاوف فلا يبقى في ذهن الإنسان فكر. وفي هذا مشابهة لهم فيما هو من أخص خصائصهم، إذ وسيلة المسلم تختلف، وغايته تختلف، ومفهومه للسعادة الأبدية - قطعا - يختلف.

ثم بعد كل هذا، ما الذي يجعل هذه الأباطيل تروج بين أبناء المسلمين؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال ثلاثة نقاط:

١- أن الطبيعة الاستسرارية للفلسفة الشرقية وتطبيقاتها، تجعل منها علومًا غامضة، لا تظهر شرورها إلا بالتدرج لئلا ينفر منها من في قلبه إيمان.

٢- أن تلك الطبيعة الاستسرارية تعد عامل جذب لبعض الفئات البشرية الذين يحبون التميز عن العامة والترفع عنهم بالتحيز إلى فئة خاصة تزعم أنها مطلعة على الحقائق[1].

٣- ومن أجل تشجيع قبول الفلسفة الشرقية فقد اتبع بعض أتباعها الطريقة التي اتبعتها المدارس العقلية في تفسير الشريعة الإسلامية، ولا سيما القضايا الغيبية، بحيث جُعلت الغيبيات مجرد صور للحقائق العلمية، وأولت عن مقصودها الحقيقي[2]. ولذلك، وجد من الناس من يعتبر

---

(١) انظر: فضائح الباطنية: (٣٨ - ٣٩) - أبو حامد الغزالي.

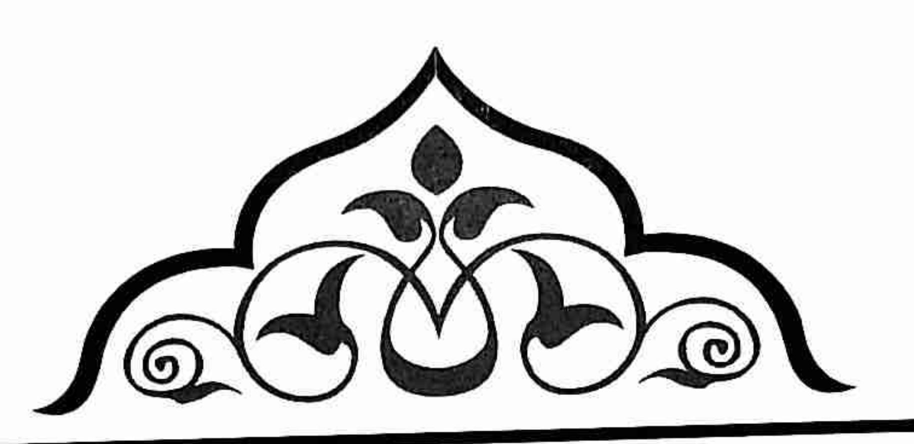
(٢) راجع: الاتجاهات العقلانية الحديثة: ١٢٣ وما بعدها - د. ناصر العقل.
وقد اتفق أنصار الفلسفة الشرقية مع الاتجاهات العقلية في هذا الجانب وإلا فالمدارس العقلانية لا تتعامل مع قضايا الغيب بهذه الطريقة فقط وإنما تقوم بالتشكيك فيها أو بإنكارها تمامًا، وهو ما لم يظهر عند هؤلاء حيث استخدم التفسير العلمي لتمرير المعتقدات الخرافية وإلا فهم في الأصل لا يهتمون بالعلم التجريبي كثيرًا - بل يرون أن كثيرًا من المؤسسات العلمية تقف ضدهم. ثم لما كان أنصار الفلسفة الشرقية يطبقونها أصلا - على المفاهيم الإسلامية - كانت نتيجة فعلهم مطابقة لتلك التي وقعت فيها الاتجاهات العقلانية من تفسير الخوارق والغيبيات بأمور محسوسة وتأويلها عن حقائقها المرادة. وهذا منزلق عقدي خطير حيث يفضي إلى الانسلاخ التام من عقيدة الإيمان بالغيب وإنكار كل ما هو غيبي.

التحذير من مثل هذه العلوم الوافدة أمر يشبه الفصام والصراع الذي حصل بين الكنيسة والعلم[1].

٤- وأخيرًا، فإن إلباس تطبيقات الفلسفة الشرقية لبوس الدين في بعض صورها كان له دور كبير في نشرها بين جهلة المسلمين الذين يعبدون الله على غير الجادة، ولا يتحرون المتابعة في تقربهم إلى خالقهم، فيغرهم الظاهر المزيف بألفاظ الشريعة ويغفلون عن الحقائق الباطنية المستترة خلفه.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنِّبنا الفتن ما ظهرَ منها وما بطن.

(١) انظر: نشرة نادي السعادة (٧) في مجلة فواصل: ٦٦ - إشراف صلاح الراشد - عدد: ١٠٣ - ٣٠/١٠/٢٠٠٢م.



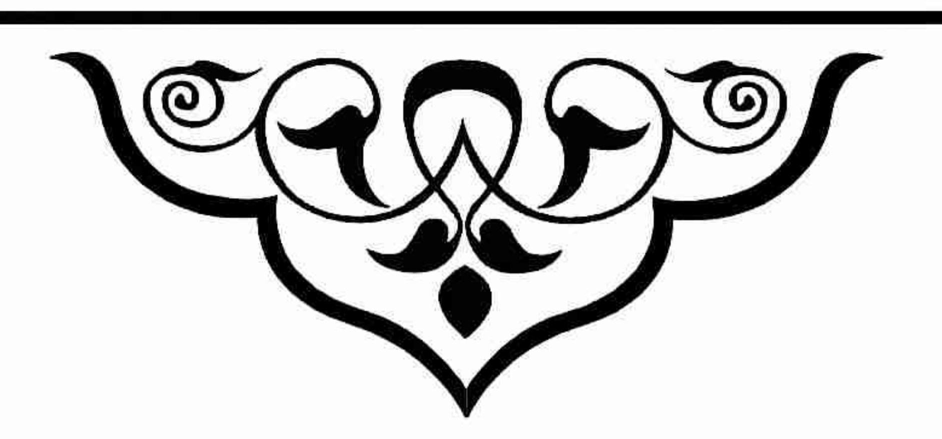
الفصل الثاني

الأحكام المتعلقة بالفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية الحادثة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الضوابط الشرعية للتعامل مع الفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية الحادثة.

المبحث الثاني: الأحكام المتعلقة بتطبيقات الفلسفة الاستشفائية الشرقية.



المبحث الأول

الضوابط الشرعية للتعامل
مع الفلسفات الوافدة
والمذاهب الفكرية الحادثة

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بما فيه نفع الأرواح والأبدان، وهي الشريعة التامة الناسخة لما سبقها من الشرائع والأديان. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1]، وقال جل من قائل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾[2]. ومع ذلك، فقد ترك الإسلام مساحة للاجتهاد في الأمور الدنيوية البحتة، فقال نبي الله ﷺ في حادثة تأبير النخل المعروفة[3]: [أنتم أعلم بأمور دنياكم][4]. وهذا العلم الدنيوي ليس خاصًا بأُمة دون أمة، بل هو مما جرت سنة الله في إعطائه لمن اجتهد في نيله، فقال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[5]. وقد كانت الأُمة الإسلامية فيما سبق من الأزمان رائدة الأمم في علوم الدنيا والدين، لا تنافسها أُمة فيما هي فيه من حضارة متكاملة. ولكن بعدما تخلى كثير من أبنائها عن أبرز مقومات الحضارة الإسلامية، دينهم الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة، أخذت

---

(١) المائدة: ٤.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) وفيها أن النبي ﷺ مر بقوم يلقِّحون النخل، فقال: [لو لم تفعلوا لصلح] فخرج شيصًا. فمر بهم فقال: [ما لنخلكم؟] قالوا: قلت كذا وكذا، قال: [أنتم أعلم بأمر دنياكم].

(٤) أخرجه الإمام مسلم ٤/ ١٨٣٦ برقم: ٢٣٦٣، كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا.

(٥) الإسراء: ١٨.

معالم الحضارة تتهاوى واحدًا تلو الآخر حتى وصلت إلى ما وصلت إلية، وآل بها الأمر إلى التبعية والانهزامية التي لن تزول إلا بعودتها إلى الدين.

وفي عصرنا الحاضر، تقلد العالم الغربي زمام الحضارة المادية، فبرع في تقديم الإنجازات الهامة في المجالات التطبيقية والتقنية، وفاق - بشكل ملحوظ - العالم العربي والإسلامي في مجالات شتى. وكان على المسلمين - ولا بد - الاستفادة مما توصل إليه الغرب من تقدم لتسهيل أمورهم الدنيوية - بل وحتى الدينية. وكان الحكم الشرعي في ذلك واضحا، فإن الشرع لا يمنع من الإفادة من الآخرين في العلوم الدنيوية خاصة، والتي هي عبارة عن خبرات بشرية متراكمة ليست لها تعلق بدين ولا اعتقاد، وقد نص القرآن الكريم على إثبات العلم الدنيوي للكافر مع جهله بأمور الآخرة في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1]، وبيّن ﷻ جواز الاستفادة مما ثبت عندهم من العلم في قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[2]. إلا أن هذه الإفادة ليست على إطلاقها، فالانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتقني ينبغي أن يكون منضبطا بما يضمن إيجابية هذا الانفتاح، فلا يؤدي إلى ذوبان الشخصية الإسلامية المتميزة بسبب ما قد يمليه من الإحساس بالدونية والحاجة إلى الغير، فيتحول إلى أداة من أدوات الغزو الفكري[3] لا البناء الحضاري والتقني. ولذلك كان لا بد من أن يُحكم كل وافد بضابطين رئيسين:

---

(١) الروم: ٧.

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(٣) الغزو الفكري: "هو أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - معتقدات وأفكارًا لأمة أخرى من الأمم الكبيرة - وهي غير إسلامية دائمًا - دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها - وتبديد لمستقبلها، فضلًا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها". (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: (٨ - ٩) - د. علي عبدالحليم محمود).

(١) أن لا يتعارض مع الشرع،

(٢) وأن لا يتعدى على اختصاصه[1].

وهذان الضابطان ليسا خاصين بتطبيقات الفلسفة الشرقية فحسب، بل هما لها ولغيرها من الفلسفات الوافدة من البلدان الكافرة، والمذاهب الفكرية والروحية التي قد تنشأ في بلاد الإسلام، مع ما يتبعهما من تطبيقات. وفيما يلي عدد من القيود والشروط التي لا بد من تطبيقها على الفلسفة الشرقية - وغيرها - لتحقيق ما سبق من الضوابط:

أولًا: الدراسة المتأنية للفلسفات الوافدة والمذاهب الفكرية أو الروحية الحادثة وتمحيصها من قِبَل أهل الاختصاص والعالمين بالشرع قبل انتشارها في أوساط العامة.

ولعل هذا أهم الشروط التي سأذكرها، إذ لا يمكن التحقق من شيء منها إلا بعد تحقيق هذا الشرط. وأخصُّ هنا ما كان وافدا من بلاد الشرق، إذ أن من المشاهد توغُّل الفلسفة الشرقية الملحدة في شتى جوانب الحياة هناك، سواء على الصعيد العقدي أو الاجتماعي أو حتى - كما شاهدنا - الطبي. ولذلك كان لا بد من التنبه للمستجدات على أرض الواقع في بدايات ظهورها مما يتطلب المتابعة المستمرة للشارع العام، حيث الأفكار والفلسفات ليست حكرًا على شكل معين بل تظهر في مجالات متنوعة ومتعددة، فهي في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، وهي في دورات التنمية البشرية وتطوير الذات وفي تطبيقات الطب البديل وغيرها، ومن ثم كان لا بد من النظر في كنهها وحقائقها ليكون لأهل العلم سبقٌ في التحذير مما فيه خطر على دين المسلمين أو دنياهم. ومع تأخر صدور الحكم من

---

(١) أقصد بذلك ما ليس فيه تعارض ظاهر يخالف أصول الشرع ولكنه يتناول ما جيء بالدين من أجله، كتحقيق السعادة الأبدية، وتزكية النفس الإنسانية وما يسمى "الروحانية" وما شابه ذلك. وهي وإن كانت مخالفة للشرع من هذا الوجه إلا أني أفردتها لخفاء المخالفة عند بعضهم.

أهل الاختصاص يتأصل الباطل عند الجهال وأنصاف المتعلمين فيكون انتزاعه حينئذ صعب، حيث أن ما تمليه عليهم تلك المذاهب والفلسفات يصبح كالأمور المسلَّمة التي ليس فيها نزاع، بل تكون مدخلا إلى ما هو أشد منها وأنكى! واقرأ ما يقوله **وليد الرجيب**[١] في هذا التدرج الخطير:

«فهل يجب أن نؤمن بهذا الأمر[٢]؟! بالطبع يختلف الأمر من شخص لآخر، لا أحد يستطيع أن يُرغم آخر أن يغير معتقداته سواء كانت دينية أم دنيوية، إذ يقوم السلام بالعالم والأخوة البشرية على احترام اختلاف المعتقدات والأديان والثقافات[٣] وحتى وأنا أكتب هذه المقالة أعرف أن هناك من سيفهمني خطأً[٤]، فعندما نشرت كتابي: (العلاج بالطاقة الكونية: ريكي ١ و٢) كان الإقبال عليه شديدًا لدرجة أنه نفد في وقت قصير. لكن مع ذلك، حتى وأثناء دورات تعليم الـ (ريكي)، كنت أواجه بتساؤلات وشكوك حول الطاقة والعلاج بها، وبعد مرور بضع سنوات أصبح هذا الأمر مألوفًا عند الناس، وأنا أعرف أن الناس سيعتادون على موضوع الحياة السابقة (!)، والدليل هذا الإقبال الكبير على جلسات العودة للماضي»[٥].

وقد تأخر الحكم على العلاج بالطاقة من قبل أهل العلم عدة سنوات حتى أصبح كما قال **الرجيب**: «مألوفًا عند الناس»، فلم يكن إلا أن تطور الأمر - كما

---

(١) **وليد الرجيب**: هو استشاري نفسي واجتماعي، من سكان الكويت. ممارس ريكي، ومدير عام مركز الرجيب للاستشارات النفسية والاجتماعية. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة الكونية ريكي، وعلم وفن التنويم.
تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: من هو www.alrujaibcenter.com >

(٢) يريد القول بتناسخ الأرواح.

(٣) وفي هذا الكلام دلالة على ما سبق أن أشرنا إليه في الفصل الماضي حول الآثار العقدية للفلسفة الشرقية، ومنها: غياب معالم الولاء والبراء والقول بوحدة الأديان.

(٤) أعتقد أن كلامه واضح وصريح، ولا مجال فيه لتأويل أو سوء فهم.

(٥) من مقال لوليد الرجيب بعنوان: (العودة إلى الحياة السابقة - Past Life Regression). تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: المقالات www.alrujaibcenter.com >

هو متوقع - وازداد الانغماس في الفلسفة الشرقية حتى وصل إلى القول بتناسخ الأرواح بشكل صريح وعلني.

و«يكمن خطر الـ نيو أيج - أو العصر الجديد - في لغته التخاطبية التي تسود فيه الرمزية إلى حد بعيد، وهي لغة تستعمل مفردات من مختلف الأديان فتغيِّر المفاهيم الأصلية التي وضعها الدين الأصلي الذي اقتبست منه الكلمة»[١]، ولذلك - ولأساليبها الباطنية الأخرى - تخفى حقائقها على كثير من العوام - بل وبعض طلبة العلم، فلا يجدون مانعا من تقبلها وتبنيها، خاصة مع ما تقوم عليه من دعاوى برَّاقة تَعِدُ بما يحلم به الجميع: الصحة والسعادة. ومن هنا تظهر أهمية التنبه لهذه الفلسفات الوافدة، والعمل على تمحيصها قبل انتشارها بين الناس.

ثانيًا: خلوها من أنواع الشرك، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر، وسواء كان في الإلوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات.

ولزوم هذا لا خلاف فيه بيننا وبين أكثر من يرى إمكانية التأصيل الشرعي لتطبيقات الفلسفة الشرقية، إلا أنهم يرون أن إخلاء التطبيقات مما يظهر فيها من الشرك[٢] كاف لجعلها مقبولة - بل مشروعة[٣]، ونحن نرى أن هذا لا يمكن فعله

---

(١) البدع والروحانيات الجديدة: ٣٦ - روبير عيد اليسوعي.

(٢) وعادة ما يقصدون بذلك الشرك أو الكفر الظاهر، كالتوسل الشركي أو التصريح بإنكار الخالق. وقد أحزنتني كثيرًا عبارة قرأتها لأحد أبناء هذه البلاد في أحد المنتديات يقول فيها: "فالفضل لله ثم للطاقة"، في صورة عجيبة من التورع عن الشرك اللفظي الذي تربينا عليه جميعًا مع الخوض فيما هو أشد منه دون علم أو قصد، وما ذلك إلا نتيجة تقصيرنا في الحفاظ على جوهرة التوحيد التي استخرجها أئمة الدعوة الأولون.

(٣) يقول **طلال خياط**: "وكون هذه الطريقة عرفت في الشرق واستخدمها طوائف غير مسلمة وألبسوا عليه من عقيدتهم حتى غدا وكأنه هو العقيدة لديهم أو جزء من طقوسهم الدينية لا يعني ذلك أن نتركه بأكمله أو علينا تنقيته والاستفادة منه... وكون هذه الطريقة آتية إلينا من الشرق أو الغرب لا يعني ذلك تركها بمجملها ولكن بإمكاننا استخدام التقنية أو الطريقة بعد فلترتها والاستفادة مما ينفع فيها ولا يكون فيه تعارض مع معتقداتنا أو قيمنا".
(صحيفة عكاظ الجمعة ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ٢٣ مايو ٢٠٠٣م).

مع التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية خاصة[1]، حيث أن ما فيها من مظاهر الشرك هو نتيجة لانحراف متجذر في أصولها، ومهما حاول الإنسان تنقيتها فإن الانحراف سيتكرر ويتجدد ما دامت الأصول هي الأصول.

ثالثًا: خلوها من دعاوى العلوم الغيبية.

إن العالم الغيبي والعلوم الغيبية هي مما اختص به الله تبارك وتعالى، لا يُطلع عليه إلا من ارتضى من نبي أو رسول. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2] وقال تبارك وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[3]، ولذا فإنه لا يمكن معرفة شيء منه إلا من خلال الشرع، وأي وسيلة لمعرفته أو الاتصال به من غير طريق الشرع فهي إما وسيلة شيطانية أو هي كذب ودجل وافتراء. ومن ذلك ما تتضمنه بعض الفلسفات الوافدة - ومنها فلسفة الاستشفاء الشرقية وتطبيقاتها - من دعاوى علوم الغيب الماضي؛ كالنشأة الكونية وبدء الوجود، سواء تعارضت تلك مع ما جاء به الشرع أو انفردت بشيء دونه، وكذلك فيما تدعيه من وسائل الاطلاع على غيوب الحاضر والمستقبل كما هو الحاصل في كل من التنجيم والكهانة[4].

ومما يتأكد ذكره عند الحديث عن الأمور الغيبية، أن ما ثبت ضرره منها عن طريق الشرع مما لا يتناوله الحس - كالعين والشياطين - فإن وسائل دفعها لا يمكن أن تُعلم إلا من طريقه، «فإنّ مثل هذه الأمراض والبلايا لها أسباب تخرج عن نطاق البحث العلميّ في المحسوسات لتعلُّقها بأمور خارجة عن عالم الشهادة، ولا مجال فيها للتجريب والمختبرات والمعامل»[5]. ولو ادعى مُدَّعٍ أن

(١) أقصد مع بقائها على صورتها التي هي عليه، حيث إنها مرتبطة بشكل واضح مع فلسفتها الأصلية.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٤) وهو وإن كان داخلًا في الشرك، إلا أني ذكرته هنا للمناسبة.

(٥) أصول الإيمان بالغيب: ٣٦٧ - د. فوز كردي.

شيئًا من الأسباب نافع في دفع ذلك الضرر لما أمكن نفيه ولا تأكيده حيث يستحيل قياس الأمور الغيبية بالوسائل المادية. ولذلك لا يمكن أن يقال: «ثبت بالتجربة» أن أمرا ما نافع في دفع العين والحسد، أو الحماية من الشياطين ما لم يرد له أصل في الشرع، فـ«المسائل التي لا يتناولها الحس لا محل فيها للتجربة، وليس ثمة مقدمات عقلية يصل بها العقل إلى معرفة واقعها، مثل هذه المسائل ينحصر مصدر العلم بها في خصوص الخبر الصادق المؤيد بالمعجزات الواصل إلى الناس من عالم الغيب ومبدع الأكوان»[1]. وقد شدد الشيخ **محمد حامد الفقي**[2] على من قال بجواز النُّشرة بالأدوية الحسية المباحة قائلًا: «مثل هذا لا يعمل فيه برأي **ليث بن أبي سليم**[3] ولا رأي **ابن القيم** ولا غيرهما؛ وإنما يعمل بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يجئ عنه ﷺ شيء مما يقول **ابن سليم** ولا **ابن القيم**. وما ينقل عن **وهب بن منبه**[4] فعلى سنة الإسرائيليين لا على هدي خير المرسلين. ومن باب هذا

---

(١) مقدمة شرح العقيدة الطحاوية: ٢٠ - عبدالمحسن التركي.

(٢) **محمد حامد الفقي**: ولد الشيخ محمد حامد الفقي في مصر عام ١٣١٠ هـ ودرس في الأزهر، وكانت قد ظهرت عليه علامات النبوغ المبكر. أنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥ هـ، وله جهود قيمة في تحقيق كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، منها: اقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب مدارج السالكين. توفي رحمه الله في يوم الجمعة عام ١٣٧٨ هـ إثر عملية جراحية أجراها. تصفح: موقع جماعة أنصار السنة المحمدية: محمد حامد الفقي < من أعلام الدعوة < www.elsonna.com

(٣) **ليث بن أبي سليم**: محدث الكوفة وأحد أعلامها، ولد بعد الستين وحدث عن الشعبي ومجاهد وطاووس وغيرهم، وحدث عنه الثوري وشعبة وغيرهما. قال ابن حبان: كان من العباد ولكنه اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدِّث به. انظر:
سير أعلام النبلاء: ٦/ (١٧٩ - ١٨٤) رقم: ٨٤ - الذهبي، وتهذيب التهذيب: ٨/ (٤٦٥ - ٤٦٨) - ابن حجر.

(٤) **وهب بن منبه**: اليماني الذماري الصنعاني، ولد في زمن عثمان ﷺ سنة ٣٤ هـ، وأخذ عن ابن عمر وابن عباس وجابر ﷺ وغيرهم، وحدث عنه ولداه وعمرو بن دينار وغيرهم. قيل إنه لبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا. وكان يقرأ في كتب أهل الكتاب. امتحن وهب في دينه وحبس وضرب حتى توفي رحمه الله في ١١٤ هـ. انظر:
سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٤ - برقم: ٢١٩ - الذهبي، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٩٩ برقم: ٩٣ - نفس المؤلف، والبداية والنهاية: ٧/ ٢٣ - ابن كثير.

التساهل دخلت البدع ثم الشرك الأكبر. وعلى المؤمن الناصح لنفسه أن يعضَّ بالنواجذ على هدي رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ، ويتجنب المحدثات وإن كانت عمن يكون، فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ»[١]. وهو - كما قال الشيخ رحمه الله تعالى - باب واسع يصعب سده، فظهرت أقوال متعددة لا تخلو من النظر، منها رش الملح في زوايا المنزل لطرد الشياطين أو تعليق جلد الذئب لدفع العين والتبول على فأس محمي لمن حُبس عن أهله[٢].

رابعًا: خلوها من كل ما فيه مشابهة للكفار فيما هو من خصائصهم.

وهذا لا يتأتى إلا بأمرين: المعرفة بتفاصيل الوافد، والمعرفة بالدين الذي فيه مشابهته. فإذا ثبتت المشابهة كان أقل ما يقال فيها التحريم، حيث قال رسول الله ﷺ: [**من تشبه بقوم فهو منهم**][٣]، «وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبُّه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبِّه بهم»[٤]. ومن أجل مجانبة ذلك كان من اللازم خلو الفلسفات والمذاهب وتطبيقاتها من أمرين:

- المصطلحات الأجنبية والأعجمية، خاصة ما كان منها ذو أبعاد فلسفية وعقدية، فهذا النوع من المصطلحات فاسد الظاهر والباطن فيتوجب

---

(١) فتح المجيد: ٢٩١، حاشية: (١) - عبدالرحمن بن حسن.

(٢) ويفعل بعض الرقاة ما يشبه هذا ظنًا منهم أنها من الأدوية المباحة التي لا تدخل في باب البدع، ويحتج بعضهم بفتاوى علماء أفاضل كسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى في استخدام سبع ورقات من السدر لعلاج المسحور. والأولى - كما ذكر الشيخ حامد الفقي - هو التزام السنة، إذ إنه مع فتح هذا الباب تظهر البدع والشركيات التي ليس لها حد ولا ضابط فالكل يدعي ثبوت دعواه بالتجربة، فنجد من يقول أنه "ثبت بالتجربة" نفع الخيوط الملونة في دفع العين، أو أن اللون الأصفر في المنزل يحمي من المرض! فلو لم يكن في هذا إلا سد الذرائع للزم منعه، فكيف وهو مخالف للسنة التي لا يصح تقديم قول أحد - مهما عظم قدره - على صاحبها ﷺ.

(٣) أخرجه: أبو داود ٤/ ٤٤ برقم: ٤٠٣١، كتاب: اللباس، باب: في لبس الشهرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦١٤٩.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٢٧٣ - ابن تيمية.

ترك لفظه ومعناه. وما كان فيها من مصطلحات أعجمية ذات معان مقبولة وصحيحة كان الأولى استبداله بالترجمة العربية للمصطلح ويبقي المعنى الصحيح على ما هو عليه. ولذلك كان تعلُّم اصطلاحهم لمعرفة مقاصدهم أمر مشروع ومطلوب، بل قد يصل - في بعض الحالات - إلى حد الوجوب[(١)]، وقد أمر النبي ﷺ **زيد بن ثابت** رضي الله عنه[(٢)] أن يتعلم كتاب يهود ليأمن مكرهم[(٣)]. وأما ما ظُنَّ - من المصطلحات الأجنبية - أن له مقابلًا في الشرع، لم يصح استبداله باللفظ الشرعي، بل يبقي اللفظ الشرعي ومعناه الشرعي دون الالتفات إلى اللفظ أو المفهوم الأعجمي الوافد الذي ليس لنا به حاجة، حيث هو - في الأصل - متقرر عندنا في الشرع. ومثال ذلك ما يذكره بعض أنصار الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها من أن الـ (ين يانغ) الواردة في الفلسفة الشرقية هي نفسها الزوجية الواردة في النصوص الشرعية، ويطيلون الاستدلال بكلام **ابن القيم** رحمه الله تعالى في الطب النبوي[(٤)] وغيره حول مراعاة النبي ﷺ الأضداد في المطعم والمشرب، فكأنه كان ﷺ يتبع الـ (ماكروبايوتِك) قبل أن يأتي به أوساوا. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان ما جاء في تطبيقات الفلسفة

---

(١) انظر: بغية المرتاد: ٤٨ - ابن تيمية.

(٢) **زيد بن ثابت**: هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم رسول الله ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة. رده رسول الله ﷺ عن بدر لصغر سنه، وشهد أحدًا والخندق. كان رضي الله عنه يكتب الوحي وغيره لرسول الله ﷺ، وكانت ترد على زيد كتب بالسريانية فأمر زيدًا فتعلمها. كما كان أعلم الصحابة بالفرائض، وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. توفي رضي الله عنه سنة ٤٥ هـ تقريبًا. انظر:
أسد الغابة: ٢/ (٢٧٨ - ٢٧٩) برقم: ١٨٢٤ - ابن الأثير، والاستيعاب: (٢٤٥ - ٢٤٧) برقم: ٨٠٥ - ابن عبدالبر، والإصابة: ٣/ (٢٢ - ٢٣) برقم: ٢٨٧٤ - ابن حجر.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٦٧ برقم: ٢٧١٥ - باب ما جاء في تعليم السريانية، وقال: حسن صحيح. وصححه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٧٧ برقم: ٥٧٨١ ووافقه الذهبي.

(٤) انظر على سبيل المثال: الطب النبوي: (١٣٩ - ١٤٠) - ابن القيم.

الشرقية مطابقًا لما جاء في السنة النبوية، بل السنة باعترافه أجل وأكمل - فما الفائدة من ذكر الـ (ين يانغ) أصلًا؟! دعونا من خرافات الشرق والغرب، ولنلتزم سنة المصطفى ﷺ دون الحاجة إلى تنقية أو تأصيل. وليعمل المهتمون بمثل هذه الأمور على استخراج الفوائد الطبية من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام على هدي سلف هذه الأمة.

إن هذا الربط ليس خاصًا بالـ (ين يانغ) ولا بالـ (ماكروبايوتِك)، وإنما يتكرر كثيرًا مع المحاولات الفاشلة لإلباس الفلسفة الشرقية ثوبًا شرعيًا إسلاميًا، ولا شك أن ذلك من أبطل الباطل فإن بين ما ورد فيهما «من الفروق ما لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته»[1].

- الأمر الثاني الذي لا بد أن تخلو منه لتجنب المشابهة المحرمة هو خاص بالنواحي العملية والتطبيقية للفلسفات والمذاهب، حيث لا بد من خلوها من كل ما فيه مشابهة الكفار مما هو من خصائصهم، كلباسهم وهيئاتهم وعباداتهم. وقد سبق تفصيله في الفصل السابق.

خامسًا: خلوها من المحدثات والبدع.

تظهر البدع والمحدثات - غالبًا - كنتيجة لمحاولة التوفيق بين ما جاء في الفلسفة الوافدة وبين ما جاء به الشرع، وهي نتيجة طبيعية للتلفيق بين اتجاهين متعارضين حيث لم يُبق - ذلك التلفيق - على الفلسفة الأصلية، ولم يتوصل به إلى طريقة شرعية - بل جل ما أنتجه هو جملة من البدع الدينية التي تمهد لتبني آراء الفرق المنحرفة ومبادئ الفلسفة الأصلية، فإن من «رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وعلم الفلاسفة بذكائه، لا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء»[2]. وقد مر معنا في الفصل السابق أمثلة كثيرة على ذلك.

---

(١) الرد على المنطقيين: ١٩٦ - ابن تيمية.

(٢) ميزان الاعتدال: ٥/ (١٧٣ - ١٧٤) - الذهبي.

سادسًا: خلوها من الأمور المحرمة، ومما ثبت في الشرع استحالته

إن المراد - هنا - بالأمور المحرمة هو ما كان دون الشرك ولم يكن من البدع. وحيث إن أغلب هذه المذاهب والفلسفات منشؤها في بيئات كافرة - أو ممن تأثر بها - فإنها لا تكون منضبطة بضوابط الشرع، ولا يُستبعد احتواؤها على ما يخالفه، فتتضمن هي وتطبيقاتها شيئًا من المحرمات التي لا بد للمسلم من تجنبها؛ كالكذب والغش، أو استخدام المعازف، أو مس المرأة الأجنبية والخلوة بها وغيرها من المخالفات. وهذا مع ضرره على دين المسلم، إلا أنه يُعَد أخف الأخطار الناجمة عن الفلسفات والمذاهب الروحية الوافدة.

أما ما ثبتت استحالته شرعًا فمثاله في الفلسفة الشرقية: السعي إلى الخلود، فرغم أن الشارع ندب إلى التداوي والأخذ بأسباب الصحة إلا أنه أخبر بأن الموت محتم في هذه الدنيا وليس لأحد منه مفر، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(١)، ولذا كان البحث عما يوصل إلى التخليد مثل ما كان يسمى قديمًا «إكسير الحياة» جهدًا مهدرًا، بل إنه ممنوع شرعًا لمخالفته النصوص الصريحة في الكتاب والسنة. ومن ذلك دعاوى محاكاة معجزات الأنبياء في الإبراء والشفاء، وخاصة ما ورد عن عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فقد كان ذلك آية من الله يثبت بها صدقه عند بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢). وفيها تصريح بأنها «آية»، ولو كان بإمكان أي أحد محاكاتها لما كانت كذلك، ولما صحّت كدليل على صدق النبوة.

---

(١) العنكبوت: ٥٧.

(٢) آل عمران: ٤٩.

سابعًا: خلوها من الاعتماد على الأسباب الوهمية التي لم تثبت في القدر ولا في الشرع.

تنقسم الأسباب التي أباحها الشرع إلى قسمين: قسم شرعي، وهو ما ثبت في النصوص تأثيره أو نفعه، وقسم كوني وهو ما ثبت نفعه في الواقع والقدر، وهذا الأخير هو مدار الخلاف، إذ إن الأول مقيد بالنص، والنصوص محدودة ليس لأحد فيها تصرف، أما الواقع فكلأ مباح لكل أحد فكان بابًا واسعًا إلى الشرك وفساد الاعتقاد[1].

وقد تقرر عند أهل العلم بأن اتخاذ الأسباب التي لم تثبت في القدر ولا في شرع يعد من الشرك، ولكنه يتفاوت بحسب اعتقاد صاحبه:

١- فإن اعتقد بأن الله ﷻ هو النافع الضار وأن ما اتخذه مجرَّد سبب من جملة الأسباب، كان ذلك الاعتقاد باطلا وشركًا أصغر لأن الله تعالى لم يقدِّره سببًا[2]، وهو داخل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[3].

٢- وإن اعتقد أن ما اتخذه سببًا هو الفاعل استقلالًا وهو النافع الضار بذاته، كان ذلك شركًا أكبر مخرجًا من الملة[4].

إن غاية ما يحتج به المروجين لتطبيقات فلسفة الاستشفاء الشرقية وغيرها من الطرق العلاجية المُزيَّفة هو أنها من الأسباب الكونية التي ثبت نفعها في الواقع[5]،

---

(١) وسيأتي التفصيل في هذا لاحقًا بإذن الله.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١٥٥، ١٦٢) - سليمان بن عبدالله.

(٣) يوسف: ١٠٦.
انظر: تيسير العزيز الحميد: (١٦٠ - ١٦٢) - سليمان بن عبدالله.

(٤) انظر: القول المفيد: ١/ (١٦٤ - ١٦٥) - محمد العثيمين.

(٥) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والناس في الأسباب طرفان ووسط:
الأول: من ينكر الأسباب، وهم كل من قال بنفي حكمة الله؛ كالجبرية والأشعرية.
الثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعلوا ما ليس بسبب سببًا، وهؤلاء هم عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم.

فهي من قبيل النظريات العلمية التي لا تَعلُّق لها بالدين أو الاعتقاد، ولا يُلتفت إلى من اخترعها ولا إلى البيئة التي نشأت فيها، مَثَلها في ذلك كَمَثل الطب التقليدي المستورد من كفار الغرب. وهذه الحجة قد تبدو لأول وهلة قوية يصعب الرد عليها وتفنيدها، ولكنها يسيرة على من هدى الله قلبه ونوَّر بصيرته حيث يكمن الرد على هذه الشبهة من وجهين:

١- أنه لا بد من ثبوت هذا الادعاء في الواقع، وإلا فإن الدعاوى متاحة لكل أحد، وهنا تأتي أهمية ضبط السبب الكوني.

٢- أن ثبوت تأثير السبب الكوني لا يجعله - بالضرورة - من الأسباب المشروعة.

وفيما يلي تفصيل لهذين الوجهين..

● مسألة: ما هو الضابط في السبب الكوني؟

سأناقش في الصفحات التالية مسألة مهمة ترتبط بالتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وغيرها من التطبيقات التي تعتمد على الأسباب الوهمية، وهي: ضابط السبب الكوني. وتكمن أهمية هذه المسألة في أمرين:

- أنها غاية ما يحتج به أنصار الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها.
- وأنها الأساس الذي تعتمد عليه الشروط والقيود الآنف ذكرها، فإن ما ثبت نفعه كونا أمكن تطبيقها عليه، وأما السبب الوهمي فلا يُعتمد عليه ولو طبقت عليه الشروط جميعها، حيث إن الاعتماد عليه شرك في نفسه.

الثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها، لكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سببًا شرعيًا أو كونيًا. ولا شك أن هؤلاء هم الذين آمنوا بالله إيمانًا حقيقيًا وآمنوا بحكمته، حيث ربطوا الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، وهذا من تمام الحكمة." (القول المفيد: ١٦٤ - ١٦٥، وانظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١١٢ - ابن تيمية).

إن إثبات العلاقة السببية من أشد الأمور صعوبة حتى في العلم التجريبي الحديث، وهي من المسائل الشائكة التي يصعب تحديدها تحديدا دقيقًا، لصعوبة ضبطها واستبعاد المؤثرات الأخرى[١]. «فالعلم بأن هذا كان هو السبب أو بعض السبب، أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث قد يُعلم كثيرًا، وقد يُتوهم كثيرًا وهمًا ليس له مستندٌ صحيحٌ، إلا ضعف العقل»[٢]، ومجرد الاقتران ليس دليلًا على علاقة سببية، ولا حتى على التأثير والأثر[٣]. وأما ما يقال عنه «ثبت علميًا» فهو - في الغالب - إثبات للأثر وليس للعلاقة السببية، وإن كان إثبات الأثر كافيا في اعتبار السبب سببًا كونيًا.

وكما سبق معنا، فإن غاية ما يستدل به الذين يتعاملون مع الأسباب الوهمية - بأشكالها المتعددة - هو ثبوت نفعها بـ «التجربة»، ولكن هذه «التجربة» ليست كافية للارتقاء بدعوى السببية أو التأثير إلى مستوى النظرية العلمية، والتي تعد - في عصرنا الحاضر - ضابط السبب الكوني[٤]، حيث أن ضابط «الاطراد» الذي كان يُشترط في ثبوت السبب الكوني في الماضي[٥] قد تحدد مع مرور الزمن وتقدم التقنيات فآل إلى ما يسمى «المنهج العلمي» أو (Scientific Method)[٦]، وهو عبارة

---

(١) انظر:
The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method: (180 - 185) - Carlo L. Lastrucci

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ (٧١٣ - ٧١٤) - ابن تيمية.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢/ (٧٠٩ - ٧١٠)، و
The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method: (180 - 181) - Carlo L. Lastrucci

(٤) ولعله يستثنى من ذلك ما استفاض العلم بتأثير نوعه من المحسوسات كالمطعوم والمشروب، فهذا لا يلزم اختبار أفراده وإنما يكفي في ذلك غلبة الظن، بخلاف ما لم يثبت تأثير نوعه كالتعليق أو النظر أو العلاج بطاقات خفية. ولعل في قوله ﷺ: [**الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار**] *، إشارة إلى الأنواع المؤثرة.

* الحديث أخرجه البخاري ٥/ ٢١٥١ برقم: ٥٣٥٦، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاثة

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٧١٣ - ابن تيمية.

(٦) ويسميه بعضهم: المنطق الحديث أو المنهج التجريبي. وهو إما أن "يؤدي إلى معلومة جديدة، أو التحقق من صدق معلومة سبق التوصل إليها، أو اختبار صدق فرض معين، أو التوصل إلى فرض جديد، أو استنتاج قانون معين، أو التحقق من صدق القانون". (تدريس العلوم في مراحل التعليم العام: ٢٣ - د. محمد جمال الدين يونس).

عن سلسلة من الخطوات أو المراحل التي تُدرس من خلالها ظاهرة ما، والتي يمكن بعد تحقيقها اعتبار الفرضية نظريةً علميةً. أما «الدعاوى» التي لا تمر بمراحل «المنهج العلمي» ولا تحقق خطواته، فإنها تصنف على أنها «علم وهمي» أو ما يسمى (Pseudoscience)، ومنها التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية[1].

ويمكننا تلخيص خطوات «المنهج العلمي» كالتالي[2]:

١- **الملاحظة**: وتعني إدراك الظاهرة بالحس، ومن ثم تفحصها وجمع ما يمكن من البيانات حولها. ولا يصح اعتبار الملاحظة إلا بتوفر شرطين:

- سلامة الآلات، فلا تكون آلة الإدراك مختلة كأن يكون النظر ضعيفا فيما يُدرك بالبصر
- انعدام المؤثرات الحسية أو العقلية. فالحسية كوجود ما يحجب الحواس عن الإدراك أو يضعفه، والعقلية هي وجود افتراضات واعتقادات مسبقة تؤثر على حيادية الإدراك.

٢- **الفرضية**: وتعني طرح تفسير للظاهرة المشاهدة، ويتم ذلك - عادة - من خلال الاستنتاج الاستقرائي.

٣- **التوقع**: يتم توقع الاحتمالات المتضمنة في الفرضية المطروحة والتي تقبل الاختبار والامتحان وذلك من خلال المنطق الاستنباطي، وليس

(١) وأقصد بذلك الجوانب التي تعتمد على الفلسفة الشرقية، كالطاقة والهالات والـ (شاكرات).. الخ، وإن كان بعض تفاصيلها قد ثبت تأثيره ونفعه، كالرياضة والتغذية الصحية والعادات المعيشية الجيدة كالنوم والاستيقاظ المبكر وعدم الإكثار من الطعام... الخ. فهذه فوائد مستقلة ليس لها تعلق بالفلسفة.

(٢) قد يوجد بعض التفاوت في تحديد الخطوات، فبعضهم يفصل في بعضها أو يدمج بعضًا آخر، ولكن بالجملة هي دائرة حول الخطوات التي أثبتُّ.

من قبيل التخمين.

٤- **الاختبار**: ويتم من خلاله اختبار الفرضية والتحقق من النتائج المتوقعة مع استبعاد الاحتمالات الأخرى. ولا بد من مراجعة الاختبار للتأكد من خلوه من الأخطاء. ومما يؤكد صحة الاختبار قيام عدة جهات متنوعة ومحايدة بإجرائه، ومن أوثق أنواع الاختبارات ما يمكن تسميته «اختبار التغطية الثنائية» أو **(Double-Blind Test)**[(١)]

٥- **النتيجة**: وهي ما يتم التوصل إليه بعد إنهاء التجارب والاختبار. وعادة تطرح الخطوات التفصيلية ونتائجها للتحكيم والنشر، بحيث يمكن لأقران الباحث الاطلاع عليها وتقييمها مما يزيد النتائج مصداقية.

وعند اتفاق النتيجة مع الفرضية تتحول إلى نظرية علمية مقبولة، أما عند تعارضهما فإنه يتم نبذ الفرضية أو تعديلها. علما أن النظرية العلمية لا تعدُّ بذلك حقيقة قطعية - وإن كان يغلب على الظن ثبوتها - وتبقى احتمالية ظهور ما ينقضها مع مرور الزمن[(٢)].

---

(١) هذا هو من أدق أنواع الاختبارات، بحيث تجرى التجربة على مجموعتين من المرضى وتُعطى إحدى المجموعتين الدواء المراد اختباره، بينما تعطى المجموعة الثانية دواء وهميًا. تتابع نتائج وتطورات كلتا المجموعتين من قبل أطباء ومختصين ليس لديهم علم أي المجموعتين التي تتلقى العلاج الحقيقي وأيها تتلقى العلاج الوهمي. وعند وجود فارق معتبر بين نتائج المجموعتين يتفوق فيه المجموعة التي أعطيت الدواء الحقيقي، يعتبر حينها دواء نافعًا على الحقيقة.
هذا النوع من الاختبارات يجرى من أجل استبعاد أي تأثير خارجي على المرضى أو أي تحيز مسبق من قبل المراقب مما قد يؤثر على مصداقية نتائج الاختبار.

(٢) انظر: الاتجاهات المعاصرة في طرق تدريس علوم الحياة ومناهجها: (٤٢ - ٦٠) - د. محمد اليوسف ود. حنان سلطان، وتدريس العلوم في مراحل العلم العام: ٣٤ - د. محمد جمال الدين يونس.
The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 42691
The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method: 55 - Carlo L. Lastrucci

وبناء على ما سبق، فإننا لو عرضنا مبدأ «الطاقة» - الذي تقوم على ثبوته جميع تطبيقات فلسفة الاستشفاء الشرقية - على مراحل وخطوات المنهج العلمي لوجدنا أنه لا يمكن أن يتجاوز الخطوة الأولى من خطوات هذا المنهج فضلًا عن أن تصح تسميته «نظريةً علمية»، فالطاقة لا يمكن أن تُدرك بالحواس، وإنما يُستدل عليها بما يُفترض لها من الآثار. ولكن هذه الآثار - هي الأخرى - مفتوحة لاحتمال مؤثرات متعددة. وعليه، فالظاهرة الخاضعة للملاحظة هو ذلك الأثر، أما الطاقة فتعتبر «فرضية»، ولكن هذه الفرضية ليست ناتجة عن استنتاج استقرائي وإنما هي نتيجة افتراض مسبق واعتقاد. ولو تجاوزنا القصور في هاتين الخطوتين لوجدنا أن الاحتمالات المتسببة في الأثر المُشاهد لا يمكن استبعادها[1]. ولو افترضنا - جدلًا - أنها استُبعدت، لما تمكنًا من إثبات الفرضية التي تفسر الأثر بالطاقة الكونية، إذ لا توجد وسيلة لقياسها ولا تتبعها أو اختبارها. ثم إن الاختبار لا بد أن يجرى من جهة محايدة لا تحمل اعتقادات وأفكارًا قد تؤثر على تحليل النتائج، ثم لا بد وأن تعرض هذه النتائج على «المجتمع العلمي» (Scientific Society)[2] للدراسة والتحكيم ومن ثم الإقرار، وهو ما لم يحصل حتى اليوم، بل إن الحاصل ضده.

بقي أن يقال: إن ثبوت وجود الطاقة من عدمه - مع أهميته - ليس هو الخطر الأكبر على الاعتقاد، وثبوت وجود «طاقة» ما في الجسم البشري وغيره احتمال قائم، لا نثبته حاليًا، ولكن لا ننفي احتمالية ثبوته مستقبلًا، ولكن الأمر المهم هو أن هذه الطاقة - لو ثبت وجودها يومًا ما - لا يمكن أن تكون هي الـ (تشي) أو الـ (پرانا) فهذه قد نفاها الشرع[3]، وما أبطله الشرع استحال وجوده على الحقيقة.

(١) وسيأتي تفصيل هذه الاحتمالات في الصفحات المقبلة، وهي ما لا يمكن استبعاده إلا من خلال القيام بتجارب متعددة من نوع "التغطية الثنائية".

(٢) والمقصود به جملة الباحثين الذين يتبنون "المنهج العلمي".

(٣) والمقصود نفي صفاتها ولوازمها.

ولذلك فإن أي نوع من العلاج بالطاقة - ولو اعتقد أصحابه أنه نقي من الشرك والكفر - يبقى على أصل المنع[1].

إن ما سبق ذكره من خطوات «المنهج العلمي» هو المعنى الصحيح للتجربة، وهي - بالطبع - ليس ما يقصده معالجو «العصر الجديد» عندما يقولون: «ثبت بالتجربة»، فإن ما يقصدونه هو التجارب الفردية - أو حتى الجماعية - التي ظهر من خلالها نفع الطريقة العلاجية وتأثيرها. إن هذه الطريقة، وإن كانت كافية لإقناع كثير من العوام بجدوى تلك الطرق[2]، إلا أنها غير معتبرة كوسيلة لإثبات تأثير السبب، فضلًا عن التحقق من العلاقة السببية، نظرًا لما يشاركها من

---

(١) فالأصل في الأسباب التي لم تثبت بدليل حسي أو شرعي أنها ممنوعة، قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: "ظهر في الأسواق في الآونة الأخيرة حلقة من النحاس يقولون: إنها تنفع من الروماتيزم، يزعمون أن الإنسان إذا وضعها على عضده وفيه روماتيزم نفعته من هذا الروماتيزم، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح؛ لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا حسي يدل على ذلك، وهي لا تؤثر على الجسم؛ فليس فيها مادة دهنية حتى نقول: إن الجسم يشرب هذه المادة وينتفع بها؛ فالأصل أنها ممنوعة حتى يثبت لنا بدليل صريح واضح أن لها اتصالا مباشرًا بهذا الروماتيزم حتى ينتفع بها" (القول المفيد: ١٩٢)

وبناء على ذلك يمكن تقسيم الأدوية - التي لم ترد في الشرع - إلى ثلاثة أقسام:

١- **حقيقي ثابت**: وهو ما ثبت نفعه وأمنه بالمقاييس العلمية المعتمدة. فهذا من الأسباب المشروعة ما لم يقترن بأمر محرم.

٢- **ظني محتمل**: وهو ما لم يثبت نفعه بالمقاييس العلمية استقلالًا، وإنما ثبت تأثير جنسه، كالمطعوم والمشروب. فهذا - والله أعلم - يكفي فيه غلبة الظن أو وصف ذي خبرة. وقد استفاض على مر العصور استخدام مثل هذه الأدوية دون نكير من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين، مما يدل على إباحتها ما لم تقترن بمحرم. ومثال ذلك ما يستخدم في الطب الشعبي من الأعشاب والزيوت وغيرها.

٣- **باطل**: وهو ما لا يندرج تحت القسمين السابقين، واتخاذه للدواء محرم - بل هو من الشرك.

(٢) وكثير ممن يعتد بتلك "التجارب" يستميت في الدفاع عنها، ويعتبرها من الحقائق المسلمة التي لا ينكرها إلا جاهل أو متحجر مكابر، حيث يعتقدون أنهم أدركوا نفعها بالحس، وما يدرك بالحس لا يمكن أن ينكر.

احتمالات متعددة لا يمكن استبعادها إلا من خلال التجربة العلمية، أوجزها في النقاط التالية:

١- **قد يكون المرض أنهى مساره الطبيعي**، حيث إن كثيرًا من الأمراض (غير المزمنة أو الخطيرة) لها خاصية الحد الذاتي، فهي تُشفى - بإذن الله - تلقائيًا بعد مرور مدة معينة. ولذلك قبل أن نجزم بأنه كان للعلاج أثر في الشفاء لا بد أن يكون الشفاء حصل قبل الوقت المتوقع لشفاء المرض ذاتيا. ولعل هذا ما أراده **ابن القيم** عندما قرر بأن للمرض أربع مراحل: ابتداء، وصعود، وانتهاء وانحطاط[1].

٢- **كثير من الأمراض لها صفة الدورية**، أي أن هذه الأمراض تزداد حدتها وتنقص بشكل دوري (كالتهاب المفاصل، وأمراض الحساسية). وحيث إنه من الطبيعي أن يلجأ المريض إلى العلاج في فترات الشدة، فإنه عندما تبدأ الأعراض بالتناقص يتوهم المريض أنه قد شُفي بسبب ما تلقاه من علاج، بينما الواقع أن المرض قد أخذ مساره الطبيعي فخفت الأعراض لتعود حدتها بعد مدة.

٣- **الشفاء التلقائي** (Spontaneous Remissions): فقد يكون الشفاء من المرض هو نتيجة لما يسمى: الشفاء التلقائي، حيث يشفى المريض دون تلقي أي نوع من أنواع علاج، يحدث هذا حتى في الأورام السرطانية الخطيرة وإن كان حدوثه يعد أمرًا نادرًا.

٤- **تأثير العلاج الوهمي** (Placebo) **أو التخييل**: وهو السبب الرئيس لما يُروى من حالات الشفاء العجيبة الناتجة عن الطرق الاستشفائية الباطلة. ويساهم التخييل في تحسين الحالة المرضية نظرًا لاعتبارات

---

(١) انظر: الطب النبوي: ١٨٢ - ابن القيم.

متعددة، منها: الإيحاء، قوة الاعتقاد، التوقع، وتحويل الانتباه. وقد كانت تلك العوامل سببًا في تحصيل راحة ملحوظة عند من تلقوا علاجا وهميا[١]، بل إنه في بعض الحالات قد يحدث تغيرًا فعليًا في الحالة المرضية. قال **ابن القيم**: «فإن لحذاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبة لا يصل إليها الدواء»[٢] ولذلك، فإنه من أجل التحقق من فعالية العلاج كان لا بد من إجراء اختبارات «التغطية الثنائية». فإن كان الفارق بين المجموعتين ملحوظًا اعتُبر العلاج الخاضع للاختبار ناجعًا. وقد قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** في تعريف السبب الكوني أنه «كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه الله بها... وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق»[٣]، مشيرا إلى ما للاعتقاد بنفع السبب من أثر، ولكن الحاصل في كثير من العلاجات الوهمية هو عكس ذلك حيث يشترط الاقتناع بالوسيلة لضمان تأثيرها.

٥- **بعض الأمراض التي يعتقد شفاؤها هي أمراض مرتبطة بأسباب نفسية واجتماعية** (Psychosomatic) **تزول بزوالها**. فكثير من الآلام الجسدية تنتج عن الضغوط والمنغصات النفسية والاجتماعية[٤]، ومن ثم تزول بالطمأنة والدعم النفسي، وهو ما يقدمه كثير من المعالجين بالطب البديل وفي تطبيقات الفلسفة الشرقية خاصة. ولذلك يعتقد كثير ممن كان يتوهم أنه مريض أنه الآن شفي، ومثل هذه الحالات تزيد مما يُعدُّ في نسب الشفاء عند المعالجين الدجاجلة.

٦- **زوال الأعراض وليس المرض**: وهو ما قد توفره بعض العلاجات

---

(١) كأن يعطى المريض كبسولات من السكر يعتقد أنها تحتوي على مادة علاجية.

(٢) الطب النبوي: ١٨١ - ابن القيم.

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه: ١٧ - الألباني.

(٤) ومنه ما يسميه العوام "الوسواس".

«البديلة»، فيتوهم المريض بأنه شفي، حيث تعتبر مسكنة للألم، إما نفسيًا أو ماديًا.

٧- **الشفاء قد يكون بتأثير العلاج التقليدي**، حيث يجمع بعض المرضى بين العلاج البديل والعلاج التقليدي، وبعد أن يتماثل للشفاء كثيرًا ما ينسب المريض الشفاء - بعد الله - إلى العلاج البديل.

٨- **الخطأ التشخيصي من الطبيب أو من المريض نفسه**: فالمريض الذي يظن أنه شفي قد لا يكون مصابًا بالمرض أصلًا. وقد يعيش المريض مدة أطول مما توقعه الطبيب المتشائم فيعزو إطالة عمره إلى العلاج البديل.

٩- **تحسين الحالة النفسية للمريض يساعد في تقبل الجسد للعلاج التقليدي**، حيث يتمتع كثير من المعالجين بالشخصيات الجذابة والقوية، التي تبعث بالتفاؤل لدى المريض وهو مما يساعده على تغيير عادات أكله ونومه واختلاطه بالناس.. الخ، كل ذلك يساعد في تهيئة الجسم لتقبل العلاج التقليدي الذي يكون الشفاء - بعد الله - بسببه.

١٠- **دور القناعة الشخصية**، فإن الذي لديه قناعة قوية بالعلاجات البديلة يستطيع إقناع نفسه بأنه تحسن. وجزء من ذلك يعود إلى حالة الإحباط التي قد يُحِّس بها الإنسان عند عدم نجاح وسيلة علاجية كان قد بذل فيها المال والوقت. هذا بالإضافة إلى الإبقاء على احترام الذات حيث يدخل بعضهم في هذه العلاجات بكل اندفاع مما يسبب له الحرج عند عدم نجاحها. وهذه الأمور قد تحصل عند الإنسان دون وعي منه أو قصد[1].

---

(١) انظر مقالة بعنوان:

Why Bogus Therapies Seem to Work -by: Berry L. Beyerstein - Skeptical Inquirer Magazine vol. 21 no. 5 - Sept/Oct - 1997

١١- أن يكون الشيطان سببًا في الأذى أو المرض، فإذا لجأ الإنسان إلى الوسائل غير المشروعة، رضي الشيطان فكف عنه إمعانا في فتنته وإضلاله. وقد قالت امرأة **عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه[١]: إن عبدالله رأى في عنقي خيطا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**][٢]. فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت. فقال عبدالله رضي الله عنه: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيتها كف عنها[٣]. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: [**أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**][٤]. ولذلك فإن التجارب الفردية ليست كافية لاعتبار السبب مؤثرًا «ولو انتفع بعض الناس بذلك، لأن ذلك قد يوافق القدر فيظن أنه بسبب هذا الشخص، وقد يكون مرضه من أعمال الشياطين فيغروه بسؤال هؤلاء المشركين والذهاب إليهم، فإذا سألهم تركوا إيذاءه»[٥]

---

(١) عبدالله بن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبدالرحمن الهذلي، كان إسلامه قديمًا في أول الإسلام. كان رضي الله عنه يخدم رسول الله ﷺ. شهد بدرًا والحديبية وهاجر الهجرتين. وكان من أقرأ أصحاب رسول الله ﷺ للقرآن وكان يقول: (والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل). توفي ابن مسعود رضي الله عنه في المدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع. انظر:
الاستيعاب: ٤١٠ برقم: ١٣٩١ - ابن عبدالبر، والإصابة: ٤/ ١٢٩ برقم: ٤٩٤٥ - ابن حجر

(٢) سبق تخريجه صـ ٥٠٤ عند حديث [**إن الرقى والتمائم..**]

(٣) وقد ذكر بعض أهل العلم أن ثمة ارتباطًا واتفاقًا بين أعداء بني آدم من عالمي الغيب والشهادة، مما يجعل في الرقية بأسماء الشياطين - مثلًا - وهم أعداء بني آدم في العالم الغيبي، أثر في إزالة ضرر لدغة الثعبان الذي هو من أعداء بني آدم في العالم الحسي. (انظر: تيسير العزيز الحميد: ١٦٦ - سليمان بن عبدالله).

(٤) سبق تخريجه صـ ٥٠٤.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة: ١/ ١٧١ - جمع: أحمد الدويش.

وبناء على ما سبق، فإن الشهادات الناتجة عن التجارب الشخصية ليست ذات قيمة كبرى في تحديد فعالية العلاج، ومن هنا تبرز أهمية إخضاع الطرق العلاجية «البديلة» إلى الملاحظة المنضبطة وتحت إشراف دقيق ليتم التأكد من نفعها وحقيقة تأثيرها، وإن كان هذا لازمًا في البلدان الغربية التي همها الحياة الدنيا، فهو عندنا أولى وألزم لضررها على الدين والدنيا معًا[١].

● مسألة: هل ثبوت تأثير السبب كونًا كاف لاعتباره سببًا مشروعًا؟

يخطئ كثير من الناس في الاعتقاد بأن ثبوت النفع كافٍ في إباحة السبب، والصحيح أن «هناك شرطان لجواز استعمال سبب كوني ما: الأول أن يكون مباحًا في الشرع، والثاني أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب، أو غلب ذلك على الظن»[٢]. ويغفل هؤلاء عما جاء في الشرع من النهي عن اتخاذ أسباب قد ثبت أثرها في الشرع نفسه. أضرب على ذلك مثالين اثنين، أحدهما مُنع من أجل الكفر[٣]، والآخر منع من أجل المعصية.

- **أما الأول**: فهو السحر، وقد ثبت أثره في نصوص الكتاب والسنة[٤]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

---

(١) وقد حدد العلماء الغربيون معايير وضوابط لما يمكن تسميته علمًا، ونحن أولى بالاهتمام بها:
١- **القابلية للاختبار**: فلا تضاف المعلومة إلى رصيد المعرفة العلمية إلا بعد اختبار مصداقيتها حسيًا.
٢- **الموضوعية**: وذلك لئلا تكون الملاحظة انتقائية، وتتحقق مصداقية الملاحظة من خلال تكرار الملاحظة من أكثر من جهة ووجود أكثر من ملاحظ من جهة أخرى.
٣- **العالمية**: فالمعرفة العلمية ليس لها دين ولا وطن أو جنس أو عرق. وإن كانت بعض المجتمعات تتحفظ على بعض المعارف.
٤- **الأمانة العلمية**: وتعني توخي الدقة في تسجيل الأحداث والملاحظات.. (تدريس العلوم: ٣٥ - ٣٧ - د. محمد يونس).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه: ٢٢ - الألباني.

(٣) وهو القول الراجح، فتح الباري: ١٠/ ٢٧٦ - ابن حجر.

(٤) انظر: شرح أصول السنة: ٧/ (١٢٨٣ - ١٢٨٨) - اللالكائي.

وَزَوْجِهِۦ ﴾[١]، وقال ﷻ: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[٢]، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ سُحر، حتى كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[٣]. فالسحر قد ثبت في الشرع أنه سبب مؤثر، ومع ذلك مُنع منه لما فيه من الكفر، ولو افتُرض أنه استُخدم لأغراض حميدة. قال شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب**[٤] رحمه الله في كتاب التوحيد: «أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك»[٥].

- **وأما الثاني**: فهو الخمر، حيث ثبت في كتاب الله تبارك وتعالى أن فيه منافع للناس، بل كان بعضهم يتداوى به[٦]، ومع ذلك منع الناس من الانتفاع به لأنه محرَّم ولأن إثمه أكبر من نفعه. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) الفلق: ٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٧٤ برقم: ٥٤٣٠، كتاب: الطب، باب: السحر. ومسلم ٤/ ١٧١٩ برقم: ٢١٨٩، كتاب: السلام، باب: السحر.

(٤) **محمد بن عبدالوهاب**: هو شيخ الإسلام ومجدد الدين محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي. ولد عام ١١١٥ هـ في بلدة العيينة. حفظ القرآن في الصغر وتتلمذ على والده قاضي العيينة. رحل في طلب العلم بين الحرمين والشام والبصرة، وانكب على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وتأثر بمنهجهما. فأخذ رحمه الله يدعو إلى التوحيد ونبذ البدع التي كانت منتشرة في نجد آنذاك، فحورب وخذل حتى ناصره أمير الدرعية آنذاك الإمام محمد بن سعود ودانت لهم معظم الجزيرة العربية. وكان لدعوته الإصلاحية أثر في العديد من أنحاء العالم الإسلامي. له مصنفات ورسائل متعددة، منها: كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة. توفي رحمه الله في الدرعية عام ١٢٠٦ هـ. (انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره: د. عبدالله العثيمين، الإمام محمد بن عبدالوهاب: عبدالحليم الجندي، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون: ١/ (١٢٥ - ١٦٨) - عبدالله البسام).

(٥) كتاب التوحيد: ٦١ - محمد بن عبدالوهاب.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٩ - القرطبي، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٢٤ - ابن كثير.

أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾[١]، ولذلك لا يعذر من تعاطى الخمر بدعوى أنه ثبتت فيه منافع، بل إنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب. «وكثيرًا ما يخلط الناس في هذه الأمور، فيظنون أنه بمجرد ثبوت النفع بوسيلة ما تكون هذه الوسيلة جائزة ومشروعة»[٢]. «ولذلك فإنه ليس كل ما كان سببًا كونيًا يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سببًا لأخذ ماله، وكلاهما محُرَّم... والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب، وهو محُرَّم. وكذلك الشرك مثل دعوة الكواكب والشياطين وعبادة البشر قد يكون سببًا لبعض المطالب، وهو محُرَّم. فإن الله تعالى حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحيانًا»[٣]

قال **ابن تيمية** رحمه الله: «وجميع الأمور التي يُظن أن لها تأثيرًا في العالم وهي محرمة في الشرع كالتمريجات[٤] الفلكية والتوجهات النفسانية كالعين والدعاء المحرم والرقى المحرمة أو التمريجات الطبيعية ونحو ذلك، فإن مضرتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب، فإن هذه الأمور لا يُطلب بها غالبًا إلا أمور دنيوية، فقلَّ أن يحصل بسببها أمر دنيوي إلا كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة خبيثة، دع الآخرة. والمخفق من أهل الأسباب أضعاف أضعاف المنجح. ثم إن فيها من النكد والضرر ما الله به عليم فهي في نفسها مضرة، لا يكاد يحصل الغرض بها إلا نادرًا، وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه»[٥].

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه: ٢٣ - الألباني.

(٣) الاستغاثة: ٢٢١ - ابن تيمية.

(٤) **والتمريجات** مأخوذة من المرج وهو الخلط والفساد والاضطراب والقلق. ولعل القصد بها هنا تخرصات الفلكيين الذين يعتقدون أن للأفلاك تأثيرًا، وتخليطهم بذلك. انظر:
القاموس المحيط: (٢٦٢ - ٢٦٣) - الفيروزآبادي، وتحقيق د. ناصر العقل لاقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٢٩٠.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٦٩٠ - ابن تيمية.

وعليه، فإن الوسيلة إذا سلمت من الكفر والشرك والبدعة والمعصية، مع ثبوت نفعها كونا، كانت من الأسباب المباحة، فاتخاذها سنة والاعتماد عليها من الشرك، والواجب على العبد العمل بالسبب مع التوكل على خالق الأسباب إذ هو تَعَالَى الفاعل بها[(١)].

والمقصود مما ذكر: أن ما يسعى إليه المعالجون بتطبيقات الفلسفة الشرقية من محاولة إثبات نفعها لن يكون سببًا في جعلها من جملة الأسباب المباحة، إذ الخلل فيها يتعدى كونها من الأسباب الوهمية غير الثابتة إلى كونها مُتلبسة بأنواع من الكفر والإلحاد والشرك، وهو ما لا يمكن الاستفادة منه ما دام باقيا على صورته تلك.

فإن قيل: إن في هذه التطبيقات ما ثبت نفعه كونا ولا يتضمن - في ذاته - أمرا محرما، قلنا: إذن لا بد من عزل تلك الأسباب الحقيقية عن الأسباب الوهمية الشركية مع تطبيق ما مضى ذكره من الشروط والقيود، حيث يمكن الاستفادة مما فيها من الحق - حال وجوده - بعد نبذ ما فيها من الباطل.

إن هذا الذي ذكرته هو ما يدعيه كل من يريد تأصيل الفلسفة الشرقية وتطبيقاتها تأصيلًا شرعيًا، ولكن ليس ما هم عليه هو المقصود، فإبقاء الكيفيات والمسميات والهيئات أمر غير مقبول شرعًا، وإنما المقصود هو تجريد ما يفترض فيها المنافع من أصولها تمامًا، بحيث لا يبقى لها فيها أثر، ولا رابط يربطها بالفلسفة الشرقية الملحدة. هذا، وإن كنت لا أرى - شخصيًا - وجود شيء متميز في تطبيقات الفلسفة الشرقية عدا أبعادها الروحية والفلسفية، أما ما سوى ذلك فهو دائر بين تمارين تمدد واسترخاء وأنظمة غذائية معتادة، تحدث عن أمثالها المتخصصون كثيرًا، ولذلك فإنها لو جردت من تلك الأبعاد الروحية الفلسفية لم يكن لها تلك الجاذبية ولا الرواج، ولأصبح مصيرها كمصير غيرها من المؤلفات المكدسة على أرفف المكتبات.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١١٢ - ابن تيمية.

المبحث الثاني

الأحكام المتعلقة بتطبيقات الفلسفة الاستشفائية

لقد تبين معنا في فصول هذا الباب مدى مخالفة فلسفة الاستشفاء الشرقية وتطبيقاتها لأصول الاعتقاد وأركان الإيمان، وما قد يخالط تلك التطبيقات من أمور شركية وخرافات. وفي هذا المبحث - بإذنه تعالى - سأتطرق للأحكام الشرعية المتعلقة بممارسة تطبيقات الفلسفة الشرقية وأحكام المتلبس بها. ولعله يحسن التقديم بأحكام التداوي في الإسلام بشكل عام، ومن ثم الحديث عن حكم الاستشفاء بتطبيقات الفلسفة الشرقية خاصة، وأخيرًا حكم تعلمها وتعليمها.

أولًا: الأحكام العامة للتداوي في الإسلام

اختلف العلماء في حكم التداوي - عمومًا - على أربعة أقوال[1]:

القول الأول: وجوب التداوي

واستدل القائلون بهذا القول بأدلة، منها:

- حديث **أسامة بن شريك**[2] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **[تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء]**[3].

---

(١) انظر: الآداب الشرعية: ٢/ (٢٣٤ - ٢٣٩) - ابن مفلح، الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ (٩٠ - ٩١) - القرطبي، والتمهيد: ٥/ (٣٧٥ - ٣٧٩) - ابن عبد البر.

(٢) **أسامة بن شريك**: هو أسامة بن شريك الذبياني الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد، كوفي، له صحبة ورواية. روى عنه زياد بن علاقة. انظر:
الاستيعاب: (٤٧ - ٤٨) برقم: ١٤ - ابن عبد البر، والإصابة: ١/ ٢٩ - ٣٠ برقم: ٩٠ - ابن حجر

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٢٠٨ برقم: ٤١٦ وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ووجه الاستدلال بالحديث ← وروده بصيغة الأمر، والأمر يفيد الوجوب ما لم يرد قرينة تصرفه عنه إلى الندب أو الإباحة(١).

- كما استدلوا بما ورد في الشرع من العموميات الدالة على وجوب حفظ النفس، كقوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(٢).

القول الثاني: استحباب التداوي

ومن أدلتهم ما يلي:

- أدلة القائلين بالوجوب، وقالوا يصرفها عن الوجوب ما ورد في أدلة القائلين بالكراهة، وإنما بقي الحكم على الاستحباب لوروده بصيغة الأمر.
- حديث أبي هريرة(٣) ﷺ أن النبي ﷺ قال: [**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**](٤).
- وقوله ﷺ: [**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله** ﷻ](٥).

قالوا هذه الأحاديث وغيرها تدل على مشروعية التداوي وهو مذهب الجمهور(٦).

القول الثالث: جواز التداوي

واستدلوا بأدلة القائلين بالوجوب والاستحباب مع أدله القائلين بالكراهة، ورأوا أن الجمع بينها يكون بعدم تفضيل الفعل ولا الترك.

---

(١) انظر: متن الورقات: ١٢ -الجويني.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) أبو هريرة: هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، وأكثر الصحابة حفظًا لحديث رسول الله ﷺ، روي عنه ٥٣٧٤ حديثًا. قدم على رسول الله ﷺ في السنة السابعة للهجرة، وكان من أهل الصفة. لازم النبي حتى توفي ﷺ. استعمله عمر ﷺ على البحرين. توفي أبو هريرة سنة ٥٧ هـ رضي الله عنه وأرضاه. انظر: الاستيعاب: (٨٦٢ - ٨٦٥) برقم: ٣١٨٣ - ابن عبدالبر، الإصابة: ٧/ (١٩٩ - ٢٠٧) - ابن حجر.

(٤) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٥١ برقم: ٥٣٥٤، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء.

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٢٩ برقم: ٢٢٠٤، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي.

(٦) انظر: شرح مسلم: ٣/ ٩٠ - النووي.

القول الرابع: كراهية التداوي

وهو القول بأن ترك التداوي أفضل، وقد استدل أصحابه بحديثين:

- حديث المرأة السوداء التي أتت النبي ﷺ فقالت: (إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي). فقال ﷺ: [**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**] فقالت: (أصبر) فقالت: (إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف) فدعا لها[(١)].
- حديث السبعين ألف من أمة محمد ﷺ الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب، وهم الذين [**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**][(٢)].
- أنه ورد ترك التداوي عن كبار الصحابة وفضلاء الأمة. وقد ذكر **شيخ الإسلام** ابن تيمية رحمه الله أن خلقًا من الصحابة والتابعين لم يكونوا يتداوون، منهم **أبو بكر الصديق**[(٣)] رضي الله عنه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٤٠ برقم: ٥٣٢٨، كتاب: المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح. ومسلم ٤/ ١٩٩٤ برقم: ٢٥٧٦، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه.

(٢) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٥٧ برقم: ٥٣٧٨، كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى وفضل من لم يكتوِ ومسلم ١/ ١٩٨ برقم: ٢١٨، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المؤمنين الجنة بلا حساب.

(٣) أبو بكر: الصديق، عبدالله بن أبي قحافة القرشي التيمي. أول الخلفاء الراشدين وأفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين. كان أول من أسلم من الرجال وأحد العشرة المبشرين بالجنة، رافق النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة وحضر المشاهد كلها. من أبرز أعماله بعد توليه الخلافة حربه للمرتدين. توفي رضي الله عنه وأرضاه سنة ١٣ هـ وعمره ٦٣ سنة واستخلف بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب: (٧٧٩ - ٧٨٠) برقم: ٢٨٤٥ - ابن عبدالبر، وأسد الغابة: ٣/ (٣٠٩ - ٣٣٥) برقم: ٣٠٦٤ - ابن الأثير.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢١/ ٥٦٤ - ابن تيمية، والجامع في أحكام القرآن: ٦/ ٩٢ - القرطبي، والتمهيد: ٥/ ٢٧٩ - ابن عبدالبر.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأقوال السابقة ليست متناقضة، حيث يختلف الحكم باختلاف الحال. قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: «فإن الناس قد تنازعوا في التداوي هل هو مباح أو مستحب أو واجب. والتحقيق: أن منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب»[1].

وما سبق ذكره من الأقوال في حكم التداوي هي خاصة في التداوي بما أباحه الله تعالى من الأدوية، وهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

١- **ما نص الشارع على نفعه**، ومنه:

- ما جاء في الكتاب: كقوله ﷻ في النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].
- ما جاء في السنة: كقوله ﷺ: [**إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام**][3].

٢- **ما ثبت نفعه كونًا، ولم يرد الشرع بمنعه**. وهذا شامل لجل ما يتداوى به الناس اليوم في المستشفيات الحديثة. وهو من توسيع الله ﷻ على عباده المؤمنين، حيث أباح لهم التداوي بكل ما يمكن به حفظ النفس وتحصيل أسباب الصحة.

أما التداوي بالمحرمات فحكمه مختلف عما سبق، ويمكن تحديد المحرمات في الشرع بنوعين:

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٨/ ١٢ - ابن تيمية.
فالواجب: ما لو تركه تلف أو مات، فإن كان تركه يضعف البدن كان مندوبًا، ويكره عند توقع حدوث ضرر أشد منه، ويحرم عندما يكون الدواء محرمًا.

(٢) النحل: ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري: ٥/ ٢١٥٣ برقم: ٥٣٦٣، كتاب: الطب، باب: الحبة السوداء. ومسلم ٤/ ١٧٣٥ برقم: ٢٢١٥، كتاب: السلام، باب: التداوي بالحبة السوداء.

١- **ما نص الشارع على تحريمه.** وهو قسمان:

أ- ما كان محرمًا لذاته كالخمر ولحم الخنزير، وذلك لخبث فيهما[١]. قال تعالى مخبرًا عن الرسول ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[٢]. وهذا النوع يحرم التداوي به على الصحيح لنص النبي ﷺ [**إن الله أنزل الداء والدواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**][٣]، وقوله ﷺ: [**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**][٤]. وقد قال ﷺ عن الخمر: [**إن ذلك ليس بشفاء، ولكنه داء**][٥]، ولا يصح قياس التداوي على الضرورة، إذ بينهما اختلاف من وجوه متعددة[٦]. وكما سبق، فإن مجرد ثبوت النفع ليس دليلًا على إباحة السبب[٧].

ب- ما كان تحريمه سدًا للذريعة، كتحريم لبس الحرير والذهب للرجال، لما فيهما من مشابهة النساء ومظنة الخيلاء. وهذان النوعان خاصة قد ورد الشرع في إباحتهما لأغراض التداوي[٨].

ج- ما كان تحريمه من أجل الشرك، فالتداوي به من الشرك. ولا يرخص فيه ولو فرضنا - جدلًا - ثبوت نفعه، كلبس الحلقة والخيط والتداوي

---

(١) انظر: شرح السنة: ٦/ (٢٤٠ - ٢٥٤) - البغوي.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: ٤/ ٧ برقم: ٣٨٧٤، كتاب: الطب، باب: في الأدوية المكروهة، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤/ ١٧٤ برقم: ١٦٣٣.

(٤) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم: ٥/ ٢١٢٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤/ ١٧٥.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ٣/ ١٥٧٣ برقم: ١٩٨٤، كتاب: الأشربة، باب: تحريم التداوي بالخمر.

(٦) انظر ما ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: ٢١/ ٥٦٣.

(٧) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٧٠١ - ابن تيمية، والطب النبوي: ١٩٢ - ابن القيم، وانظر: التداوي بالمحرمات: (١٢ - ٢٢، ٨٩ - ٩٢) - د. محمد البار.

(٨) انظر: التداوي بالمحرمات: (١٠٤ - ١٠٧) - د. محمد البار.

بالسحر. قال ابن تيمية رحمه الله: «والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال، لأن ذلك محرم في كل حال. وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه، فإنما ذلك يجوز إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان... فإن المكره مضطر إلى التكلم به ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين: أحدهما: أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم، فلا يؤثر بل يزيده شرًا، والثاني: أن في الحق ما يغني عن الباطل»[1]

٢- **ما لم ينص الشارع على تحريمه على وجه التفصيل**. وهو ما لم يثبت أثره شرعًا ولا قدرًا. وهذا لا يجوز التداوي به حتى يثبت، بل يعد ذلك من الشرك[2].

وجملة ما ذكر من التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية داخلة فيما يعد التداوي به من الشرك، فهي إما:

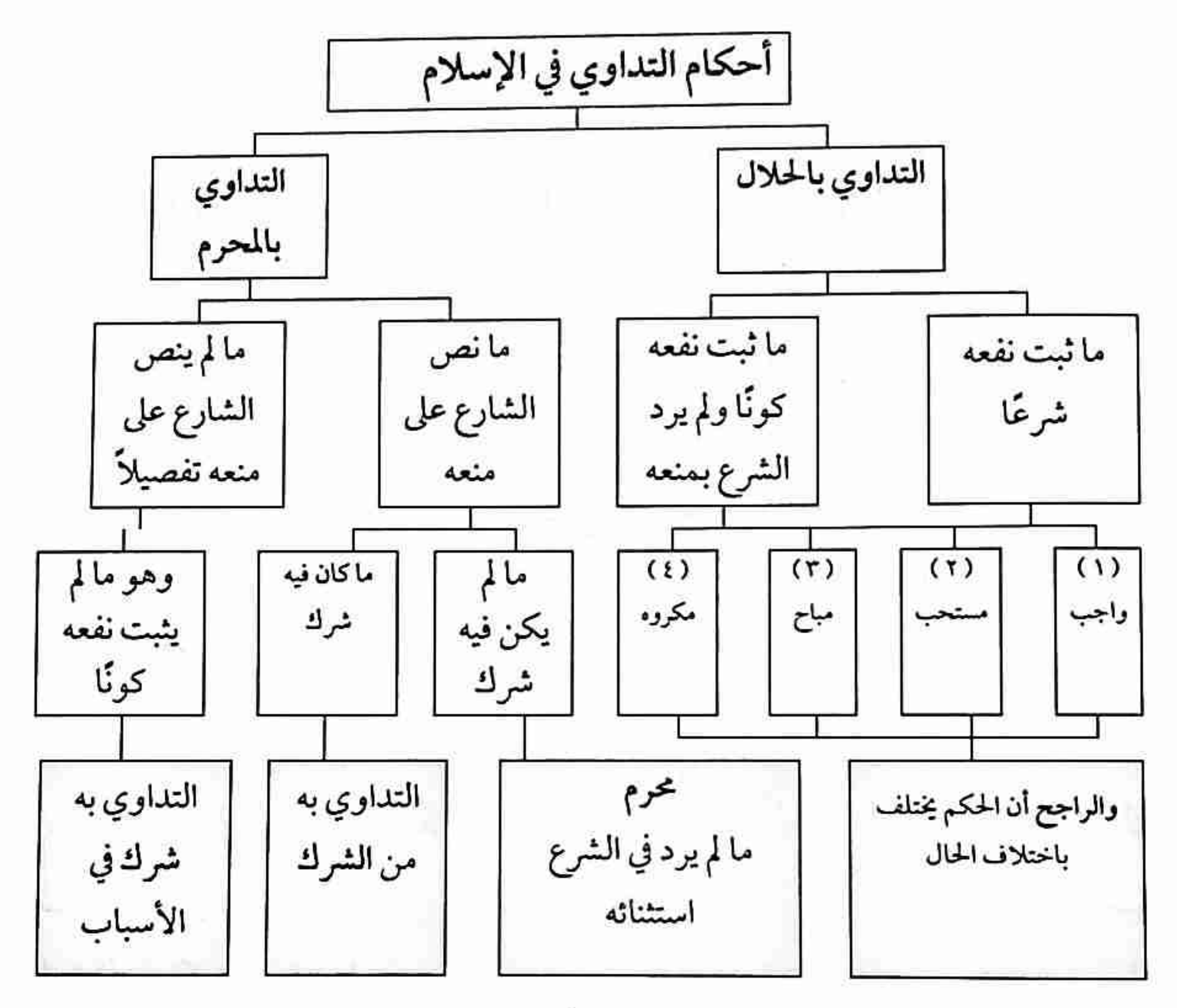
- شاملة على الشرك في أصلها، فالتداوي بها شرك من هذا الباب.
- أو هي مما لم يثبت تأثيره قدرًا، فالتداوي به شرك من أجل ذلك.

وقد يوجد فيها ما هو من الأمور المباحة الثابت نفعها قدرًا، ولكنها قد اختلطت بالنوعين السابقين فغُمرت بما فيها من الباطل.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٩/ ٦١ - ابن تيمية.

(٢) ويختلف بحسب حال الفاعل، فإن اعتقد أن السبب فاعل نافع بذاته كان شركًا أكبر، وإن ظن أنه سبب للنفع والله تعالى هو النافع كان شركًا أصغر لأن الله لم يجعله من الأسباب.



شكل (٢٤) شكل توضيحي لأحكام التداوي في الإسلام

ثانيًا: حكم الاستشفاء بتطبيقات الفلسفة الشرقية

إن الحكم على تطبيقات فلسفة الاستشفاء الشرقية والعاملين بها هو - في الحقيقة - خلاصة هذا البحث وثمرته، وهو ما يجب أن يكون محل نظر العلماء الراسخين في الفقه والعلم لينجلي الحق وتنقشع الغمة. ولكن المقام يقتضي ختم ما سبق من المقدمات بالحكم الشرعي الذي تم التوصل إليه من خلالها، وإظهار النتيجة التي كانت هي الهدف من تقديم البحث، فكان هذا المبحث.

لقد سبق معنا - في غير موضع - أن تطبيقات الفلسفة الشرقية مرتبطة ارتباطًا أصليًا بالفلسفة الشرقية الأم، وأنه لا يمكن فهم التطبيقات إلا من خلال

فهمها. ومن قال بإمكانية عزلها عن أصولها الفلسفية فإما جاهل أو مكابر، فالطاقة التي هي أساس هذه التطبيقات لم تثبت إلا في كتب الفلاسفة ولا وجود لها في العلم الحديث[1] ولا وسيلة لقياسها أو ضبطها. كما أن المصطلحات التي يستخدمها هؤلاء هي ذاتها المنصوص عليها في الفلسفة الشرقية دون أدنى فرق. ولو افترضنا إمكانية عزل تطبيقات الفلسفة الشرقية عن أصولها لم يكن لها أن تبقى على الصور التي هي عليها في الشرق والغرب، ولم تكن لتحمل نفس المسميات، ولأصبحت شيئًا جديدًا ليس هو ما نراه الآن. أما والحال كما هو، والتطبيقات تعتمد كليًا على المفاهيم الشرقية، والمصطلحات الشرقية - بل والكتب الشرقية، كان الحكم عليها مرتبطًا بتلك الأصول الفلسفية وأهدافها.

إن تلك الأصول والأهداف الفلسفية هي ما يهمنا في هذا المبحث، أما ما يتعلق بحكم ما قد تتلبس به بعض التطبيقات من الأفعال الشركية كتعليق التمائم والاستعانة بغير الله والشرك في الأسباب وغيرها فليس هو المقصود، وقد سبقت الإشارة إلى حكم كل منها في مواضعها.

لقد تبين من خلال ما سبق من البحث أن فلسفة الاستشفاء الشرقية قائمة على ثلاثة أصول باطلة:

١- القول بالفيض والصدور، المتضمن لإنكار الخلق والقول بقدم مادة العالم، وهو مفهوم فلسفة الطاقة الكونية والـ (ين يانغ) والعناصر الخمسة.

٢- الاعتقاد بوحدة الوجود.

٣- السعي - من خلال التطبيقات - إلى الاتحاد بالكلي أو «الإله» واستعادة التناغم مع الكون.

---

(١) وكل ما يدعيه المروجون للتطبيقات من ثبوتها علميًا هو في الغالب خلط بين الطاقة الكونية الشرقية وبين أنواع من الطاقة الثابتة فيزيائيًا. وهذه الطاقات الثابتة لا تحمل الصفات التي تحملها الطاقة الكونية ولا يوجد ما يثبت إمكانية الاستفادة منها فيما يدعيه هؤلاء.

ولا شك أن كل واحد من هذه الأقوال الثلاثة هو كفر مستقل في نفسه، وهي مما أجمع على حكمه علماء السلف والخلف. ولا شك بأن القول بأحد الأقوال السابقة يعد كفرًا صريحًا، وخروجًا من ربقة دين الإسلام. هذا من حيث الحكم العام، أما من حيث الأفراد العاملين بهذه التطبيقات، فيختلف حكم كل واحد منهم بحسب حالة، والحكم على المعينين هو من الأمور الخطيرة التي يجب أن لا يتصدر لها إلا من كان متمكنًا من العلم بالشرع والواقع وليس ذلك لعموم الناس، وقد قال **ابن حجر**[1] رحمه الله: «من ثبت له عقد الإسلام بيقين، لا يخرج منه إلا بيقين»[2]، ولا يكون ذلك اليقين إلا بتحقق الشروط الموجبة للحكم وانتفاء الموانع له. فالحكم على المعينين هو من مسائل «الأسماء والأحكام التي تتعلق بها الوعد والوعيد في الآخرة والقتل والعصمة وغيرها في الدنيا»[3] وهي ليست المقصودة هنا، وإنما المقصود هو الحكم التنظيري العام، ويبقى الحكم على الأفراد من اختصاص أهل العلم.

يمكن تقسيم الأحكام الخاصة بتطبيقات الفلسفة الشرقية إلى ثلاثة أقسام:

(١) حكم العالم بأصول التطبيقات وأهدافها والمعتقد بها

والمقصود هنا من يعتقد بفيض العالم عن «الإله» وبالاتحاد ووحدة الوجود، فهؤلاء حادوا عما ورد في الشرع صريحًا، إلى أقوال فلاسفة الشرق الضالين، و«لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبياء

---

(١) ابن حجر: هو أحمد بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين، ابن حجر، أصله من عسقلان ومولده ووفاته في القاهرة. رحل في طلب العلم والحديث إلى اليمن والحجاز وغيرهما، فأصبح حافظ عصره. ولي القضاء في مصر مرات ثم اعتزل. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري. توفي سنة ٨٥٢ هـ انظر: الأعلام: ١/ ١٧٨ - الزركلي.

(٢) فتح الباري: ١٢/ ٣٧٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ١٢/ ٤٦٨ - ابن تيمية.

كانوا حكماء وزيادة؟»[١]. وهؤلاء لا شك في كفرهم، بل - كما سبق - فإن أحد مقالاتهم مفردة توجب الكفر، يوضحه ما يلي:

- **القول بالفيض والصدور:**

وهذا القول متضمن لإنكار أخص خصائص الربوبية، فمعه لا وجود للخلق ولا للعلم ولا الإرادة. قال **أبو العباس ابن تيمية** عليه رحمة الله: «فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى، بل ومشركي العرب، فإن جميع هؤلاء يقولون أن الله خلق السماوات والأرض، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته»[٢]. وقال مبينًا ما في مثيل هذا القول[٣] من الفساد: «وهؤلاء عندهم ليس لله مشيئة وقدرة في لزوم الفلك له، بل ولا يمكنه أن يدفع لزومه عنه، فالتولد الذي يثبتونه أبلغ من التولد المولود في الخلق، ولا يقولون أنه اتخذ ولدًا بقدرته... [و] حقيقته - أي قولهم - أنه لم يفعل شيئًا، بل ولا هو موجود... فعند التحقيق لا يرجعون إلى شيء محصل، فإن في قولهم من التناقض والفساد أعظم مما في قول النصارى»[٤].

- **القول بوحدة الوجود:**

ومعناه أن الخالق والمخلوق واحد لا فرق بينهما، بل يلزمه أن يكون الله ﷻ هو ذات النجاسات والقاذورات! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وهذا من أكفر الكفر وأقبح القبائح، قال **شيخ الإسلام**: «أما كون وجود الخالق هو وجود المخلوق، فهذا كفر صريح باتفاق أهل الإيمان، وهو من أبطل الباطل في بديهة عقل كل إنسان»[٥]، «وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ

---

(١) تلبيس إبليس: ٧٦ - ابن الجوزي.

(٢) مجموع الفتاوى: ١١/ ٢٢٧ - ابن تيمية، وانظر المرجع نفسه: ١٧/ ٢٦٧.

(٣) والمقصود عند الفلاسفة اليونان، وقد ذكر بعض الباحثين أنها متأثرة بالفلسفة الهندية.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٧/ (٢٩٤ - ٢٩٥) - ابن تيمية.

(٥) مجموع الفتاوى: ٢/ ٢٦ - ابن تيمية.

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[١] فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون والصبيان، والمجانين، والأنجاس والأنتان وكل شيء؟!»[٢]

- **القول بالاتحاد:**

وهو في الحقيقة قول يرجع إلى القول بوحدة الوجود، خاصة في الفلسفة الشرقية، إذ الاتحاد عندهم هو إدراك حقيقة الذات وأنها هي والإله وكل ما في الوجود واحد. وهذا القول هو اتحاد خاص من حيث إن الساعي إلى الوحدة هو الذي يحققها في اعتقادهم، وهو اتحاد عام باعتبار أن الأصل - عندهم - هو وحدة الموجودات وأن الاتحاد متاح لكل أحد. وعلى كل حال، فإن كلا القولين كفر وضلال[٣].

فإن كان من وقع في إحدى هذه المقالات وقع في الكفر، فمن باب أولى من أتى بها جميعًا. بل إن الشك في كفر من اعتقد هذا الكفر الصريح كفرٌ في ذاته. قال **شيخ الإسلام** في أهل الوحدة والقائلين بالحلول والاتحاد: «فهذا كله كفر ظاهرًا وباطنًا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»[٤].

(٢) حكم الجاهل بأصول التطبيقات وأهدافها

الجهل هو ضد العلم[٥]. وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، ويمكن تقسيمه إلى قسمين:

جهل بسيط: وهو عدم العلم ممن شأنه أن يكون عالمًا.

---

(١) المائدة: ١٧.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢/ ١٧٣ - ابن تيمية.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢/ (١٧١ - ١٧٤).

(٤) المرجع السابق: ٢/ ٣٦٨.

(٥) انظر: القاموس المحيط: ١٢٦٧ - الفيروز آبادي، ومختار الصحاح: ٤٩ - الرازي.

وجهل مركب: وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع[١].

أما من حيث المتلبس بتطبيقات الفلسفة الشرقية، فإن جهله يكون من أحد وجهين:

- **أن يكون جاهلًا بالأصول والأهداف أصلًا**

وهذا غالبًا ما يكون في المريض أو المُستشفِي، فهو يذهب إلى المتطبب ولا يعلم الشيء الكثير عن العقائد التي بُنيت عليها وسيلته العلاجية[٢]، أو كمن اشترى كتابًا في أحد التطبيقات، ولم تكن مُوضَّحة فيه الأصول الفلسفية للتطبيق ولا الأهداف الحقيقية له[٣]، «ومنهم قوم يقرأون الكتب المتضمنة لذلك علانية وقد لا يفهمون ما فيها من الكفريات»[٤]، فهذا حكمه حكم الجاهل، يبصر ويُعلَّم وتقام عليه الحجة، فإذا أدرك الحقائق لزمه التبرؤ منها، فإن أبى وعاند بعد أن علم وقامت عليه الحجة كان حكمه كحكم الأول.

- **أن يكون عالمًا بالأصول والأهداف وإنما يجهل حكمها**

وصورة ذلك أن يكون الممارس عالمًا بأصول التطبيقات وأهدافها غير منكر لذلك، ولكنه لا يعلم أن مثل هذه المقالات الكفرية متناقضة مع أصول الإيمان. وهذا مما لا يعذر الإنسان بجهله، فإن العلم بأن الله خالق قادر مريد، وأنه ليس هو الشجر والحجر والإنس والجان، وأنه لا يمكن أن يصل الإنسان إلى مرحلة

---

(١) كتاب التعريفات: ٨٠ - الجرجاني (بتصرف يسير).

(٢) وهنا فائدة مهمة: وهي أن المتطبب ضامن، وهو مسؤول عما يصيب مريضة، فإذا كان المتطبب جاهلًا فأتلف من يطبه فله حالتان:

- أن يكون المتضرر قد علم بجهل المتطبب، وأذن له في علاجه، فهذا لا ضمان له.
- وإن ظن المريض أنه طبيب عالم وأذن له في علاجه بناء على ذلك فإن المتطبب يضمن ما أتلف.

(انظر: الطب النبوي: ١٧٧ - ابن القيم).

(٣) وقد يلحق بهذا بعض المعالجين المبتدئين الذين لم تكشف لهم حقائق الفلسفة بعد.

(٤) بغية المرتاد: ١٩١ - ابن تيمية.

يكون هو فيها هو الإله، كل ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا يخفى على عوام المسلمين، خاصة في بلاد الإسلام، وإن كان قد يُعذر فيها حديث عهد بإسلام أو من عاش ببلاد نائية عن البلاد الإسلامية[١].

يقول **شيخ الإسلام** موضحًا ما لا يعذر بالجهل فيه: «... لكن ذلك - أي المخالفة - يقع من طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين أنها من دين المسلمين - بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمدًا بُعث بها وكفَّر مخالفها، مثل: أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب والأصنام وغير ذلك... ثم تجد كثيرًا من رؤسائهم وقعوا في هذه الأمور فكانوا مرتدين، وإن كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون إلى الإسلام»[٢]. وقال **ابن قدامة**[٣] رحمه الله في الموضوع نفسه: «فإن لم يكن ممن يجهل ذلك، كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى لم يعذر، ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره»[٤].

وقال **الشيخ محمد بن إبراهيم**[٥] رحمه الله في مسألة كفر المعيَّن: «أما ما عُلم من الدين بالضرورة أن الرسول جاء به، وخالفه، فهذا يكفر بمجرد ذلك ولا يحتاج

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ٢٣١ - ابن تيمية.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ٥٤ - ابن تيمية.

(٣) **ابن قدامة**: هو عبدالله بن محمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الحنبلي. أبو محمد موفق الدين. ولد عام ٥٤١ هـ. كان من أئمة الفقه والعلم والحديث. له مصنفات كثيرة، منها: المغني، وروضة الناظر، والكافي وغيرها. توفي عام: ٦٢٠ هـ. انظر:
البداية والنهاية: ٩/ (٤٧ - ٥٠) - ابن كثير، والأعلام: ٤/ ٦٧ - الزركلي.

(٤) المغني: ٢/ ١٥٦ - ابن قدامة.

(٥) **محمد بن إبراهيم**: هو محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب آل الشيخ. مفتي ديار المملكة العربية السعودية، ولد عام ١٣١١ هـ في مدينة الرياض تربى في بيت علم ودين وطلب العلم منذ سن مبكر. من أبرز تلاميذه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالعزيز آل الشيخ والشيخ عبدالله الجبرين. توفي رحمه الله عام ١٣٨٦ هـ. انظر:
علماء نجد خلال ثمانية قرون: (٢٤٢ - ٢٦٣) - عبدالله البسام.

إلى تعريف سواء في الأصول أو الفروع، ما لم يكن حديث عهد بإسلام»[١].

وقد وردت نصوص كثيرة عن السلف والخلف تدل على أن ما كان معلومًا من الدين بالضرورة فإنه لا يعذر فيه بالجهل لمن لم يكن حديث عهد بإسلام أو ممن نشأ في مكان ناء عن البلاد الإسلامية[٢].

(٣) حكم المتأول لأصول التطبيقات وأهدافها

وهذا هو الحال الذي عليه كثير ممن يمارس التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية من المسلمين، وأحدهم لا يخلو من إحدى حالتين:

- أن يكون عالمًا بالفلسفة الاستشفائية التي تقوم عليها التطبيقات، ولكن يتأولها ويحملها على معان شرعية. وهذا قد سبق ذكر استحالته في غير موضع.
- أن يكون عالمًا بالفلسفة الاستشفائية وأخطارها العقدية وإنما يظن إمكانية تجريد التطبيقات من تلك الفلسفة والاستفادة مما فيها من المنافع المفترضة. وهذا - كذلك - لا يخرج عن إحدى حالتين:

أ- أن يقصد بتجريد التطبيقات من الفلسفة الأصلية عدم التعرض لما فيها من المخالفات الصريحة كالفيض والاتحاد ووحدة الوجود مع إبقائها على صورها ومسمياتها. وهذا لا يعتبر تجريدًا بقدر ما يعتبر تلبيسًا وتضليلًا، فكيف ستُفسَّر الطاقة الكونية والـ (شاكرات) وغيرها من الفلسفات الشرقية التي ليس لها أي تفسير علمي إلا من خلال الفلسفة الأم؟ وكيف سيَمنع هؤلاء قراءهم وأتباعهم من الرجوع إلى أشخاص

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم: (٧٣ - ٧٤).

(٢) وقد نقل الباحث: أبو العلا الرويشد أقوالًا كثيرة لعلماء أهل السنة من السلف والخلف على عدم اعتبار الجهل عذرًا في المسائل الظاهرة. انظر: عارض الجهل: ٢٠٧ وما بعدها.

ومؤلفات أخرى للاستزادة والتبحر في تلك التطبيقات ممن لا يحملون نفس الفكر؟[١].

فهذا مما يستحيل تطبيقه في الواقع، بل يشبه فعل الباطنية الذين لا يظهرون حقائق معتقدهم إلا بعد أن ينغمس المريد في طرقهم البدعية.
مع ما فيه من مشابهة الكفار في طرقهم ومصطلحاتهم التي هي في الأصل مأخوذة عنهم. وقد عاب **عمر** ﷺ على **كعب**[٢] «مضاهاة اليهودية - أي: مشابهتها - في مجرد استقبال الصخرة، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها»[٣]. ولكنَّ هذا في تأوله لا يكفر لأنه لا يعتقد شيئًا من الكفر، والواجب تعليمه وإقامة الحجة عليه ليظهر له أنه لا يمكن العمل بالتطبيقات إلا من خلال فلسفتها، فإن أقر وعاند كان حكمه حكم العالم، وإن لم يقر وبقيت عنده الشبهة كان على أهل العلم والاجتهاد تقدير ما إذا كان المعيَّن يعذر بها «فقد يُعذر بعض الناس بشبهة دون أن يعذر بها غيرهم لاختلاف أحوال الناس، وظهور آثار الرسالة أو خفائها وما يحيط

(١) وقد ذكر شيخ الإسلام خطر من يحاول إصلاح الفلسفات الباطلة، فوصفه بأنه "أصلح تلك الفلسفة الفاسدة بعض إصلاح حتى راجت على من لم يعرف دين الإسلام من الطلبة النظار، وصاروا يظهر لهم بعض ما فيها من التناقض فيتكلم كل منهم بحسب ما عنده، ولكن سلموا لهم أصولًا فاسدة في المنطق والطبيعيات والإلهيات ولم يعرفوا ما دخل فيها من الباطل، فصار ذلك سببًا إلى ضلالهم في مطالب عالية إيمانية ومقاصد سامية قرآنية خرجوا بها عن حقيقة العلم والإيمان وصاروا بها في كثير من ذلك لا يسمعون ولا يعقلون". (الرد على المنطقيين: ١٤٤ - ابن تيمية).

(٢) كعب: هو كعب بن مانع الحميري العلامة الحبر، كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وحسن إسلامه. قدم المدينة أيام عمر ﷺ فجالس الصحابة وكان يحدثهم من الكتب الإسرائيلية. توفي رحمه الله بحمص ذاهبًا إلى الغزو في أواخر خلافة عثمان ﷺ. انظر:
سير أعلام النبلاء: ٣/ (٤٩٠ - ٤٩٤) - الذهبي، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٥٢ برقم ٣٣ - الذهبي، وأسد الغابة: ٤/ ٤٨٧ برقم: ٤٤٧٧ - ابن الأثير.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٣١ - ابن تيمية.

بالمعين من ملابسات خاصة ونحو ذلك... وذلك أن الكلام في الإعذار من حيث الأصل فيه تحديد لمناط الحكم الشرعي، وأما تطبيق ذلك على معين فهو تحقيق لذلك المناط، وقد يقع الاختلاف في تحقيق المناط مع الاتفاق في أصل مناط الحكم»(١). فتكفير الشخص المعين «موقوف على تبليغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا ليس كل من جهل شيئًا من الدين يكفر»(٢)، ولذلك لما استحل بعض الصحابة والتابعين الخمر في عهد عمر ﷺ لشبهة عرضت لهم، اتفق علماء الصحابة على أنهم يستتابون، فإن أصروا على استحلالها بعد قيام الحجة كفروا(٣).

ب- أن يقصد بتجريد التطبيقات من فلسفتها وأهدافها التجريد الحقيقي الذي لا يبقى معه ارتباط بين الوسيلة العلاجية وبين الفلسفة الشرقية، لا في المفاهيم ولا في المصطلحات ولا فيما له تعلق بها من أي وجه. فهذا إن أمكن فعله في بعض التطبيقات لم يصلح معها جميعها. وهو عند ذلك يبقى على أصل الإباحة ما لم يتلبس بمحرم غيره(٤).

ولعله يحسن في هذا المقام الإشارة بشكل مجمل إلى ما يمكن عزله عن الفلسفة الأصلية من تطبيقاتها المعاصرة(٥):

---

(١) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: ٢٦٣ - عبدالله القرني.

(٢) الاستغاثة: ٢٥٢ - ابن تيمية.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢٥٣.

(٤) ومن النماذج على التعاليم العلاجية النقية كتاب: الرعاية الصحية في الإسلام، للمؤلف: حمد حسن رقيط. وفيه عرض جميل لبعض المبادئ الشرعية في تحقيق الصحة والوقاية من المرض. وهو ليس - فيما أعلم - صورة منقحة للتطبيقات الشرقية، ولكنه أنموذج للصورة التي يجب أن يظهر فيها التطبيق بعد أن يجرد من الفلسفة وينقح.

(٥) وهو كما ذكرت إشارات مجملة، تتضح من خلالها الخطوط العريضة، وإن كنت لا أرى جدوى أو نفعًا كبيرًا من ذلك، ولكن ردًا على سؤال قد يرد: فإن جردت تمامًا من الفلسفة، ما حكمها؟

- أما الـ (ريكي) فهو قائم كليًا على الاعتقاد بالطاقة الكونية، وليس له أي داعم حسي يمكن أن يستند إليه. ولذلك لا يمكن أن يعزل شيء منه عن الفلسفة الأصلية. وإن كان قد ورد فيه بعض النصائح الأخلاقية العامة كاجتناب الغضب واحترام الوالدين وغيرها[1].

- وأما **العلاج بالضغط** فله ارتباط حسي بالجسد، إذ من المعلوم طبيًا أنه يساهم في تخفيف بعض الأعراض المرضية، كما ورد ذلك في الشرع[2]. ولذلك كان بالإمكان الاستفادة من بعض ما فيه دون ربطها بالطاقة أو مساراتها، بل بالعضلات والأعصاب وغيرها. مع الإشارة إلى ضرورة ربطه بالحس وليس الأمور الروحية الغيبية، وإغفال التسميات الشرقية كالـ (شياتسو) ذات الارتباطات الفلسفية، والاكتفاء بالمصطلحات الدارجة كالتدليك، أو الضغط وما إلى ذلك.

- **الإبر الصينية**، وهي كما سبق عند الحديث عنها، تنتمي إلى إحدى مدرستين: مدرسة شرقية تعتمد على مبادئ الطاقة، ومدرسة غربية تعتمد على مواضع الأعصاب واستثارة الهرمونات المسكنة. ولذلك فإن المدرسة الغربية للإبر الصينية تعتبر من الأسباب الحسية، وإن كان هناك جدل في الأوساط الطبية حول مدى أمانها وفعاليتها. أما المدرسة الشرقية فمرتبطة بالفلسفة الشرقية.

- **الـ (ماكروبايوتِك)**، وهو نظام غذائي صارم مبني على الفلسفة الشرقية وإحدى الوسائل المتبعة لتحقيق أهدافها. ومع ذلك فلا يخلو من بعض الإرشادات النافعة في التغذية كعدم الإكثار من الطعام والاهتمام بدفع

---

(١) علمًا أنه حتى هذه النصائح الأخلاقية تحمل معان باطنية بعيدة عن ظاهرها، راجع ص: ٣١٣ من هذا البحث.

(٢) وهو فيما ورد من عصْب النبي ﷺ لرأسه.

الأضداد. فهذه يمكن الاستفادة منها وعزلها عن الفلسفة الشرقية، وبالطبع دون ربط بالمصطلحات الشرقية ولا مفاهيمها.

- **الـ (يوغا)**، وهي إحدى المدارس الهندوسية، ووسيلة إلى تحقيق الاتحاد عندهم. ولكن ربما وجد فيها بعض التمارين الجسدية **مما ليس خاصًا بها**، فهذه يمكن عزلها دون ربطها بالـ (شاكرات) ولا بالـ (پرانا) ولا غيرها.
- **الفنون القتالية**، يمكن الاستفادة بما ليس مميزًا لها، ولا يحمل مسمياتها كالـ (طايجي) والـ (تشي كونغ) التي تحمل في نفسها معان فلسفية إلحادية[١].
- **الـ (فونغ شوي)** وهو في الجملة خرافات وشركيات، وإن كان قد يوجد فيه بعض النصائح التي يرى بعضهم أن فيها نفعًا، كالحرص على تهوية المنزل وتنظيمه[٢].
- **التأمل التجاوزي** فلا أرى فيه ما يمكن الاستفادة منه دون ربطه بالأصول والأهداف.
- **الـ (أيورڤيدا)** هي كالـ (ماكروبايوتِك) بالجملة.
- **العلاج بالألوان** لم يثبت له ارتباط حسي، وإن كان قد يوجد معه شيء من الأثر النفسي.
- **الأحجار الكريمة** ليس لها ارتباط حسي بالمرض ولا الشفاء، ولذا لا يمكن عزلها عن الفلسفة التي تقوم عليها[٣].

---

(١) وهي مما يحتاج مزيد دراسة وبحث.

(٢) والتهوية ليست هي المقصودة في الـ (فونغ شوي)، وإنما المقصود تمرير الطاقات الموجبة والتخلص من تلك السالبة.

(٣) إلا في حال أنها دقت فشربت أو اكتُحل بها.

إن ما سبق من التطبيقات لا يمكن أن تعرض للعامة لينتقوا مما فيها، وإنما يلزم تنقيحها قبل العرض، وهو ما لا أرى من ورائه جدوى ولا طائلًا إلا إضاعة الجهد والوقت في تحصيل أمر حاصل. ولم يشتغل السلف في تنقيح المنطق باعتباره قليل الفائدة كثير العناء ومليء بالآراء الكفرية المتناقضة مع أصول الإسلام، بل قد بدا الانحراف ظاهرًا على من شغلوا أنفسهم فيه رغم محاولتهم تنقيته وتنقيحه. وكما اتضح مما سبق، فإن الجوانب التي يمكن عزلها عن الفلسفة الشرقية تعتبر نزرًا يسيرًا، وليس فيها ما يميزها بعد ذلك.

ثالثًا: حكم تعلم فلسفة الاستشفاء الشرقية وتعليمها

يمكن أن يقاس حكم تعلم الفلسفة الشرقية وتعليمها على الفلسفة اليونانية في العصور الماضية، والتي انقسم الناس حيالها إلى ثلاثة أقسام:

١- قوم قبلوها وأجَلّوا كل ما فيها، وهؤلاء هم الفلاسفة المنتسبون للإسلام.

٢- وقوم عرضوا ما فيها على أصولهم[1]، فقبلوا من الفلسفة ما وافقها، وهؤلاء هم المتكلمون من الطوائف المختلفة.

٣- قوم أنكروا تلك الثقافة الوافدة جملة وتفصيلًا[2].

وهذه الفئة الثالثة هم الذين كانوا على منهاج الصحابة وهدي السلف، ولم يكن رفضهم للفلسفة إلا من أجل ما أدركوه من حقيقتها وما يشوبها من

---

(١) وليس أصول الشرع.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٣٢٣ - ابن تيمية.
وهؤلاء منهم من رفضها دون السعي إلى معرفة ما فيها وتفنيد شبهها التي أثرت في عقول بعض المسلمين، ومنهم من سبر غورها فأظهر زيفها وبطلانها على منهج السلف في العرض والرد، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

المعتقدات الوثنية والشركية. وقد وقفوا منها مواقف شديدة وغليظة تتفاوت بين المجادلة والمناظرة وحتى الهجر والمقاطعة[١].

ومن هؤلاء من كان رفضه للفلسفة وعلومها مبني على علم ودراية واطلاع واسع، فكان يكشف عوارها ويظهر زيفها وبطلانها من خلال ما يعرفه منها وعلى رأسهم **شيخ الإسلام بن تيمية** - بل إنه كان أعلم بمذاهب أهل الباطل منهم، ولم يكن ذلك إلا من أجل مناظرتهم ودحض حججهم[٢]. ونحن اليوم بأشد الحاجة لمن يحذر من الوافدات الشركية عن علم وبصيرة لئلا يتهم أهل الصلاح بمحاربة العلم والمستجدات أو كما قال أحدهم متهما من يحذر من تلك الأمور الباطلة: «الإنسان عدو ما يجهل»[٣] والحقيقة هي أننا إنما نعاديها لما نعلمه من الشرك والإلحاد الذي فيها، وهو ما لا بد أن يُعلم ويُظهر.

إن تعلم الفلسفة الشرقية فيما يخص الاستشفاء أو غيره ليس عامًا لكل أحد، فإن من «رسَّخَ قواعد الشريعة في قلبه، وامتلأ قلبه من عظمة النبي الكريم وشريعته، وتأيد دينه بحفظ الكتاب والسنة، وقوي مذهبه في الفروع، يحلُّ له النظر في علوم الفلسفة، لكن بشرطين:

أحدهما: ألا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة، وإن تجاوزها فإنما يطالعها للرد لا لغيره

ثانيهما: ألا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام، ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الرديء»[٤]

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١/ (١٧ - ٢٠) - ابن أبي العز.

(٢) انظر مثلًا: بغية المرتاد - ابن تيمية.

(٣) الاستشفاء بالطاقة الحيوية: ١٩ - د. رفاه السيد.

(٤) مفتاح السعادة: ١/ (٢٦ - ٢٧) - طاش كبرى زاده.

هذا في الفلسفة عمومًا مما يستلزم معرفة تفاصيله من أجل الرد، أما ما لم يكن كذلك فإن منه ما يحرم تعلمه مطلقًا، يقول **النووي**(١) في المجموع بعد أن ذكر أقسام العلم الشرعي «ومن العلوم الخارجة عنه ما هو محرم أو مكروه أو مباح، فالمحرم كتعلم السحر، فإنه حرام على المذهب الصحيح، وبه قطع الجمهور... وكالفلسفة والشعبذة، والتنجيم وعلوم الطبائعيين، وكل ما كان سببًا لإثارة الشكوك، ويتفاوت في التحريم(٢)».

أما عن تعليمها فهو تابع لحكم تعلمها، فلا يكون إلا من أجل إيضاح ما فيها من الباطل، ولا تُعلَّم إلا لمن كان عنده متانة في دينه ومقرونة بالرد والتفنيد.

والله تعالى أجل وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) **النووي**: يحيى بن محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي شيخ المذهب، وكبير فقهاء زمانه. ولد عام ٦٣١ هـ واعتنى بالتصنيف، له من المؤلفات: شرح مسلم وكتاب المجموع شرح المهذب الذي توفي ولم يتمه. كان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين. توفي سنة ٦٧٦ هـ. انظر: البداية والنهاية: ٩/ ٢١٤ - ابن كثير، والأعلام: ٨/ ١٤٩ - الزركلي.

(٢) المجموع شرح المهذب: ١/ ٢٧ - النووي.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تناولت من خلاله فلسفة الاستشفاء الشرقية وتطبيقاتها المعاصرة، أوجز أبرز ما توصلت إليه من نتائج:

- أن التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية تفرعت - بالجملة - عن ديانات ثلاث: الهندوسية، والطاوية، والبوذية.
- تُبنى فلسفة الاستشفاء الشرقية في الفلسفات الثلاث على عقائد إلحادية أبرزها: فلسفة الطاقة الكونية وما يُلحق بها، وفلسفة الـ (ين يانغ)، وفلسفة العناصر الخمسة. ولتلك الفلسفات تعلق بالتصور الشرقي للوجود ونشأته القائم على إنكار الصانع والقول بالفيض.
- أن جميع الفلسفات الفرعية لفلسفة الاستشفاء الشرقية هي صور متنوعة للتعبير عن وحدة الوجود، وتتضمن الوسائل المفضية إلى إدراك تلك الوحدة والتي يُعبَّر عنها - توسعًا - بالاتحاد.
- كان لحركة «العصر الجديد» الدور الرئيس في نشر الفلسفات الشرقية في العالم الغربي، وهي حركة باطنية تأثرت بكل من: الـ غنوصية النصرانية واليهودية، والثيوصوفي، وحركة الفكر الجديد، بالإضافة إلى حركة القدرات البشرية الكامنة، وهي جميعًا حركات باطنية تأثر أغلبها بفلسفات الشرق. وقد سجلت الكنيسة موقفها الرافض لحركة «العصر الجديد» لما تدعو إليه من عقائد باطنية تتعارض مع النصرانية.
- نشرت حركة «العصر الجديد» أفكارها من خلال وسائل متعددة، منها: بعض التطبيقات العلاجية المصنفة كنوع من الطب التكميلي أو البديل، وهي - في الحقيقة - تطبيقات معاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية.

- أن جميع التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية قائمة على الفلسفات المستوحاة من الهندوسية، والطاوية، والبوذية، وهي - بالتالي - صور عملية للفلسفة الشرقية القائمة على وحدة الوجود الساعية إلى إدراكه.
- أن العقائد التي بنيت عليها فلسفة الاستشفاء الشرقية تتنافى مع أصول الإيمان الست: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ لكونها مظهرا من مظاهر وحدة الوجود في الحاضر.
- أن للتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية آثارا عقدية خطيرة، منها: الوقوع في أنواع من الشرك، والابتداع في الدين، والقول بوحدة الأديان، بالإضافة إلى التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم.
- أن الحكم على التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية هو فرع عن الحكم على الفلسفة الأصلية نظرًا لما بينهما من التلازم، وهي قائمة على ثلاثة أصول كفرية: القول بالفيض والصدور، والقول بوحدة الوجود، والسعي إلى الاتحاد.
- أن الذي يعلم أصول التطبيقات وأهدافها ويعتقد بها كافر كفرًا أكبر مخرج من الملة. ومن يجهل أصول التطبيقات وأهدافها يُعلَّم وتقام عليه الحجة، فإن أصر بعد قيام الحجة كفر.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

مراجع البحث العربية

١- **الإبر الصينية في العلاج والتخدير** - د. لطفي سليمان - مركز الحضارة العربية - مصر - الطبعة الأولى - ١٩٩٩م

٢- **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان** - الشيخ د. بكر أبو زيد - دار العاصمة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ

٣- **الاتجاهات العقلانية الحديثة** - أ.د ناصر بن عبدالكريم العقل - دار الفضيلة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ

٤- **الاتجاهات المعاصرة في طرق تدريس علوم الحياة** - د. محمد اليوسف ود. حنان سلطان - دار العلوم - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ

٥- **اختيارات جديدة في العلاج (الطب البديل)** - بيل غوتليب - مكتبة جرير - الرياض - الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م

٦- **الأديان الحية** - أديب صعب - دار النهار للنشر - بيروت - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٥ م

٧- **أديان الهند الكبرى** - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة التاسعة - ١٩٩٠ م

٨- **إرواء الغليل في تحقيق أحاديث منار السبيل** - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ

٩- **الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي** - د. رفاه وجمان السيد - دار الخلاف العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٤ م

١٠- **الاستغاثة** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - دراسة وتحقيق: د. عبدالله السهلي - دار المنهاج - الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ

١١- **الاستقامة** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مكتبة السنة - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ

١٢- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** - عزالدين بن الأثير - تحقيق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبدالوهاب فايد - دار الشعب

١٣- **أسرار** - مريم نور - دار الخيال - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ هـ

١٤- **أسرار الطاقة** - حكم الزمان حمره - دار نور المعارف - دمشق - ٢٠٠٥ م

١٥- **الإصابة في تمييز الصحابة** - ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية - لبنان

١٦- **أصول الإيمان بالغيب** - د. فوز بنت عبداللطيف كردي - رسالة دكتوراه - غير منشورة

١٧- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** - أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق: أحمد أبو العينين - دار الفضيلة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ

١٨- **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة** - حافظ الحكمي - تخريج: مصطفى الشلبي - مكتبة السوادي للتوزيع - جدة - الطبعة السادسة - ١٤١٦ هـ

١٩- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السادسة - ١٩٨٤ م

٢٠- **أعمدة اليوغا الثمانية**: نهج حياة، سبيل كمال - غطّاس الحكيم - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م

٢١- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** - شمس الدين بن قيم الجوزية - تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد - دار الحديث - القاهرة

٢٢- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - تحقيق وتعليق: د. ناصر العقل - شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ

٢٣- **أقدم كتاب في العالم ريك ڤيدا** - د. لويس صليبا - دار ومكتبة بيبليون - لبنان - ٢٠٠٥ م

٢٤- **إنجيل بوذا** - ترجمة: سامي سليمان شيًّا - دار الحداثة - بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٤ م

٢٥- **آي تشنغ** - إعداد: رانيا مشلب - مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م

٢٦- **البداية والنهاية** - أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ

٢٧- **البدع والروحانيات الجديدة** - روبير عيد اليسوعي - دار المشرق - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م

٢٨- **البرهان في بيان القرآن** - أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة - تحقيق: د. سعود الفنيسان - دار إشبيليا - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٩- **بغية المرتاد (السبعينية)** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - تحقيق وتعليق: سعيد اللاحم - دار الفكر العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ م

٣٠- **بوذا والفلسفة البوذية** - كامل محمد عويضة - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

٣١- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٣٩٢ هـ

٣٢- **تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية** - د. عبدالرحمن بدوي - وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الأولى - ١٩٧٥ م

٣٣- **التاو** - إعداد: رانيا مشلب - مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م

٣٤- **تجريد التوحيد** - أحمد بن علي المقريزي - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - ١٤١٤ هـ

٣٥- **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية** - فالح بن مهدي آل مهدي - دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

٣٦- **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** - أبو الريحان البيروني - عالم الكتب - بيروت

٣٧- **التخاطر والسحر واليوغا** - راجي عنايت - دار السلام للطباعة والنشر - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ

٣٨- **التداوي بالمحرمات** - د. محمد البار - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ

٣٩- **تدريس العلوم في مراحل التعليم العام** - د. خليل الخليلي، د. عبداللطيف حيدر، د. محمد جمال الدين يونس - دار العلم - دُبي - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ

٤٠- **التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد السعوي - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ

٤١- **تذكرة الحفاظ** - شمس الدين محمد الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٧٦ هـ

٤٢- **التصوف**: منشؤه ومصطلحاته - د. أسعد السحمراني - دار النفائس - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ

٤٣- **تعاليم بوذا** - بوكيو ديندو - ترجمة: رعد عبدالجليل جواد - دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م

٤٤- **تعليقات على العقيدة الواسطية** - محمد الصالح العثيمين - دار الوطن للنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

٤٥- **تفسير القرآن العظيم** - أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - المكتبة العصرية - الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ

٤٦- **تلبيس إبليس** - أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٨ هـ

٤٧- **التمهيد** - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر - تحقيق: مصطفى العلوي. محمد البكري - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧ هـ

٤٨- **تمهيد في التأصيل** - د. عبدالله الصبيح - دار إشبيليا للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ

٤٩- **التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية** - عبدالعزيز بن ناصر الرشيد - دار الرشيد للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٦ هـ

٥٠- **تهافت الفلاسفة** - أبو حامد الغزالي - تقديم وتعليق: د. صلاح الدين الهواري - المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٢٥ هـ

٥١- **التوسل أنواعه وأحكامه** - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - نسقه وألف بين نصوصه: محمد عيد العباسي - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ

٥٢- **تيارات الفلسفة الشرقية** - محمد حسن - منشورات دار علاء الدين - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٩ م

٥٣- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - الكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة السابعة - ١٤٠٧ هـ

٥٤- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** - الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مطبعة المدني - جدة - ١٤٠٨ هـ

٥٥- **جامع البيان في تأويل القرآن** - محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

٥٦- **جامع الرسائل** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - دار العطاء للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ

٥٧- **الجامع الصحيح** - محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٥٨- **جامع العلوم والحكم من أحاديث الرسول ﷺ** - أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ

٥٩- **الجامع لأحكام القرآن** - محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ هـ

٦٠- **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق وتعليق: د. علي بن ناصر، د. عبدالعزيز العسكر، د. حمد الحمدان - دار العاصمة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ

٦١- **جوهرة الماكروبيوتيك** - هيرمان أهيرا - دار الخيال - لبنان - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣ م

٦٢- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** - ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت (لا توجد معلومات إضافية)

٦٣- **الحكمة البوذية، حياة البدء، تعاليمه، سبيل الحق** - جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م

٦٤- **الحكمة الهندوسية**: معتقدات فلسفات ونصوص - ريما صعب، جورج حلو، روبير كفوري - حلقة الدراسات الهندية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٨م

٦٥- **حلية الأولياء** - أبو نعيم الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥ هـ

٦٦- **حياة الـ بوذا، سيرة مفسرة** - دايسكاو إكيدا - ترجمة: محمود منقذ الهاشمي - منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق - ٢٠٠٢ م

٦٧- **الخفايا** - مريم نور - دار النهضة العربية - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

٦٨- **درء تعارض العقل والنقل** - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ

٦٩- **دراسات في اليهودية والمسيحية والإسلام** - د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ

٧٠- **دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية** - د. أحمد القاضي - دار بن الجوزي - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ

٧١- **دعوة إلى الصحة والسعادة** - جورج أوساوا - دار الخيال - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م

٧٢- **دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة** - جورج أوساوا - إعداد: يوسف البدر - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - لبنان - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٢ م

٧٣- **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت - ١٤١٠ هـ

٧٤- **ذيل الملل والنحل** - محمد الكيلاني - دار المعرفة - بيروت

٧٥- **الرد على المنطقيين** - أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - دار المعرفة - بيروت.

٧٦- **رسالة في حكم السحر والكهانة** - سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - مركز شؤون الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤١٠ هـ

٧٧- **الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام** - حمد حسن رقيط - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ

٧٨- **ريك ڤيدا**: دراسة، ترجمة لحلقة الـ سوما وتعليقات - د. لويس صليبا - دار ومكتبة بيبليون - لبنان - ٢٠٠٥ م

٧٩- **الريكي للمبتدئين**: إتقان تقنيات الشفاء الطبيعي - ديفيد إف. فينلس - مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

٨٠- **زن ماكروبيوتيك** - جورج أوساوا - إعداد: يوسف البدر - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - لبنان - الطبعة الخامسة - ٢٠٠٣ م

٨١- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

٨٢- **السنة** - أحمد بن محمد الخلال - تحقيق: د. عطية الزهراني - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ

٨٣- **سنن ابن ماجة** - محمد بن يزيد بن ماجة القزويني - تحقيق - محمد فؤاد عبدالباقي - دار الفكر - بيروت

٨٤- **سنن أبي داود** - سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد - دار الفكر

٨٥- **سنن الترمذي** - محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد شاكر - دار إحياء التراث العربي - بيروت

٨٦- **سير أعلام النبلاء** - الإمام شمس الدين الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الحادية عشرة - ١٤١٩ هـ

٨٧- **سيف الله على من كذب على أولياء الله** - صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي - تحقيق: علي رضا - دار الوطن للنشر - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ

٨٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** - عبدالحي بن عماد الحنبلي - القاهرة - ١٣٥٠ هـ

٨٩- **شرح أصول الإيمان** - الشيخ محمد بن صالح العثيمين - دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

٩٠- **شرح السنة** - الحسين بن مسعود البغوي - تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبدالموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

٩١- **شرح العقيدة الأصفهانية** - شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

٩٢- **شرح العقيدة الطحاوية** - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي - تحقيق: د. عبدالله التركي وعبدالقادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة العاشرة - ١٤١٧ هـ

٩٣- **الشريعة** - الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار السلام - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ

٩٤- **الشفاء بالأحجار الكريمة** - أضواء هادي - دار الرافدين - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

٩٥- **الشفاء بالطاقة الحيوية** - د. أحمد توفيق - الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠٠٦ م

٩٦- **الصحة والعلاج باللون** - ماري أندرسون - ترجمة: فؤاد الأسطه - دار الحوار - اللاذقية - الطبعة الأولى - ١٩٨٩ م

٩٧- **صحيح الجامع الصغير وزياداته** - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ

٩٨- **صحيح مسلم** - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت

٩٩- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** - شمس الدين بن قيم الجوزية - تحقيق: د. علي دخيل الله - دار العاصمة - الطبعة الثالثة - ١٤١٨ هـ

١٠٠- **طاقة الكون بين يديك**، ريكي جين كي دو: حكمة للشفاء - مهى نمور - الدار العربية للعلوم - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ

١٠١- **الطب النبوي** - شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق وتعليق: د. السيد الجميلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ

١٠٢- **طبقات الحفاظ** - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ

١٠٣- **عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة** - أبو العلا بن راشد الرويشد - راجعه وقدم له: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ

١٠٤- **العافية**، طريقة المحافظة على الصحة والحصول على الشفاء من داخلك - حسن البشل - دار ابن حزم - الطبعة الأولى - ١٤٢٦ هـ

١٠٥- **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** - محمد بن أحمد بن عبدالهادي - تحقيق: محمد حامد الفقي - مطبعة حجازي - القاهرة - ١٣٥٦ هـ

١٠٦- **العقيدة الواسطية** - شيخ الإسلام ابن تيمية - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١٣ هـ

١٠٧- **علاج الأمراض بالأحجار الكريمة** - د. زكريا هميمي - مكتبة مدبولي - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ هـ

١٠٨- **العلاج بالإبر الصينية** - د. صباح أحمد جمال الدين - دار الزهراء - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ

١٠٩- **العلاج بالألوان** - د. قيس غوش - مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر - لبنان - ١٤١٨ هـ

١١٠- **العلاج بالضغط طريق إلى الصحة (جين شين دو)** - أيونا مارسا تيجواردن - مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

١١١- **العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك «من وجهة نظر إسلامية»** - غادة المعايطة الدلابيح - دار أسامة - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م

١١٢- **العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة** - د. حسان جعفر - دار الحرف العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

١١٣- **علم الطاقات التسع، دليلك إلى الحب والعلاقات والصحة والسفر والنجاح** - ميتشيو كوشي، إدوارد إسكو - أشرف على الترجمة وواءم النص العربي د. يوسف البدر - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت - الطبعة السادسة - ٢٠٠٤ م

١١٤- **علماء نجد خلال ثمانية قرون** - الشيخ عبدالله بن صالح آل بسام - دار العاصمة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ

١١٥- **العناصر الخمسة والسوق العشرة** - كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش - ترجمة: أحمد حربا - دار الخيال - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م

١١٦- **غذاء الألباب**، شرح منظومة الآداب - محمد بن أحمد السفاريني - دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الثانية - لبنان

١١٧- **الفتاوى الكبرى** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا - دار الريان للتراث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ

١١٨- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** - جمع وترتيب: أحمد الدويش - دار عالم الكتب - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

١١٩- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبدالباقي - دار السلام - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ

١٢٠- **فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد** - عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - تحقيق: محمد حامد الفقي - تصحيح وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

١٢١- **الفرق بين الفرق** - عبدالقاهر البغدادي - تعليق: إبراهيم رمضان - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٢٤ هـ

١٢٢- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د. عبدالرحمن اليحيى - دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

١٢٣- **فضائح الباطنية** - أبو حامد الغزالي - المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٢٣هـ

١٢٤- **الفكر الشرقي، مقدمة في فكر آسيا الفلسفي والديني** - د. يونج شوون كيم - ترجمة: د. طلعت بدر، د. حميد علي مفتاح - منشورات جامعة عمر المختار - البيضاء - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م

١٢٥- **فلسفة الراجا يوغا** مع دراسة مقارنة بين الـ (يوغا) والتصوف الإسلامي - راما شاراكا - ترجمة: عريان يوسف سعد - دار بيبليون - باريس - ٢٠٠٥ م

١٢٦- **الفلسفة الشرقية** - محمد غلاب - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية

١٢٧- **الفلسفة في الهند** (قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصين) - د. علي زيعور - مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ

١٢٨- **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة** - د. عمر عبدالحي - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ

١٢٩- **الفلسفة واليوغا في بلاد الحكماء** - كمال جنبلاط - الدار التقدمية - لبنان - الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م

١٣٠- **فن العلاج الذاتي للجسم الشياتسو** - أوهاشي - ترجمة: باسل داوود - دار الخيال - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٦ م

١٣١- **فنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (البيت)** - رانيا مشلب - مؤسسة الانتشار العربي (لا توجد معلومات إضافية)

١٣٢- **فنغ شوي، دليل الطاقة الإيجابية (المكتب)** - رانيا مشلب - مؤسسة الانتشار العربي (لا توجد معلومات إضافية)

١٣٣- **القاموس المحيط** - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ

١٣٤- **قصة الحضارة** - ول ديورانت - ترجمة: د. زكي نجيب محفوظ - دار الجيل للطباعة والنشر - بيروت

١٣٥- **القول المفيد على كتاب التوحيد** - الشيخ محمد الصالح العثيمين - دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ

١٣٦- **الكامل في اليوغا** - سوامي فشنو ديفانندا - توزيع معرض الشوف الدائم للكتاب (لا توجد معلومات إضافية)

١٣٧- **كتاب التاو** - ترجمة وتقديم: هادي العلوي - دار ابن رشد للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٨١

١٣٨- **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** - شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - دار ابن خزيمة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

١٣٩- **كتاب الطب الصيني**: الروح، العقل، الجسد - (بدون مؤلف) - ترجمة: محمد يوسف شهاب - رشاد برس - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

١٤٠- **الكتاب الهندي المقدس: الجافادجيتا**: ٣٩ - ترجمة: رعد جواد - دار الحوار - اللاذقية - الطبعة الثانية - ٢٠٠٥ م

١٤١- **كشف الخفاء** - إسماعيل بن محمد العجلوني - تحقيق: أحمد القلاش - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥ هـ

١٤٢- **كشف الظنون** - مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ هـ

١٤٣- **الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية** - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ

١٤٤- **الكونغ فو: الطريق الذي لا يعرف المستحيل** - يحيي فوزي - مكتبة مدبولي - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م

١٤٥- **الكيتا**: كتاب الهندوسية المقدس - ترجمة: د. ماكن لال راي شودري - دار ومكتبة بيبليون - لبنان،

١٤٦- **لسان العرب** - ابن منظور - دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤١٣ هـ

١٤٧- **اللمس والمد، الشياتسو للجميع** - تورد ناميكوشي - مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

١٤٨- **الماكروبيوتك** - خالد التركي - دار الكتاب الحديث - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٢٣ هـ

١٤٩- **ماكروبيوتك الغذاء والأحلام** - ميشيو كوشي وإدورد إسكو - دار الخيال - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م

١٥٠- **الماكروبيوتيك للمبتدئين** - جون سانديفر - مكتبة جرير - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م

١٥١- **الماكروبيوتيك وطب الأعشاب** - د. عبدالمنعم سامي الرملي - دار الكلمة - المنصورة - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

١٥٢- **الماكوروبيوتيك المعاصر في الصحة والسلامة** - إدوارد إسكو - ترجمة: محمد حبيب - دار الخيال - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م

١٥٣- **مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية**: عالم الروح بين الطاقة والمادة - عبدالتواب عبدالله حسين - الدار العربية للعلوم - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

١٥٤- **مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية** - د. مروان الجبّان - دار البشائر - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ

١٥٥- **المبدأ الفريد للفلسفة والعلم للشرق الأقصى** - جورج أوشاوا - ترجمة: عبدالله عكاري - دار الخيال - بيروت الطبعة الأولى - ٢٠٠٥ م

١٥٦- **مجموع الفتاوى** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - جمع وترتيب: عبدالرحمن القاسم - مكتبة ابن قتيبة - الكويت

١٥٧- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** - الشيخ عبدالعزيز بن باز - جمع وإشراف: محمد الشويعر - مكتبة المعارف العامة للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٣ هـ

١٥٨- **محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام** - د. داواد علي الفاضل - مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع - عمّان،

١٥٩- **مختار الصحاح**: ٩١ - محمد بن أبي بكر الرازي - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٨ م

١٦٠- **مختصر الحجة على تارك المحجة** - الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي - تحقيق ودراسة: د. محمد هارون - أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

١٦١- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** - شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق: سيد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٦٢- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - دار الحديث - القاهرة

١٦٣- **المساج بدون لمس وطرق توجيه الطاقة وتصويب الكارما** - إ. كوبتيتوف - ترجمة: د. جلال غازي رافع - دار علاء الدين - دمشق - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م

١٦٤- **المستدرك على الصحيحين** - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ

١٦٥- **المسند** - الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - مؤسسة قرطبة - مصر

١٦٦- **المعالجة بالطاقة الحيوية**: سليم بيك علاء الدين - مطابع الدستور التجارية - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ

١٦٧- **المعجم الفلسفي** - د. جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري - بيروت - ١٩٧٩ م،

١٦٨- **المعجم الفلسفي** - مجمع اللغة العربية - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٣٩٩ هـ

١٦٩- **المعجم الكبير** - سليمان بن أحمد أبو أيوب الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ

١٧٠- **المغني** - عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ

١٧١- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** - طاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى

١٧٢- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - أشرف على تصحيحه: فكري أبو النصر - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض

١٧٣- **مقاييس اللغة** - أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق: عبدالسلام هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ

١٧٤- **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** - أبو الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي - تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ

١٧٥- **مناهل العرفان في علوم القرآن** - محمد عبدالعظيم الزرقاني - تحقيق: فواز أحمد مرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ

١٧٦- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية** - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني - تحقيق: محمد أيمن الشبراوي - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥ هـ

١٧٧- **المورد المزدوج** - د. روحي بعلبكي، منير بعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٩٨ م

١٧٨- **موسوعة أعلام الفلسفة** - محمد أحمد منصور - دار أسامة للنشر والتوزيع - عمّان - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م

١٧٩- **الموسوعة العربية العالمية** - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى -١٤١٦ هـ

١٨٠- **الموسوعة العربية الميسرة** - بإشراف محمد شفيق غربال - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥ م

١٨١- **موسوعة المورد العربية** - منير بعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ م

١٨٢- **موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك)** - د. أسامة صديق مأمون - الدار العربية للعلوم - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ

١٨٣- **ميزان الاعتدال** في نقد الرجال - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق: علي معوض وعادل عبدالموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ م

١٨٤- **النبوات** - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ

١٨٥- **النفس البشرية ونظرية التناسخ** - أحمد زكي تفاحة - الشركة العالمية للكتاب - بيروت - ١٩٨٧ م

١٨٦- **نقض أساس التقديس** - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني - تحقيق: موسى الدويش - مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ

١٨٧- **النهاية في غريب الحديث** - مجد الدين بن الأثير - تحقيق: صلاح عويضة - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ م

١٨٨- **الوابل الصيب من الكلم الطيب** - ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ

١٨٩- **الوجوه الأربعة للطاقة** - د. رفاه وجمان السيد - دار الخيال - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م

١٩٠- **الوخز بالإبر الصينية وهمٌ أم حقيقة؟** - د. فتحي سيِّد نصر - مكتبة مدبولي - القاهرة (لا توجد معلومات إضافية)

١٩١- **اليوغا والتنفس** - محمد عبدالفتاح عليم - دار المعارف (لا توجد معلومات إضافية)

١٩٢- **اليوغا سيطرة على النفس** - ج. توندريو وب. رئال - مكتبة المعارف - لبنان الطبعة الثانية - ١٤٢٠ هـ

١٩٣- **اليوغا في ميزان النقد العلمي** - د. فارس علوان - دار السلام - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ

مراجع البحث الأجنبية

1- A Brief Introduction to Hinduism - **A. L. Herman - Westview Press - Boulder CO - 1991**

2- A Complete Guide to Chi-Gung **- Daniel Reid - Shambahala - Boston - 2002**

3- **A Dictionary of World Mythology** - edited by: Arthur Flagg Cotterell - Oxford University Press - Oxford - 1986

4- **A History of Indian Buddhism** - Hirakawa Akira - translated by: Paul Groner - University of Hawaii Press - Honolulu - 1999

5- A Little Book I Ching **- Vijaya Kumar - Sterling publishers - New Delhi - 2003**

6- A Little Book of Feng Shui **- Vijaya Kumar - Sterling Publishers - New Delhi - 2003**

7- Acupuncture A Viable Medical Alternative **- Marie Cargill - Praeger Publishers - Westport CT - 1994**

8- **Alexander the Great** - Richard Stoneman - Routledge - New York - 2004

9- Alpha: The Myths of Creation **- Charles H. Long - George Braziller - New York - 1963**

10- **An Encyclopedia of Religion** - chief editor: Marcea Elaide - Macmillan publishing company - New York - 1987

11- **An Introduction to Complementary Medicine** - edited by: Terry Robinson - Allen & Unwen - Crows Nest N.S.W - 2003

12- An Introduction to Confucianism **- Xinzhong Yao - Cambridge University Press - Cambridge England - 2002**

13- **An Introduction to Qigong** - Ray Pawlett

14- **Anomalistic Psychology: A Study of Magical Thinking** - Warren H. Jones Leonard Zusne - Lawrence Erlbaum Associates - Hillsdale NJ. - 1989

15- Aroma Therapy **- Sumeet Sharma - Sterling Publishers - New Delhi - 2003**

16- Ayurveda for Health and Well-being **- Sally Morningstar - Southwater - UK - 2000**

17- **Bad Medicine Misconceptions and Misuses Revealed** - Christopher Wanjek - Wiley - New York - 2003

18- **Biographical Dictionary of Marxism** - edited by: Robert A. Gorman - Greenwood Press - Westport CT - 1986

19- **Buddhism** - Bradley K. Hawkins - Routledge - London - 1999

20- **Buddhism: A Very Short Introduction** - Damien Keown - Oxford University Press - Oxford - 1996

21- **Buddhism: A Modern Perspective** - Francis H. Cook - Pennsylvania State University Press - University Park PA - 1994

22- **Buddhist Philosophy: A Historical Analysis** - David J. Kalupahana - University of Hawaii Press - Honolulu - 1976

23- **Buddhist Thought: A Complete Introduction to the Indian Tradition** - Paul Williams - Routledge - London - 2000

24- Children of the New Age A History of Spiritual Practices **- Steven J. Sutcliffe - Routledge - London - 2002**

25- **China: Its people Its Society Its culture** - Chang-tu Hu - HRAF press - New Haven CT - 1960

26- China through the Ages: History of a Civilization **- Franz Michael - Westview Press - Boulder CO - 1986**

27- China's Cultural Heritage: The Qing Dynasty 1644-1912 - **Richard J. Smith - Westview Press - Boulder CO - 1994.**

28- **Chinese Religions** - Julia Ching - Macmillan - London - 1993

29- **Dictionary of Asian Philosophies** - St. Elmo Nauman Jr. - Routledge - London - 1989

30- Dictionary of Philosophy and Psychology **- editor: James Mark Baldwin - the Macmillan Company - New York - 1901**

31- Dictionary of Religion and Philosophy **- Geddes MacGregor -Paragon House - New York - 1989**

32- **Encyclopedia of Religion** - edited by: Vergilius Ferm - Philosophical Library - New York - 1945

33- Essential Reiki **- Diane Stein - Crossing Press - Toronto - 1995**

34- **Feng Shui** - Geddes & Grosset - Scotland - 1999

35- **Fifty Eastern Thinkers** - Diané Collinson Kathryn Plant Robert Wilkinson - Routledge - London - 2000

36- Flim-Flam! Psychics ESP Unicorns and other Delusions **- James Randy - Prometheus Books - Amherst NY - 1982**

37- Fortune-Tellers and Philosophers: Divination in Traditional Chinese Society **- Richard J. Smith - Westview press - Boulder CO - 1991**

38- Handbook of Chinese Popular Culture **- edited by: Wu Dingbo Patrick D. Murphy - Greenwood Press - Westport CT - 1994**

39- Healing With Crystals & Gemstones - **Daya Sarai - Weiser Books - Boston MA - 2005**

40- Hinduism - **Cybelle Shattuck - Routledge - London - 1999**

41- Hinduism - **Luis Renou - George Braziller - New York - 1961**

42- Hinduism - **R. C. Zaehner - Oxford University Press - Oxford - 1966**

43- Huang Di Nei Jing Su Wen: Nature Knowledge Imagery in an Ancient Chinese Medical Text - **Paul U. Unschuld - University of California Press - Berkeley CA - 2003**

44- **International Dictionary of Physics and Electronics** - Walter C Michels - Van Nostrand - New Jersey - 1956

45- Laotze and the Tao Te Ching - **edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn - State university of New York press - Albany NY - 1998**

46- **Modern Esoteric Spirituality** - editor: Antoine Faivre - Crossroad Publishing - New York - 1992

47- Mosby's Complementary Medicine A Research Based Approach - **Lyn W. Freeman & G. Frank Lawlis - Mosby - St. Louis MO - 2001**

48- Mountain of Fame: Portraits in Chinese History - **John E. Wills Jr. - Princeton University press - Princeton NJ - 1994**

49- **Myths of the Hindus and Buddhists** - Ananda K. Coomaraswamy Nivedita - Dover Publications - New York - 1967

50- **New Age Spirituality: An Assessment** - edited by: Duncan S. Ferguson - Westminster/Jhon Knox press - Louisville KY - 1993

51- **New Age Spirituality: An Assessment** - edited by: Duncan S. Ferguson - Westminster/Jhon Knox press - Louisville KY - 1993

52- On the Bhagavad -Gita - **Maharishi Yogi - Penguin - Baltimore - 1974**

53- **Philosophers and Religious Leaders** - edited by: Christian D. Von Dehsen - Oryx Press - Phoenix - 1999

54- **Practising Reiki** - Jennie Austin - Geddes & Grosset - Scotland - 1999

55- **Practising Shiatsu** - Geddes & Grosset - Scotland - 1999

56- **Practising Yoga** - Geddes & Grosset - Scotland - 1999

57- Qigong Basics - **Ellae Elinwood - Tutle Publishing - Boston - 2004**

58- **Reflexology & Complementary Therapies** - Geddes & Grosset - Scotland - 1996

59- **Reiki Fire** - Frank Arjava Petter - Motilal Banarsidass Publishers - Delhi

60- Reiki The Healing Touch - **William Lee Rand - Vision Publications - Southfeild MI - 2004**

61- Religion Under Socialism in China - **editor: Luo Zhufeng - translation: Donold E. Macinnis Zheng Xi'An - M.E. Sharpe - Armonk NY - 1991**

62- Religion without God - Ray Billington **- Routledge - London - 2002**

63- Religions of Ancient China - **Herbert A. Giles - Archibald Constable - London -1905**

64- Religions of Ancient India - **Luis Renou - Schocken Books - New York - 1968**

65- **Science of Being and Art of Living** - Maharishi Mahesh Yogi - Plume **Tai Chi Classics** - translated with commentary by: Waysun Liao - Shambala Classics - Boston - 2000

66- **Tao and Dharma Chinese Medicine and Ayurveda** - Robert Svoboda & Arnie Lade - Lotus Press - Twinlakes WI - 2005

67- **Tao Te Ching** - translated by: David Hinton - Counter point - Washington DC - 2004

68- **Taoism: the growth of a religion** - Isabelle Robinete - translated by: Phyllis Brooks - Stanford University press - Stanford CA - 1997

69- The Chinese Mind: Essentials of Chinese Philosophy and Culture **- edited by: Charles A. Moore - University of Hawaii Press - Honolulu - 1968**

70- The Complete Book of Tai Chi Chuan - **Wong Kiew Kit - Tuttle Publishing - Canada - 2002**

71- **The Complete Works of Chuang Tzu** - translated by: Burton Watson - Columbia University press - New York - 1968

72- **The Concept of the Buddha** - Guang Xing - RoutledgeCurzon - New York - 2004

73- The Dao of Taijiquan - **Jou Tsung Hua - TaiChi Foundation - Scottsdale AZ - 8th Printing - 2001**

74- The Foundations of Chinese Medicine: A Comprehensive Text for Acupuncturists and Herbalists - **Giovanni Maciocia - Churchill Livingstone - Edinburgh - 1989**

75- The Four Political Treatises of the Yellow Emperor: **Original Mawangdui Texts with Complete English Translations and an Introduction - Leo S. Chang And Yu Feng - University of Hawaii Press - Honolulu - 1998**

76- The Healing Power of Gemstones - **Harish Johari - Destiny Books - Rochester Vermont - 1996**

77- **The Hidden Secret of Ayurveda** - Robert E. Svoboda - The Ayurvedic Press - Abuquerque NM - 2002

78- The History of China - **David Curtis Wright - Greenwood Press - Westport CT - 2001**

79- **The Illustrated World's Religion's: A Guide to Our Wisdom Traditions** - Huston Smith - HarperSanFrancisco - Sanfrancisco - 1994

80- **Selling Spirituality: The Silent Takeover of Religion** - Jereme Carrette & Richard King - Routledge - New York - 2004

81- Shamanism: Traditional and Contemporary Approaches to the Mastery of Spirits and Healing - **Merete Demant Jakobsen - Berghahn Books - New York - 1999**

82- Spiritual Healing - **Martin Daulby & Caroline Mathison - Geddes & Grosset - Scotland - 1996**

83- The Inner Structure of the I Ching the Book of Transformations - **Lama Anagarika Govinda & Al Chung-Liang Huang - Weatherhill - Tokyo - 1981**

84- **The Myth of the Birth of the Hero** - Otto Rank - translated by: Smith Ely Jelliffe F. Robbins - Journal of Nervous and Mental Disease Publishing - New York - 1914

85- **The Oxford English dictionary** - founded mainly on materials collected by: The Philological Society - Oxford University Press - London - 1961

86- The Oxford Handbook of New Religious Movements - **edited by: James R. Lewis - Oxford University Press - NY - 2004**

87- **The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method** - Carlo L. Lastrucci - Schenkman Publishing - Cambridge MA. - 1963

88- The Skeptics Dictionary - **Robert Todd Carroll - Jhom Wiley & Sons inc. - Hokobon NJ - 2003**

89- The Tao of the Tao Te Ching: **A Translation and Commentary - Michael Lafargue - State University of New York Press - Albany NY - 1992**

90- The Tao of the West: **Western transformations of Taoist Thought - J.J Clarke - Routledge - London - 2000**

91- **The Tao Te Ching: A New Translation with Commentary** - Ellen M. Chen - Paragon House - St. Paul MN -1989

92- The Top 10 of Everything - **Russel Ash - DK publishing Inc. - New York - 1997**

93- **The Vision of Buddhism: The Space Under the Tree** - Roger J. Corless - Paragon House - St. Paul MN. - 1989

94- The Way and Its Power: **A Study of the Tao Te Ching and Its Place in Chinese Thought - Arthur Waley - George Allen & Unwin - London - 1934.**

95- The World Almanac and Book of Facts 2007 **- World Almanac Education Group - New York - 2007**

96- The World-Conception of the Chinese: **Their Astronomical Cosmological and Physico-Philosophical Speculations. - Alfred Forke - Arthur Probsthain - London - 1925**

97- **TM Wants You A Christian Response** - David Haddon & Vail Hamilton - Baker Bookhouse - Michigan - 1976

98- **To Live as Long as Heaven and Earth: A Translation and Study of Ge Hong's Traditions of Divine Transcendents** - Robert Ford Campany - University of California Press - Berkeley CA - 2002

99- **Toward Universal Religion**: **Voices of American and Indian Spirituality** - Daniel Ross Chandler - Greenwood - Westport CT - 1996

100- **Transcendental Meditation Relaxation or Religion ?** - Ronald L. Carlson - Mood Press - Chicago - 1978

101- **Transcendental Meditation:** Is It Only Meditation ? - Harold J. Berry - Back to the Bible - Lincoln Nebraska - 1976

102- **Understanding Reality: A Taoist Alchemical Text** - Chang Po-Tuan

103- **Upanishads - Svetasvatara Upanishad** - translated by: Patrick Olivelle - Oxford University Press - Oxford - 1996

104- **What Is Democracy ?** - Alain Touraine - translated by: David Macey - Westview Press - Boulder CO -1997

105- **What is Taoism ?** - Herrlee Glessner Creel - University of Chicago press - Chicago - 1982

مذكرات غير منشورة

- مذكرة: تدريبات الطاقة – حسن البشل.
- مذكرة: ريكي جين كاي دو: دليل المرحلة الأولى ١٠١ – إعداد وتقديم: طلال خياط
- مذكرة: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة – د. فوز عبداللطيف كردي.

المجلات والدوريات

عربية:

- صحيفة الوطن: العدد: ١٢٦٥ – السنة: الرابعة – ٢٦/ ١/ ١٤٢٥ هـ
- المجلة العربية – العدد: ٣١٥ – السنة ٢٨: ربيع الأخر ١٤٢٤/ يونيو ٢٠٠٣ م.
- مجلة فواصل – عدد: ١٢٤ – ١/ ٩/ ٢٠٠٣ م
- مجلة فواصل – عدد: ١٢٦ – ١/ ١٠/ ٢٠٠٣ م
- مجلة نون – عدد: ١٣

إنجليزية:

- **Skeptical Inquirer Magazine:** vol. 21 no. 5 - Sept/Oct - 1997
- **Skeptical Inquirer Magazine**: vol. 24 no. 3 - May/June - 2000

المراجع غير الورقية

الكتب والوثائق الرقمية (الإلكترونية):

- **Brahma Sutras - Swami Sivananda**: www.swami-krishnananda.org
- Jesus Christ the Bearer of the Water of Life **- Vatican Document: www.vatican.va**
- **The Columbia Encyclopedia** (electronic versin) - University Press - New York - 6th Edition - 2004

المواقع الإلكترونية:

موقع الجمعية الوطنية لمحاربة الدعاوى الطبية الباطلة	www.ncahf.org
الموقع الرسمي لـ (مهاريشي أيورڤيدا)	www.mapi.com
الموقع الرسمي لـ د. يوسف البدر	www.dryousefalbader.com
الموقع الرسمي لـ ميشيو كوشي	www.michiokushi.org
الموقع الرسمي لبرامج التأمل التجاوزي	www.tm.org
الموقع الرسمي لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر	www.elsonna.com
الموقع الرسمي لجمعية الثيوصوفي - مركز القيادة	www.theosociety.org
الموقع الرسمي لجمعية جيمز راندي التعليمية	www.randi.org
الموقع الرسمي لجمعية سعودي ريكي	www.saudireiki.com
الموقع الرسمي لحسن البشل	www.bishil.com
الموقع الرسمي لقناة العربية الإخبارية	www.alarabiya.net
الموقع الرسمي لمركز الراشد	www.alrashed.net
الموقع الرسمي لمركز الرجيب	www.alrujaibcenter.com
الموقع الرسمي لمركز سلام	www.mariamnour.com
الموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي	www.maharishitm.org
الموقع الرسمي لمعهد إيسالين	www.esalen.org
الموقع الرسمي لمنى خلف	reikihealingpower.com
الموقع الرسمي لمهى نمور	www.synergie-mahanammour.com

المنتديات:

- منتديات الحصن النفسي: منتدى الطب البديل < www.bafree.net/forum
- منتديات طبيعي: www.tabi3i.com
- منتديات البرمجة اللغوية العصبية: منتدى الطاقة < www.nlpnote.com/forum
- المنتدى العربي الموحد: منتدى أسرار الطاقة < www.4uarab.com/vb/index.php
- منتدى الفنون القتالية: www.alfonon.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





التطبيقات المعاصرة لفلسفة
الاستشفاء الشرقية
دراسة عقدية



تُعد الحاجة إلى التداوي من أقوى الحاجات البشرية التي يعايشها الإنسان، وقد أتى الشرع المطهّر موافقًا لهذه الحاجة ضابطًا لها، حيث قال النبي ﷺ: «إنَّ الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تداووا بحرام» صححه الألباني. فقيّد الشارع باب التداوي بما أحلّه الله، ومنع ما حرّمه وإن ظُنَّت فيه المنفعة.

وقد شمل الحلال الأسباب الشرعية الثابتة بالنص بإطلاق، والأسباب الكونية الثابتة بالمنهج العلمي بشروط وتفصيل. وما عدا ذلك لم يجز التداوي به وإن تُوهمت الحاجة إليه، وهذا يُفهم بضبط مفهوم السببية في الاصطلاح الشرعي والتطبيقي.

ولكنَّ الأخطر من شرك الأسباب، هو الاستشفاء بوسائل وممارسات مستوردة من ثقافات وديانات وضعية ووثنية تعتمد كليًّا على تصوراتهم الكونية ومعتقداتهم في الإله والعالم والوجود، وتضيف إلى الشرك السابق ما هو أخطر وأكثر انحرافا.

وفي هذا الكتاب يتمُّ تناول الأصول العقدية التي تقوم عليها فلسفة الاستشفاء الشرقية المبنية على عقيدة وحدة الوجود، والمتمثّلة في كثير من ممارسات الطب الهندي والتّبتي والصيني، وفيه توضيح الجوانب المُشكلة عقديًّا في تلك التطبيقات، كاليوغا والماكروبيوتيك والعلاج بالأحجار، ومآلاتها الخطيرة. ويُلقي الضوء على قضيةٍ مهمّة لم يتطرق لها كثيرٌ من الباحثين في العلوم الشرعية، وهي أثر الفلسفة الشرقية في العالم الإسلامي وما تحمله من معتقدات فاسدة استغلّت حاجات الناس في التوسع والانتشار.

المملكة العربية السعودية - ص.ب ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥
هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ١٢ (٩٦٦+) فاكس: ٢٧١٨٣٢٠ ١٢ (٩٦٦+)
www.taseel.com - info@taseel.com